التراث الروحي

خواطر فيلسوف في الحياة الروحيّة للقدّيس أغوسطينوس

نقلها الى العربيّة

الخوري يوحنّا الحلو

دار المشرق - بيروت

منشورات:
دار المشرق - ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠، لبنان

التوزيع:
المكتبة الشرقية ش.م.ل.
ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان

صدر في سلسلة «التراث الروحيّ»

- **إعترافات القدّيس أغوسطينوس**، نقلها إلى العربيّة الخورأسقف يوحنّا الحلو.
- **شرح رسالة القدّيس يوحنّا الأولى للقدّيس أغوسطينوس**، نقله إلى العربيّة الخورأسقف يوحنّا الحلو.
- **خواطر فيلسوف في الحياة الروحيّة للقدّيس أغوسطينوس**، نقلها إلى العربيّة الخورأسقف يوحنّا الحلو.
- **أناشيد من الشرق**، اختارها ونقلها إلى العربيّة جورج يونس.
- **مجموعة الرسائل الروحيّة ليوحنّا الدلياتيّ، الشيخ الروحانيّ**، نقلها عن السريانيّة وقدّم لها الأب سليم دكّاش اليسوعيّ.
- **كتاب الصلوات لغريغوريوس الناريكيّ**، نقله عن الفرنسيّة الأب جورج عقل اليسوعيّ.
- **أفراهاط الحكيم الفارسيّ: المقالات**، نقلها إلى العربيّة وقدّم لها الخوري بولس الفغالي.
- **أقوال الشيوخ، حِكَم آباء البرّيّة**، اختارها ونقلها إلى العربيّة الأب كميل حشيمه اليسوعيّ.
- **ثيودورُس أسقف المصّيصة: العظات التعليميّة**، نقلها إلى العربيّة وقدّم لها الخوري بولس الفغالي.
- **الرياضة الروحيّة أو الحاشية في تدبير رياضة المتروّضين للمطران جرمانوس فرحات**، حقّقها وقدّم لها الأب سليم دكّاش اليسوعيّ.
- **مجموعة الميامر الروحيّة ليوحنّا الدلياتيّ، الشيخ الروحانيّ**، نقلها عن السريانيّة وقدّم لها الأب سليم دكّاش اليسوعيّ.
- **مدينة الله للقدّيس أوْغُسْطينُس، المجلّد الأوّل (الكتب ١-١٠)**، نقله عن الفرنسيّة الخورأسقف يوحنّا الحلو.
- **مدينة الله للقدّيس أوْغُسْطينُس، المجلّد الثاني (الكتب ١١-١٧)**، نقله عن الفرنسيّة الخورأسقف يوحنّا الحلو.
- **مدينة الله للقدّيس أوْغُسْطينُس، المجلّد الثالث (الكتب ١٨-٢٢)**، نقله عن الفرنسيّة الخورأسقف يوحنّا الحلو.
- **ميتوديوس الأولمبيّ: الوليمة**، نقله عن الفرنسيّة الأب صبحي حموي اليسوعيّ.

ISBN-27214-5134-0

فليطبع

بيت الدين، في ١٩٧٠/٧/٢٢

الحقير

أنطونيوس خريش

مطران صيدا

© جميع الحقوق محفوظة، طبعة سابعة ٢٠٠٤

دار المشرق ش.م.م.
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠
لبنان
http://www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-5134-0

التوزيع: **المكتبة الشرقيّة**
الجسر الواطي - سنّ الفيل
ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان
تلفون: ٤٩٢١١٢ - ٤٨٥٧٩٣/٤/٥ (٠١)
فاكس: ٤٨٥٧٩٦ (٠١)
Email: libor@cyberia.net.lb

الغلاف: **جان قرطباوي**

بركة الرب تحل على ولدنا العزيز الخوري يوحنا الحلو الجزيل الاحترام

شرعتم ، منذ عشر سنوات تقريباً ، تنقلون تباعاً ، الى اللغة العربية ، اعترافات القديس اغوسطينوس ، وشرح رسالة القديس يوحنا الاولى . وها انتم تنجزون اليوم تعريب مجموعة من مختارات بعنوان « خواطر فيلسوف في الحياة الروحية » التي كانت قد طبعت في المطبعة الڤاتيكانية للمرة الاولى سنة ١٩١٧ وترجمت الى عدة لغات ما عدا العربية .

واني لواثق من ان قراء العربية سوف يجنون منها فائدة كبيرة لما فيها من افكار فلسفية عميقة ومعان روحية سامية تنير العقل والضمير وتغذي القلب والارادة وتدفع بالمؤمن ، مسيحياً كان او غير مسيحي ، الى التأمل والصلاة . وهي لعمقها وجدّتها التي لا تبوخ كأنها وضعت في عصرنا وفي بلادنا برغم انها من اواخر القرن الرابع وأوائل الخامس .

وقد نجد ، نحن اللبنانيين خاصة ، في هذه الصفحات اكثر من صدى لأمثال وصور ناطقة لعادات تبدو وكأن القرطاجيين ، مواطني اغوسطينوس ، قد ورثوها عن اجدادهم واجدادنا الفنيفيين . وهذا ممّا يجعل القديس اغوسطينوس اقرب الينا من اقرب المفكرين والكتّاب عهداً بحيث يمكننا ان نردّد فيه قول الكاتب الفرنسي شارل بيغي في هوميروس : « اغوسطينوس هو اليوم جديد في نظرنا وليس اعتق من جريدة هذا الصباح » .

لذلك نجدّد تشجيعنا لكم لكي تواصلوا نشاطكم في ترجمة روائع القديس اغوسطينوس ، ونأمل لهذه المختارات التي تنشرونها الانتشار الواسع الذي تستحقه .

بيروت في ٢٨ آب سنة ١٩٧٠

الحقـير

اغناطيوس زياده

رئيس اساقفة بيروت

مقدّمة

الى الباحثين عن الحقيقة ، الساعين الى الخير ، الضاربين في صحراء هذا العمر طلباً للسعادة ، اقدم هذه المختارات من تأملات القديس اغوسطينوس ، النابعة من ثاقب فكره ونبيل قصده ونيّر عقله وأصيل ايمانه وعميق خبرته وواسع اطلاعه ، دليلاً الى النور الذي ينشدون ، ومرشداً الى الطريق الذي يتلمّسون.

مواضيعها متنوعة ، يعالج فيها المؤلف ، بدقة ورويّة ، مشاكل الانسان على اختلاف عصره وبيئته ، باسلوب شيّق رصين ، يجمع بين ذهنية المؤمن النيّرة ، وعقلية الفيلسوف الواضحة الخطوط والقسمات : فيناقش علاقة الانسان بخالقه وبأخيه الانسان ، ويتصدى لأمور كثيرة تلازمه ملازمة الظل ، كالموت والسعادة والحزن والألم والمال والعقاب والثواب ، الى ما هنالك ممّا يستوقف الانسان في دنياه ، ويرسم على دربه نقاطاً كبيرة من الاستفهام ، غالباً ما يعجز ، وحده ، عن الاجابة عليها وحلّ رموزها .

وجلُّ ما اصبو اليه من هذه الترجمة هو ان اضع بين ايدي قراء العربية كتاباً جديداً من قلم اغوسطينوس ، الذي لم يعد غريباً عنهم ، تذليلاً لصعاب عارضة ، وتبديداً لشك قائم ، وترسيخاً لايمان لفحته سموم الكفر والالحاد ، وتشديداً لعزائم تتراخى ، فيتمكن المؤمن ، طالب الحقيقة ، من متابعة سفره الشاق في ارض غربته صوب الوطن السماوي الذي اليه يتوق ، وعنه لن يجد بديلاً يطمئن اليه .

صيدا في ٣٠ آب ١٩٧٠ — **الخوري يوحنا الحلو**

الكتاب الاول

الفصل الاول : رأس الحكمة مخافة الرب

عن الحكمة كلامنا ؛ لا عَن حكمة هذا العالم التي هي جهالة عند الله ؛ بل عما هي ، حقاً ، بنظره ، حكمة : الله هو كمال الحكمة ؛ وحكمة الانسان عبادة الله .

وتناقش الناسُ في الحكمة فقالوا : انها علم الامور البشرية والالهية .

بيد ان الكثيرين لم يسعَوا اليها ، الا كسباً لمديح الناس لهم ، وارادوها في حياتهم علماً ؛ لا خُلُقاً تأمر به الحكمة ؛ فنالوا مجداً بشرياً زائلاً وعجزوا عن البلوغ الى نور الله .

وما طلبوا الحكمة ؛ مع انهم تظاهروا بالبحث عنها ؛ ولو بحثوا عنها ، حقاً لعاشوا وفقاً لمبادئها ؛ لكنهم شاؤوا التبجح باقوالها فكانوا كلما ازدادوا بها تبجّحاً كلما ازدادوا عنها بعداً .

اما الكتاب المقدس فانه يعلّمهم أنهم لن ينالوا مبتغاهم الا اذا رَعَوْا ما كانوا يهملون . « يا بني ان رغبت في الحكمة فاحفظ البر فيهبها لك الرب » (يشوع بن سيراخ ١:٣٣) . ومن ذا الذي يحفظ البر ان لم يخف الرب القائل في موضع آخر : « من لا يتقي الله لا يدرك البر » ؟

وبالتالي فان كان الرب لا يهبُ الحكمة سوى من يحفظ البر فمن لا يتقي الرب لا يتبرر ؛ ثم يضيف : « رأس الحكمة مخافة الرب » .

وحين يتكلم اشعيا النبي عن مواهب الروح السبع يبدأ بالحكمة وينتهي بمخافة الله منحدراً الينا ليعلّمنا كيف نصعد اليه .

بدأ حيث يجب عليك ان تصل ؛ ثم وصل حيث يجب ان تبدأ ، قائلاً : « ويستقر عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح العلم وتقوى الرب » اشعيا ١١ : ٢–٣ .

وكما ان النبي انحدر من الحكمة الى التقوى ، معلّماً بقوةٍ ، عليك ان تصعد تدريجياً وبدون استكبار من التقوى الى الحكمة .

المتواضع يتقي الله ، وقلبه ينسحق بدموع التوبة والاعتراف . لا تخف البقاء في هذا القعر ، لأن الله رتّب ، في القلب ، المنسحق ، المتواضع ، الذي يرضى عنه ، مراقيَ اليه .

وانحدر اشعيا على سلّم العلم ، من الحكمة الى تقوى الله ، ليحثك على القيام باعمالك . لقد انحدر من مقر السلام الابدي الى وادي الحزن الزمني ، كيلا تبقى حزيناً ، باكياً ، متنهداً في توبتك ، بل لتصعد من ذلك الوادي الى الجبل الروحي ، الى اورشليم ، المدينة المقدسة الابدية ، وتفرح فرحاً ابدياً .

وحين نصحك بالتزام الحكمة نوراً للعقل ، أضاف العقل ، رداً على سائليه، بأن طريق الحكمة العقلُ ، وطريق العقل المشورة ، وطريق المشورة القوة ، وطريق القوة المعرفة ، وطريق المعرفة تقوى الله ، وطريق تقوى الله مخافتُه . تتجه الطريق صعداً من المخافة الى الحكمة لأن رأس الحكمة مخافة الرب ؛ من وادي الدموع الى جبل السلام .

فاجعل التواضع والتقوى رأس حكمتك ،

اللهم ، فيَّ ارى البداية ، فلِمَ أقنط من النهاية ؟ وفيَّ الخوف انما مخافتك رأس الحكمة. لقد بدأت اخاف ، فعليَّ ان اصلحَ نفسي واحذر اعدائي ، أي خطاياي ؛ وابدأ حياةً باطنية وأميت اعضائي على هذه الارض .

مخافتك تجرح النفس كما يجرح مبضعُ الطبيب جسم المريض لينزع منه ما فسد فيه ، فيبدو مثخناً جراحاً ؛ ويفوق ألمُ جرح يُداوى ألمَ جرحٍ مُهمَل . ويعرف الانسان دواءه فيحزن حزناً يفوق حزنه على ألمٍ يتلوه شفاء .

إملأ قلبي من مخافتك ووجّهه الى محبتك ؛ واجعله ينسى أثر جرح مبضعك لانك طبيب لا يُخلّف جرحه اثراً .

فليَكن الخوف فيَّ ، قبل ان تنفي المحبة الكاملة الخوف عني : إني لأومن وأُدرك أني سائرٌ بعيداً عنك في جسمي هذا الفاسد الذي يثقل عليَّ . بقدْرِ ما أدنو من الوطن الذي اصبو اليه يضعف الخوف فيَّ .

خوفُ المسافرين قوي ؛ وخوف القريبين ضعيف . والذين بلغوا غايتهم لا يخافون . إني اخاف ممن يقتلون الجسد ، وبخاصة ممّن يمكنه ان يلقي النفس والجسد في جهنم .

الفصل الثاني : في الخوف

الخوف نوعان : خوف سافل وخوف نقي ، احدهما يخشى ان يفقد البر والآخر يخشى العقاب .

الخوف السافل هو خوفُ من يخشى الاحتراق مع الشيطان ، والخوفُ النقي هو خوف من يخشى عدم مرضاة الله .

واين العظمة في ان يخشى الانسان العقاب ؟ تلك حالُ العبد الخاطئ واللص الشرس . لا عظمة في ان يخشى الانسان العقاب انما العظمةُ في ان يحبَّ البر . وكل من يحبّ البرّ لا يخشى العقاب بل يخشى فقدان البر .

اللصّ يخشى العقاب انما لا يخشى الإثم : انه لا يسرق حين لا يستطيع ان يسرق ، مع انه سارق .

يسطو الذئب على حظيرة الخراف ويحاول ان يدخل ويقتل ويفترس؛ وبما ان الرعاة يسهرون ، والكلاب تنبح ؛ فلا يستطيع ان يخطف او يقتل ؛ انما يخرج ذئباً كما جاء ذئباً .

ألأنه لم يستطع ان يسرق نعجةً نقول : جاء ذئباً وعاد نعجة ؟

لقد جاء ذئباً محتدماً غضباً ، وعاد ذئباً ، مرتجفاً فزَعاً ؛ ومع ذلك فهو ذئب ، غاضباً كان ام خائفاً ؛ لا خطف فريسة ولا تخلّى عن خبثه . ان كانت تلك هي حالك فانك تفكر بالا يعذبك البر .

الفرق بين خوفك وخوف اللص ، هو ان اللص يخشى قوانين البشر فيسرقَ أملاً في ان يخدعها ؛

وانت تخشى شرائع وعقاب من لا يسعك ان تخدعه

هب انك استطعت ان تَغُشَّ ؛ ألا تغش ؟

المحبة لا تنزع منك الشهوة ؛ انما الخوف ، وحده ، يكبتها .

ان من قيّده الخوف يظل ذئباً. تحوّلْ انت الى نعجة – ذاك ما صنعه الرب ببرٍّ منه لا منك .

وطال ما ان لك برك ؛ فاخشَ العقاب ولا تحبَّ البر . إني اطرح عليك سؤالاً : تفحّص سؤالي المدوّي ؛ واجعل لك من نفسك سؤالاً صامتاً . لك اقول : ان لم يرَك الله حين تعمل ، فهل تعمل اذا لم يكن ، يومَ الدين ، من يقنعك بانك عملت شرًا ؟

تأمّل نفسك بنفسك اذ لا يسعك ان تجيب على كل ما اقول . تأمّل نفسك ، اتفعل ؟

ان فعلتَ ، كان ذلك خوفاً من العقاب وليس حباً بالبر ، ولم تكن

على شيء من المحبة لانك تخاف كعبد : انه الخوف من الشر وليس الحب للخير . وبرغم ذلك ، يجب عليك ان تخاف خوفاً يؤدي بك الى المحبة . ان خوفك هذا يجعلك تخاف من جهنم ويمنعك عن الخطيئة ويغمرك من كل جانب ولا يدع فكرك الباطني الحر يريد الخطيئة .

وبالتالي ، فالخوف هو كالحارس والمعلم في السنّة ، التي كان حرفها يهدده قبل ان تنجده النعمة . فليحفظك هذا الخوف من السوء ؛ ولتدخل المحبة قلبك ؛ اذ بقدر ما تكون فيه بقدر ذلك يخرج منه الخوف .

وطال ما ان الخوف يحفظك من السوء ، فالمحبة تستأصل ما فيك من رغبة في الاثم ؛ ولو استطعت ان تعمل دون ان يطول العقاب .

عانقْ المحبة وادخل فيها ؛ إقبلْها تفادياً للخطأ ؛ كفَّ عن الخطيئة واقبل المحبة واحيَ حياة صالحة .

ومتى دخلتَ في المحبة بدأ الخوف يخرج ؛ وكلما ازددت ولوجاً في المحبة ازداد الخوف تراجعاً . ومتى دخلت بكليتك تلاشى الخوف : « لأن كمال المحبة يطرد الخوف خارجاً » يوحنا ١ يو ٤ : ١٨ . للمحبة خوف نقي خاص بها يثبت الى جيل الأجيال . الرجل الصالح ، ولو استطاع ان يحفظ قول الله لما احزن عيني ابيه القائل له : « اراك حين تخطأ فلن اعاقبك انما لست ارضى بك . » . والرجل الصالح يخشى ان يغيظ محبوبه بمعزل عن صرامة القاضي ، لانه لو احب الآب حقاً كما يحبه الآب لاعترف به رباً ولما عصا له امرًا .

هناك اناسٌ يخشون ان يعملوا شرًا ، عن ضعف جسدي ، او نفسي ، وليس حباً بالخير ؛ بل خوفاً من ان يدينهم الناس ؛ فيكفون عن شر الاعمال دون عاطل الافكار .

اذا فكرت بامثالها ، وان لم تأت شرًا ضد احد ، تسيء كثيرًا الى نفسك ، وباثمك هذا تهلك نفسك .

انت لا تؤذي الناس لانك جبان ؛ لكن الله الذي يرى خطيئتك يعاقبك على افكارك .

ان من لا يستطيع اللحمُ ان يحجب عنه ارادتنا ، يرى ما تريد ؛ وبالتالي اذا كان قلبك لا يخشى سوى العقاب ثم سنحت لك الفرصة لارتكاب الخطيئة فلا تصير اذ ذاك خاطئاً ؛ بل يماط اللثام عمَّا فيك من خطأ لتدرك ان ما خفي منك موجود ؛ ولا لتعرف أنَّ ما هو طبيعي قد انكشف .

الارادة الاثيمة تحيا في العمل الذي لا يرجى عليه عقاب ؛ اما حين تتأكد بأن العقاب ملازم للخطأ فهي تحيي في الخفاء وتود لو يسمح لها بان تعمل على هواها . وتكتئب لانها لا تتسامح مع نفسها بما يحرمه الله ؛ وهي لا تتمتع روحياً بما له من خير ؛ بل تخشى جسدياً الشر الذي يهددها به . وان كنت تخشى الله بسبب ما ينتظرك من عقاب فلست تحب من تخشاه هكذا . وعبثاً تدَّعي التغلب على الخطيئة ان كنت تكف عنها خوفا من العقاب ؛ ان خفت من جهنم فلست تكره الخطيئة بل الاحتراق في جهنم . اما إن كرهت الخطيئة كرهت معها جهنم .

أحبَّ الله الصالح واخشَ عدله : ان احببت خفت من ان تغيظ المحب والمحبوب . واين تجد خوفاً نقياً يفوق ما فيك ، يا من لا تفكر بامور الدنيا بل بما هو للرب وبما يرضيه ؟؟

ان لم يكن فيك حبٌّ فاحذر الهلاك ؛ اما ان كنت تحب فاخشَ ان تغيظ بحبك . بالمحبة لا بالخوف ، تصير ابناً لا عبداً .

ان ثابرت على عمل الخير خوفاً من الهلاك فلست من ابناء الله . حتى مَ تخشى العقاب ؟ الخوف عبد؛ والمحبة حرة طليقة ، والخوف هو عبد للمحبة .

لا تدع الشيطان يسيطر على قلبك برغم ان الخوف سبّاق في الدخول

اليه ليحتفظ بمركز للمحبة، سيدته ، التي سوف تدخل . اعمل ، خوفاً من العقاب ، ان تعسَّر عليك ان تعمل، حباً بالبر، لان السيدة سوف تأتي وسوف ينسحب العبد لان المحبة الكاملة تطرد الخوف .

عواطف وصلوات

رب ، تحاشيتُ الشر فصلُحتْ نفسي وراحت تتوق الى الخير فنشأ فيَّ الخوف النقي . انا ما ابتعدت عن الشر خوفاً من جهنم وابليسها ؛ بل خوفاً من ان تبتعد انت عني . ليس خوفي من ابليس وجهنم خوفاً نقياً ؛ لانه لم يصدر عن حب لك ؛ بل عن خوف من العقاب . وحين خفت ان تتخلى عني عانقتك وتمنيت ان استمتع بك .

نفسي تلطخت بالاثم ولكنها تصبح جميلة اذا احبتك . الخوف النقي يعيد الى النفس جمالها — انت ، يا رب ، دائم الجمال ، لا قبحَ فيك ولا تغيير .

لقد أحبَبْتنا يا دائم الجمال ، حين كنا قُبحاً وفساداً . لقد احببتنا ، لا لتبعد عنك كل قبيح ؛ بل لكي تغيّره وتجعل منه انساناً جميلاً . وكيف أُصبح جميلاً ؟ متى احببتك يا دائم الجمال .

كلما تعاظم فيَّ حبك عظُمَ جمالي لان محبتك جمالٌ لنفسي .

رب ، اني لا اشبع من الحديث عن محبتك . وبقدر ما انا تائق اليها ارجو ان تنمو وتثبت فيَّ وتطرد عنها الخوف ليستمر الخوفُ النقيَّ الى جيل الاجيال .

اني احتمل العالم وضيقاته وشكوكه وتجاربه .

رب ، ساعدني كيلا ابتعد عن الطريق ؛ واجعلني استمسك بك ، عن محبة ، فلا اترك اعضاء مسيحك ولا اكفر بالايمان بل اتمجَّد بحضرتك . بايمان اثبت فيك الآن ، ثمَّ اتمتع بك ، وجهاً لوجه ، وقد اخذت مواهب الروح القدس عربوناً على ذلك .

الفصل الثالث : في وعود الله ووعود العالم

يا بني ، اريد منك ألاّ تميل الى مَنْ ينعمون في هذا العالم بسعادة كاذبة ، باطلة ومغرية ، لا تغذي سوى كبريائهم فيجف قلبهم من الله ، ويقسو على شآبيب نعمته فلا يعطي ثمراً .

اريد منك الا تنصرف الى ما يُرى ؛ بل الى ما لا يرى ؛ لان ما يرى زمني ، وما لا يرى ابدي .

وعودُ العالم دائماً كذابة ؛ ووعود الله دائماً صادقة .

وبما ان العالم يبدو لك ، وكأنه يحقق وعوده في ارض الاموات هذه ، بخلاف مَنْ يحقق وعوده لك في ارض الاحياء ، أراك تملّ من ترقّب السعادة الصحيحة وتهوى بلا خجل سعادة كاذبة .

تأمل في الكتاب القائل : « الويل لكم ايها الذين فقدوا الصبر ومالوا الى طرق السوء » سيراخ ٢ : ١٦ .

ان ابناء الموت الابدي لا ينفكون يوجهون الاهانات اليك ايها المجاهد العامل برجولة ، المستمسك بالله بقلب ثابت ؛ ويفاخرون بافراحهم الدنيوية التي لا تروي لهم غليلاً إلاّ الى زمن ؛ ثم يجدونها امرّ من العلقم .

ويقولون : اين ما يعدك به بعد الحياة الحاضرة ؟ ومن ذا الذي عاد من هناك ليؤكد لك صحة ما تؤمن به ؟

انظر الينا نتمتع فرحين بملذاتنا نحن الذين نرجو ما نرى . اما انت فانك تشقى من متاعب العفة مؤمناً بما لم تر .

ثم يزيدون ما ذكّر به الرسول في قوله : فلنأكل ولنشرب لانا غداً نموت . ولكن ، تأمل بما حذرنا منه هو عينه حين قال : « استفيقوا للبر ولا تضلوا ، ان العشر الرديئة تفسد الاخلاق السليمة » ١ كور ١٥ : ٣٢–٣٣ .

اياك ان تفسد اخلاقك بمثل هذا الكلام فيضعف صبرك ويضيع املك وتسير في طرق السوء .

تسلّحْ بالرجاء الحقيقي ولتكن لك ثقة عظمى ؛ وليكن كلامك مطيّباً بملح النعمة لتعرف ان تجيب ، كما يليق ، كل انسان .

اجب : اين ملذاتكم ايها الباحثون عنها في طرق السوء ؟

انا لا اقول : ماذا تكون حالك بعد هذه الحياة ؟ بل ، ما هي حالك الآن ؟

وكما ان اليوم الذي نحن فيه قد قضى على يوم امس والغدَ يغيّب يومنا هذا ، فلِمَ لا ينقضي ويزول يومُ الملذات التي تحبون ؟

ولِمَ لا يهرب منذ ان يُلْقى القبضُ عليه طال ما ان الاحتفاظ به غير ممكن ساعة واحدةً ، ولا يوماً واحداً ، في هذا الحاضر ؟ وكما يطوي اليومُ الثاني اليومَ الاولَ هكذا يطوي الثالثُ الثاني . ومن هذه الساعة التي تبدو حاضرةً ، لا يبقى شيء منها ؛ لأن هنيهاتها واجزاءها هاربة .

ولهذا يأثم الانسان حين يخطأ ؛ هذا اذا لم يكن اعمى . وحين يخطأ ، فعليه ان يفكّر ؛ يمكنه ان يرى البشر يشتهون اللذة بلا فطنة لانها لذة عابرة واذا انقضت فليفكر أقله بالندامة عليها .

انكم لتهزأون بي لأني ارجو الأبديات التي لا أراها ، في حين انكم تستسلمون للزمنيات المنظورة ؛ وتجهلون الغد الطالع عليكم . واذ ترجون ان يكون يومَ خيرٍ ، اذا به يوم شؤم ؛ ومتى جاء فلا يمكنكم ان توقفوه عن الهرب .

انكم لتهزأون بي لاني ارجو الابديات التي لا تنقضي ؛ لانها لا تأتي بل تثبت الى الابد ؛ انما انا اجيء اليها ، سالكاً طريق الرب ، فاجدها في نهايتها . انتم لا تنفكون ، طوال يوم واحد ، ترجون الخيرات الزمنية ،

وان خدعتْ حدسكم : انها تضرم اشواقكم متى طلبتموها ، وتفسدكم متى نلتموها ، وتعذبكم متى فقدتموها . اوليست هي الخيور عينها التي اضرمت رغباتكم ، حتى اذا ما حصلتم عليها ، حطت من كرامتكم ، واذا اردتم الاحتفاظ بها ، تلاشت بين ايديكم ؟

انا استخدمها وفقاً لحاجات السفر انما لا اضع فيها سعادتي ، كيلا افشل اذا فاتتني ؛ واستخدم هذا العالم كمن لا يستخدمه ، رغبةً في الوصول الى خالقه ، لاثبت فيه واستمتع به الى الأبد .

وما معنى قولكم : من ذا الذي عاد الينا واخبرنا عما يجري في جهنم ؟ لقد اخرسكم ذاك الذي اقام الميت من قبره ، في اليوم الرابع ؛ وقام في اليوم الثالث هو الذي لن يموت ؛ وهو الذي لا شيء يفوته ، وصف لنا ، قبل موته ، في مثل الغني والفقير ، الاستقبال الذي يُعدّه للاموات .

اذهبوا الآن وقولوا : فلنأكل ولنشرب لانا غداً نموت . الحق يجدهم موتى حين يقولون هذا القول ، زاعمين انهم سيموتون غداً . اما انت يا ابن القيامة ، ومُواطن الملائكة والقديسين ، ووريثَ الله وشريك المسيح في ميراثه ، فاياك ان تقتدي بهؤلاء الذين يموتون غداً ، حين يلفظون انفاسهم ، ويدفنون اليوم في قبورهم وهم يشربون .

ويقول الرسول بالمعنى عينه : « استفيقوا للبر ولا تضلوا ، ان العشر الرديئة تفسد الاخلاق السليمة » — انت تسير في طريق ضيّق وآمن ، انه يوصلك الى اورشليم السماوية ، الرحبة ، التي هي أمّ لنا الى الابد : ترجَّ بثبات ما لا ترى وانتظر بصبر ما ليس لك طال ما انك تمسك ، مخلصاً ، بالسيد المسيح ، الواعد الصادق .

عواطف وصلوات

في خضم هذا العالم القلق سألتك يا رب ان تصغي الى طلبتي . باي شيء افرح ؟ ومِمَّ احزن واكتئب ؟ اني اغتبط بما انقضى لي من ايام واكتئب لما بقي لي منها . الأني قطعت تلك المسافة الشاسعة وطويت ذاك العدد الكبير من الايام ، لا ابكي ؟ وهل اكف عن البكاء لانه بقي لي زمن طويل اشتهي فيه واتوق الى تحقيق رغبتي ؟ اصحيح ان الاثم يكثر كلّما كثرت الشكوكُ وانه « كلّما كثر الاثم جفت محبة الكثيرين » ؟ متى ١٢:٢٤ « ومن يعطي راسي ماء وعينيَّ ينبوع دموع » ارميا ١:٩ « استمع صلاتي يا رب واصغ لاستغاثتي ولا تصمت عن دموعي وكلمني » مز ١٣:٣٨ ولا تصمت معي لئلا اصاب بالصمم الى الابد . لا تقطع كلامك معي فاني اسمعك وقل لنفسي : انا خلاصك .

كغريب اقيم بقربك ؛ ويوم كنت تحت نير الشيطان كنت اقيم بقربه ، قربَ معلّم شرير . اما الآن وقد اقمت بقربك حقاً فلم اعد غريباً عنك . غريب انا في سفري ولست غريباً حيث اقيم الى الابد لان هناك بيتي ، غريب انا في سفري ونزيل . لقد اعطيتني لسكناي بيتاً لم تصنعه الايدي ، بيتاً ابدياً في السماء . ان كان هذا المسكن الابدي في السماء فلن أكون فيه غريباً .

ايها الرب الهي كن سعادتي فآتي اليك ، انا لا أريد ذهباً ولا فضة ولا قنياناً ولا ، في هذه الحياة ، غنى باطلاً وسريع الزوال . كن غناي فلا افقدك ولا اهلك متى حصلت عليك . كن وحدك سعادتي « لانه طوبى للشعب الذي الرب الهه » مزمور ١٥:١٤٣ .

هبني ذاتك يا الهي واستسلم اليَّ لاني احبك . واذا لم يكن حبي لك كافياً فزدني منه . عاجز انا عن معرفة ما ينقص محبتي لتصبح كافية لالقاء حياتي بين ذراعيك وتوجيهها اليك لتختبئ في سر وجهك .

انا اعرف ان كل ما عداك يسيء اليَّ ؛ أكان في الداخل ام في الخارج ؛ وادرك ان كل ما اعتبره غنى لي ، ما خلاك ، بؤسٌ هو وشقاء .

الفصل الرابع : في ضرورة البحث عن السعادة خارجاً عن الارض

ان اردت ان تحيا سعيداً فزد حباً لما يعد الله به اكثر مما يعد به العالم؛ لكن خوفُك مما يحذر الله منه اكبر مما يحذر العالم منه .

لا تعد نفسك الا بما يعدك به الانجيل : ان الكتب المقدسة لا تعدك فوق هذه الارض الا بالضيقات والاضطهادات وكثرة الآلام والتجارب . استعد لها بنوع خاص لئلا تعثر اذا لم تكن مستعداً . واياك ان تبحث عن السعادة في الارض : انها لخير عظيم ولكنها ليست ها هنا .

السعادة ليست من هذا العالم فارفع قلبك الى العلى .

وما حياتنا ها هنا ؟ وما لنا ولوصفها ؟ لقد خبرناها مثقلة بالآلام والمتاعب ، محفوفة بالمخاطر ، مليئة بالمخاوف ؛ الشهوات تتأكّلها والشكوك تستعبدها ؛ بمكاسبها نفرح ولخسارتها نتألم .

انك تخاف ان تبتهج بمكاسبها خشية ان تفقد ما ربحت ، لذلك لا تسعَ اليها ، يا من لم تبحث عنها قبل ان تنالها .

السعادة الكاذبة شقاء حقيقي : الوضيع يتوق الى العلى ؛ والرفيع يخشى السقوط ؛ من ليس له يحسد من له ؛ ومن له يحتقر من ليس له .

ومع ذلك فانت تضع رجاءك في هذا العالم ومتى تنال مبتغاك ؟

متى نلت مبتغاك ، اياً كان ، بدا لك تافهاً ، فتطلب غيره وترجو الافضل ؛ حتى اذا ما تحققت لك الخيرات كلها تدنّت قيمتُها في عينيك وصارت امامك فراغاً .

الثروات التي ظننتها ملأى بالملذات ، مليئة بالمخاطر .

ينام الفقير قرير العين ؛ لأن النوم على الحضيض اسهل منه فوق سريرٍ من فضة .

تأمل بهموم الاغنياء وقارن بينها وبين طمأنينة الفقراء .

وهل تنام مطمئناً ان كنتَ تفكر بزيادة ثروتك ؟ اظنني على حق في ما اقول : حيثما تجد ثروتك تفقدْ راحتك .

ساهراً تفكر بالمزيد من المال ، ونائماً ، تحلم باللصوص ؛ فيا لك من شقي !

إنّي أتأمل في من يهوون هذه الحياة الحاضرة ، الزمنية ، القصيرة ، السافلة : آه ! كم لها من محبين ! غالباً ما يتخلّى الانسان ، في سبيلها ، عن كل شيء فيستعطي ويشقى؛ وان سألته السبب اجاب : كي اعيش .

ماذا احببت ؟ واين انت في حبك ؟ وماذا تقول لحياتك هذه التي تحبها ؟ قلْ تكلّمْ وتودّدْ اليها ، ان استطعت . وماذا تقول لها ؟ جمالك ، ايتها الحياة ، اوصلني الى ما انا عليه من العُرْي . واذا بها تصرخ بك : « وسخة انا » فتحبها . « وقاسية انا » فتعانقها . وتجيبك تلك الحياة المحبوبة: لن ابقى معك ، وان كنتُ معك الى زمن ؛ ولن اكون معك الى الابد . انا قادرة على ان أعرّيك من كل شيء وعاجزة عن ان اجعلك سعيداً .

وطال ما انك مسيحي فاطلب من الله ان يساعدك على التغلّب على المغريات التي استهوتك ، لخبثٍ فيك ؛ واحبب جمال الحياة التي « لم ترها عين ولم تسمع بها اذن ولم تخطر على قلب بشر » ١ كور ٢ : ٩ — تلك هي الحياة التي اعدها الله للذين يحبونه ؛ وهي الله بالذات ؛ احبَّها حباً شديداً ، والله يعطيك نعمته . اذرف امامه دموعك لكي تحب تلك الحياة وتبلغ اليها .

وكيف انبهك ؟ وماذا ابين لك ؟ هل افتح الكتب المقدسة لابرهن لك عن زوال هذه الحياة واضطرابها وصحة ما كتب عنها : « حياتك هي بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » يعقوب ٤ : ١٥ .

هذا انسان عاش بالأمس ولم يبق له وجود اليوم ؛ منذ قليل كنا نراه اما اليوم فلم يعد يرى . يُحمَل الى القبر ، وسرعان ما ينساه الناس وان عادوا من دفنه حزانى ؛ لا تضطرب : لكل ممالك الارض نهاية ؛ إقبَل الحاضرَ ولا يعلق قلبُك به . اعداؤك حتماً هالكون، ونعمة السعداء غالباً ما تكون كاذبة .

ضع رجاءك بالله ؛ واطلب ما هو ابدي ؛ واليه وجّه اهتمامك كله ؛ وفيه ضع قلبك لئلا تفسده هموم العالم . واختر ، بالتالي ، حياتك ان كنت تحب الحياة . وماذا تختار ؟ الحياة ؛ الحياة الصالحة على الارض ثم الحياة الى الأبد .

ها هنا حياة صالحة انما غير سعيدة ؛ لان من عاش حياة صالحة أعدَّ للمستقبل حياة سعيدة .

الحياة الصالحة عمل والسعيدة أجرٌ له . عشْ حياة صالحة تَنَل السعادة . وهل افضل من هذا العدل او النظام ؟ ان احببت الحياة اخترتَ الصالحة : ان شئت زوجة لك ، الا تختارها صالحة ؟ أو تحب الحياة وتختار الشريرة منها .

قل لي: هل تريد شراً؟ كلا. مهما اردت واحببت فانك لا تطلب سوى الخير. انت لا تريد حصاناً ولا خادماً ولا ثوباً ولا بيتاً رديئاً كما لا تريد زوجة شريرة ولا بنين اشراراً .

يا من لا يطلب سوى الخير ، كن صالحاً في نفسك . ولِمَ تحتقر ذاتك فتطلب كل خير وتبقى انت وحدك شريراً ؟ عزيز عليك بيتك وزوجك وثوبك وحذاؤك . ونفسك أليست عزيزة عليك ؟

تعدك الحقيقة بحياة ابدية ، بل سعيدة ، لا ضجر فيها ، ولا وجع ، ولا خوف ، ولا تعب : هناك الطمأنينة التامة الحقة حيث يحيا الانسان تحت نظر الله ومع الله وبالله ؛ وحيث الحياة هي الله عينه . تلك هي الحياة التي

وُعدتَ بها ؛ ومع ذلك نراك تؤثر عليها الحياة الزمنية التاعسة الملأى بالاحزان .

انك تطلب الحياة والايام الصالحة : خيرٌ هو ما تطلب ، انما لن تجده ها هنا . لهذا الحجر الثمين مكان ؛ انما ليس من مواليد ارضنا هذه .

مهما اجتهدت وحفرت فلن تجد هاهنا ما ليس من هنا ؛ ولكن اعمل واجبك يعاد اليك ما تحب وتهوى .

إبكِ تارةً وصلِّ طوراً لأن البكاء للبؤساء والصلاة للمحتاجين . الصلاة تنقضي ويتلوها تسبيح ؛ والبكاء ينقضي ويتلوه سرور . في ايام بؤسك ارفع صلاتك دوماً الى الله وسلْه نعمةَ السكنى في بيته ، دون سواها من النعم ؛ ولا تكفَّ عن السؤال قبل ان تحظى بمبتغاك .

صلوات وعواطف

اسمع ، يا رب ، صوتي فاني اليك اصرخ ؛ استجب لي يا رب وارحمني ؛ واحدةً ، فقط ، سألتك ، متضرعاً باكياً ؛ يوم واحد في بيتك افضل من الف يوم سواه . لقد اشتهيتُ الف يوم وشئت ان اعيش طويلا ها هنا فاجعلني احتقر الف يوم واتوق الى يوم واحد لا شروق له ولا غروب ، الى يوم ابدي ، لا امس له ولا غد : ذاك هو اليوم الذي اشتهيه .

التعب ينقضي والراحة تأتي . الملذّات الكاذبة تنقضي ، والخير الذي تنشده نفسي يأتي ؛ ذاك الخير الذي احنّ اليه واتوق طوال سفري ها هنا . الوطن الصالح هو الوطن السماوي الذي فيه أشاهد الملائكة ، حيث لا يموت مواطن ولا يقبل عدوٌ ولا اخاف عدوًا ؛ لان صداقة الله الى الابد .

يا مدينةً مبنية كمدينة ، الله نصيبك . ليكن السلامُ في قوتك ومحبتك لان قوتك في محبتك .

انا لا اريد ان اصادق هذا العالم والاّ عاديتُ الله .

اعداؤك هم اصدقاء العالم إنهم الباحثون عن الترهات ، الآخذون برأي العرّافين .

اعداؤك ، سواء ادخلوا الكنائس ام لا ، يزهرون زمناً كعشب الحقل ثم يذبلون تحت نظرك حين تلفظ حكمك على كل بشر .

اي نفع لي من المال المجموع متى ضيّعت برارتي ؟

اني احبك يا رب واحبك للغاية واتوق اليك بشوق وحرارة : تحت قدميّ أدوس مباهج الحياة باسرها واريد ان اذهب وابلغ اليك واموت عن نفسي حباً بالوصول اليك .

الفصل الخامس : في طريق السعادة الحقة

لا ريب في انك تريد ان تعيش سعيداً ، ما من انسان الا ويسلّم بهذا الرأي قبل الاعراب عنه تماماً. لكنك ، لن تكون سعيداً ، على ما ارى ، ان لم تحصل على ما تحبّ ، اياً كان . ولن تكون سعيداً اذا نلت ما تحب وكان هذا المحبوب مضراً ، واذا لم تحبَّ ما لك ، وان ممتازاً .

ان رغبت في ما ليست لك قدرة عليه، تعذّبت؛ وان نلت ما لا يجوز لك ان تسعى اليه، ضللت. وان لم تسع الى ما يجب السعي اليه، مرضت: التعب يلازمك في سعيك الى تلك الامور ؛ ولا مكان للسعادة مع التعب.

السعادة خير عظيم يسعى اليه الاشرار والابرار على السواء . ولا عجب في ان يتحلّى الابرار بفضيلة تؤهلهم اليها ؛ انما الغرابة في ان يواظب الاشرار ، احراراً ، على الشر ، سعياً وراء سعادتهم .

ان من استسلم الى شهواته ، ففسد في الدعارة وسعى من خلالها الى سعادته ، يعتبر نفسه شقياً اذا لم يشبع رغباته منها ؛ واذا حصل عليها ، فلن يتردد في المباهاة بما وصل اليه من سعادة .

ان الذي يتأكله البخل فيكدس الآن الثروات ، سعياً وراء السعادة

والذي يتوق الى سفك دماء اعدائه ، والذي يطمح الى الاستئثار بالسلطة، والذي يروي غليل شراسته من مصائب الآخرين ، هؤلاء كلهم يبحثون من خلال جرائمهم عن سعادتهم .

ان هؤلاء الضالين الباحثين عن سعادة كاذبة من خلال شقاء حقيقي يهتدون الى الطريق الصالح اذا سمعوا الصوت الالهي القائل : « طوبى للازكياء في الطريق للسائرين في شريعة الرب » مزمور ١١٨ : ١ . وكأني بالله يقول لهم : « اين تذهبون ؟ تهلكون ولا تدرون ؛ ليس هذا هو الطريق الى الغاية التي تنشدون ؛ رغبتكم في السعادة اكيدة ، انما الطرق التي تسلكونها ، محفوفة بالمخاطر ؛ وتؤدي بكم الى شقاء ما بعده شقاء . لا تعتمدوا تلك السبل الشريرة بحثاً عن ذاك الخير العظيم . اما اذا اردتم الحصول عليه فتعالوا من هنا وسيروا من هناك .

تخلّوا عن شر السبيل العاطل يا من لا تستطيعون ان تتخلّوا عن رغبتكم في السعادة .

باطلاً تتعبون ، ساعين الى ما سوف يؤثمكم ، لدى حصولكم عليه .

ان الذين يتدنسون في ضلالهم ، سائرين في شر هذا العالم ، ليسوا سعداء . انما « طوبى للازكياء في الطريق ، للسائرين في شريعة الرب ؛ وطوبى للذين يرعون شهاداته ويلتمسونه بكل قلوبهم » مزمور ١١٨ : ١-٢ .

هؤلاء يسعدون بالرجاء وليس بالواقع ، نظير « المضطهدين على البر » متى ٥ : ١٠ ، وليسوا سعداء بالعذابات التي يقاسونها الآن ، بل لانهم يعلمون « ان لهم ملكوت السماوات » .

« طوبى للجياع والعطاش الى البر » متى ٥ : ٦ ، لا ، لانهم يشبعون ويرتوون ، بل ؛ ومن اجل الباقي ، « لأنهم سوف يشبعون » .

« وطوبى للباكين » لا ، لانهم يبكون ، بل من اجل الباقي ، لانهم « يُعزّون » — ثم طوبى للذين يتعمّقون في تلك الشهادات ويرعونها بكل

قلوبهم . لا لانهم يبحثون ويتعمقون بل لانهم سوف يجدون ما يطلبون .

إن الباحثَ ، جاداً ، لا يتهاون في سعيه ، ان كنت سعيداً في رجائك فلا بد وان تكون باراً برجائك .

ان سلكت في شريعة الرب وحفظت وصاياه وبحثت عنه ، بكليتك ، في هذه الحياة ، ثم قلت في نفسك : لست خاطئاً فانك تخدع نفسك وليست الحقيقة فيك .

وبالتالي فانت سعيد ان شئت ان تكون باراً . اطلب ما تسعى اليه لتكون سعيداً . لو كنت سعيداً فهل تصبح الآن افضل من يوم كنت فيه تاعساً ؟ بيد ان ما هو دنيء لا يصيّرك افضل .

انسان انت ، وكل ما تبتغيه اسعاداً لك هو ادنى منك قدراً ؛ سواء أكان ذهباً ام فضة ام سواهما من الخيور المادية التي تتوق اليها وتريد التمتع بها : هذه كلها خيور دونك قدراً .

انت حقاً افضلُ منها واحسن : تريد ان تكون افضل مما انت عليه فتتمنى السعادة بينا انت تعيس ، وتريد ان تكون افضل وتسعى الى غايتك بسبل ادنى منك . ان كل ما تسعى اليه فوق هذه الارض هو دونك قدراً .

اقبل مشورة مخلصة : ان اردت ان تكون افضل فاسعَ الى ما هو ارفع منك لكي تتمكن من ان تصير افضل . وارتفع الى خالقك : ولاتيأس قائلاً انه ؛ بعيد عني جداً . يصعب عليك ان تحوز الذهب الذي تبتغيه وقد لا تتمكن منه؛ اما ان طلبت خالقك فسوف تحصل عليه ، وهو الذي قد جاء اليك قبل ان تطلبه ؛ وحين كنت مائلاً عنه بارادتك ، كان يدعوك ويوم خفت منه ، واعترفت ، آساك .

ان الله الذي اعطاك كل شيء حتى الوجود ، الله الذي يشرق شمسه على الاشرار وعليك ايضاً ، الله الذي يمطر غيثه ويعطي الثمر ويفجّر

الينابيع والحياة والخلاص ويمنح الكثيرين تعازيه يحتفظ لك دون سواك بكل شيء .

وبمَ يحتفظ لك ، ان لم يكن بذاته ؟ سَلْ ما هو افضل منه ، ان استطعت ، الله يحتفظ بذاته لك .

يا طماع ، لم تتوق الى السماء والارض ؟ أوليس خالقها افضل منها ؟ هو عينه لك ، وهو الواجب ان يكون لك .

اطلب الله يكُنْ لك فتصبح سعيداً ؛ وحده ، الخير الذي يهبك السعادة ، والخير الذي يصيرك افضل من ذاتك . احبَّه وخُذْه ، ومتى اردته كان لك بالمجان .

اذا امتلكت ذهباً ، فكن ربه ؛ ولا تكن عبده ؛ طال ما ان الله الذي صنعكما ، سلّطك عليه ؛ لقد صنع الذهب لخدمتك ؛ اما انت فقد صنعك على صورته . اقنع بالكفاف دون سواه والا ثقل عليك ما زاد عنه ولم ينفعك . ان خيوراً كهذه تثقل عليك ولا تشرّفك . لا تقتن المال بل اعترف بفقرك ؛ واذا كنت ذا ثروة طائلة فاعلم ان غناك ليس بها ! بل اطلب سواها واعلم ان الثروات الحقيقية لا تزيد اصحابها جشعاً .

كلما ازددت غنى من تلك الخيور كلما زدت شوقاً وتحرّقاً الى الاستزادة منها . وما هي تلك الخيرات التي ، كلما كثرت بين ايدينا كلما زدنا حاجة اليها . ؟ ان من يحظى بها يزداد جشعاً لانها لا تروي له غليلاً .

بعض الناس يكتفي بالربح القليل والموارد الضيئلة حتى اذا اصبح غنياً ، ما عاد يقنع بالقليل .

وتظن الناس قانعين بما لهم ، انما انت على خطأ . ان الثروات الطائلة لا تسد قعر الجشع بل توسعه ؛ ولا ترويه بل تزيده عطشاً ؛ فاذا بهم يرفضون الكأس لانهم الى النهر عطاش .

اخترِ الحياة الاخرى واحب الله واحتقر الزمنيات وأشِحْ بوجهك عن خيور الارض طال انت مسافر عليها ؛ ولن تبقى فيها الى الابد .

اعدّ ذاتك للحياة الآتية : ان ملكت شيئاً فاصنع منه خيرًا ؛ وان لم يكن لك شيء فلا تتحرّق اليه شوقاً . سرْ وابعث امامك بما تدّخر حيث يمكنك ان تطمئن اليه اكثر .

انك تسمع كل يوم هذا الكلام : لنرفع قلوبنا الى العلى ، وكأني بك تسمع عكسه فيغور قلبك في التراب .

سر ايها المسافر ؛ ان كان لك شيء ، تصدّقْ به ؛ والا فلا تتذمّرْ على الله . أصغ الي ايها البائس : وماذا ينقصك والله معك ؟ اصغ الي ايها الغني : اي شيء لك والله ليس معك ؟

عواطف وصلوات

ايها الرب الهي، فرّحْ نفس عبدك التي رفعتها اليك ؛ لقد كانت على الحضيض فريسة مرارتها فرفعتها اليك لئلا تلتهمها مرارتها فتفقد عذوبة نعمتك ، فرّحها معك يا من، وحدك ، فرح حقيقي ، والعالم باسره مرارة .

ولِمَ أهوى الكذب والباطل ؟ ولم اسعى وراء سعادتي في الشهوات الدنيئة ؟ وحدك ، قادر على ان تجعلني سعيدًا يا مصدر كل خير . « باطل الاباطيل وكل شيء باطل » الجامعة ١:٢ اي نفع لي من تعب اعانيه تحت الشمس ؟ ولم تستهويني الزمنيات ؟ ولم اسعى بادئ ذي بدء في اثر كل دنيء، وراء الكذب والباطل ؟ كن نصيبي يا قوتي وحافظي واجعلني لك ، فترعاني .

على مذبح اعترافك اضع قلبي تقدمة وذبيحة تسبيح فاشعله بلهيب حبك ولاتُبق لي منه شيئاً يذكّرني بنفسي واشعلني بكليتي وذوّبني فيك فاحبك بكل ما فيّ .

الفصل السادس : في بطلان الخيور الزمنية

مع ان حياتنا هذه شاقة وفانية فلها حلاوتها ؛ فاذا لم تتمكن من التخلص من الموت ، تحاول بجد واستمرار ان لا تموت باكرًا .

انت لا تستطيع ان تمنع الموت عنك ؛ انما تعمل ما بوسعك لكي تؤجله.

ولماذا يتكبد الناس مشقّات كثيرة ، قياماً بما هو ضروري لوجودهم ، فيخضعون للطب مثلاً ولسواه من الخدمات التي يفرضها المرض عليهم ارجاءً لساعة الموت عنهم ؟؟

وما هو ثمنُ الموت في الآخرة ان كان تأخير اجله ها هنا يتطلب هذا الثمن الباهظ ؟؟

ان كان يقصد بهذا الدويّ مجدًا عالمياً فما اشبهه بسقسقة الماء بين الحصى : تأمله يجري وانظر اليه منحدرًا واذا تأملته جارياً ، منحدرًا ، فاحذر من ان يجرفك معه . لا تكترث لنهر يجري بسرعة الى مصبه لان كل بشرٍ عشبٌ ومجده كزهر الصحراء . « العشب قد يبس وزهره قد سقط » اشعيا ٤٠ : ٦—٧ .

العشب يخضر شتاءً وييبس صيفاً ؛ فانظر اليه ، لا اسرع منه الى الزوال . وهل ابهى منه واشد اخضرارًا ؟ لا تفرح به مخضوضرًا بل خف منه يابساً .

اجل ، الخطأة كالعشب يزهرون ، والاحمق ينظر اليهم فيقتدي بهم واذا اراد ان يزهر معهم ، في الزمن ، هلك الى الابد .

ولماذا يتيه كبْراً العشبُ الذي يُزهرُ الآن ثم لا يلبث ان ييبس ؟ خير لك ان تحوّلك رحمةُ الله من عشبٍ الى ذهب. واي نفع لك من كل ما هو زمني فان ؟ سواء اكان فضة امْ لذة بطن ولسان ، ام مجداً تجنيه من مديح الناس لكَ ؟ اليس هذا كله دخاناً وريحاً ؟ الا يزول سريعاً ؟ الويل لك

اذا تمسكت بما يزول ، فانك تزول معه ؛ الا يشبه نهرًا سريعاً يثب الى البحر ؟ الويل لك ان وقعت فريسةً له ، جرفك الى القعر .

اما اذا زال العشبُ وانقضى زهرُ الخطأة فماذا يحل بالابرار ؟ « الصديق كالنخلة يزهو وكالارز في لبنان ينمو » مزمور ٩٢:١٣ . جمالُ النخلة في جذعها ؛ وفي التراب جذورها القاسية ؛ اما اغصانُها العالية فهي تناطح السحاب . وهل تجف النخلة والارزة لشروق الشمس عليهما في حين ان الزوابع لا تستطيع ان تحني رأسيهما ؟؟

ايها الشقي المولع بحب العالم لا تغتر بسعادة الكفرة وزهر العشب ؛ ولا تحسد من يسعدون الى حين ، ويشقون الى الابد .

تأمّل ان كانت اصولك راسخةً في بيت الرب واردت ان تزهو كالنخلة وتنمو كارز لبنان او ان تيبس كالعشب تحت حرارة الشمس .

ان لم تشأ ان تكون عشباً بل نخلةً وارزةً فليطمئنَّ باطنُك وتأمّلْ في ما أقوله لك ؛ لان الله ازلي يرأف بالخطأة الكفرة ويقودهم الى التوبة ، انه يجلد الصالحين ويوجّهُهم الى ملكوت السماوات ، ولا يظلم احدًا ؛ فلا تخف .

لا تضطربْ بل اطمئن : وهل يجلدك الآن ، الا ليخلصك من نار الابد ؟ وهل يصبر على الشرير الآن الا ليسمعه هذا الصوت القائل : اذهبوا الى النار الابدية ؟

لا تقلق لتلك الافكار بل اطمئن وقل : « عادل انت ايها الرب الهي ولا اثم فيك البتة » مزمور ٩٢:١٣ .

لا تغترَّ بافراح هذا الدهر فهي اضغاث احلام : ابناء الدهر يستمتعون بنومهم واذا ابوا ان يستيقظوا حين تكون لهم من النهوض فائدة ، فسوف ينهضون ساعة لا يشاؤون ، ويدركون اذ ذاك ان احلام هذا العالم باسرها

باطلة وزائلة على حد قول الكتاب : « نام رجال الثروات سنتهم ولم يجدوا ايديهم » مزمور ٧٥:٥ .

ومنهم من لا ينامون بل يغفون ويكفون عن محبة الخيور الزمنية ثم يقعون في حبها من جديد وغالباً ما يحنون بسرعة رؤوسهم كالغافين .

اما انت فاسهر وانفض عنك غبار النعاس لانك اذا حلمت تعرضت للسقوط . ولِمَ تخاف من خراب ممالك الأرض ؟ السماء اعطتك مواعيدها لئلا تهلك مع ما في الأرض . ان ترددت في العمل فاثبت على الرجاء ؛ وان اقلقك العمل فلتكن المكافأة حافزًا لك .

عواطف وصلوات

ايها الرب إلهي ، انك تحتفظ لي بنفسك في السماء ، ثروةً الى الابد ؛ سألتك على الارض ما يطلبه الاثمة والاشرار والمجرمون الكبار : سألتك الغنى والذهب والفضة والحجارة الثمينة والبنين وسألتك ايضاً ما يطلبه كثير من المجرمين والنساء العاهرات . لقد اشتهيت هذا كله خيرًا عظيماً لي فوق الارض ؛ انما احتفظت لي بنفسك في السماء .

الجسد عشب دائم ومجد الانسان كزهر العشب وبما اني لم اتفحص تلك الاشياء ابدًا فقد ظننت زهر العشب ذا قيمة فلم احتقره بل سعيت اليه بجد ونشاط .

الآن احتقر العشب وزهره لان العشب ييبس والزهر يسقط . لو اني استمسكت بالعشب وزهره لقضيت على نفسي ، اذا لم يتم هذا حتى الآن فسوف يأتي الغربال ليفصل التبن عن كومة القمح .

ألا يجمع القمح في الاهراء والتبن في النار ؟

الا يُوقف الى الشمال الذين احبوا التبن ليقول لهم : « اذهبوا الى النار الابدية المعدة للشيطان وملائكته ؟ » متى ٢٥:٤١ .

سوف احتقر التبن وزهره كيلا يهلكني ويبعدني عنك ويطردني من خبائك .

سوف ارسخ جذوري في الارضُ ارزة في ارض الاحياء فتختفي جذوري وتظهر الثمار .

كانت المحبة لي جذرًا ثابتاً في ارض الاحياء .

الفصل السابع : في مكر العالم

فرح الكفرة ليس بفرح : أصغ الى قول النبي اشعيا : « لا سلام للمنافقين قال الرب » اشعيا ٥٧ : ٢١ فصدّقه . ما هو فرح الكفرة ؟ انهم يفرحون بالاثم والعار والرذيلة والقبْح الخُلُقي ؛ بهذا كله يفرحون . اجل ، بأي شيء يفرح الكفرة ؟ انهم يفرحون بالرذيلة التي لا عقاب عليها . يعيش اناس في الفسق والزنى وترهات المسارح والسكر ويتلوثون بكل ما يخجل ويرفضون كل تجربة : ذاك هو فرح الكفرة .

لا جوع ولا حرب ولا مرض ولا ضيق ، يعتبره الكفرة عقاباً على جرائمهم ؛ ولانهم يتمتعون جيداً براحة في جسدهم وطمأنينة في فكرهم العاطل ، فذاك هو فرحهم .

بيد ان الله لا يفكر بمثل ما يفكر به الانسان : شيء هو تفكير الانسان وآخر هو تفكير الله . بداية الكفرة خالية من التبصر ونهايتهم ندامة ؛ جميع اعمالهم الى الهلاك ولا ثمار لهم ، قيمة اعمالهم باقية الى زمن ثم يتساءلون فلا يجدون شيئاً مما عملوا . واليك ما يتحدثون به : اي نفع لنا من الكبرياء ؟ وما فائدتنا من الاموال المكدسة والثروات المجموعة ؟ « كلها تمر كالظل » حكمة ٥ : ٨ .

وفي خضم هذه الحياة وتجاربها يتأملون بما تصبو اليه نفوسهم بجشع ارعن ، بينا العالم ينشط وراءك ليجذبك اليه ؛ ويصخب بقوة ، خلفك ، ليجعلك تضعُ رجاءك في ما يزول ؛ ثم تحاولُ ان تستريح فتهلك معه .

كم من حركات يقوم بها العالم ليسلخ قلبك عما يعدك به المسيح !

ولِمَ هذا الغليان ايها العالم الفاسد ؟ انك تحاول ان تستميلني اليك ، انت ذاهب الى الهلاك ممسكاً بي ؛ ماذا تعمل لو اضطررت ان تبقى ؟

إنك تقدّم طعاماً مرًا لمن لم تستطع ان تخدعه . يا رجل ، العالم في هيجان ، وانت تحبه ؟ ماذا تصنع لو كان هادئاً ؟ وكيف تستمسك بالجمال ان كنت تحب ما هو قبيح ؟ وكيف تقطف زهوره ويداك لا تزالان عالقتين في اشواكه ؟ الا تريد ان تترك العالم ؟ العالم يتخلى عنك وانت تتبعه إتجه الى الرب الهك وقل للعالم : لماذا تلاطفني ؟ ان ما احبه هو احلى ممَّا تعدني به . تعدني باللذة الارضية : فالله احلى منها . وتعدني بالكرامة والمجد العالمي ، فملكوت الله اسمى منها . وتعدني بكل أثيم فيّ وفضوليّ وباطل ؛ حقيقة الله وحدها لا تضل .

ان كنتَ عظيماً فاعظم منك صانعك .
وان كنتَ جميلاً فاجمل منك صانعك .
وان كنت جذاباً فاطيب منك صانعك .
وان كنتَ شريرًا فصالحٌ هو خالقك .

العظمة في رحمة الله هي انها لا تترك الاثم بلا عقاب ؛ وها إنّا نراه يضرب بعصا تأديبه ، كيلا يضطر في النهاية الى المعاقبة في جهنم .

عواطف وصلوات

طوبى للساكنين في بيتك ، يا رب ، فانهم يسبحونك من جيل الى جيل . في بيتك الراحة الابدية التي لا نهاية لها والفرح الذي لا حد له والكمال الذي لا نقصان فيه .

لقد وعدتني بحياة الى الابد وراحة لا نهاية لها ؛ انما شئت ان تختبرني وتعلمني وتسن لي شرائع حتى اذا ما لجأت الى خوف مقدس نجوت من محبة الخيور الارضية وتعلقتُ بك وحدك يا خيري الحقيقي .

صالح انت ، لانك ، لو لم تمزج مرارة هذا العالم بسعادته لكنت نسيتك ! ارغب في ان اصنع لنفسي من مخلوقاتك سلّماً ارقى عليها اليك لاني لو احببتُها اكثر منك لما حصلت عليك .

وما نفعي من اعمالي الكثيرة ان تخليتَ انت عمّن عملها ؟ اكيد بأني استطيع ان احبها انما احبك اكثر منها لا بل احبها من اجلك .

رجائي انت يا صانع كل شيء وافضل من كل شيء ، ويا صانع كل جمال واجمل من كل جمال ؛ ويا صانع كل قوة واقوى من كل قوة ؛ ويا صانع كل عظيم واعظم من كل عظيم : انت لي كل ما احب .

اريد ان احب الخالق في خليقته والعامل في عمله لئلا يسيطر علي ما قد عملت فاخسرك يا خالقي ما اشقاني ! ولِمَ أتعب في حب المال ؟ مضنوكاً احب ما احب ، اما انت فاني احبك بلا تعب .

الجشع يهيب بصاحبه الى العمل والى تحمل المخاطر والضيقات ؛ ومع ذلك فاني راضٍ بها .

اني أصغي اليه لكي املأ جعبتي منه ، حتى اذا ملأتها فقدتُ راحتي وقد كنت اكثر اطمئناناً يوم كنت مُعدماً لا املك شيئاً .

ملأت بيتي فخفت من اللصوص وحزت الذهب ففقدت النوم .

أمر البخلُ فلبيت امره . وانت يا الهي ، بم تأمرني ؟ ان احبك .

ان احببت الذهب فقد لا اجده مع اني عنه بحثت . اما انت يا الهي فانك مع من يبحث عنك ، اياً كان .

وان دعاني المجد اليه فقد لا اصل . اما انت فمن الذي يحبك ولا يجدك ؟ علي ان احبك وان يبقى حبك في قلبي ، وهل احلى منه حباً ؟ اجعل من حبك خاتمةً لاعمالي كلها . تلك هي غايتي ؛ اليها اسعى مسرعاً حتى اذا ما بلغت اليها استرحت .

الفصل الثامن : في نوعية حب العالم

الحب نوعان : حب العالم وحب الله ، ان كان فيك حب العالم فلا محل لحب الله . انف عنك حب العالم واقم فيك حب الله ليحل محله الحب الافضل .

ان كنت تحب العالم فلا تحبه بعد الآن : ان سلخت قلبك عن حب العالم أدخلتَ فيه حب الله وسكنتْ فيك المحبة التي لا يصدر عنها أدنى شر .

كل ما في العالم ، صنعه الله : اقم فيك روح الله ترَ كل شيء صالحاً ، ولكن ، الويل لك اذا احببت المصنوع وتركت الصانع . انك تراه جميلاً ولكن ما اجمل صانعه !

ان الله لا يحرّم عليك محبة هذا الجميل ؛ شرط الاّ تحبه سعياً وراء سعادتك وبحثاً عنها ؛ بل حباً بالخالق وتمجيداً له .

اذا صنع خطيب لعروسه خاتماً فقبلته ثم فضلته عليه ، الا تكون زانية بحق خطيبها بسبب تلك الهدية ؟

انها تحب في خطيبها هديته ؛ ولو قالت : حسبي هذا الخاتم ولا اريد ان ارى وجه خطيبي فمن تكون هذه العروس ؟

ومن ذا الذي يقبل بهذا الجنون ؟ ومن لا يعترف بزنى هذه النفس ؟ انك تحب الذهب حباً بالرجل وتحب الخاتم حباً بالزوج ؛ فلو انك احببت الخاتم حباً بالزوج ثم استغنيت عن رؤية الزوج فكأني به يعطيك الخاتم لا ليرسّخ اتحادكما بل لكي يستميلك عنه الى الخاتم . العروس يقدّمُ لك تقدمةً لكي تحبه في هديته . والزوج يعطي عهده ليكون ميثاق حب بينه وبين شريكه الآخر .

ان الله قد اعطاك نعمه لكي تحبه في تلك النعم التي صنعها ؛ واكثر منها اعطاك ، لقد اعطاك ذاته . ان تعلقتَ خيورَ الله واهملتَ خالقها ، حباً بالعالم ، الا يعتبرُ حبك له زنى ؟ لست اقول لك : لا تتعلق بما للارض بل احبه باعتدال ، حباً بالخالق لئلا يزعجك حبه ؛ بل فليكن حب استمتاع لا حب استعباد .

ارعَ محبة الله في قلبك كي تحيا الى الابد كما هو الله الى الابد ، لان

الانسان يكون كما تكون محبته : إن احببت الارض كنتَ ارضاً وان احببت الله ماذا اقول؟ اتصير إلهاً؟ لا أتجاسر على التلفظ بهذا الكلام تلقائياً؛ انما إسمع الكتاب القائل : « قد قلت انكم الهة وبنو العلي كلكم » مزمور ٨١:٦.

وعليه ، ان اردت ان تكون الهاً ، وابن العلي ، فلا تحب العالم وما فيه : حب العالم اشبه بيد النفس التي ، ان امسكت شيئاً ، استحال عليها الامساك بشيء آخر ؛ ولكي تستطيع ان تمسك بما يقدم لها ، يجب عليها ان تتخلى عما معها . ان انت احببت العالم فلا يسعك ان تحب الله ؛ لان يدك مشغولة . الله يقول لك : خذ مني ما اعطيك ؛ أما انت فتأبى ان تتخلى عما بيدك ، اذ ذاك لن يسعك ان تقبل ما اقدمه لك . واذا لم تستطع بحكم الضرورة فاملك ولا تكن مملوكاً ؛ وخذ ولا تكن مأخوذاً ؛ كن سيداً على ما لك ولا تكن عبداً له .

أسألك وأرجوك واحثك على ان تحب الحياة الابدية نظير من يحبون الحياة الزمنية .

تعلَّمْ ان تحب والا تحب : احبَّ لسبب وامتنع عن الحب لسبب آخر. في العالم اشياء تحبها لكي تتقدم ؛ واشياء اخرى ، ان احببتها ، منعتك عن التقدم . لا تستمسك بالمانع ان لم تشأ العقاب : المانع هو ما تحب من هذه الارض وهو بمثابة دبق للاجنحة الروحية ، اي الفضائل التي تطير بواسطتها الى الله . انك لا تريد ان يقبض احد عليك ومع ذلك نراك تهوى الدبق ! اتظن انك لن تقع بين ايديهم اذا كان القبض عليك امراً سهلاً؟ ان العالم يضيّق عليك بقدر ما يفرحك .

عُدْ ايها الخاطئ الى قلبك واستمسك بمن خلقك ، امكث معه لكي تستقر واسترح فيه لكي تطمئن . اين تذهب في تلك الطرق الوعرة ؟ الى اين ؟ ان الخير الذي تهواه هو من الله ؛ وبقدر ما يقودك الى الله بقدر

ذلك هو صالح وطيب ؛ لكن ، سوف يكون مرًا على من لم يقبل ، بصدق ، ما يأتيه من الله . انك تسير باستمرار على تلك الطرق الضيقة والوعرة ؛ فالى اين تريد ان تصل ؟ لن تجد الراحة حيث تبحث عنها – اطلب مبتغاك خارجاً عن هذا المكان . وهل تبحث عن السعادة في ديار الموت ؟ لن تجدها . وهل تكون الحياة سعيدة حيث لا حياة ؟

عواطف وصلوات

فخٌ هي حلاوة هذه الحياة . يضع اعدائي طُعماً في الفخ حتى اذا ما استهوتني وقع رأسي في شرها واطبق عليّ الفخ .

اثبت فيّ يا رب لئلا اقع في الفخ ، ها اني اصرخ اليك قائلاً : تباركت ، رب ، يا من لا تدعني فريسة لاسنانهم لقد نجت نفسي كالدوري من شبكة الصيادين .

نجت نفسي من شباك الصيادين لانك فيّ ؛ وبما اني عصفور فلا قرار لي ؛ لذلك ساعدني فاثبت قدميّ على الصخرة لئلا اقع في الفخ .

امكث معي ونجّني من المخاطر التي تحيق بي .

يجب عليّ ان اهتف صارخاً : بك نجوت . وعلي ان اطير اليك واظفر بك لاني نجوت ؛ وبما انك فيَّ فلمْ اعلَقْ في الفخ . لقد نجوت لان الفخَّ كُسر ؛ وكُسرَ الفخُ لاني اعتمدت على اسمك يا صانع السماء والارض .

ان الذين اسرهم جمال هذه الحياة واهانوك قد زالوا معها . اني لواثق من ان الفخ سيكسر وسوف تتلاشى حلاوة هذه الحياة بعد ان يكتمل شوطها في الوقت المحدد انما يجب ان لا أتعلق بها لكي اتمكن من ان اثب واقول حين يتحطم الفخ : لقد تمزقت الشبكة ونجوت انا .

الانسان يكون كما تكون محبته : إن احببت الارض كنتَ ارضاً وان احببت الله ماذا اقول ؟ اتصير إلهاً ؟ لا أتجاسر على التلفظ بهذا الكلام تلقائياً ؛ انما إسمع الكتاب القائل : « قد قلت انكم الهة وبنو العلي كلكم » مزمور ٨١ : ٦ .

وعليه ، ان اردت ان تكون الهاً ، وابن العلي ، فلا تحب العالم وما فيه : حب العالم اشبه بيد النفس التي ، ان امسكت شيئاً ، استحال عليها الامساك بشيء آخر ؛ ولكي تستطيع ان تمسك بما يقدم لها ، يجب عليها ان تتخلى عما معها . ان انت احببت العالم فلا يسعك ان تحب الله ؛ لان يدك مشغولة . الله يقول لك : خذ مني ما اعطيك ؛ أما انت فتأبى ان تتخلى عما بيدك ، اذ ذاك لن يسعك ان تقبل ما اقدمه لك . واذا لم تستطع بحكم الضرورة فاملك ولا تكن مملوكاً ؛ وخذ ولا تكن مأخوذاً ؛ كن سيداً على ما لك ولا تكن عبداً له .

أسألك وأرجوك واحثك على ان تحب الحياة الابدية نظير من يحبون الحياة الزمنية .

تعلّمْ ان تحب والا تحب : احبَّ لسبب وامتنع عن الحب لسبب آخر. في العالم اشياء تحبها لكي تتقدم ؛ واشياء اخرى ، ان احببتها ، منعتك عن التقدم . لا تستمسك بالمانع ان لم تشأ العقاب : المانع هو ما تحب من هذه الارض وهو بمثابة دبق للاجنحة الروحية ، اي الفضائل التي تطير بواسطتها الى الله . انك لا تريد ان يقبض احد عليك ومع ذلك نراك تهوى الدبق ! اتظن انك لن تقع بين ايديهم اذا كان القبض عليك امراً سهلاً ؟ ان العالم يضيّق عليك بقدر ما يفرحك .

عُدْ ايها الخاطئ الى قلبك واستمسك بمن خلقك ، امكث معه لكي تستقر واسترح فيه لكي تطمئن . اين تذهب في تلك الطرق الوعرة ؟ الى اين ؟ ان الخير الذي تهواه هو من الله ؛ وبقدر ما يقودك الى الله بقدر

ذلك هو صالح وطيب ؛ لكن ، سوف يكون مرّاً على من لم يقبل ، بصدق ، ما يأتيه من الله . انك تسير باستمرار على تلك الطرق الضيقة والوعرة ؛ فالى اين تريد ان تصل ؟ لن تجد الراحة حيث تبحث عنها — اطلب مبتغاك خارجاً عن هذا المكان . وهل تبحث عن السعادة في ديار الموت ؟ لن تجدها . وهل تكون الحياة سعيدة حيث لا حياة ؟

عواطف وصلوات

فخٌّ هي حلاوة هذه الحياة . يضع اعدائي طُعماً في الفخ حتى اذا ما استهوتني وقع رأسي في شرها واطبق عليّ الفخ .

اثبت فيّ يا رب لئلا اقع في الفخ ، ها اني اصرخ اليك قائلاً : تباركت ، رب ، يا من لا تدعني فريسة لاسنانهم لقد نجت نفسي كالدوري من شبكة الصيادين .

نجت نفسي من شباك الصيادين لانك فيّ ؛ وبما اني عصفور فلا قرار لي ؛ لذلك ساعدني فاثبت قدميّ على الصخرة لئلا اقع في الفخ .

امكث معي ونجّني من المخاطر التي تحيق بي .

يجب عليّ ان اهتف صارخاً : بك نجوت . وعلي ان اطير اليك واظفر بك لاني نجوت ؛ وبما انك فيَّ فلمَ اعلقْ في الفخ . لقد نجوت لان الفخَّ كُسر ؛ وكُسرَ الفخُ لاني اعتمدت على اسمك يا صانع السماء والارض .

ان الذين اسرهم جمال هذه الحياة واهانوك قد زالوا معها . اني لواثق من ان الفخ سيكسر وسوف تتلاشى حلاوة هذه الحياة بعد ان يكتمل شوطها في الوقت المحدد انما يجب ان لا أتعلق بها لكي اتمكن من ان اثب واقول حين يتحطم الفخ : لقد تمزقت الشبكة ونجوت انا .

الفصل التاسع : في ان عالمنا هو محطة مسافرين

غريب انت في هذه الحياة : انت حقاً مسيحي ان عرفت انك غريب في بيتك ووطنك ؛ لان وطنك فوق ؛ ولست فيه ضيفاً عابراً ؛ اما هنا في بيتك هذا ، فانت ضيف والا لما غادرته .

ان وجب عليك الخروج منه فانت فيه ضيف ، لا تغتر ، انت ضيف ، شئت ام ابيت . دع بيتك لأولادك يا ضيفاً عابراً ؛ دعه لسواك ، دعه للذين سوف يعبرون مثلك .

ان كنت في فندق الا تترك محلك لضيف جديد؟ وفي بيتك تصنع نفس الشيء : ابوك ترك لك المكان فعليك ان تتركه لأولادك .

انت لا تقيم فيه كمن سوف يبقى ؛ ولن تترك مكانك لمن سوف يبقون . لم تشتغل ؟ ولمن تشتغل؟ تقول : لأولادي . وهذا لمن يشتغل ؟ لأولاده . وهؤلاء لمن يشتغلون ؟ لأولادهم . اذاً ، لا أحد يشتغل لنفسه . اجعل من ثروتك عوناً لك في السفر لئلا تكون حافزاً لجشعك . خذ منها الضروري ولا تبحث فيها عن لذتك . التمتع بشيء هو تعلق به من اجل ذاته ؛ اما استخدامه فهو استعماله اداة للوصول بواسطته الى من نحب ان كان اهلاً للمحبة . الاستعمال غير اللائق لشيء يدعى سوء استعمال او سوء تصرف .

استخدم هذا العالم فقط ولا تسئ استعماله واستخدم الخيرات الجسدية الموضوعة لزمن محدود بلوغاً الى الخيرات الروحية التي تبقى الى الأبد .

استخدم العالَم ولا تكن له اسيراً : السبيل الذي سلكته حين دخلت لا تزال تسير فيه ؛ ولقد دخلت لتخرج لا لتبقى .

استعمل اموالك كما يستعمل المسافر في الفندق الطاولة والكأس والابريق والسرير ؛ استعملها كمن سوف يتركها لا كمن سوف يبقى .

استخدم العالم كمن لا يستخدمه : واعلم انك مسافر على طريق ؛ انت غريب فجدّد قواك . جدّد قواك وكمّل طريقك ومتى سرْتَ فلا تحملْ معك ما تجده في الفندق ؛ سوف يأتي مسافر آخر ويستعمل الادوات عينها دون ان يحملها معه .

عرياناً خرجت من بطن امك وعرياناً تعود الى الارض . ان كانت تلك حالك فارفع قلبك واستمع الي : ان كانت تلك حالك فسوف تصل الى ما وعدك الله به .

الا تعتبرُ اليد التي دعتك ضمانةً لك كبرى ؟ لقد دعاك الله فتوسّل اليه قائلاً : دعوتني فها انا اتوسل اليك ؛ خذني الى ما وعدتني به وكمّل ما باشرت به ؛ لا تترك عطاياك بلا ثمرة ؛ ولا تتخلَّ عن حقّك بل أدخل حصادك في اهرائك . ما اسعد الحياة الابدية وما اهنأها ، فلا مثيل لها . فيها لن نجد عدواً ولن نخسر صديقاً . من هنا وهناك نرفع التسابيح لله . ولكن من هنا ترتفع التسابيح باصوات قلقة ومن هناك ترتفع باصوات مطمئنة ؛ هنا يسبحه من سوف يموتون ، وفي السماء يسبحه من يحيون الى الابد . هنا يسبحونه بالرجاء ؛ وهنالك يسبحونه متمتعين بمشاهدته ؛ هنا يسبحونه في الطريق ؛ وهنالك يسبحونه في الوطن .

أنشد الآن لكي تتعزّى في التعب، لا لتتمتع بجمال الراحة ؛ أنشد كما تعوّد المسافرون ان ينشدوا ؛ انشد وسرْ وخفّفْ بترانيمك من تعبك ؛ ولا تستسلم الى الكسل ؛ أنشد وتقدّم ، تقدّمْ في الخير ؛ ان تقدمتَ سرْتَ، تقدّم في الايمان المستقيم والاخلاق الصالحة . لا تضلَّ ولا تتراجعْ ولا تتوقف .

عواطف وصلوات

رب ان كنت لا أزال حتى الآن بجسدي ، في هذا العالم ، فاني اريد من صميم فؤادي ان اخرج منه .

اني أغنّي مدينتي ، التي لي ، واتوق اليها ؛ ولكن كيف اجد فيَّ محبة وطني الذي نسيته طوال سفري .

لقد بعثتَ منه إليَّ برسائل ؛ وقدمت لي كتبك لتنعش فيَّ شوق العودة اليه ، احببتُ غربتي ووجهتُ انظاري الى اعدائي وادرت ظهري الى الوطن .

انا في وطني بالشوق ؛ وها اني القي رجائي في ارض وطني ، نظير مرساة ، لئلا اغرق في ذاك البحر المضطرب .

ومتى انتهى سفرنا فوق هذه الارض وجدنا كلُنا ، عزاءنا ، صوتاً واحداً وشعباً واحداً في وطن واحد مع الوف الملائكة الذين يرنمون بقيثاراتهم الى جانب القوات السماوية .

هناك ، من ذا الذي يبكي ؟ من ينوح ؟ من يتعب او يحتاج ؟ او يموت ؟

هناك ، ماذا ينتظرنا ؟ ماذا يكون شغلي ؟ الحب الهنيء ، بحضرتك ؛ هذا الحب الذي اتوق اليه الآن واصبو ؛ وكيف يضرمني متى حصلت عليه ؟

ومتى وصلت الى ذلك الحب الذي يضرمني ، والذي اتوق اليه قبل ان اراه ، كيف يشعلني ؟ كيف يحولني ؟ « طوبى لسكان بيتك فانهم يسبحونك الى الابد » مزمور ٨٨ : ٥ .

الفصل العاشر : في ان حياة الانسان قصيرة ومجهولة الاجل

ما هي حياة الانسان ؟ « انها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » يعقوب ٤ : ١٥ على حد قول الكتاب المقدس . إن السنوات التي تبدو لك طويلة ، قصيرة هي بعين الله ؛ لان الله لا يحصيها كما تحصيها انت . لقد كان يوم سُمّي اليوم : ابتداءً منه الى يومنا هذا ، كلّ ما كان مستقبلاً اصبح ماضياً ، وكانه لم يكن . وهلم جرا حتى النهاية .

فليكن هذا الوقت بمقياس ما تصورهُ مخيلتُك وبقياس ما تقول وتفكر وتحدد ؛ وطوّل حياتك ما شئت . ثم بعد ، اليس لك يوم اخير من عمرك،

تترك فيه هذا الجسد وتنبسط الى البعيد البعيد ؟ وماذا يعني العمر الطويل ها هنا اذا لم يبلغ الانسان الشيخوخة ؟ وما فائدتك منه طال ما أنه يودي بك حتماً الى الشيخوخة ؟ مهما بدا لك الوقت طويلاً ؛ فلا بد من ان تعترف بقصره متى اتاك الموت وانتهى اجلك .

قصير هو كل ما يعبر ويزول . هَبْ ان آدم بقي حياً يرزق حتى ايامنا هذه ثم مات ؛ فماذا ينفعه طول عمره ؟

تأمّل فيما لو بقي عمر واحد : يريد الاطفال ان يكبروا ولا يدرون ان حياتهم تنقص كلما توالت فيها السنون .

السنون لا تزداد مع العمر ، بل تُستخرج منه كمياه النهر التي كلما تقدمت في الارض ابتعدت عن ينبوعها .

ان أقبل عمرٌ ادبر آخر : اذا اقبل الشباب ادبرت الطفولة ، واذا اقبلت سن المراهقة ادبرت الطفولة واذا اقبلت الشيخوخة ادبر الشباب واذا اقبل الموت ادبرت كل حياة .

ان شئت ان تعيش عدداً اكبر من السنين تمنيت ان تطوي لنفسك اكبر عدد من الاوقات .

لا يثبت عمرنا على حال : تعب دائم وملل دائم وفساد في كل مكان . ومع ذلك تتمنى العمر الطويل ولا تخشى الحياة الشريرة لانك تريد ان تعيش طويلاً ، وان شراً . انك تبحث عن شر مديد فلم لا تبحث عن خير مديد ؟

وتقول : بعيد هو يوم موتي — ومن ذا الذي أنبأك بان يوم موتك بعيد ؟ ومن اين لك ان تقول ان موعد اجلك بعيد ؟ الا تحمل في جسدك علة موتك ؟ الست اسرع عطباً من الزجاج ؟ ومع ان الزجاج سريع العطب فحفظُه ، طويلاً ، ممكن . كم من كؤوس خلفها لك الآباء والاجداد وشرب فيها الاحفاد وابناء الأحفاد ، ثم حُفظت طويلاً مع انها سريعة العطب !

اما انت ايها الضعيف السائر عرضةً لأخطار كثيرة ، كل يوم ؛ وان لم تفاجئك الاخطار فلست قادرًا على ان تعيش طويلاً .

يموت الناس كل يوم : يشيّع الأحياء موتاهم ويحتفلون بجنازاتهم معلّلين انفسهم بالحياة ولا يقول واحد منهم : علي ان اصلح نفسي كيلا اكون غدًا نظير من اشيعه اليوم .

اعمل اذن يا بنيّ واصلح ميولك الشريرة ؛ ليكن الخوف فيك الآن طال ما لا بد من الخوف .

ان كان يوم الدين بعيدًا فيومك الأخير لن يكون بعيدًا والحياة قصيرة . وطال ما ان مدة حياتك مجهولة فانك ليومك الاخير جاهل ايضاً .

اصلح ذاتك اليوم من اجل الغد – انك تعمل الى زمن ولست تعمل الى الابد ؛ تعبك قصير اما سعادتك فالى الابد ، الى زمن حُزنك ؛ اما فرحك فالى الابد .

ان فرحت في الزمن فلا تثق بهذا الفرح وان حزنت في الزمن فلا تيأس . لا تفسدنَّك السعادة ولا تحطمنَّك الشدة .

كم طال شقاء العازر ؟ وكم دام غنى الغني العائش كل يوم في رغد يلبس البرفير والارجوان ؟ لقد تبادلا ما هو الى الابد .

لسنين معدودة شقاؤك ، انما لن تنقصك التعزية ولن تُحرم الافراح . لكن ، لا تفرح بالعالم بل افرح بالمسيح وكلمته وشريعته .

سر مؤمناً وأصلح اخلاقك وعش كمسافر واعلم انك راحلٌ تخطأ قليلاً . لا تتهاون في عملك الآن ليكون فرحك الى الابد .

رب ، شكرًا لك يا من شئت ان يكون عمري قصيرًا ومجهولاً . وهل من طولٍ في ما ينتهي ؟ لا استطيع ان استعيد يوم امس ، ويومي هذا يدفعه عني غدي ليخرج هو ايضاً بدوره .

في هذا المدى القصير من الزمن يجب علي ان احيا حياة صالحة لكي اذهب حيث ابقى ؛ والآن ، اذ اتكلم أعبرُ حقاً . الكلام يطير بسرعة من بين الشفاه وينقضي ، كما تنقضي اعمالي وامجادي وبؤسي وسعادتي هكذا ينقضي كل شيء .

رب ، الويل لي إن اصدقائي يقولون لي : نتمنى لك سنين عديدة ؛ فاتمنى انا ان تتحقق فيَّ رغباتهم فاذا بالسنين تأتي ثم تليها السنون ولا اريد لها نهاية .

رغباتي متناقضة : اريد ان امشي والا اصل .

رب ، اظهر لي ذاتك ؛ اني اعمل كل شيء لكي اراك فاذا بي اعدو في اثر رائحة عطرك .

لقد جئتَ ونشرتَ رائحة طيبة فملأ شذاك العالم .

اني الى السماء على خطاك اذا لم أشأ ان اعطي جواباً خاطئاً على قولهم لي : قلبنا وحبنا ورجاؤنا الى العلى . أنا على خطاك حتى السماء لئلا افسد فوق هذه الارض .

الفصل الحادي عشر : في حتمية الموت

زمن حياتنا هاهنا سباقٌ الى الموت ، حيثُ لا توقّف ولا تباطؤ : بل الكل مدفوعون بنفس الحركة الى الهدف . وليس لمن كان عمره اقصرَ من سواه ان يطوي نهاره بأسرع ممَّن كان عمره اطول . على السواء تُنزعُ الاوقات منها ؛ فهذا يرى هدفه اقرب وذاك يراه ابعد انما كلاهما يسيران بالسرعة عينها .

ان يلاحق الانسان حياته طويلاً شيء وان يسير فيها ببطءٍ شيء آخر .

وبالنتيجة ، فمن يقطع على طريق الموت زمناً طويلاً لا يعني انه يتباطأ في سيره انما يقطع مسافة اطول .

وبما انك مولود فمن المحتم عليك ان تموت ؛ المرض ضروري ها هنا ليدفع بك الى الموت .

من الواضح ان الاطباء حين يعاينون المرضى يقولون مثلاً : هذا مصاب بداء الاستسقاء ، وهو مرض غير قابل للشفاء . وهذا الآخر مصاب بداء البرص ، ولن يُشفى منه . ذاك مسلول ، وموته محتم : ومن ذا الذي استطاع ان يشفى من السل ؟ لقد لفظ الطبيب حكمه عليه بانه مسلول ؛ ومع ذلك فليس من المحتَّم عليه ولا على المصاب بهذا الداء ان يموت ، وان يكن محتوماً على كل مولود ان يموت .

يموت الانسان لانه مولود ؛ وما كان بخلاف ذلك فهو مستحيل .

انت مولود ، ولهذا تموت : ان هربت من الموت او تحاشيته او دفعته عنك فلا يسعك ان ترجئه او تمنعه عنك . انه لآتٍ حتماً ، ولو ابيت ؛ وفي ساعة لا تعلمها . ولماذا تخافُ ما هو آتٍ رغماً عنك ؟ أحر بك ان تخاف مما لن يكون ، ما لم ترده انت . قارنْ بين هذين الامرين : بين الموت الذي يتم في برهةٍ من الزمن ، والعقاب الذي يدوم الى الابد . انك تخشى الموت الذي يأتيً في برهة ، رغماً عنك ؛ فاخشَ بالاحرى العقاب الذي لن يحصل ما لم ترده انت . ان ما يجب عليك ان تخشاه لأفظعُ بكثير ؛ وباستطاعتك ان تتجنّبه . وانه لشرٌّ فظيع طويلُ المدى ؛ عليك ان تخشاه طال ما انك تستطيع ان تمنعه عنك .

في الواقع ، انك ان عشتَ عيشةً صالحة او شريرة ، فسوف تموت ؛ ولا مفرَّ لك من الموت . ولكن ، ان عشت عيشةً صالحة فلن تُلقى في العذاب الأبدي ؛ وطال ما انك لا تستطيع ها هنا ان تتمنى عدمَ الموت ، فاخترْ ان تكون مع الاحياء لئلا تموت الى الابد .

كم من مشقاتٍ يتحملها الانسان تطويلاً لمدة عذابه ؛ واذا هدده الموت نراه يسعى إلى تجنبه ، لماذا ؟ ألكي يخافه زمناً اطول ؟

ايّ عذاب لا يذوقـه اولئك الذين يعالجهم الاطباء ويُجرون لهم العمليات ؟ أيتحمّلون ذلك كله كيلا يموتوا ؟ ام لكي يطيلوا اعمارهم ، يوماً او اكثر ؟ ان كان الناس يتحمّلون تلك المشقات ويقومون بتلك الجهود ويتكبدون نفقات باهظة ويواظبون على السهر والعناية تطويلاً للعمر ، وان قليلاً ، فأحر بهم ان يَسعوا ويعملوا لكي يحيوا الى الابد .

وهَبْ ان من اتخذوا تلك الوسائل تأخيراً للموت قليلاً وتطويلاً للعمر اياماً قصيرة قد سُمّوا حكماء فما اغباك لو عشتَ عيشة تسببتْ لك بخسارة اليوم الابدي .

يا من تعمل ما بوسعك لترجئ موتك قليلاً ، إعمل شيئاً لئلا تموت الى الابد . الويل لك ، ان العالم ينهار ، اذا كان العالم ينهار ، فلِمَ لا تتركه ؟ لو قال لك مهندس معماري ان بيتَك ينهار ، ألا تبدأ تتركه ثمّ تتذمّر ؟ ومهندس العالم يقول ان العالم ينهار ثم لا تصدقه ؟

أصغ إلى صوت الواعظ ونصيحة المرشد : الواعظ يقول « السماء والارض تزولان » متى ٣٤:٣٥ والمرشد يقول : « لا تكنزوا لكم كنوزًا على الارض » متى ١٩:٦ .

اذا آمنت بكلمة الله ولم تحتقر ارشاداته فاعمل بموجبها لان من اعطاك تلك المشورة لا يغشّك ؛ وانت فلست تخسر ما اعطاك بل سوف تتبع خيرك حيث ارسلته .

واليك النصيحة : « اعط المساكين فيكون لك كنز في السماء » متى ٢١:١٩ اذ ذاك لن تبقى بلا كنز لان ما تتمتع به على الارض ، قلقاً ، سوف تتمتع به في السماء ، مطمئناً .

قايضه به : نصيحتي اليك للخلاص ، وليست للهلاك . سيكون لك

كنز في السماء ، سرْ على خطى المسيح تصلْ الى كنزك ؛ وبذلك تربح ولا تخسر . انك تُلقي في الارض حنطة ثم يأتي صديق لك عالم بطبيعة الارض والحنطة فيكشف لك جهلك قائلاً : ماذا صنعت ؟ لقد القيت الحنطة في ارض عميقة ، رطبة ، لهذا سوف يفسد بذارك ويضيع تعبك فتجيبه : وماذا اعمل ؟ « اذهب من هنا الى فوق » .

اوتسمع نصيحةً يعطيكها صديق بشأن الحنطة وتهمل نصيحة الله بشأن قلبك ؟

اتخشى ان تلقي حنطتك في ارض غير صالحة وتلقي قلبك في امور الارض ؟ ها ان الرب الهك يعطيك توجيهاً لقلبك : « حيث يكن كنزك يكن قلبك » متى ٦ : ٢١ .

ارفع قلبك الى السماء لئلا يفسد على الارض ؛ بهذا ينصح من يريد ان يخلص لا ان يهلك .

عواطف وصلوات

رب ، حرِّرْ نفسي من متاعب هذا العالم وضيقاته ؛ لان اللحم الفاسد وتجاربه سجنٌ لي . أملْ باذنك اليّ لاني اومن ؛ وفي أيامي ادعوك قائلاً : ربِّ ، خلص نفسي ، ايامي هي ايام موتي وكما شاء آدم فانها ملأى بالتعب والعرق ومناسبة للفساد القديم .

مختلفة ايامي عن ايامك ، ايامي هذه التي كوّنتها لي بجسارتي حين تخلَّيتُ عنك .

وبما انك مالك في كل مكان ، وذو سلطان وقدرة ، فقد استحققت السجن ؛ اني قبلت ظلمات الجهل وقيود الموت .

في ايامي أدعوك قائلاً : حرر نفسي من سجنها مزمور ١١٤ : ٢ـ٣ .

اللهم ، يا ابي ، يا من تحثني على الصلاة وتعطيني ما اطلب منك ، استجب لي انا الذي اتخبّط في ظلماتي ها هنا وابسط اليّ يمينك : أشرق نورك عليّ وردّني عن ضلالي ؛ فاعود الى نفسي تحت قيادتك . آمين .

الفصل الثاني عشر : في ان ساعة الموت المحتوم مجهولة

هل اثبت من الموت على الارض ؟ تأمل ما في هذه الحياة من خير وشر ؛ تأمّل في البر وفي الاثم ؛ هل من شيء ثابت ها هنا كالموت ؟

لقد احرزت تقدماً فصرت تعرف ما انت فيه اليوم . اما ما سوف تؤول اليه غداً ، فكلا .

ان كنت خاطئاً عرفت ما انت عليه اليوم وجهلت ما ستؤول اليه غداً .

ان طلبت مالاً فلست تدري ان كنت ستحصل عليه .

وان طلبت زوجة فقد لا ترضى بها ، وتجهل ما قد تكون .

وان طلبت بنين فليس من الاكيد ان يولدوا ، وان ولدوا فليس من الاكيد ان يعيشوا ؛ وان عاشوا فلست تدري ان كانوا من الناجحين ام لا ؟

انّي توجهت وجدت كل شيء مجهولاً : الموت وحده ثابت .

انت فقير ؟ من يدري ان كنت ستصير غنياً ؟

انت أميّ ؟ من يدري ان كنت ستصير مثقفاً ؟

انت مريض ؟ من يدري ان كنت ستتعافى ؟

وماذا يفيدك هذا الكلام وانت عالم بأنّ يومك الاخير آت حتماً ؟ يحسن بك ان تنتظره وتجهل اجله وتستعد باطنياً بحياة صالحة حتى تحبّ ذاك اليوم ولا تخاف منه .

انت مولود ؟ ستموت حتماً ؛ وبما ان الموت محتوم فاجله مجهول . وكما انه يزيد في شقاء الكفرة هكذا يضع حدّاً لشقاء الصابرين . من اية فئة تريد ان تكون ؟ عليك ان تختار الآن ، طال ما يسعك ان تختار ؛ اما بعدئذ فلا .

اختر في الوقت المناسب طال ما ان الله يؤخر ، ما يخفي ، برحمة

منه . وكيف تخطأ مرجئاً توبتك من يوم الى يوم برغم انك تجهل يومك الاخير ؟

ايا كنت ، يا من لا يريد ان يصلح نفسه الآن ، بماذا تعدُ نفسك وماذا تقول ؟ اعيش على هواي فترةً من الزمن وجيزةً ثم اصلحُ ذاتي ، طال ان النبي يقول : « ليست مرضاتي بموت الخاطئ لكن بتوبة المنافق عن طريقه فيحيا » .

يمحو الله جميع آثامي متى تبتُ اليه ؛ فلمَ لا اضيفُ الى افراحي هذا النزر اليسير ؟ ولِمَ لا أعيش على هواي مدةً اطول ، طال ما ان التوبة الى الله امرٌ لا بد منه ؟ ولِمَ تقول هكذا ؟ لان الله وَعدني بالصفح إنْ انا غيّرتُ حالي .

اني ارى وادرك ان الله وعد بالصفح ؛ وعدك به على يد النبي القديس كما وعدك به بواسطتي انا احقر عبيده : ولقد اعطى هذا الوعد ايضاً بواسطة ابنه الوحيد .

وهل تزيد ايامك شرًا على شر ؟ « يكفي كل يوم شره » متى ٦ : ٣٤ أمس شرٌ واليومَ شرٌ وغداً شرٌ .

اتظنها ايامَ خيرٍ تلك التي تشبعها من الملذات ؟ اتظن انك تُحسن استعمال يومك بتناولك وليمةً فاخرة ؟ وهل يكون النهار صالحاً اذا كان الانسان شريرًا ؟ اتريد ان تزيد الايام شرًا على شر ؟

ان كان الله قد وعدك بالصفح ، فمَن يضمنُ لك العيش الى الابد ؟ اقرأ علي من الانبياء والانجيل والرسول حيث يقولون ان الله يمحو خطاياك كلها حين تتوب اليه : إقرأ عليَّ الموضع الذي يعدك فيه بان تعيش للغد؛ ثم عش يومك هذا على هواك ؛ مع انه ليس لي ان اقول لك : قد تكون حياتك طويلة ؛ وان كانت طويلة فلتكن صالحة ؛ ولماذا ترغب في حياة طويلة وشريرة ؟ إمّا ان تكون هذه الحياة قصيرة وتفرح بحياةٍ طويلة ،

لا نهاية لها واما ان تكون طويلة ؛ واي شر آنذاك ، اذا عشت طويلاً بالصلاح ؟

اتريد ان تحيا حياةً شريرة وطويلة ، وتأبى ان تحيا حياة صالحة مع العلم بان يومَ غدٍ لا احد يعدك به ؟

اصلح ذاتك واصغ الى الكتاب المقدس : « لا تؤخر توبتك الى الرب» بن سيراخ ٥ : ٨ . ان هذه الكلمات ليست مني بل انها موجهة اليَّ . ان شئتُها انا فهي لي ؛ وان شئتَها انت فهي لك . وقولي هذا هو من الكتاب المقدس الذي ان احتقرته شكاك . ولكن اسمع قول الرب : « اسرع وصالح اخاك » متى ٥ : ٢٥ فليسمع الجميع اني اردد على مسامعكم قول الكتاب الالهي .

ايها المتواني الشرير ، يا من يتمنى لنفسه احصاءً شريرًا ، إسمعْ كلام الرب القائل واسمع تحذير الكتاب المقدس ؛ من هذا المكان اراقبك : « لا تؤخر توبتك الى الرب ولا تتباطأ من يوم الى يوم » بن سيراخ ٥ : ٨ . اتظن انه لا يرى اولئك القائلين : « اليوم شرٌ وغداً برٌ » ؟ وفي الغد ستقول انت الكلام عينه .

لا تؤخر التوبة الى الرب ولا تتباطأ من يوم الى يوم لان غضبَه يأتي بسرعة ويهلكك في زمن انتقامه . أأنا كتبت هذا الكلام ؟ وهل يمكنني ان امحوه ؟ ان محوته خفت من ان اعود الى العدم .

يسعني ان اصمت ولا انطق بهذا الكلام ؛ انما اخشى سكوتي لاني مضطر الى التبشير به ، خائفٌ أنا ، خَفْ انت معي كي تفرح معي .

لا تؤخر التوبة الى الرب . تأمّلْ بما اقول : رب ، اصغ الى كلامي رب ، انت عالم بما اصابني من خوف لدى مطالعة نبيك .

من فوق هذا المنبر اقول : لا تؤخرِ التوبةَ الى الرب ، ولا تتباطأ من يوم الى يوم ، لان غضبه يأتي عاجلاً وفي زمن انتقامه يهلكك .

ولا تقل لي : اريد ان أهلك انا لئلا تهلك انت ؛ رفضي افضل من ارادتك . واسعة هي رحمة الله التي تحثك على ان تحيا بالبر . انه يخفي عنك يوم موتك لئلا يعدك بشيء للمستقبل .

اعملُ اليوم واعيشُ اليوم ؛ وغداً لن اعمل . وماذا يحدث ان لم يكن غد ؟ واسعة هي رحمة الله لانه جعل كل يوم من حياتك مجهولاً لئلا تعرف تاريخ اجلك ؛ يا من تنتظر الموت كل يوم لا بد وان تتوب اليه : وتلك هي رحمة الله الواسعة .

لو انه أعلن لكل انسان عن يومه الأخير لكانت الخطيئة تكاثرت بسبب راحة البال . ولذلك فبحكمة منه بقي يوم الموت مجهولاً : فكّر في يومك الاخير تفكيراً خلاصياً ؛ برحمة منه انت تجهل يوم موتك ، يوم اجلك . لذلك يجب على المرء ان يكون يقظاً طوال ايام حياته .

عواطف وصلوات

ثابت هو العقاب اما ساعته ، فلا . انا متأكّد من هذا العقاب دون سواه من بين امور الناس قاطبة .

كل ما يحدث لي من خير او شر مجهول هو ما عدا الموت : وحده الموت أكيد . ان كانت ساعةُ الموت غير اكيدة فلِمَ أرجئ من يوم إلى يوم ؟ وكيف اخطأ بارجائي ؟ وانا اجهل يومي الاخير ؟

ها اني افرح بأموالي جاهلاً موعد الحمّى ؛ اني اجمع واحصّل واكدس واحفظ واتمتع ؛ وهذه التي جمعتها لمن تكون ؟

علي ان اسهر وأصلي لان حياتنا قصيرة ، ومجهول أجلها . واني لجاهل يا رب ساعة مجيئك .

علي ان اسهر بقلبي وايماني ومحبتي واعمالي : ومتى رقد جسدي يجيء يوم اقوم فيه . يا عوني ؛ فاصغ اليّ يا مخلصي .

بعت نفسي الى سلطان الاثم وقبضتُ الثمن لذةً عابرةً من الشجرة المحرمة .

اني اصرخ قائلاً : وجّه سبلي وخطاي بحسب كلمتك . رزحتُ تحت وطأة الاثم بينما كلمتك ، هي للحقيقة ، قاعدتُها . لقد شوّهتُ نفسي وبعتُها ، حرّاً ، فافتديني بدمك . يا لخجل الكبرياء فيَّ ويا لعظمة النعمة فيك .

انك تقاوم المتكبرين وتمنح المتواضعين نعمتك .

الفصل الثالث عشر : في الفرق بين الميتة الصالحة والميتة الشريرة

واي فائدة لك من معرفة نوع الميتة التي بها تنتهي حياتك ؟ طال ما انك لن تموت من جديد ؟ ان يأنف الشعور الحسي الواهي من امر ما ، شيءٌ ؛ وان يقتنع به ، جاداً ، منطق العقل النيّر ، شيءٌ آخر .

لا تعتبر ، شريرةً ، الميتة التي تعقب حياة صالحة ؛ بل شر الميتة في ما يعقبها ؛ وبالتالي فان الذين حُتِّم عليهم ان يموتوا لا يحق لهم ان يهتموا كثيراً بنوع الموت الذي يقاسون بل بالمكان الذي اليه يساقون ساعة يموتون .

تذكّر مثل الغني والفقير في الانجيل : كان غني متشحاً بالارجوان والبرفير يتنعم كل يوم بما لديه من خيرات ، وكان فقير ملقى امام باب الغني ، جائعاً ، يستعطي كسرات خبزٍ تساقطت عن مائدة الغني ، وكان جسمه مغطى بالقروح والكلاب تلحس جراحه .

مات الفقير المعدم فحملته الملائكة الى حضن ابراهيم ومات الغني فدفن في الجحيم . وبينا هو يتعذب رفع عينيه فرأى العازر في حضن ابراهيم فصرخ قائلاً : ارحمني يا ابت ابراهيم وارسل لعازر يبل طرف اصبعه بالماء ويرطب به لساني لاني احترق في هذا اللهيب .

المتكبر ، في حياته ، يستعطي في جحيمه : نال المسكين كسرة خبز . اما الغني فلم يتمكن من الحصول على نقطة ماء .

قل لي : ايُها مات ميتةً صالحة ؟ وايُها مات ميتةً شريرة ؟ لا تسل عينيك بل قلبك لانك ان سألت عينيك كان جوابُها خاطئاً .

ما كان اكبرَ جمهور الباكين من الخدم والجواري ! وما كان اكبر جمهور زبانيته واصدقائه ! وما افخم جنازته ! اني اظن بان العطور التي رشت على جثمانه قد سحقته سحقاً . ما رأيك ؟ هل كانت ميتته صالحة ام شريرة ؟ عيناك تقولان : ميتة ممتازة . وان طلبت الجواب من معلمك اجاب : يا لها من ميتة شريرة ان كانت هذه ميتة المتكبرين المتمسكين باموالهم الذين يضنون بالقليل منها على الفقراء فما تكون ميتة اولئك المغتصبين لاموال الناس ؟

عش عيشة صالحة كيلا تموت ميتة شريرة نظير ذلك الغني ؛ اذ لا شيء يظهر شر الميتة كالوقت الذي يعقبها . وبالعكس ، ضَعْ نصب عينيك ذلك البائس الملقى ارضاً المغطى بالقروح تلحسها الكلاب ؛ اذ ذاك ؛ امام ذاك المشهد ، وبينا تصاب بالقرف وتشيح بوجهك عنه وتسد انفك باصابعك ، انظر اليه بعينَيْ قلبك .

لقد مات لعازر فحملته الملائكة الى حضن ابراهيم ومات الغني فبكته عائلته ولم تفرح الملائكة . وماذا كان جواب ابراهيم له ؟ « اذكر يا بني انك نلت خيراتك في حياتك وحصرت همك كله فيها » اجل لقد نلتها ؛ وها هي الايام تمضي وتخسر معها كل شيء وتبقى انت في الجحيم قيد العذاب .

وتضطرب حين ترى اناساً هانئين يحيون في الشر مغمورين بالخيرات ، اصحاء ، مكرّمين ، آمنين في سكناهم ولهم بنون يخلفونهم فيها ؛ ولهم زبانية مخلصون يخافون جانبهم ويتممون رغباتهم فلا يزعجهم شيء . اما انت

فتضطرب وتقلق حين ترى اخلاقاً عاث فيها الفساد شرّاً تواكبها الثروات فتحزن وتقول : لو كان الله يرى ما في الناس لما ترك هذا الاثيم في نعماه وابقاني انا البار في بؤسي .

لكل داء في النفس دواءٌ من الكتب المقدسة ، ان كنت مريضاً به فاصغ الى الكتاب المقدس القائل : « لا تَغَرْ من الاشرار ولا تغبط صانعي الاثم فانهم يقطعون سريعاً كالخضر ويذبلون كطري العشب» مزمور ٣٦ : ١ و ٢ ان ما يبدو لك طويلاً ، قصير هو في عيني الله . إخضعْ له يبدو قصيراً . إنّ اعشاب الحقل التي تكسو سطح الارض واطئة ؛ وليست اصولها في التراب عميقة ؛ ولهذا تخضرّ شتاءً وتيبَسُ صيفاً حين تغمرها حرارة الشمس .

فالوقت الآن وقت شتاء ومجدُك لم يظهر حتى الآن ؛ ولكن اذا كانت محبتك عميقة الاصول كما هي الحال في اشجار كثيرة فسوف تتحمل الشتاء وينقضي البرد ويأتي الصيف ، يوم الدين ، فييبس العشب الاخضر وينكشف مجد الاشجار .

الخاطئ يتقدم ؛ انما في طريقه . اما انت فاعمل في طريق الله . له في الطريق النمو وفي النهاية الشقاء . ولك في الطريق الشقاء وفي النهاية السعادة ؛ لان طريق الكفرة هلاك . اما انت فسرْ على طريق الأبرار وان تعبت فلا تضل . طريق الاثمة تولي سعادةً زائلة حتى اذا ما انتهت الطريق انقضت السعادة.

طريق الاثمة رحبةٌ ونهايتها في اعماق الجحيم . اما طريقك فضيقة وقليلون يسيرون عليها ؛ تأمّل بالغنى الذي توصلك اليه .

لو ان المسيح وعدك بسعادة عالمية ورأيتَ الكافر سعيداً لكان لك ان تتذمر ضده . ما هي السعادة التي وعدك بها ؟ ان لم يعدك بها بعد القيامة فهل وعدك بشيء في هذه الحياة ؟ ايها الخادم والتلميذ اتحتقر ما

اعطاك معلمك ؟ لقد اعطاك ذاته دون سواه . ألم تسمعه يقول : « ليس عبد افضل من سيده ولا تلميذ من معلمه » يوحنا ٨ : ١٠ لقد احتمل من اجلك الآلام والجلد والشتم والصلب والموت . واي نوع منها كان مفروضاً عليه ؟ ام اي نوع منها كلها لم يكن مفروضاً عليك ؟

آمنْ بمن قال : « فان الاشرار يستأصلون » مزمور ٣٦ : ٩ ، آمن به لانه يدرك افضل منك وانتظر قول الرب : « اما الذين يرجون الرب فانهم يرثون الارض » مزمور ٣٦ : ٩ تريثْ قليلاً تنَلْ للابد ما تنتظره .

عواطف وصلوات

اسرع يا رب الى اغاثتي حين ادعوك ، اسرع الى اغاثتي يا من قلت لمن يدعوك : « هاءنذا » اشعيا ٥٨ : ٩ اسرع الى اغاثتي لاني لا اطلب سعادةً على الارض ولا أطلب الارض وسعادتها الزمنية ، لا أطلب الغنى والمجد ولا لي شيء من هذا كله : لذلك اسرع الى اغاثتي ، هبني ما اسألك يا من علمتني كيف اسأل .

اني أسألك الحياة الابدية حيث الخير الذي لا يخالطه شر والراحة التي بها اتمتع ما شئتُ دون ان يقول لي احد إعتدلْ .

انه لمن الصعب والخطر على الانسان ان يتمتع ها هنا بخيور الارض ؛ لان من يتمتع بها يهواها قلبه ومن يكدّسها يسير الى الهلاك .

مزجتَ تجارب الارض بافراحها لكي تعلّمني التشوق الى الراحة الابدية بتحمّل مرارة الحياة وكدورتها .

جاهل انا ما ينفعني الآن ؛ فلذا اقول : لتكن مشيئتك .

ان شئت ما تعطيني ، فاعطني ما اسألك ، في هذه الحياة ، والاّ فكن انت ذاتك حياةً لي انا الباحث عنك باستمرار .

اريد ان تحررني نعمتك من اسري فأهتف إليك : نجني من يد الخاطئ لئلا يغضب ويوقعني في الضلال ويجرّني بمكره الى الاثم .

برحمة منك خلصني ؛ لا ببري واستحقاقاتي . لانك رحيم ؛ اما انا فلست اهلاً لها ، لا تصغ الي بصرامة حكمك بل اسمع لي يا جواد يا رحيم وخلصني بمحبتك .

الفصل الرابع عشر : في استدراك حكم الله بحياة مسيحية

اوصاك الرب باليوم الاخير وشاء ان ترقُبَ مجيئَه بفطنةٍ وحذر ، بمثله خوّفك لئلا يشجبك قضاؤه .

حذرك الرب ، لا لكي تعرف نهاية الازمنة ؛ بل لكي تستمر في يقظة وتعمل خيراً يا من تجهل آخر الزمان . ولم ينبهك لكي تعرف ما رسمه يا من تجهل ساعة مجيئه ؛ بل لكي تقتدي بالقديسين بقلب مستعد .

استعدّ طال ما هو آت ، وما لك وللساعة التي فيها يجيء ؟ خفّف من فضولك واتق الله وعشْ كأنه ، اليوم ، آتٍ ؛ فلن تخاف في يوم مجيئه اناة الرب ورحمته فرح لك . ولكن ، برغم فرحك برحمته ، إخشَ قضاءه .

أصغ إلى تحذيره لتفيد منه ساعة يلفظ حكمه . في سكوته يرحم انما سكوته الى حين .

تدبّر الآن امرك وقم به قبل ان يصدر الله حكمه .

الشاهد على اعمالك هو عينُه يشهد على تلك النداآت ؛ فلا تدعها تذهب سدى ؛ بل حولها الى بكاء . لقد حان الوقت لكي تسرع الى مصالحة خصمك .

بقدر ما يتحمل الله الاثم ، صابراً ، ولا يعاقب عليه بقدر ذلك نراه يسارع الى الاقتصاص منه يوم الدين .

تعوّد الناسُ ان يروا طويلاً ما هو في عيني الله قصير ولكن اي شيء يعوض عما يبدو ، بنظر الناس ، طويلاً في هذا العالم ؟ ان كانت نهاية العالم بعيدةً فهل اجلك ايضاً بعيد ؟ القضاء آت قريباً وانا اقول لك بان تفرح لان الرب سيدين الارض بعدله والشعوب باستقامته .

انه لمن الشر ان تخشى مجيء من تحبّه وتتضرع اليه قائلاً : « ليأت ملكوتك » ثم تخشى ان يستجاب لك .

ولماذا تخاف ؟ ألأن الديان آت ؟ هل هو ظالم تخشى منه شراً على نفسك ؟ اتظنه يستفسر عن قضيتك لدى شخص غريب لا علم له بها ؟ هل يغشك ام يحتاج الى الفصاحة فلا يجد الكلام اللازم لاظهار براءتك امام الجميع ؟ لا تخف من هذا كله .

ان كنت تحب المسيح فافرح واطمئن : سوف ينير لك ولن يخذلك . ان كنت باراً فافرح ؛ او شريراً فارتعد ؛ لأن الرب يدين المسكونة كلها بعدله والشعوب باستقامته .

بوسعك ان تنتظر مجيء المسيح كما تشاء ؛ ولكن انتبه كيلا يرذلك ساعة يأتي متى تأخر مجيئه . حتى الآن لم يأت : هو في السماء وانت على الارض . هو يرجئ قدومه اما انت فلا تتباطأ في ان تكون فطناً .

مجيئه قاس على القساة ، وعذب على الاتقياء ، فتأمّل في من تكون : ان كنت قاسياً فباستطاعتك ان تلين او تقياً فاغتبط بمجيئه .

استدركْ نظره باعتراف منك اليه ؛ لئلا يستدركك ، ولا مجالَ للانتقام بعد الاعتراف اذا لم تعد من جديد الى الاثم .

استدرك قبل فوات الاوان : ان كنت اليوم قلقاً فاقض على قلقك معترفاً اليه ليصبح يومُك يوم هدوء وغفران وخلاص .

لا تتباطأ في اتخاذ العلاج يا من تشعر في نفسك بألم يعذّبك ويقض عليك مضجعك . ان وجدت في بيتك حجراً يزعج ناظريك امرت برفعه من البيت وبخاصة اذا كنت تنتظر ضيفاً كبيراً .

وحين تتوسل الى الله تدعوه الى نفسك ، فكيف يأتي اليك ان لم تنظف المكان المعد لاستقباله ؟ اما ان كنت عاجزاً عن ان تنزع من قلبك ما وضعت فيه فادعه كي يدخل هو الى قلبك لينقيه . اعمل حالاً ما يجب عليك ان تعمل طال ما انه يحدثك منبهاً ويقاضيك ساكتاً .

اللهم اذكرني بحسب رحمتك ولا تذكرني بحسب ما استحققته انا من غضب ؛ بل اذكرني بحسب رحمة انت اهل لها . انا لا أتباهى باعمالي ولا أفاخر بما صنعته يداي لأني اخشى ، وانت تتأملها ، ان تجد فيها خطايا تفوق ما استحق . شيئاً واحداً سألتك راجياً ان اناله منك : «لا تهمل اعمال يديك» مزمور ١٣٧ انظر الى ما صنعتَ فيَّ ولا تنظر الى ما انا صنعت لانك ان نظرت الى عملي شجبته ، اما ان نظرتَ الى عملك كافأته . لا قيمة لأعمالي أيا كانت ؛ بدونك ولهذا فهي لك اكثر مما هي لي .

بفضلٍ منك خلصت بايماني . ونعمتي هذه ليست لي ، بل لك ؛ انها ليست من صنعي والاّ استكبرت بسببها . خطيئتي هلاك لي ودمُك ثمن لي ، قيامتك رجاء لي ومجيئك اوفى خيرٍ لي . على نفسي الضعيفة ان تقول : «ربّ ، متى تأتي ؟ اتمنى ان تأتيني شرط ان تجدني مستعداً .

الفصل الخامس عشر :

في ان ما فيك يظهر واضحاً امام المسيح الديان

سوف يأتي يومٌ يخضع فيه كل شيء للقضاء : ان كان هذا اليومُ بعيداً في الزمن فهو قريب من كل انسان ، لأنه آخرُ يوم من حياته . وشاء الله ان يظل هذا اليوم خفياً عن البشر .

ان اردت ألا تخاف اليوم الذي تجهله ، فاستعدّ لمجيئه . شاهدُك الوحيدُ ، ضميرك . فلا تخفْ بين القاضي وضميرك سوى قضيتك : ان لم يكن لديك دعوى سوء فلن تخشى شاهد زور ؛ ولن تطلب شاهد حق .

اطلب الله قاضياً لك وشاهداً ؛ ولن يرفض القاضي ان يكون شاهداً . وطال ما ان الشاهد هو قاض فاطلب منه ان يسرع في دعواك . انه شاهد

لا يستشهد بآخر لأنه يعرفك . وهو قاضٍ له سلطان ان يحكمَ بالموت وان يعفو ؛ ان يلقي في جهنم ويرفع الى السماء ؛ ان يسوق مع الشيطان ويكلل مع الملائكة .

يراك الآن من سوف يحاكمك فلن تستطيع ان تغشّه ويقول الله لك : احتقرتني فرأيتك وكفرت فلم اسحب دعواي بل ارجأتها وما تراجعت عنها . رفضتَ تعليمي فذقْ تهديدي : لو انك قبلت تعليمي لما كنت تكبدت العذابات التي حدثتك عنها بل الخيرات التي وعدتك بها .

انه يمتنع الآن عن ان ينتقم بل يرجئ العقاب منتظرًا التوبة .

وماذا تريد ان تعمل ؟ سَلْ نفسك حالاً ، ادرس وَضْعَكَ وتأمله باطنياً ، وَضعْ ذاتك امام ذاتك وافحصها من الداخل واجلس اليها وابسطها على مركبة الوصايا الالهية وخوّفها ولا تغترّ وأجبْ نفسك بنفسك .

تأمّل نفسك منذ الآن وافحصها ؛ لأن الله يدينك علناً ساعة مجيئه .

وماذا يصنع بك متى قاضاك ؟ يريك ما لا ترى الآن . لو انك فحصت ذاتك بحسب الحق وما رضيت بها لكنت ارضيت الآن الله . ولكن بما انك عميت فارتضيت بذاتك ؛ فلن ترضي الله ولن ترضي ذاتك : لن ترضي الله ساعة يدينك ولن ترضي ذاتك ساعة تحترق بالنار .

وكيف يقنعك ؟ يضعك امام نفسك ؛ ولماذا تخفي نفسك عن نفسك ؟ تقف الى الوراء كيلا ترى نفسك ، اما هو فسوف يريك ما اخفيتَ وراء ظهرك فيضعه امامك لترى قذارتك وتخجل منها ؛ ولن يبقى لك مجال للاصلاح .

كن مطيعاً ما امكن وما دام ساكتاً لانه آتٍ ولن يسكت ، ومتى اتهمك فلن يبقى لك مجال للاصلاح .

اعمل الآن ما سيهددك به الله ؛ قم من وراء ظهرك حيث لا تريد ان ترى ذاتك مختبئاً عن اعمالك وقف امام نفسك . اصعد قوس نفسك

وقاضها واتخذ الخوف مهماز عذابٍ ينتزع منك اعترافاً تقول فيه لله : « انا عارف بآثامي وخطيئتي امامي في كل حين » .

ضع امامك ما كان وراءك مخافة ان يضعك اللهُ ديانُك بعدئذ امام نفسك فلن يبقى لك مجال للهرب . اما ان انقضتْ حياتُك بكرامة بين الناس ولم يجدوا فيها ما يستحق اللوم العادل تبدأ محاكمتك ، وفقاً لقاعدة ؛ فيتفحصك بنظره ويجد فيك ما لا يرضاه القاضي حتى ولو لم يجد فيها حسُك الباطني ولا الناس ما يستحق اللوم . واذ تخشى هذه الامور تضطرب ، فيسرّ اليك عقلك قائلاً : ولمَ تخشى وانت لا تستطيع ان تتحاشاها بالتمام ؟

ارجُ الله وضع ثقتك فيه : الصلاة تشفيك من بعض الاخطاء ؛ والاعتراف الصادق ينقيك من البعض الآخر .

عواطف وصلوات

رب ، أنا لا أجد شيئاً في ضميري ؛ اما انت فانك تلجُ بنظرك الالهي الى اعماقه وتجد فيه شيئاً ، ولذلك اقول لك : « لا تنافذ عبدك الى القضاء » مزمور ١٤٢ : ٢ ثم اترك لي ديوني . رحمتك ضرورية لي ؛ والى من اذهب ان قضيت بلا رحمة ؟ « ان كنت للآثام راصداً يا رب فمن يثبت ؟ » مزمور ١٢٩ : ٣ .

« لا تنافذ عبدك الى القضاء فانه لا يبر امامك احد من الاحياء » مزمور ١٤٢ : ٢ وان لم يبر امامك احد من الاحياء فالويل لي ان نافذْتني الى القضاء .

لست اعترض على قضائك بل سأعمل على اعتباره قضاءً عادلاً ؛ فاعترف بخطاياي ، كما هي ، راجياً ، باستمرار ، رحمتك .

وضعت رجائي عليك ، يا رب لا على نفسي ، رجوتك فاشفني . مريضاً ، اتكلم معك ، اني اعرف طبيبي ولا اتباهى بعافية لي . ارحمني يا رب واشفني فاني قد خطئت اليك . ساعدني على ان اسهر واقوم بصالح الاعمال وارنم ، حافظاً لوصاياك ؛ واتناول قيثارتي ، قابلاً التجارب .

لقد سمعت اشعيا يقول : « بان تكسر خبزك للجائع » واظن بان الصوم لا يكفي . انه يميتني ولا يفيد احداً .

انّا نرى المسيحيين احياناً كثيرة يكسرون الخبز بانزعاج ، متذمرين ، تخلصاً من بائس يسأل بالحاح ، وليس تخفيفاً من جوعه .

اما انت فانك تحب المعطي الفرحان : ان اعطيت خبزي متأففاً خسرت خبزي وأجري . سوف اعطي بفرح لتقول لي انت يا من ترى ما في قلبي وانا اتكلم : « انا هنا » .

سرعان ما تقبل صلوات المحسنين : يجب علي ان اعمل البر في هذه الحياة صوماً وصدقةً وصلاة .

الصوم والصلاة جناحا صلاتي ،

يا من جئت تموت عنا اني اسألك نعمة ، حين تأتي لتخلصني من الموت ، وهي ان يجدني نورك وحقيقتك باراً فلا أخاف شيئاً . آمين .

الفصل السادس عشر : في انه لا يجوز التفريط بصبر الله

لا يظنن احد ان رحمة الله تترك الذنب بلا عقاب لان الله عادل ؛ وليس واحد ممّن صلح سلوكهم يخاف قضاء الله لان رحمته سابقة له .

غالباً ما ينقاد الناس وراء الرحمة في احكامهم فتسيطر وحدها عليهم دون العدل ؛ ثم يفقدونها احياناً حفاظاً على صرامة احكامهم . اما الله فلا يفقد صرامة حكمه في طيبة رحمته ولا طيبة رحمته في صرامة حكمه .

حين ترى الابرار والاشرار على السواء يتمتعون بنور الشمس عينه ويستقون من الينابيع ذاتها ويثرون بفضل الامطار عينها ويقتاتون من ثمار الارض عينها ويستنشقون الهواء عينه ويمتلكون ، على السواء ، خيور العالم فلا تقل ان الله ظالم ؛ لأنه يهب الابرار والاشرار على السواء .

زمننا هو زمن رحمة ؛ وليس زمن قضاء . ولولا رحمة الله الآن لما استحق انسان يوم الدين اجراً .

الزمن زمن رحمة ، اذا ادت بك رحمة الله الى التوبة . فكّر بخطاياك ، واصلحها الآن ، طال ما ان الوقت متاح لك واجعل الالم فيك خصباً ولا تكن توبتك عقيمة .

ها هو الله يقول : لقد اصدرتُ حكمي ولم الفظه ؛ واعلنته ولا مردَّ له — . ولماذا تخاف وانا القائل لك : ان صلُحْتَ غيّرت قضائي ؛ الحكم قابل للتغيير ؛ اما العدل فباق . العدل باق وعلى كل ذي سلطان ان يُخلّص من يصلح نفسه . الله لا يرحم الخاطئ المصرَّ على خطأه بل التائب اليه ، اياه يرحم . واضع الشريعة هو عينه رب الغفران : ارسل الشريعة ثم جاء مع الغفران .

بالشريعة صرتَ خاطئاً ، وبمواضعها حللت من خطاياك ؛ ام بالاحرى فانه لم يحلك من خطاياك لان الحل منها اقرار بالبرارة . بل يترك لك خطاياك ان تبتَ عنها .

ان الله لا يريد ان يدين الناس بل ان يخلصهم ؛ ولهذا يرجئ حكمه ويصبر عليك لتنتقل من الخطأ الى الصلاح . الله صالح وجواد وصبور يرجئ ولا يأخذ ؛ وانت تحتقره متجاهلاً ان صبره عليك يجب ان يقودك الى التوبة . « ولكنك بقساوة قلبك تدّخر لنفسك غضباً ليوم الغضب واعتلان دينونة الله العادلة الذي سيكافئ كل واحد بحسب اعماله » رومية ٢ : ٦.

مهما تعمل الآن يكن لك ذخراً : ان صلحت حياتك ادَّخرت للسماء اعمال رحمة ساعدت بها الناس . وسوف تعرف مدى امانة القيّم الذي يرعى كل ما عهدت به اليه . ومع انك لا ترى ما تدّخر ، تطمئن الى كنزك الذي لن يسطو عليه لص وعدوّ . ولَن ينتزعه منك ذو سلطان او اي انسان شرير بل يبقى لك الى الابد لان الرب القدير يرعاه . وان كنت

شريراً وبعثت بما اتيت من شر ، فان الله يدخره لك . ويباشر الله يوم الدين باستعراض كنوزك لتتعرف الى ما سلمت . اصغ الى قول الرب : « ها أناذا احكم بين ماشيةٍ وماشية وبين الكباش والتيوس » حزقيال ١٧:٣٤ .

« هاءنذا احكم » يا لها من طمأنينة ؛ انه هو عينه يحكم فاطمئن ان كنت صالحاً اذ لا يمكن لأي خصم ان يرشو ديانك ولا ان يتواطأ مع محام ؛ ولا يخدعه شاهد . وبقدر ما تطمئن اذا كنت صالحاً تخاف اذا كنت شريراً . اذ لا يخفى شيء على ذلك القاضي ؛ عن نفسك يسألك ولا يسأل عنك احداً سواك ، انما لا يسألك لكي يعرفك بل لكي يخجلك امام ذاك القاضي الذي لن يستطيع احد ان يغشه ، لا لمصلحتك ولا ضدها . اعمل كمن لا يخاف قضاءه الآتي بل كمن ينتظره ويتوق اليه .

وهل تخشى حباتُ الحنطة الاهراء؟ ما اطول الزمن الذي تتوق فيه الى الاهراء !

وبالنتيجة على من يصلون ان يقولوا بصدق من كل قلوبهم « ليأت ملكوتك » متى ١:٦ .

من شأن الانسان الشرير ان يرتجف قلبه رعباً ويتلعثم لسانه حين ينطق بتلك الكلمات ، وكيف يقول : « ليأت ملكوتك » ؟ ها هوذا آت . وكيف يجدك ؟ اسع لان تصلي بطمأنينة . ان احببت المسيح وجب عليك ان تتمنى ان يأتي . وممَّ تخاف ؟ من هو الآتي ؟ ولم لاتفرح ؟ اليس الآتي دياناً لك هو عينه الذي جاء وحُكم عليه بالموت بسببك ؟ لا تخش محامياً فاشلاً : ديانك الآتي هو المحامي عنك في الوقت الحاضر . لو كانت لك دعوى تريد ان تقدمها الى قاض واخبرت عنها محامياً فراح يدرسها ، وقبل ان يتم دراستها علمت بانه هو ذاته سوف يحكم فيها ؛ الا تفرح به قاضياً من كان لمدة وجيزة محامياً لك ؟ لقد اصبح هو عينه يصلي ويتوسل من اجلك وقد كان لمدة وجيزة يسألك . وهل تخشى القاضي بعد ان اصبح

المسيح محامياً عنك ؟ أحرِ بك ان تنتظر مجيئه باطمئنان بعد ان كان عنك محامياً . ان خفت من القاضي الآتي ؛ فسارع الى اصلاح القاضي الحاضر ؛ وهل تعتبر امراً قليل الاهمية ان يبحث ضميرك عن اخطائك السابقة ؟ اصلح نفسك الآن حتى تتمكن من اصلاح ذاتك في المستقبل .

عواطف وصلوات

رب ، اني اخشى عدلك وقضاءك الآتي الا اذا سبقتها رحمتك . ولماذا اخشى في النهاية احكامك طال ما انت تستدركها برحمتك وتمحو خطاياي ثم تتم لي مواعيدك وتظهر لي الحقيقة .

اني لست أخاف لانك عطوف ؛ ولو لم تكن عطوفاً وابيت ان تكون محامياً ورحيماً بل شئت ان تكون دياناً وحسب لنظرت الى آثامي كلها وتعقبتها ؛ اذ ذاك ، من يستطيع ان يثبت تحت نظرك؟ من ذا الذي يستطيع ان يقف قدامك ويقول : « انا بريء » ؟ ومن يثبت امام قضائك ؟ الرجاء عون لنا عندك .

ساعدني لكي اتوب توبة كاملة وخلصني برأفتك ، ولا بما لي من استحقاق .

الفصل السابع عشر :

في ان المسيح الديان يأتي بشكل منظور في نهاية العالم

نؤمن بمجيء المسيح الاول والثاني : الاول تم ولم يفهمه اليهود ؛ والثاني آت وكلنا نرجوه . ان الكتاب المقدس يشير ، لو انتبهنا ، الى دينونتين : الأولى سرية وهي القائمة الآن ؛ وعنها يقول بطرس الرسول : « قد آن للقضاء ان يبتدئ ببيت الله » بطرس ١٧:٤ . وهي هذا العقاب الذي يتمرن عليه كل انسان لكي يتنقّى ويهتدي . اما اذا احتقر دعوة الله ، فيساق الى الهلاك .

اما الدينونة العلنية فهي تلك التي بها يدين الرب ، في مجيئه الثاني ، الاحياء والاموات ، ويعرف الجميع انه يهب الصالحين عطاياه وينزل بالاشرار شتى العذابات .

ان ربنا ومخلصنا يسوع المسيح علّق في بداية الامر على خشبة الصليب . وها هو الآن جالس في السماء . على الصليب دفع عنا ديناً وها هو الآن في السماء يجمع من قد اشتراهم . وبعد ان يجمع من ينتقيهم على مر الازمنة سوف يأتي في نهاية الازمنة علناً ، لا خفية ، كما جاء في المرة الاولى .

وجب عليه ان يأتي خفية ليُحكَم عليه ؛ ولكنه سوف يأتي علناً ليدين ، ولو انه جاء في بدء الامر ، علناً ، واظهر نفسه ، لما تجاسر احد من الناس ان يحكم عليه .

وجب عليه ان يصمت في آلامه ولكنه لن يصمت في دينونته ، وبما انه قبل ، بتواضعٍ ، حكم الناس عليه ، فسوف يصدر حكمه بقوة عظيمة .

يوم جاء خفيةً أظهر نفسه لخدامه دون سواهم ؛ ولكنه حين يأتي علناً سوف يظهر نفسه للاخيار والاشرار .

لزم الصمت في محاكمته بيد انه لن يلزم الصمت متى اتى للدينونة . ولن يلزم الصمت تجاه من عرفوا صوته واحتقروه .

يسخر بعض الناس من وصايا الله ؛ لانه تعالى لم يُظهر ما وعد به ؛ ولا هم يرون في الحال عاقبة تهديداته ؛ فلهذا يسخرون من وصاياه . انه يظهر في حينه ويدين بالشكل عينه الذي به أدين .

حين رآه الرسل يصعد الى السماء سمعوا بانه سوف يأتي كما صعد : « ان يسوع هذا الذي رأيتموه يرتفع سوف يعود على مثال ما رأيتموه صاعداً الى السماء » . وسوف يراه بالشكل ذاته الاحياء والاموات ، الصالحون

والاشرار : فالابرار يرونه انساناً كالذي آمنوا به والاشرار يرونه انساناً كالذي احتقروه ورذلوه .

ان الذين يتحملهم الآن خطأةً سوف يدينهم مرذولين .

في بدء الامر جاء متواضعاً ، اما بعد فسيكون ممجداً .

في بدء الأمر جاء مثالاً في الصبر وقدوة ؛ اما بعد فسيأتي ليدين الاشرار والابرار حسب ما يستحقون .

في بدء الامر جاء ليجمع اما بعد فسيأتي ليفرق .

ان لم يخش احداً ، متواضعاً فهل يخشاه ممجداً .

ان قال الحقيقة كاملةً على طريق الآلام أفلا يقولها حين يلفظ حكمه للدينونة ؟

في البستان قال لاعدائه : « عمَّن تبحثون ؟ » فاجابوه : عن يسوع . اذ ذاك ، قال لهم : « انا هو » فتراجعوا للحال الى الوراء وسقطوا على الارض .

وماذا يحل بمن سقطوا على الارض ، لدى سماعهم كلمة واحدة من يسوع السائر الى الموت ، متى سمعوا صوته في الدينونة ؟

سيظهر مخيفاً من كان محتقراً .

لقد اظهر صبره فبقي عليه ان يظهر مجده .

على الصليب كان صبراً وفي الدينونة سيكون قوةً .

ومع ذلك لو تأملت الصليب لوجدته قاعة محاكمة : في الوسط القاضي ؛ ثم اللص الذي آمن فغفرت له خطاياه ؛ والآخر الذي رذل بسبب اهاناته . بهذا المشهد عينه اشار الى ما سوف يصنع بالاحياء والاموات حين يقيم اناساً عن يمينه وآخرين عن يساره : لص الشمال يمثل المرذولين ولص اليمين يمثل المختارين . وبينما كان المسيح يحاكم كان يهدد بالدينونة .

رب ، اجعلني اعرف تواضعك حتى لا أخاف امام عظمتك ؛ واجعلني اعانق تواضعك حتى اتوق الى علاك . اعطني ان اتوق اليك يا من تأتي ، رغماً عني ، غافراً لمن يتوقون اليك : ان لم اشأ انا فانت آتٍ . وكيف اكشف لك عن رغبتي هذه ؟ ان عشت عيشة صالحة وخيِّرة .

لا تدعني ابحث عن غبطتي في الايام السالفة ؛ ولا تدع اليوم الحاضر يقيدّني ؛ بل اجعل شبابي يتجدد كالنسر باستمرار . انا عالم يا رب بان شبابي لن يتجدد الا اذا ساعدتني وحطمت ماضيّ الاثيم .

ساعدني لئلا تُصمّ أذناي عن سماع كلمتك وتلهوان بحلاوة حياتي الماضية . اني اشكو منك يا من تحفظني ، بفضل ما تضع امامي من صعوبات مختلفة . ساعدني لكي اصير صالحاً يا من لا تبخل علي بالعصا ، اليوم لترفعها عني يوم الدين .

اللهم لا تنافدني في القضاء ؛ واياً كان بري فسوف تقيسني بمقياس غناك فيظهر كل ما فيّ من شر .

يطيب لك ان تدعوني صديقاً وان اعترف باني خادم لك : محتاج انا الى رحمتك ، لقد هربت وها انا اعود باحثاً عن السلام ؛ ولست اهلاً لان ادعى لك ابناً .

لا أريد ان اتناسى اعمالي واتجاهل خطاياي ، ناظرًا الى خطايا الآخرين ، متظاهرًا باخراج القشة من عين اخي تاركاً الخشبة في عيني ، خطيئتي امامي في كل حين وليست ورائي .

استجب لي ولا تستمر في محاكمتي ؛ لا تطالبني بجميع ما رسمت لي وفرضت علي ؛ لانك لو دخلت معي في المحاكمة لوجدتني مذنباً .

انا احوج الى رحمتك مني الى قضائك الصريح .

اني اسألك الرحمة يا من لا يتبرر حيّ امامك .

الفصل الثامن عشر : في الدينونة الاخيرة

نحن نعلم باننّا سوف نمثل امام منبر المسيح ليقدم كل منا حساباً عن اعماله في حياته ، خيراً كانت ام شرًا . ونعلم بان كل واحد ينهض مع قضيته ويمثل امام القضاء بالطريقة عينها التي بها دخل سجن الموت .

عليك ان تهيئ منذ الآن قضيتك ؛ إذ لن تتمكن من اعدادها بعد ان يُغلق الباب عليك . اسمع ما جاء في الانجيل : « اسهروا اذن لانكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت ؛ افي المساء ام في نصف الليل ام عند صياح الديك ام في الصباح لئلا يأتي بغتة فيجدكم نياماً ، وما اقوله للجميع ان اسهروا » مرقس ١٣ : ٣٥ . ولم يوجّه كلامه الى من كانوا يصغون اليه آنذاك وحسب ؛ بل الى من عاشوا بعدهم وعاشوا قبلنا ؛ ويوجهه الينا ايضاً والى من يأتون بعدنا حتى مجيئه الثاني .

اسهر كيلا يفاجئك الرب بمجيئه فيجدك غير مستعد . لن يجدك مستعدًا اذا لم تكن مستعدًا في آخر يوم من حياتك .

ومجيء ابن الانسان هكذا يكون على حد قول السيد المسيح : وكما كانوا في ايام نوح يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون ويجددون ويبنون حتى دخل نوح السفينة فجاء الطوفان واهلكهم جميعاً .

هكذا يأتي الرب ويدين الوالغين في شرورهم ، الجاحدين لرحمته المحتقرين لأناته . وماذا يحدث بعد ان يأتي ويجمع الامم كلها للدينونة ؟ ويجمعهم لديه ، كما جاء في الانجيل ، ليميّزهم ويضعهم عن يمينه ويساره » فيقول للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المعد لكم منذ انشاء العالم » متى ٢٥ : ٣٢ ، خذوا الملك السماوي ، الابدي ، للحياة مع الملائكة حياة ابدية لا ولادة فيها ولا موت .

« لقد جعت فاطعمتموني وعطشت فسقيتموني وكنت عرياناً فكسوتموني

وغريباً فاويتموني وسجيناً فزرتموني ومريضاً فعدتموني » ، فيجيبونه قائلين : « متى رأيناك ، يا رب ، متضايقاً وساعدناك ؟ اذ ذاك يقول لهم : ان ما فعلتموه مع واحد من اخوتي هؤلاء الصغار فمعي فعلتموه » خذوا ما أعطيتم ؛ وليكن لكم ما قبلتم ؛ لانكم لهذا سلمتموني اياه .

ويلتفت الى الذين عن يساره ويكشف لهم كنوزهم الخالية من الاعمال الصالحة قائلاً : « اذهبوا الى النار الابدية المعدة للثلاب وملائكته لاني جعت ولم تطعموني » . وان وجدتم في كنزي شيئاً بعثتم به الي ، فكّروا فها انا ارده اليكم . فيجيبونه قائلين : متى رأيناك يا رب جائعاً ؟ فيقول لهم : ما لم تفعلوه مع واحد من اخوتي هؤلاء الصغار فمعي لم تفعلوه .

بالطبع انتم ما عملتم بي شيئاً ؛ لانكم لم تروني على الارض ؛ ولو رأيتموني لحمّلكم ما انطويتم عليه من شر على ان تصلبوني كما فعل بي اليهود .

وفي الواقع فان الاشرار الذين يقاومون بناء الكنائس حيث يتعلمون وصايا الله ألا يصلبون المسيح لو وجدوه على الارض حياً ؟ لكنهم تجاسروا وقالوا له : « متى رأيناك جائعاً » ؟ وكأنه يجهل افكار الناس .

اما هو فقد اجاب : إنّ ما لم تفعلوه مع اخوتي هؤلاء الصغار فمعي لم تفعلوه . انا وضعت بقربكم على الارض اناساً لي بؤساء ؛ انا الرأس جالس في السماء الى يمين الآب واعضائي تتألم وتشقى على الارض ؛ ولو انكم اعطيتموهم شيئاً لوصل الى الرأس وعلمتم آنذاك اني أقمتهم الى جانبكم جباةً يحملون الى كنزي اعمالكم الصالحة ؛ وبما انكم لم تلقوا شيئاً في ايديهم فلم تجدوا شيئاً عندي . اذ ذاك يقولون بأسف شديد بعد فوات الاوان : آه ! لو قُدّر لنا ان نعيش من جديد لنحفظ ونعمل ما قد اهملناه في الماضي . ويردد اولئك الذين تشجبهم آثامهم ما جاء في كتاب الحكمة : « ماذا نفعتنا كبرياؤنا وماذا افادنا افتخارنا بالاموال ، قد مضى ذلك كله كالظل ؟ » حكمة ٥ : ٨ .

عواطف وصلوات

رب ، اني ارى الاثمة يتوبون توبة تعذبهم ولا تشفيهم ؛ فها اني اسعى في اثر ندامة تفيدني لاني شعرت الآن بها اصلحت نفسي واتلفت الكنز الذي اجتمعت فيه اعمالي السيئة ، وملأت كنزي الآخر بصالح الاعمال .

بيمينك يا رب نجني حتى اقف عن يمينك .

انا لا أطلب في هذه الحياة نجاحاً زمنياً ؛ انما اسألك ان تجعلني الى يمينك ، بعد انقضاء هذه الحياة ؛ ومع خرافك ، لا الى الشمال ، مع الجداء . وحين تجلس على عرشك للدينونة فمن الذي يفاخر بنقاوة قلبه وخلوّه من الخطيئة اذا لم تستدرك العدل بالرحمة ؟

عادل انت يا من تعطي كلاً حسب اعماله .

قدير انت يا من تحملت في سبيلنا الاثمة المضطهدين مع انك كلي القدرة .

كريم انت يا من بعد قيامتك لم تختطف مضطهديك لكي تعاقبهم بل صبرت علّهم يتوبون عن اثمهم ؛ ولا تزال صابراً محتفظاً بالعقاب الاكبر لليوم الاخير ، تاركاً باب التوبة مفتوحاً بوجه الخطأة حتى ذلك اليوم .

ما انقطعت قط عن الكلام في وصيتك انما توقفت عن العقاب ؛ وامتنعت عن الانتقام وما اصدرت حكمك ضد المتهم .

لقد زدت على صبرك صبراً فلا تدعني ازيد على اثمي اثماً .

انت ترى خطاياي وتسكت عنها يا طويل الاناة وكثير الرحمة والحق .

ويل للناس من حياة تمتدح اذا حبست رحمتك عنها وبدأت تقاضيها . وبما انك لا تلاحق المعاصي غاضباً ، فاني ارجو منك الغفران واثقاً . كلّ من احصى استحقاقاته امامك فليس يحصي سوى عطاياك .

اني اتوسل اليك الآن من اجل خطاياي فاستجب لي بحق علاج امراضنا الذي علّق على الخشبة ، ذلك الجالس عن يمينك الذي يشفع بنا . اغفر لي ، يارب ، اغفر لي ؛ ولا تنافدني في القضاء .

الفصل التاسع عشر : في العقاب الابدي

هوذا الله يهدد بالنار الابدية : « اذهبوا الى النار الابدية المعدة للشيطان وملائكته » متى ٢٥ : ٤١ ان كنت حتى الآن لا تحب الحياة الابدية فاخش النار .

كما اننا لا نجد ها هنا فرحاً شبيهاً بفرح الحياة الابدية المحفوظ للقديسين هكذا فاننا لا نجد أبداً شَبَهاً بين الالم الزمني والآلام الابدية .

تجنب بإيمان راسخ واخلاق عالية تلك العذابات حيث لا ينقص الجلادون ولا يموت المعذَّبون ؛ حيث يدوم الموت ولا يموت احد تحت وطأة الآلام .

لكن المرذولين يقاسون عذابات اشدّ حين يقومون . اذا قارنّا بينها وبين عذابات هذه الدنيا كانت هذه بالنسبة اليها اضغاث احلام . ولا بد من ان يكون العذاب اشدّ على من يتحمله ساهراً .

انك تخاف من ان تلقى في السجن اذا وشى بك احد ؛ ولا تخاف من ان تحترق في النار من جراء حياتك الرديئة التي لا تخدم لك مصلحة . اتخشى السجن ولا تخشى عذاب النار ؟

اسمع قول المسيح : « لا تخافوا ممن يقتلون الجسد ولا يستطيعون ان يقتلوا النفس » متى ١٠ : ٢٨ .

انت تخشى العذاب الزمني ولا تخشى عذاب النار الابدية ؟

انت تخشى الموت الى زمن ولا تخشى الموت الى الابد ؟ وبالتالي لم يبق لك ، طال ما ان الموت معك ، سوى ان تنير حياتك وتصلح ما فسد من اعمالك . القاضي يتوعّدك بمجيئه كيلا يجدك ، متى جاء ، جديراً بعقابه .

لو اراد القاضي ان يحكم على انسان لزم الصمت ، اذ لا احد يريد ان يضرب ثم يقول « انتبه » .

ان الضيقات التي تتحملها ، في حياتك ها هنا ، هي بمثابة عصا تأديب من الله ، يضرب بها من يحبهم كيلا يرذلوا الى الابد .

اصلح نفسك الآن لئلا تعجز عن القيام به متى اردته بعد فوات الاوان ؛ لأن الموت يفاجئك فلا يترك مجالاً للاصلاح بل يرسلك الى جهنم. فائدتك أعمال تصنعها ها هنا ؛ لان اعمال الانسان عون له او عليه .

ان لم يجدك اليومُ الاخير ظافراً فاسعَ اقله حتى يجدك مجاهداً ، لا اسيراً ولا مديناً .

انت عضو للمسيح فارجُ ميراثه ؛ وان زال هذا كله ، يبقى لك ما لا يزول ؛ لان المسيح لم يَعِدْ خاصته بمكافآت فانية ولا هدد الكفرة بعذاب زمني . وكما انه وعد القديسين بالحياة والسعادة والملكوت ، ميراثاً ابدياً ، لا نهاية له هكذا نراه يهدد الكفرة بالنار الابدية . ان لم تحب ما وعد به فخف على الاقل مما هدّد به .

عواطف وصلوات

« لا تجمع يا رب نفسي مع الخطأة » مزمور ٢٥ : ٩ بل اجعل ثمن دمك لي خلاصاً ؛ ولا تتخلّ عني رحمتك في مضايق هذه الحياة . صغير انا فاسترني في ظل جناحيك ؛ استرني لانك ان لم تدافع عن هذا الفرخ الصغير انقضّ الصقر عليه .

نجني من خطاياي قبل ان اذهب لئلا تذهب خطاياي معي . اغفر لي فيستريح ضميري وينجو من نار القلق لاني قلق احمل همّ خطيئتي . اغفر لي لانك ان لم تغفر لي خطاياي ذهبت بدونك الى النار الابدية . وعمّن ابتعد الى الابد ؟ ابتعد عنك يا من تقول : « انا هو الكائن » خروج ٣ : ١٤ .

نفسي امامك ارض مجدبة ؛ اجعلها تعطش اليك كأرض لا ماء فيها لانها ان لم ترتو منك فلن ترتوي حقاً ، اذكر يا رب اني لست سوى غبار وهل اشبه بهذا الغبار من الارض التي لاماء فيها .

اسرع يا رب الى استجابتي ، اسقني وقوّني لئلا اكون غباراً يطيره الهواء على سطح الارض . انا عطشان اليك انما لست قادراً على ارواء نفسي . اروني واسرع الى استجابتي . وماذا تقصد من تأخرك هذا ، طال ما ان عطشي لا يرتوي الاّ منك ؟ تريد ان ازداد عطشاً . لقد اخّرت غيثك فاعطه الآن لأن نفسي شبيهة بارض قاحلة . اسرع يا رب الى استجابتي واملأني من روحك لأن روحي ضعيف .

الكتاب الثاني

الفصل الاول : في انه يجب على النفس ان تصغي الى كلام الله

اسمع صوت الرب : « من يحبني يحفظ كلمتي وابي يحبه واليه نأتي وعنده نجعل مقامنا » يو ١٤ : ٢٣ .

شيّدْ في قلبك وابن منزلاً فيأتي المسيح اليه ويعلّمك ويتحدث اليك .

حين اظهر المسيحُ مسكنه لتلاميذه ، جاءه اثنان وأقاما معه .

فيا له من نهار سعيد ! ويا لها من ليلة سعيدة قضوها معاً !

ومن ينبئك بما اخذاه عن الرب ؟

اطلب السلام يحدّثْك هو من الداخل حيث لا احد سواه . اطلب السلام يدخل المسيحُ الى قلبك فلن يعود يعطش في عزلته ولن تعوزه الينابيع التي يشرب منها .

حيث لا تجد وحيه وعذوبة نعمته فعبثاً تدوّي كلماته من الخارج . الكلمات التي اسمعها في الخارج أشبه برعاية المزارع للشجرة ؛ يحوطها بها من الخارج ، ليسقيها ويشذّبها . واياً كانت تلك الرعاية فهل هو الذي يكوّن فيها الثمر ويكسو عريها بظل اوراقها ؟ أيعمل ما يعمل لينميها من الداخل ؟

أصغ الى الرسول وانظر اليّ وأصغ الى المعلم الباطني : « انا غرست وابلّوس سقى لكن الله هو الذي أنمى . فليس الغارس اذن بشيء ولا الساقي بل المنمي وهو الله » . ١ كور ٣ : ٦–٧ .

اليك ما أقول : أغرستُ انا ام سقيت بكلامي ، فلستُ بشيء . بل الله الذي ينمي بعذوبة منه يُفقّهك في كل شيء .

انا اتكلم ؛ لكن الله يعلّم ؛ وانا اتكلم ، لكن الله يفقه .

ليس سعيداً الانسانُ الذي يتعلّم من انسان ؛ بل من علّمه الرب وفي شريعته يفقّهه .

انا ازرع واسقي وعلى الله ان ينمي . الزارع والساقي في الخارج يعملان ؛ اما الذي يُنمي فمن الداخل يعمل .

لا تقل : اين هي وفرة عذوبة الله ؟ وانّى لي ان اظهر لك وفرة عذوبته ، وقد فقدت حاسة الذوق في حمّى الاثم . ان لم تعرف العسل ولم تذقه فلا تستطيع ان تشيد بحلاوته .

ان لم تكن حاسةُ قلبك مستعدةً لان تتذوّق عذوبةَ الله فما العمل ؟ وكيف اظهرها لك ؟ ولستَ ممّن يقال لهم : « ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب » . مزمور ٣٣ : ٩ .

ان سمعتَ ولم تفهمْ ما يقال لك فلا يتحدث الرب اليك من الداخل . يتحدّث الله الى الذين يقدّمون له محلاً ولا يتركون للشيطان محلاً آخر .

يريدُ الشيطان ان يسكن قلوب البشر وأن يُسرّ اليهم بكل ما يغريهم .

ان تركت للشيطان محلاً ، فلا تفهم حديث الله اليك ، وعقلك غائب عنه .

الله يكلّمك بحسب الروح ؛ وانت تسمع بحسب الجسد .

ان موضوع حديث الله اليك لا يلائم فيك حاسّة السمع والنظر والشم والذوق والحس . وحدهُ العقل يدركه ويتمثّله . وان كان عقلك غائباً فكيف تفهم حديث الله اليك ؟

الله يحدّثك عن مواهبه ؛ وانت تفكّر جسدياً ؛ وتعطش جسدياً ؛

وعقلك غائب . أتقفل قلبك وتشكو المفتاح ؟ آخرٌ يشغل قلبك ، وهو خصم المسيح الذي اعطيته فيه محلاً .

بابل تحملك وتلفّك وتغذيك وتتحدّث اليك ؛ انت لا تُمسكُ إلاّ بما يلمع الى حين ؛ ولا تتأمّل في الاشياء الازلية ؛ ولا تفهم الروحية .

ايها الانسان المليء بالشهوات الشريرة كيف تدرك قيمة اورشليم السماوية ؟

يجب ان تُفرغَ ذاتَك ممّا يملأها لتملأها ممّا ليس فيك .

عُدْ الى قلبك وطهّره تجد المسيحَ يحدّثك .

انا اصرخُ لكنه يعلّم ، بصَمته ، اكثر . انا اتكلّم بنبرة كلامي ؛ اما هو فيكلمك من الداخل بخوف الكلام . ويزرع كلماتي في قلبك .

عواطف وصلوات

ربّ . اريد ان امشي طال ما انا متمتع بنورك وبعقلي . حتّى اذا اهتديت اليك بفضل كلمتك الذي هو النور الحقيقي ، استحق ان يشرق النور عليّ وان لا تحيط الظلمات بي .

ان ابتعدتُ عنك فالى من اذهب ولك كلام الحياة الابدية ؟ الويل للذين يتخلّون عنك انت مرشدهم ونور عقلهم العذب المطهر في الحكمة . اظهر لي دوماً قيمتك .

الويل للذين يبتعدون عن نورك ويستمسكون بالظلام مهملين نورك .

كلامك اطيب من العسل وألذ من شهد العسل . واني اريد ان اختبر عذوبته لا بالكلام بل بالخضوع له .

الفصل الثاني : في واجب السماع للكنيسة

إن قانون الايمان يذكر الكنيسة المقدسة ، فورًا ، بعد الروح القدس.

ان نظام اعترافنا السوي يفرض على الكنيسة الخضوع للثالوث كما

يخضع البيت لساكنه ، والهيكل لله ، والمدينة لبانيها .

وهذه الحقيقة لا يجوز ان تحظى بالقبول فقط لدى هذا القسم من الكنيسة الذي لا يزال على الارض مسافراً يسبّح اسم الرب من مشرق الشمس حتى مغربها ، وينشد ، بعد الاسر ، نشيداً جديداً ؛ بل يجب ان تحظى بقبول من هم في السماء ، الى الابد ، متحدين بالله الذي اسس الكنيسة وحماها من كل شر .

ان هذه الفئة تتمتع بسعادة الملائكة القديسين ، وتعضد ، ما استطاعت، جماعتها التي تتابع سفرها على الارض ؛ لان نصيبها في المستقبل الى الابدية . وفي الوقت الحاضر ترتبطان برباط المحبة المقامة تمجيداً للاله الواحد . ومن ثم فلا الكنيسة باسرها ولا جزء منها يرضى بان يكون موضوع اكرام كاكرام الله ولا بان يقارن بين الله وهيكله المبني من الهة صنعهم الله غير المخلوق .

ولهذا لو كان الروح القدس مخلوقاً لا خالقاً لحُقّ له ان يكون خليقة عاقلة اذ هو اسمى المخلوقات .

وبما انه يختص بالكنيسة التي في السماوات ؛ فلا يقدّم في قانون الايمان على الكنيسة . قد لا يكون له هيكل؟ وقد يكون هو عينه هيكلاً ؛ بيد انّ له هيكلاً يقول عنه الرسول : « الا تعلمون انكم هيكل الله وان روح الله حالّ فيكم » ١ كور ٣:٦ .

وبالتالي ، فالله آب وابن وروح قدس يسكن في هيكله ؛ وهو الذي قـال عن جسده المركب من اعضاء الكنيسة التي صار رأسها ، ناقضاً الاولوية في الكل . « انقضوا هذا الهيكل وانا اعيد بناءه في ثلاثة ايام » يو ٢:١٩ .

وعليه فان الكنيسة المقدسة الجامعة في السماء وعلى الارض هي هيكل الله الثالوث الاقدس .

احبّ الكنيسة الكاثوليكية ؛ احبّ كنيسة المسيح حتى اذا ارتبطت بها بالمحبة وتمتعت بالاسم والايمان الكاثوليكيين أخذت الروح القدس .

ثقْ بان تأخذ الروح القدس : وبقدر ما يكون إناء الايمان الذي تقدمه الى الينبوع كبيراً بقدر ذلك يملأه لك .

احبّ الرب الهك واحبّ كنيسته : احبه أباً واحبها أماً ، أحبّه رباً واحبّها خادمةً لانّك ابن امته .

محبة عظيمة توحد هذا الزواج .

لا احد يحتقر الواحد ويستحق المكافأة من الآخر . ولا احد يقول : صحيح اني أخطأ انما لا اترك كنيسة المسيح تتعلق بالام وتحتقر الاب .

ولا احد يقول : انا لا أخطأ لكني لست في الكنيسة : واي نفع لك من مرضاة الآب الذي ينتقم للأم المهانة ؟

واي نفع لك من الاعتراف بالرب وعبادته والتبشير به ومعرفة ابنه والاقرار بانه جالس الى يمين الآب بينما تجدف على كنيسته ؟ الا تجد عبرة لك في زواج بشري ؟

هب ان لك صديقاً قديراً تزوره كل يوم مكرّماً وتضحي في سبيله كثيراً ؛ فهل تجسر ان تدخل بيته بعد ان تتهم زوجته بذنب ما ؟

ما اكثر الذين ارادوا ان يرتفعوا خارج الكنيسة الكاثوليكية ؛ واذ كانوا متمسكين بمراكزهم أبَوْا ان يعرفوا الحقيقة ! لو كان الروح القدس في قلوبهم ، ألا يتخلون عن مراكزهم ويقبلون الى الكنيسة ليجدوا فيهـا درجاتٍ يرقون عليها من فضيلة الى فضيلة واضعين رجاءهم كله بالمسيح دون ايّ انسان آخر ؟

واذا انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية وظننت ان حياتك خلو من كل شائبة فلن تحيا لأنّ غضب الله يحل عليك وقد خرجتَ عن وحدة المسيح.

عشْ في الكنيسة حياة صالحة فلا تؤذيك اخطاء الآخرين طال ما ان لكل انسان مسؤوليةً خاصة .

حافظ على الوحدة ؛ لان من عاش خارجاً عنها ، ولو عمل العجائبَ فهو كل شيء .

في الوحدة كان الشعب الاسرائيلي ولم يصنع عجائب .. وخارجاً عنها كان مجوس فرعون وعملوا ما يشبه اعمال موسى .

بطرس الرسول اقام ميتاً وسيمون الساحر صنع معجزات كثيرة ، وكان آنذاك مسيحيون كثيرون ما استطاعوا ان يعملوا لا نظير بطرس ولا نظير سيمون . ولماذا كانوا يفرحون اذاً ؟؟

لان اسماءهم قد كتبت في السماء .

بطرس طرد الشياطين . ولا ادري اذا كان انسان آخر او أيّة عجوز فازا بالايمان الكامل والمحبة لا يعملان نظير بطرس ؟

بطرس في الجسم عين وهذا في الجسم إصبع ؛ الاصبع هي من الجسم ذاته الذي منه بطرس ؛ ومع ان الاصبع ليست مقطوعة من الجسم فلا تستطيع ان تقوم بما يقوم به الرأس .

خيرٌ له ان يكون اصبعاً في الجسم من ان يكون عيناً خارج الجسم .

نداء الى الكنيسة

لولا السلطة في الكنيسة الكاثوليكية لما آمنتُ بانجيلك .

ايتها الأم المقدسة الكاثوليكية ، يا ام المسيحيين الحقة ، انتِ لا تبشّرين بواجب عبادة الله بقلب نقي طاهر ، هذا الإله الذي يسعد كل من يحصل عليه ؛ انما تحرّمين علينا عبادة المخلوقات التي أُمرنا بخدمتها . واذ تمنعين عنّا كل ما هو مخلوق قابل للتغيير وخاضع للزوال توجهيننا الى الابدية غير القابلة للفساد والتغيير هذه التي يجب على الانسان ان يخضع لها دون سواها والتي تجدين فيها كل نفس عاقلة تهوى السعادة ؛ انت لا تخلطين

بين ما تميزه الابدية والحقيقة والسلام ولا تباعدين بين ما تجمعه العظمة الفريدة؛ انما تعانقين محبة القريب والحب الذي به تستطيعين ان تقدّمي الى اعضائك الكثيرين الذين مرضت نفوسهم بخطاياهم كلّ الادوية اللازمة.

انك تعلمين الاطفال ببساطة والشبان بقوة والشيوخ بسلام ؛ ليس وفقاً لعمر كل منهم وحسب ؛ بل وفقاً لنضوج نفسه .

وتخضعين الزوجات العفيفات الامينات لأزواجهن ، ليس اشباعاً للشهوة ، بل تكثيراً للنسل واشتراكاً في الميراث .

وتريدين السلطة في العائلة للرجل ، فيوجه زوجته ، لا تحقيراً للجنس الاضعف بل حفاظاً على سُنَن حبٍّ صادق .

وتخضعين الابناء لابائهم بموجب طاعة حرة ؛ وتضعين الوالدين على رأس العائلة وتجمعين برباط الدين ، الذي هو اشدّ وامتن من ربط الدم ، الاشقاء بعضاً الى بعض ؛ وتوفّقين بالمحبة المتبادلة كل اتحاد ضروري وقرابة قائمة على ربط طبيعية حرة .

وتعلّمين الخدام التعلّق بأربابهم ؛ لا تلبية لحاجات وضعهم بل حباً بالواجب .

وتجعلين الارباب اكثر لطفاً مع خدامهم ، عطوفين اكثر منهم حزومين ؛ لان الله هو ربّ الجميع ومعلّمهم .

وتوحِدين بين المواطنين والشعوب والبشر بأسرهم مذكرةً اياهم بأنهم من اصل واحد ؛ وذلك ليس بالاشتراك وحسب بل بنوع من الاخوة .

تعلّمين الملوك الاعتناء بشعوبهم والشعوب الطاعة لملوكهم .

وتعلّمينا ان نرعى واجباتنا تجاه من نحب ونكرّم ونحترم ونخاف ونؤاسي ونؤنّب ونشجع ونؤدب ونوبّخ ونعاتِب ؛ وتقترحين العلاج المناسب لكل واحد منهم . وتعلّمينا ان هذه ليست لهم جميعاً ، خلا المحبة ، وانه لا يجوز ان نظلم احداً .

عروسك وفاديك هو رأسنا . ان كان رأساً فله جسم ؛ انت جسمه ايتها العروس . واكيد بان له جسماً اذا كان هو الرأس ، والجسم هو جسمك انت عروسه .

الرأس في السماء والجسم على الارض .

الرجل والمرأة اثنان في جسد واحد : ان هذا السر لعظيم ، يقول الرسول : انما اقول هذا في المسيح وكنيسته .

اذا كنتما اثنين في جسم واحد فانتما اثنان في صوت واحد .

عشْ في الكنيسة حياة صالحة فلا تؤذيك اخطاء الآخرين طال ما ان لكل انسان مسؤوليةً خاصة .

حافظ على الوحدة ؛ لان من عاش خارجاً عنها ، ولو عمل العجائبَ فهو كل شيء .

في الوحدة كان الشعب الاسرائيلي ولم يصنع عجائب .. وخارجاً عنها كان مجوس فرعون وعملوا ما يشبه اعمال موسى .

بطرس الرسول اقام ميتاً وسيمون الساحر صنع معجزات كثيرة ، وكان آنذاك مسيحيون كثيرون ما استطاعوا ان يعملوا لا نظير بطرس ولا نظير سيمون . ولماذا كانوا يفرحون اذاً ؟؟

لان اسماءهم قد كتبت في السماء .

بطرس طرد الشياطين . ولا ادري اذا كان انسان آخر او أيّم عجوز فازا بالايمان الكامل والمحبة لا يعملان نظير بطرس ؟

بطرس في الجسم عين وهذا في الجسم إصبع ؛ الاصبع هي من الجسم ذاته الذي منه بطرس ؛ ومع ان الاصبع ليست مقطوعة من الجسم فلا تستطيع ان تقوم بما يقوم به الرأس .

خيرٌ له ان يكون اصبعاً في الجسم من ان يكون عيناً خارج الجسم .

نداء الى الكنيسة

لولا السلطة في الكنيسة الكاثوليكية لما آمنتُ بانجيلك .

ايتها الأم المقدسة الكاثوليكية ، يا ام المسيحيين الحقة ، انتِ لا تبشّرين بواجب عبادة الله بقلب نقي طاهر ، هذا الإله الذي يسعد كل من يحصل عليه ؛ انما تحرّمين علينا عبادة المخلوقات التي أُمرنا بخدمتها . واذ تمنعين عنّا كل ما هو مخلوق قابل للتغيير وخاضع للزوال توجهيننا الى الابدية غير القابلة للفساد والتغيير هذه التي يجب على الانسان ان يخضع لها دون سواها والتي تجدين فيها كل نفس عاقلة تهوى السعادة ؛ انت لا تخلطين

بين ما تميزه الابدية والحقيقة والسلام ولا تباعدين بين ما تجمعه العظمة الفريدة ؛ انما تعانقين محبة القريب والحب الذي به تستطيعين ان تقدّمي الى اعضائك الكثيرين الذين مرضت نفوسهم بخطاياهم كلّ الادوية اللازمة .

انك تعلمين الاطفال ببساطة والشبان بقوة والشيوخ بسلام ؛ ليس وفقاً لعمر كل منهم وحسب ؛ بل وفقاً لنضوج نفسه .

وتخضعين الزوجات العفيفات الامينات لأزواجهن ، ليس اشباعاً للشهوة ، بل تكثيراً للنسل واشتراكاً في الميراث .

وتريدين السلطة في العائلة للرجل ، فيوجه زوجته ، لا تحقيرًا للجنس الاضعف بل حفاظاً على سُنَن حبّ صادق .

وتخضعين الابناء لابائهم بموجب طاعة حرة ؛ وتضعين الوالدين على رأس العائلة وتجمعين برباط الدين ، الذي هو اشدّ وامتن من ربط الدم ، الاشقاء بعضاً الى بعض ؛ وتوفّقين بالمحبة المتبادلة كل اتحاد ضروري وقرابة قائمة على ربط طبيعية حرة .

وتعلّمين الخدام التعلّق بأربابهم ؛ لا تلبية لحاجات وضعهم بل حباً بالواجب .

وتجعلين الارباب اكثر لطفاً مع خدامهم ، عطوفين اكثر منهم حزومين ؛ لان الله هو ربّ الجميع ومعلّمهم .

وتوحِدين بين المواطنين والشعوب والبشر بأسرهم مذكرةً اياهم بأنهم من اصل واحد ؛ وذلك ليس بالاشتراك وحسب بل بنوع من الاخوة .

تعلّمين الملوك الاعتناء بشعوبهم والشعوب الطاعة لملوكهم .

وتعلّمينا ان نرعى واجباتنا تجاه من نحب ونكرّم ونحترم ونخاف ونؤاسي ونؤنّب ونشجع ونؤدب ونوبّخ ونعاتِب ؛ وتقترحين العلاج المناسب لكل واحد منهم . وتعلّمينا ان هذه ليست لهم جميعاً ، خلا المحبة ، وانه لا يجوز ان نظلم احداً .

عروسك وفاديك هو رأسنا . ان كان رأساً فله جسم ؛ انت جسمه ايتها العروس .

واكيد بان له جسماً اذا كان هو الرأس ، والجسم هو جسمك انت عروسه .

الرأس في السماء والجسم على الارض .

الرجل والمرأة اثنان في جسد واحد : ان هذا السر لعظيم ، يقول الرسول : انما اقول هذا في المسيح وكنيسته .

اذا كنتما اثنين في جسم واحد فانتما اثنان في صوت واحد .

وانت هيكل الملك الابدي لانه في الوحدة . ليس الهيكل خرباً ولا متهدماً ولا متشققاً . المؤمنون بالله حجارتك الحية . والمحبة هي التي تجمع الحجارة الحيَّة بعضاً الى بعض. الرسل ، الذين ولدوك ، مُرْسَلون ؛ لقد اذاعوا الكلمة وكانوا لك اباء . وهل استطاعوا ان يظلوا دوماً اباء لك بالجسد ؟ وهل اصبحت مهجورة حين غادروك ؟ لقد استعضت عنهم ببنين لك فأقمتهم اساقفة . ودعوتهم آباء . انت ولدتهم واقمتهم في كراسي الآباء .

لا تظني نفسك مهجورة لكونك لم تعودي ترين بطرس الصخرة ولا بولس ، ولا اولئك الذين ولدوك : الابوة تجددت لك من ذريتك عينها . عوضاً عن آبائك وُلد لك بنون فأقمتهم فوق الارض كلها . ابناؤك اقيموا رؤساء على الارض كلها وابناؤك اقيموا محل آبائك .

فعلى من هجروك ان يتعرّفوا اليك ويرجعوا الى الوحدة ويعودوا الى هيكل الملك . اني ادعوك ، بحق ، ايتها الكنيسة الكاثوليكية عروس المسيح وآخذك باسلوب لي خاص . ان ابنك هذا وخادمك ، بالرغم من ضعفه ، قد اقيم ليوزّع الطعام على رفاقٍ له في المنفى .

أخرجتَني في الماضي اضاليلي من حضنك فهربت وخبرت ما لم يجب ان يكون . ومع ذلك فقد كانت المخاطر التي تعرّضتُ لها مفيدةً لك انت يا من اخدمك الآن بعد ان نجوت . ولو لم يغفر لي خطاياي عروسك الصحيح الحقيقي الذي خرجت من جنبه لكانت لجّة الضلال ابتلعتني ، والارض التي صارت حيةً افترستني لا محالة .

الفصل الثالث : في تلميذ الكتاب المقدس

ان سيدنا يسوع المسيح الانسان هو رأس وجسم ؛ ونعرف رأسه في الانسان الذي ولد من مريم العذراء : ذاك هو رأس الكنيسة .

إن جسم الرأس هذا ، هو الكنيسة ؛ تملأ العالم باسره من هابيل حتى اولئك الذين يولدون ويؤمنون بالمسيح وحتى نهاية العالم . وهو جمهور القديسين

الصائرين الى مدينة واحدة ، وهذه المدينة هي شبيهة بجسد المسيح الذي هو عينه الرأس .

فيها الملائكة مواطنون لنا . وبما انّا في سفر فنحن نتألم وهم ينتظرون في المدينة قدومنا . ومن المدينة التي عنها ابتعدنا تصلُنا الرسالات : انها الكتب المقدسة التي تحثنا على ان نحيا حياة صالحة .

ملك المدينة ذاته نزل وصار طريقاً لنا نسافر عليه حتى اذا ما سلكناه لا نضل ولا نعثر ولا نقع بين ايدي اللصوص ولا نلقي بانفسنا في الفخاخ المنصوبة لنا على طول الطريق .

فلنصغ الى الكتاب كما الى ذلك الملك . ان نظام المدرسة ومنهاجها لا يفتحان ذهنك على كتاب وحسب بل على عدة كتب ان عرفت ان تحفظ النظام .

غالباً ما يحدثك الكتاب المقدس عن المسيح بحيث انه يوصي برأسه فقط ؛ ومراراً ينتقل من الرأس الى الجسم ، اي الى الكنيسة دون ان يتحول الى شخص آخر ؛ لان الرأس لا ينفصل عن الجسم لكن يحكى عنهما كما عن شيء واحد .

طالع اذاً الكتاب المقدس بايمان واطمئن الى حقيقته ؛ إنه لفي اعلى مقام من السلطة السماوية . تعلّمْ حقاً ما هو مقبول واعلم ما يجب اصلاحه او شجبه . ولن تجد فيه الحقيقة وحدها بل الخطّة التي تنعش النفوس وتجدّدها موضوعةً وفقاً لقياسٍ يؤهلك لأن تنهل منها ما يلائمك متى دنوت منه بعبادة وتقوى وفقاً لفرائض الدين الصحيح .

ولكن ، افهم قبل كل شيء انه لا يجوز لك ان تضطرب اذا لم تفهم الكتاب المقدس . كما لا يجوز ان تستسلم الى الكبرياء متى فهمته ؛ بل اصبر باحترام الى ان ينكشف امامك معناه الخفي وارعَ محباً ما فهمت منه .

عُمْقُ كلمة الله يروّض الذوق ولا ينفي العقل . لو كان كل شيء

وانت هيكل الملك الابدي لانه في الوحدة . ليس الهيكل خرباً ولا متهدماً ولا متشققاً . المؤمنون بالله حجارتك الحية . والمحبة هي التي تجمع الحجارة الحيَّة بعضاً الى بعض. الرسل ، الذين ولدوك ، مُرْسَلون ؛ لقد اذاعوا الكلمة وكانوا لك اباء . وهل استطاعوا ان يظلوا دوماً اباء لك بالجسد ؟ وهل اصبحت مهجورة حين غادروك ؟ لقد استعضت عنهم ببنين لك فأقمتهم اساقفة . ودعوتهم آباء . انت ولدتهم واقمتهم في كراسي الآباء .

لا تظني نفسك مهجورة لكونك لم تعودي ترين بطرس الصخرة ولا بولس ، ولا اولئك الذين ولدوك : الابوة تجددت لك من ذريتك عينها . عوضاً عن آبائك وُلد لك بنون فأقمتهم فوق الارض كلها . ابناؤك اقيموا رؤساء على الارض كلها وابناؤك اقيموا محل آبائك .

فعلى من هجروك ان يتعرّفوا اليك ويرجعوا الى الوحدة ويعودوا الى هيكل الملك . اني ادعوك ، بحق ، ايتها الكنيسة الكاثوليكية عروس المسيح وآخذك باسلوب لي خاص . ان ابنك هذا وخادمك ، بالرغم من ضعفه ، قد اقيم ليوزّع الطعام على رفاقٍ له في المنفى .

أخرجتَني في الماضي اضاليلي من حضنك فهربت وخبرت ما لم يجب ان يكون . ومع ذلك فقد كانت المخاطر التي تعرّضتُ لها مفيدةً لك انت يا من اخدمك الآن بعد ان نجوت . ولو لم يغفر لي خطاياي عروسك الصحيح الحقيقي الذي خرجت من جنبه لكانت لجّة الضلال ابتلعتني ، والارض التي صارت حيةً افترستني لا محالة .

الفصل الثالث : في تلميذ الكتاب المقدس

ان سيدنا يسوع المسيح الانسان هو رأس وجسم ؛ ونعرف رأسه في الانسان الذي ولد من مريم العذراء : ذاك هو رأس الكنيسة .

إن جسم الرأس هذا ، هو الكنيسة ؛ تملأ العالم باسره من هابيل حتى اولئك الذين يولدون ويؤمنون بالمسيح وحتى نهاية العالم . وهو جمهور القديسين

الصائرين الى مدينة واحدة ، وهذه المدينة هي شبيهة بجسد المسيح الذي هو عينه الرأس .

فيها الملائكة مواطنون لنا . وبما انّا في سفر فنحن نتألم وهم ينتظرون في المدينة قدومنا . ومن المدينة التي عنها ابتعدنا تصلُنا الرسالات : انها الكتب المقدسة التي تحثنا على ان نحيا حياة صالحة .

ملك المدينة ذاته نزل وصار طريقاً لنا نسافر عليه حتى اذا ما سلكناه لا نضل ولا نعثر ولا نقع بين ايدي اللصوص ولا نلقي بانفسنا في الفخاخ المنصوبة لنا على طول الطريق .

فلنصغ الى الكتاب كما الى ذلك الملك . ان نظام المدرسة ومنهاجها لا يفتحان ذهنك على كتاب وحسب بل على عدة كتب ان عرفت ان تحفظ النظام .

غالباً ما يحدثك الكتاب المقدس عن المسيح بحيث انه يوصي برأسه فقط ؛ ومراراً ينتقل من الرأس الى الجسم ، اي الى الكنيسة دون ان يتحول الى شخص آخر ؛ لان الرأس لا ينفصل عن الجسم لكن يحكى عنهما كما عن شيء واحد .

طالع اذاً الكتاب المقدس بايمان واطمئن الى حقيقته ؛ إنه لفي اعلى مقام من السلطة السماوية . تعلّمْ حقاً ما هو مقبول واعلم ما يجب اصلاحه او شجبه . ولن تجد فيه الحقيقة وحدها بل الخطّة التي تنعش النفوس وتجدّدها موضوعةً وفقاً لقياسٍ يؤهلك لأن تنهل منها ما يلائمك متى دنوت منه بعبادة وتقوى وفقاً لفرائض الدين الصحيح .

ولكن ، افهم قبل كل شيء انه لا يجوز لك ان تضطرب اذا لم تفهم الكتاب المقدس . كما لا يجوز ان تستسلم الى الكبرياء متى فهمته ؛ بل اصبر باحترام الى ان ينكشف امامك معناه الخفي وارعَ محباً ما فهمت منه . عُمْقُ كلمة الله يروّض الذوق ولا ينفي العقل . لو كان كل شيء

مغلقاً لما كان مجال لكشف الستار عما هو ظلمة ؛ فضلاً عن ان النفس التي تُحرمُ قوتَها تفقدُ قواها الضرورية التي بها تقرع الابواب الموصدة .

ولذلك فان الله لم يحجب كنوز الكتاب ليمنعها عن عقول الناس بل لكي يذكي الشوق الى معرفتها .

احترم في الكتاب ما لا تفهم وزدْ له احتراماً كلما ازداد احتجاباً عن ناظريك . وفي الواقع ، فان احترام الشخص يزداد كلما ازدادت الحُجُبُ في بيته : فهي التي تجعل السر مصوناً وتُهتكُ امام من يحترمونها ؛ اما الذين يسخرون منها فالدنو اليها محظور عليهم .

وقلة هم الذين يتمكنون في درسهم من فهم الكتب المقدسة مع ان بابها مفتوح امام الجميع . وان ما يتضح من حقائقها لشبيه بحديث صديق حميم يلج مباشرة الى قلوب الجهال والعلماء .

ان الحقيقة المحجوبة ضمن الاسرار لا تجذب اليها ، بواسطة خطاب رفيع لا ينصب على درسه من كان بطيء الفهم ، جاهلاً ، كما هي حال الفقير امام الغني ، انما تدعو بلغة بسيطة جميع الذين تغذّيهم بالحقيقة المكشوفة ، وتدرّبهم بواسطة الحقائق المخفية التي تبدو وكأنها مجموعة في مكان سري .

وتجنباً للقرف من الامور التي تسهُلُ جداً معرفتُها يتوق الانسان من جديد الى تقصّي الحقائق الخفية ؛ ثم تدفعه رويداً رويداً تلك الرغبات المتجددة الى اجراء بحوث جديدة ، وتُصلحُ تلك البحوث العقولَ الشريرة وتغذي الضعيفة منها وتستهوي الكبيرة .

القلب المقاوم لهذا التعليم هو ذاك الذي يجهل انه تعليم خلاصي ، فيكره العلاج ، لانه مريض .

وبالتالي فلا تملْ الى الاضاليل ولا تتّهم الكتاب ان لم تفهمه . ومع ان الكتاب روحي تراه يعمل طبيعياً مع من يعيشون بحسب الجسد . ولكنه يأبى

عليك ان تظل لحمياً ؛ لان الأم تحب ان تغذي طفلها ولا تريد ان يبقى الى الابد مقمّطاً . انها تشده الى صدرها وتدفئه بين ذراعيها وتلاطفه بمداعبتها وتغذيه من لبنها وتعمل كل شيء ، في سبيله ؛ وتتمنى له النمو كيلا تظل على هذا النحو تُعنى به .

وان كنت غير قادر على قبول كلمة الله غذاء لك فاغتذ من لبن الايمان وآمن بلا تردد بالكلمة التي لا تقدر ان تفهمها .

اما ان اردت ان تتحرّرَ من الكتب المقدسة فتأمّل دائماً بتحذير الرسول القائل : « العلم ينفخ والود يبني » . ١ كور ٨ : ١ .

وان رأيت ذاتك مدركاً للكتب المقدسة دون ان تنمو فيك محبة الله والقريب فانت لم تفهم شيئاً .

ان رفعت عينيك الى الكتاب المقدس فارفعهما الى الله تجد لديه عوناً .

ارفع قلبك اليه لتفهم ما تقرأ ، ولا تقل : الكتب المقدسة هي الحّ حضوراً من الله بل هو الحّ حضوراً منها .

الكتب المقدسة ماثلة امام ناظريك والله يأمر ضميرك .

ارفع نظرك الى الكتب المقدسة وقلبك الى الله لتملأهما معاً ولكن ارفعهما بحيث ترى ما ترفع واين ترفع .

تأمّل أيَّ قلب ترفع لئلا يرزح تحت ثقل الشهوة فيبقى رازحاً قبل ان يرتفع .

عالج قلبك بالعفة لكي تجعله نقياً .

عواطف وصلوات

« ربّ ، حق هو كتابك الذي اذعتَه ، يا من انت الحق والحقيقة .

« الهي انت ؛ وانت تهتف في اذن خادمك الداخلية بصوت قوي يفتّح صممي :

« ايها الانسان : قولُ كتابي هو مقالي .

« يوم كنت طفلاً كنت اصوّب الى كتبك مهازًا يناقشها بدلاً من أن ابحث فيها
« بتقوى ؛ وكنت أوصد ، بوجهي ، بابك الذي كان عليّ ان ادفعه ؛ ولسوء اخلاقي
«كنت ازيده انغلاقاً . والسبب هو اني تجاسرتُ على البحث ، متكبرًا ، عمّا لا يجده
« سوى الودعاء . آه ! ما اسعدهم وما اطيب العلمَ الذي يقبله في الصفّ ، اولئك الذين
«لا يزالون في عش الايمان يتناولون الطعام الروحي ؛ لمّا ظننتني انا الشقي اهلاً لان
« اطير تركت العش فسقطت قبل ان اطير . اما انت يا رحيم ، فقد انهضتني لئلا يدوسني
« المارة بأرجلهم ويميتونني ، انهضتني واعدتني الى العش .

« الهي ، أصلحْ لك تسبيحاً كاملاً من الاطفال وعلى شفاه الرضع .

« انا ما عرفت قط ، ربِّ، كتباً ككتبك ، تقضي على الكبرياء بهذا الشكل ؛
وتقضي معاً على الخصم والمحامي الذي يأبى مصالحتك في الدفاع عن خطاياه .

« كلا يا ربّ ، انا ما عرفت البتة كلاماً بصفائها ونقائها ، يهيبُ بي الى الاعتراف
«ويخضع عنقي تحت نيرك ويدعوني الى خدمتك مجاناً .

« ايها الآب الصالح اجعلني افهمها وهب عبدك الحقير تلك النعمة، يا من كتبت
«كتبك بقوةٍ حباً بمن يخضعون لها » .

الفصل الرابع : في التقوى

حكمة الانسان تقواه : هذا ما جاء في كتاب ايوب البار حيث قالت الحكمة عينها للانسان .

ان خشية الرب هي الحكمة : ايوب ٢٨ : ٢٨ . فضلاً عن ان التقوى عبادةُ الله ولا يُعبَدُ الله الا بالمحبة .

وبالتالي ، فالتقوى السامية الاصيلة مرتكزة على هذه الوصية الأولى القائلة :

« أن تحبَّ الربَّ الهك من كل قلبك ومن كل نفسك » متى ٢٢ : ٣٧ .

ولهذا ، فالتقوى هي ان تحب الله ولا تُفاضُ في قلوبنا المحبةُ الا بواسطة الروح القدس الذي اعطيناه .

وعليه ، فان التقوى او عبادة الله الحق ، عبادة صحيحة مفيدة للجميع ؛ وهي التي تبعد عنّا متاعب الحياة او تخففها وتؤدي بنا الى الخلاص والحياة، حيث لا وجع بل تمتّع دائم بالخير الابوي الاسمى .

اني احثك على ان تبلغ هذا الخير ، ما استطعت اليه سبيلاً ، وان تحافظ عليه باستمرار كما اشتهيه لنفسي .

اقرع باب الحياة بقداسة حياتك يفتحه لك اله الحياة .

سل واطلب واقرع بقلبك لان الله يفتح للسائل بقلبه .

وعلى القلب ان يكون ورعاً ليسأل وفقاً لنظام ؛ ويقرع حيث يجب ان يقرع ويطلب ما هو نافع .

تقوم التقوى على ان تحبّ الله مجاناً وعلى ألاّ تطلب خارجاً عنه المكافأة التي ترجوها . اذ لا أحد خيرٌ منه ، وهل يسأل الله شيئاً ذا قيمة من لاّ يحترم الله ؟

انه يعطي الارض ، وانت تفرح يا من تحب الارض فتصير ارضاً .

ان كنت تفرح حين يعطي الارض فكم يكون فرحُك عظيماً حين يعطيك ذاته صانع السماء. والارض؟ انت تبحث كيف ترضي الله؟ وماذا تقدم له؟ قدم له نفسك .

وماذا يطلب منك الرب سوى ذاتك ؟

لقد خلقك افضل مخلوقات الارض كلها ؛ وبحث عنك بعيداً عنك؛ لانك كنت تائهاً ، فاحتقر ما انت الآن لتصير ما لست الآن .

أصلحْ نفسك وسبّح الله في يسرك واشكُ نفسك في عسرك .

يوم تأنفُ من فساد فيك ، وتصلح نفسك بمساعدة خالقك ، تستقيم وترعى التقوى والبر .

ان خدمت الله حباً بالزمنيات ، لم تكن نيتك مستقيمة .

انك تراقب من لا يعبدون الله فتجدهم يملكون خيوراً تتوق اليها بطاعتك لله ، قائلاً في قلبك : واي نفع لي من طاعة الله ؟ وهل املك ما لذلك الذي يجدّف عليه كل يوم ؟ اصلي فأجوع ؛ ويجدّف فيعيش في بحبوحة .

ان وضعت همك في هذه الامور كنت ذلك الانسان القديم ؛ لو كنت الانسان الجديد لرجوت الميراث الجديد لا القديم .

ان رجوت الجديد دُسْتَ الارض واحتقرتَ مجد العظماء ، ومتى احتقرت هذا كله تواضعت ، لئلا تزلَّ ان ارتفعت .

ارفع قلبك الى العلى الى جوار الرب . ولا تخالفه .

المتكبرون يرفعون قلوبهم الى فوق ولكنهم يخالفون الله .

ان اردت ان يكون قلبك فوق ، فالزم الرب .

وان كان قلبك ملازماً للرب ؛ فالرب يمسك به ، لئلا يسقط على الارض .

اكرم الله يكرمك الله . ان انت اكرمت الله فلست تصيّره افضل مما هو .

انت تكرم الله عابداً اياه لا حارثاً له . اما هو فيكرمك كما يحرث الحارث حقله . وبذلك يجعلك افضل مما انت كالفلاح الذي يحرث الحقل فيصيّره افضل مما كان ويطلب فيك الثمرة عينها ، تكريماً له .

اكرامه فيك ، ولذلك لا ينفك ينزع ، بكلمة ، من قلبك ، بذور الشر ويفتحه بالوعظ كما بالمحراث ؛ ويزرع بذور المشورات الصالحة منتظراً التقوى ثمرة .

وثمرتك هذه لا تُكثرُ غناك ؛ بل تزيد سعادتك ؛ ويلازمك هذا الشعور ان كنت حقاً تحب الله .

وحين تقبل راضياً بالعناية التي احاطتك بها ، تقدم له اكراماً ، ولا تنكر فضل الحارث عليك ، انما تعطيه ثمرةً ، بها يفرح .

وان اردت ان تكون سعيداً فلا تموت في خيور احببتها وبين ملذات الارض وشهواتها . فقد تكرم الله وترفع اليه الصلاة لتحيا طويلاً فيها وتحتفظ بكل ما هو لك فلا تفقد مثلاً لا الذهب ولا الفضة ولا ما يشبع لذة النظر فيك وتطالب لاصدقائك ولبنيك ولزوجتك ولزبائنك ان لا يموتوا ، وتود لو تعيش الى الابد في وسط تلك الملذات .

وبما انك لا تستطيع ان تحيا الى الابد تفهم انك صائر الى الموت فتكرم اذ ذاك الله وتبكي امامه وتسأله ان يبقي لك تلك الامور حتى ايام شيخوختك.

ولو ان الله قال لك : ها اني جعلتك وسط هذه التي تحبها خالداً الى الابد لاعتبرت كلامه هذا خيراً عظيماً ولما استطعت ان تضبط نفسك في نشوة الاعتراف بالجميل . الرجل التقي لا يسأل شيئاً كهذه لان من يكرم الله بتجرد يرغب في التأمل بمحاسن الله طول ايام حياته .

لا تسأل الله ما يدعوك هو عينه الى أن ترذله .

جزاء التقوى حياةٌ الى الابد .

لا تؤخّر توبتك الى الله يا من تثقُ بــه جزاءً لك ، انت الذي تتجه اليه .

انت تثق به جزاءً موعوداً برغم انه لم يسمح لك بالتأخر .

ويوم استأجر رب البيت عمّالاً لكرمه ، هل قال له عمال الساعة الثالثة : « رويدك نحن لا نذهب الا في الساعة التاسعة ؟ ام قال له عمّال التاسعة : لن نأتي الا في الحادية عشرة ؟ وطال ما ان الكل يتقاضون الاجرة عينها فلماذا نرهق انفسنا بالتعب ؟

ان الذي يأتيه رب البيت ويعطيه هو امر خاصٌ به دون سواه ؛ امّا انت فتعالَ ساعة يدعوك .

ومع ان المختارين يتألّقون وفقاً لاستحقاقاتهم : هذا يتألّق أكثر وذاك اقل ، فالجميع يتساوون في السعادة الابدية لان الابديّ لن يكون طويلاً بالنسبة الى هذا ، وقصيرًا بالنسبة الى ذاك ؛ لأن ما لا ينتهي ، لا ينتهي بالنسبة اليك واليّ على السواء . ويتساوى الجميع امام الجزاء انما المهم ان تعرف ساعة بدء العمل .

هبْ انك دعيت الساعة السادسة في نضرة شبابك ، ابان الساعة السادسة ، وأجبتَ الله : رويدك ، رب ، ها قد سمعت في انجيلك بان الكل يأخذون الاجرة عينها ؛ لهذا حين اصبح شيخاً ، في الساعة الحادية عشرة اجيء اليك ، ولِمَ المزيد من الشغل ؟ اتدري ان كنت ستصل الى الشيخوخة ام لا؟

ان دعيت في الساعة السادسة فتعال ، في الواقع لقد وعدك رب العمل بالاجر الذي وعد به عمّال الحادية عشرة ؛ ولكن ، من يضمن لك البقاء حتى الساعة السابعة ؟ اني لا أقول لك حتى الحادية عشرة بل حتى السابعة . ولِمَ ترجئ تلبيةَ من يدعوك يا من تأكدت من الاجر ولم تتأكد من اليوم الاخير ؟؟

ان صحّ هذا الكلام في الاولاد المدعوّين ، الساعة الاولى ، والفتيان المعيّنين للساعة الثالثة والشبان الشهوانيين ، عمّال الساعة السادسة ، فأحرِ به ان يصح في عمّال الساعة الحادية عشرة الهرمين ؛ اجل ، هي الساعة الحادية عشرة لا تزال تنتظر ايها المتخاذل عن المجيء .

عواطف وصلوات

ربي خيرٌ لي ان التصق بك ؛ اريد ان اكرمك مجاناً ، سواء أمنحتني هباتك ام اخذتها ام حبستها عني ؛ فاني اكرمك . شيئاً واحدًا اخافه وهو ان تتخلى عني .

انتزع مني ما تشاء ولكن لا تتخلَّ عني : ميراثك انا وانت ميراثي ؛ انا اكرمك وانت تكرمني : اكرامك لي لا يُلحق بك ادنى حَيْف ؛ لاني إنْ اكرمتُك إلهاً لي اكرمتَني حقلاً لك .

انت قلت : انا الكرمة وانتم الاغصان وابي الحارث (يوحنا ١٥ : ١) ، انت تكرمني وتهيّئ لي الاهراء اذا اعطيت ثمرًا . اما ان اردت ان ابقى عقيماً في عهدة حارث ماهر كهذا الحارث واعطيته شوكاً ، عوض القمح ، قضيت على الفرح ؛ وها اني امتنع عن بحث ما سيحلّ بي .

الفصل الخامس : في ان الايمان هو رأس الحياة الروحية

الايمان المستقيم هو رأس الحياة الصالحة التي تحق لها الحياة الى الابد . ويقوم الايمانُ على القبول بما لا ترى . وجزاؤه ان ترى ما تؤمن به .

زمن الايمان هو زمن الزرع . إحذرْ من أن يفوتك ؛ وثابر عليه حتى النهاية حتى تحصد ما زرعتَ .

الايمان بالله أُولى الوصايا ؛ وهو بداية الدين والحياة فيك . ثبّت قلبَك في الايمان ؛ ثم عشْ حياةً صالحة مترفعاً عن كل ما يُغري ، متحملاً آلام هذا الدهر ، حتى اذا غالت في ملاطفتك او في تهديدك لا يجرفك تيارها ولا تحطّمك شدّتها ، بل فليصمُد قلبك بوجهها .

لن تحيا حياة صالحة الا اذا بدأت تؤمن ؛ ومتى رعيتَ الايمان زيدَ لك الباقي . كثيرون يفاخرون باعمالهم ؛ وكثيرون ، ممّن لا يؤمنون ، يأبون ان يعتنقوا الدين المسيحي ، معتقدين بانهم يحيون حياة صلاح ، مكتفين بخيور هذه الدنيا ، قائلين بضرورة الحياة الصالحة . وبمَ يوصينا السيد المسيح ؟

أيوصينا بان نحيا حياة صالحة ؟ ها اننا نحيا بالصلاح وليست لنا حاجة الى المسيح :

نحن لا نقتل ولا نسرق ولا نسلب ولا نشتهي مقتنى غيرنا ولا نزني ...

لا شيء في حياتنا يستحق اللوم ، ومن لامنا في شيء صيَّرنا مسيحيين .

ان كل عمل مستقيم يأتيه انسان لا يمكن ان يكون مستقيماً اذا لم يرتبط بتقوى الله ، واذا لم يكن الايمان سبَّاقاً ، فلا صَلاحَ في الحياة .

اسمع الرسول : « وبغير ايمان لا يستطيع احد ان يرضى الله » عبرا ١١ : ٦ .

تظن ان أعمالك شجرات صالحات . إنما ، يكفي لكي تكون غير صالحة ، ان تكون بلا ثمر امام الله .

لا تعتبر صالحاً عملاً أتيتَه قبل ان تؤمن ؛ لا صلاح حيث لا ايمان .

النيّة تكوّن العمل الصالح على نور الايمان .

لا تنظر كثيراً الى ما تعمل ؛ بل انظر الى ما تبتغيه من عملك هذا ، ثم انظر الى نشاط ارادتك الصالحة .

تصوَّر ربَّاناً يقود سفينته بمهارةٍ وقد ضيع وجهة سفره ؛ اذ ذاك ماذا يفيده ان امسك جيداً بدفة السفينةِ ووجهها بحكمة وجابه الامواج بمقدمتها وحفظ التوازن لجانبيها ؟ وبالرغم من تلك الجهود الجبارة التي يبذلها ليسير بالسفينة حيث يشاء ، هَبْ ان واحداً سأله قائلاً : الى اين ؟ وهب انه اجاب : لا أدري او « الى هذا الميناء » ثم اصطدم بصخرة وتحطم .

اكيد ان ذاك الرجل الذي يقود سفينته بمهارة وقدرة نادرتين يسير بها حتماً الى الغرق .

تلك هي حال من يعدو بسرعة خارج الطريق . اليس من الافضل لهذا الربان ان يكون اضعف مما هو عليه ويسيِّر دفة سفينته بصعوبة وحذر ويحافظ على الوجهة الواجب اتباعها ؟ ليته اقل نشاطاً وحذقاً وسار في الطريق ولم يسرع خارجاً عنه .

ممتاز هو ذاك الذي يتبع الطريق ويسير عليه سيراً حسناً ثم يتبع خطاه آخر ، وان تأخر احياناً فلا يتأخر عن ضلال ، او ليبقى ؛ بل لكي يتقدَّم على مهل .

إنّا نرجو وصول من يحب ان يصل الى غايته ولو متأخراً .

تأمّل هذه المقارنة : الايمان في النفس جذر صالح يُخصبُه المطر . والكفر أصل الشرور كلها وشبيه بجذر الشوك الذي اذا سقطت عليه قطرات قليلة من المطر حوَّلته ابراً حادة .

لا جمال في الجذر الصالح انما جماله كامن في باطنه .

حين تنظر الى شجرة جميلة مخضوضرة تعجب بها ويطيب لك ان تتناول من ثمرها وان تستريح في ظلها اثناء الحر وتمتدح جمالها . واذا كشف لك عن جذرها فلا تحتقر ما خفي منه اذ عنه ينبثق ما يروقك حسنّه .

كل ما ينطلق من الايمان عظيم ؛ وهكذا فقد تعوَّد الجهال ان لا يقدروا اساس البناء حق قدره .

في البدء تحفر حفرة عميقة ثم تردمها بالحجارة بلا جمال ولا رونق ، وتنظر الى الاساس ولا تفرح به ثم تنظر الى البناء وقد ارتفع فتتعجّب به ! يا احمق ، ان ما اعجبت به مرتكز على ما احتقرته ! !

تلك هي حالك : ان لم يكن الايمان فيك سباقاً فلا مجال لحياة صالحة .

ان لم يستقم ايمانك فلست باراً ؛ لان البار بالايمان يحيا . وان لم يكن فيك ايمان فلا مجال للصلاة ، وكيف تصلي لمن لا تؤمن به ؟ الايمان هو ينبوع الصلاة . ويُظهرُ الرسول ان الايمان هو ينبوع الصلاة وان الساقية تجف متى جفت ينابيعها قائلاً : « وكيف يدعون الى من لم يؤمنوا به » ؟ رومية ١٠ : ١٢٤ .

وبالنتيجة آمن لكي تصلي : وصلِّ حفاظاً على ايمانك الذي به تصلي .

الايمان يفيض صلاة : والصلاة المفاضة تقوي الايمان .

وحفاظاً على الايمان من التجارب قال السيد : « إسهروا وصلوا ليلا تدخلوا في تجربة » . لوقا ٢٢ : ٤٦ .

الدخول في تجربة خروج عن الايمان وبقدر ما يضعف فينا الايمان

تَقْوى علينا التجربة وبقدر ما نقاوم التجربة يقوى فينا الايمان .

الايمان النقي يحيا وسط تجارب هذا العالم وضيقاته : العالم يهتز ؛ اما الايمان فلا يتزعزع . آمن تصبحْ اهلاً لان تفهم : على الايمان ان يسبق الادراك ليكون الادراك جزاء الايمان . والنبي أوضح هذا الامر حين قال : « وانتم ان لم تصدقوا فلن تثبتوا » اشعيا ٧:٩ .

من اللازم أن تؤمن بما تبشر به ببساطة لان غاية العقل ان يناقش بدقة . بالايمان تتحد وبالعقل تحيا . يجب عليك قبل كل شيء ان تتحد بواسطة الايمان لتحيا بواسطة العقل .

ان لم تتحدْ تقاوم ؛ وان كنت تقاوم فلست مؤمناً . وان كنت تقاوم فكيف تحيا ؟ انك تجعل نفسك عدواً لشعاع النور الداخل فيك ، حين لا تشيح بنظرك عنه ، بل بعقلك . وتقول : كل واحد على الاطلاق يريد ان يفهم . فمن الواجب عليَّ اذاً ان افهم حتى أومن . فأجيب آمنْ تفهم . الايمان مرقاة ، عليها، تبلغ الفهم ، والفهمُ جزاء الايمان .

للايمان نور خُصَّ به دون سواه من الكتب المقدسة والانبياء والانجيل والقراءات الرسولية .

ان كل من يقرأ في حينه لهو شبيه بسُرج في ظلمة تساعدك على ان ترى النور .

يا احمق ، اتريد ان تصعد وتنسى المرقاة ؟؟ ! !

لو تمكنتُ الآن من ان اريك ما سوف ترى لما حرضتك على الايمان ؛ لان الايمان هو الايقان بحقيقة الامور غير المرئية » عبرانيين ١١:١ .

اعطاك الله عينين جسديتين وعقلاً باطنياً : ايقظ عقل قلبك وارفع الساكن في عينيك الباطنيتين ليفتح نوافذه ويتأمل في خليقة الله .

في باطنك يقيم من ينظر من خلال عينيك . اذا فكرت بعكس الحقيقة التي فيك فلا ترى ما هو امامك .

عبثاً تُشرع النوافذ في غياب من يُحبّ ان ينظر من خلالها .

الاعين لا ترى انما هنالك من يرى بواسطتها : ايقظه وارفعه !

ارفع نظر العقل واستعمل عينيك كانسان ، انظر الى السماء والارض . الى السماء الجميلة والارض الخصبة والطيور الطائرة والاسماك السابحة في المياه والى الزروع النامية والاوقات المنظمة ، تأمّل هذه كلها وابحث عن صانعها انظر الى ما ترى واسألْ عمّا لا ترى .

آمن بما لم ترَ من اجل الاشياء التي تراها . زمن الايمان زمن شاق ومن ينكره ؟ انما العمل موعود بالمكافأة .

لا تكن كسولاً في عمل ترجو عليه اجرًا . الايمان يدرك ما لا يدركه العقل البشري وحيث يعجز العقل ينجحُ الايمان ، وحيث يعجز العقل ينمو الايمان .

عواطف وصلوات

عليَّ ان ابدأ يا ربّ بالايمان لاصل الى المشاهدة : اني اعدو على الطريق في طلب الوطن وتقول نفسي في السفر : « ايها السيد ان بغيتي كلها امامك وتنهّدي غير خفيّ عليك » (٣٧:١٠) .

وفي الوطن لن يبقى مجال للصلاة بل للحمد لان كل شيء موفور . سوف ارى هناك ما أؤمن به هنا ، وما ارجوه هنا سوف احصل عليه هناك ، وما اطلبه هنا سوف اناله هناك .

انظر الآن ما ارى واؤمن بما لا ارى .

لقد دعوتني الى الايمان ولم تتخلَّ عني ، وبرغم انك امرتني بان اؤمن بما لا استطيع ان اراه ، فلم تتركني بدون رؤية شيء ، اؤمن بواسطته بما لا ارى .

ما كنت قادراً على ان اراك إلهاً بل إنساناً . لقد صرتَ انساناً ليكون من اراه واؤمن به واحداً .

الفصل السادس : في ان التواضع ضروري لبلوغ الايمان

دواء مرضك تواضع المسيح ، ولا هلاك لك الا اذا أصبت بداء الكبرياء ؛ اصل الخطيئة فيك الكبرياء ، والبر ضروري أصلاً لمقاومة الخطيئة في اصلها . ان كانت الكبرياء اصل كل خطيئة فأنّى لورم الكبرياء ان يشفى لولا تنازل الله واتضاعه .

ولذلك فقد تنازل السيد المسيح واتضع مبيّناً لك الطريق الواجب سلوكه اذا شئت . اتضاع الرب في نظر المتكبرين غير لائق ؛ ولذا فالشفاء بعيد منهم .

لا ترتفع ، بل انحدر اذا شئت ان تُشفى .

واذا شئت ان تبلغ الى سموّ الله فابحث عنه اولاً في تواضعه .

اتضع ان شئت ؛ فالتواضع مفيد لك لان الله قد اتضع من اجلك وليس من اجله .

خذ المسيح المتواضع وتعلّم منه التواضع ؛ اياك والتكبر .

حين تأخذ تواضعه ترتفع معه ، وترتفع ليس كما يرتفع هو بل انه يرفعك معه رويداً رويداً .

في البدء كان عقلُك متارجحاً بين الشك واليقين : امّا بعد فسوف تفهم بثقة ووضوح . هو لا ينمو ؛ امّا انت فتدنو منه وكأنه مرتفعٌ معك .

آمن بوصايا الله واعمل بموجبها ليعطيك القدرة على الفهم .

لا تعتدّ بعلمك ولا تؤثره على وصية الله مخافة ان تخسر قدرتك وتضعف .

انظر الى الشجرة كيف يبدأ النمو من أسفلها ثم ترتفع في الجو . جذورها في الارض ورواسيها الى السماء . وهل تستطيع الشجرة ان ترتفع في الجو اذا لم تعتمد على جذورها في الارض ؟

إن شئت ان تبلغ السموات ، بمعزلٍ عن التواضع والمحبة ، فلا اصل لك .

حينذاك تطلب الهلاك ، لا النمو ، وتبتغي الريح .

المسيح يسكن في قلبك بالايمان ، تأصّل في المحبة واثبت فيها لتمتلئ من الله . اسمع شهادة الرب القائل : « اعترف لك يا ابت ، ربّ السماء والارض ، اذ أخفيت هذه عن الحكماء والعقلاء وكشفتها للاطفال » متى ١١ : ٢٥ .

لا تفهم هذا الكلام بغير معناه : لقد اخفاها عن الحكماء والعقلاء ولم يكشفها للجهال والبلهاء بل اظهرها للاطفال .

لم يضع مقابل الحكماء والعقلاء الجهال والبلهاء ، بل الاطفال .

ألم يعنِ الرب بالحكماء والعقلاء اولئك المتكبرين حين قال : « لقد كشفتها للاطفال » ؟ لقد اخفيتها عمن ليسوا صغاراً . وماذا يعني بكلامه هذا ؟ يريد : عمّن ليسوا متواضعين ؛ ومن هم غير المتواضعين سوى المتكبرين ؟

كن طفلاً ، لانك لو شئت ان تكون كبيراً نظير الحكيم والعاقل فلا تنكشف لك طريق الرب .

اسمع الرسول . « زعموا انهم حكماء فصاروا حمقى » . رومية ١ : ٢٢ .

اتّخذ لك علاجاً يضاد هذا القول : ان كنت تصير جاهلاً لمجرد ادعائك الحكمة فما لك سوى ان تعترف بجهلك لتصير حكيماً .

ولكن قل هذا القول وفكر به باطنياً لان الحقيقة باطنية .

واذا قلت ، فلا تقل امام الناس وحسب بل فليكن كلامك امام الله .

يقوم المعتقد المسيحي على التواضع ويوصي به ؛ فلا تفاخر انت الا بصليب ربنا يسوع المسيح . غلاطية ٦ : ١٤ .

ليس من الحكمة ان تفاخر بحكمة المسيح انما خير لك ان تفاخر

بصليبه الذي من اجله يحتقرك الكافر ويمتدحك التقي . إنّ المسيحي يفاخر بما يحتقره المتكبر .

قال بولص الرسول انه لا يعرف شيئاً الا يسوع المسيح واياه مصلوباً ١ كور ٢:٢ . اذا كانت معرفته محصورة بهذا الشكل فمعرفة الباقي مضمونة له .

انه لشرف للانسان ان يعرف المسيح مصلوباً ، لكن المسيح قد وضع كنزه امام الصغار وكأنه خفي .

ما اكثر غنى هذا الكنز الباطني ؟ « احذروا من ان يسلبكم احد بالفلسفة والغرور الباطل حسب سنّة الناس على مقتضى اركان العالم لا على مقتضى المسيح المكنون فيه جميع كنوز الحكمة والعلم ... » كولسي ٢:٨،٣ احذر من ان تسلبك الحكمة باسمها . ولذلك فاطلب الكنز المخفي وصلّ كي ينكشف لك . ايها الفيلسوف العالمي الاحمق تطلب ما ليس شيئاً ؛ وتُغفل ما هو كنز لك !!

وماذا ينفعك العطش الى المعرفة يا من تمر امام الينبوع ولا تتوقف عليه؟ تحتقر التواضع لانك لا تعترف بالعظمة ؛ لكن الحكمة تصغي الى ما تأبى الكبرياء ان تصغي اليه .

لا تطلب ما يرتفع في قلبك بل اطلب ما يستحق قلبك ان يسمو اليه .

ان تعلمت ان تفتخر بالمصلوب اخذت المجد من الملك . كثيرون رأوا الهدف وما اكتشفوا السبيل اليه . لقد احبوا الوطن العلوي وجهلوا سبيل التواضع .

ابحث عن كنزك في ما تخجل منه الفلسفة المتكبرة لانك لن تستطيع الوصول الى كنزك اذا احتقرت الحجاب الذي يغطيه .

في التواضع العظمة وفي الضعف القوة وفي الموت الحياة . ان اردت الوصول الى الواحد فلا تحتقر الآخر .

لا تستكبر ، فالايمان نعمة من الله تُعطى مجاناً وليست اجراً على عمل ؛ بل رحمة من قبل المعطي .

ايمانك هبة من الله وليس حقاً لك .

اسمع قول الرب : « لا يقدر احد ان يقبل اليّ ما لم يُعْطَ له ذلك من ابي . » يوحنا ٦:٦٦ ويُمارَس هذا العنف على القلب وليس على الجسم .

آمنْ فتأتي وأحببْ فتُدعى .

عذبة هي تلك الشدة وطيبة ، وطيبتها تدعوك .

النعجة الجائعة تندفع الى العشب حيث تراه ! اليس كذلك ؟

هلمّ الى المسيح ولا تخف من طول الطريق : آمن وتعال .

يُقبلُ الانسان الى من هو في كل مكان ، سالكاً سبيل الحب دون البحر . وبما انه طريق محفوف بشتى التجارب والعواصف والانواء ، آمن بالمصلوب يكن ايمانُك على خشبة الصليب في مأمن منها . اذ ذاك تُحمل على الخشبة وتنجو من الغرق .

ان كنت مؤمناً فافرح بما اعطيت . اشكر ، بقلب متضع ، الربّ الذي احسن اليك لئلا تخسر متكبرًا ما نلته متواضعاً .

عواطف وصلوات

ربّ ، انا لست نورًا لذاتي ، باستطاعتي ان اكون عيناً لا نورًا ؛ وما نفع العين المفتوحة ، السليمة ، اذا غاب النور؟

اهتفُ واقول : إنك انتَ سراجي . الربّ إلهي ينير ظلمتي (مزمور ١٧:٢٩) .

ظلمةٌ انا ، امّا انت فنور يبدد ظلمتي وينير لي بضياء لا ينبثق عني بل عنك وحدك .

انتَ النور وانا السراج المضاء . وكل ما يضاء قابل للانطفاء . سأرفض ريح الكبرياء مخافة ان ينطفئ السراج .

الحكماء والفهماء يحسبون انفسهم نورًا ، وهم ظلام ؛ ولذلك فهم لا يستنيرون . اما انا الظلمة ، والمعترف بأني ظلمة ، فعليّ ان اكون طفلاً ، متواضعاً ، غير متكبر .

عليّ ان اعرف نفسي واسبحك ، اغثني كيلا ابتعد عن طريق الخلاص . بقلب نقي اتجه اليك قدر ما تسمح لي حقارتي ؛ واليك ارفع شكري الحميم ، ملتمساً ، من صميم فؤادي ، حلاوةً فيك لا توصف ، حتى اذا حسنت امامك صلاتي قبلتها . صدّ عني ايها القدير عدوَّ افعالي وافكاري ؛ وزدني ايماناً واضبط فكري وهبني الافكار الروحية وبلّغني السعادة بابنك يسوع المسيح آمين .

الفصل السابع : في انه لا يجوز ان تخجل من الايمان بالمسيح

على الوجه جبين وفي الضمير جبين .

وغالباً ما يحمر الجبين الخارجي اذا ما صفع الجبين الباطني : يحمرّ خجلاً او يصفر خوفاً .

من المهم جداً ان تعرف علامة المسيح فيك : أفي قلبك هي فقط ام على جبينك وفي قلبك ؟

ان حملت في قلبك تواضع المسيح فاحمل على جبينك تواضعه علامةً اقول هذا لان الكثيرين يؤمنون به في قلبهم ويخجلون من الاعتراف به بشفاههم . وما نفع الايمان الباطني للبر اذا كان اللسانُ يتردد في التعبير عما في القلب .

الله يرى الايمان الباطني ولكنه غيرُ كاف . انك تخشى المتكبرين فتمتنع عن أن تقر بتواضعك وتفضل المتكبرين على الذين لم يرضهم بسببك وتخشى ان تعترف بتواضع ابن الله : انت لا تخجل من الاعتراف بكلمة الله عظيماً وقديراً وحكيماً ؛ بيد انك تخجل من الاعتراف به مولوداً ومصلوباً ومائتاً .

ان العلي المساوي للآب خالق كل شيء الذي خلقك وصيّرك ما انت عليه قد صار بشراً وولد ومات من اجلك .

ايها المريض كيف تبرأ من مرضك وانت تخجل من دوائك ؟ اختر الوقت : ها هوذا الزمن قد حضر ، لانه سوف يأتي ممجداً ، من قد احتُقر ؛ ودياناً من قد حكم عليه ، وسوف يقيم الناس من قد قُتل ، وسوف يؤيده الكل بعد ان رذل .

تأمل في الحاضر والمستقبل : الحقيقة الآن هي موضوع ايمان ؛ اما بعد فستظهر وتنجلي ؛ إخترْ الآن النصيبَ الذي تريده لك في المستقبل .

اتخجل من اسم المسيح ؟ ان ذاك الذي تخجل منه اليوم بين الناس سوف يخجل منك عندما يأتي ممجداً ليمنح الصالحين ما وعدهم به وينزل بالاشرار ما هددهم به .

وانت ، اين تكون ؟ وماذا تعمل ان تفرّس فيك العلي قائلاً : «خجلتَ من تواضعي فلن تتمتع بمجدي» ؟ اطرح عنك الخجل الكاذب وأقم محله جرأةً خلاصية ، ان حق لنا ان نسمّيها جرأة .

لا تخجل باسم المسيح : تُهان لانك تؤمن بالمصلوب الذبيح .

انك لتؤمن حقاً بمن نفذ فيه حكم الموت . ولكن لولا دمه المسفوك لبقي عليك صك خطاياك . فضلاً عن ذلك ، انت تؤمن بهذا المصلوب ؛ لكن الذي مات فيه هو ما اخذه منك وليس تلك القدرة التي بها خلقك .

منك اخذ صورة العبد ولأجلك أخذها ؛ فولد فيها وتألم وقام وصعد الى السماء .

لقد قلت اربعة اشياء : ولد ومات وقام وصعد الى السماء .

اثنان للبداية واثنان للنهاية : الاول والثاني ولادة وموت ، والثالث والرابع قيامة وصعود الى السماء . في البداية اظهر طبيعتك البشرية وفي النهاية علمك ما ستكون مكافأتك .

تعلمُ بأنك مولود حكم عليه بأن يموت ؛ وتجهل انه يجب عليك ان تقوم من الموت وتصعد الى السماء .

لقد اخذ ما كنت تعرف واظهر ما كنت تجهل ؛ فتحمَّل ما اخذ وترجَّ ما اظهر. « ايـّها التابع المصلوب ، المتعبد شرّاً لميت ، والمعجَبُ بمتألم، عليك أن تفاخرَ باهانةٍ توجّه اليك من اجل المسيح.

ان خجلت في مثلِ هذه المناسبة متَّ.

تأمّل كلام ذاك الذي ما غش البتة احداً ، حيث قال : « من ينكرني قدام الناس انكره قدام ملائكة الله » . متى ١٠ : ٣٣ .

اذا أُهين المسيحُ ، فافخرْ وارفع رأسك ؛ ومِمَّ تخشى على جبينك الذي سلحته بعلامة الصليب ؟ المسيح مات لاجلك يا كافر . ومع انك كنت عدواً له فقد صالحك الله بموت ابنه .

ها انت تلقى من المسيح اعظم محبة : لقد قدّم حياته لاجلك يوم لم تكن له صديقاً واسلم ذاته عنك يوم كنت له عدواً . فما اعظم محبة الله وتضحيته في سبيلك . لقد احبك يا خاطئ حباً دفعه الى الموت من اجلك .

اتؤمن بهذا وتخجل من الاعتراف به ؟ آمن ولا تخجل من المجاهرة بايمانك حباً بخلاصك . إسمع قول الرسول . « بالقلب يؤمن الانسان للبر وبالفم يعترف للخلاص » . رومية ١٠ : ١٠ .

ما ترددتَ ولا خجلتَ بايمانك في البدء يوم قبلت على جبينك ، في مقر الشرف ، علامة المسيح . ارسم الاشارة من جديد على جبينك ؛ لئلا يُفسدَ عليك صفوك لسان غريب .

لا تخجل من عار الصليب الذي قبله الله نفسه ، حباً بك ، وردِّدْ مع الرسول : «امَّا انا فحاشا لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح» . غلاطية ٦ : ١٤ .

ان ذاك الذي صلبه شعب واحد يملُكُ الآن حقاً في قلوب جميع المؤمنين به .

ربِّ ، اريد ان أضع شعارك على جبيني ؛ ولن اخجل منه اذا طبعته في قلبي .

شعارُك التواضع : بالنجم عرفك المجوس فكان هبة سماوية نيّرة منك اليهم ؛ ولم تشأ ان يكون النجم شعاراً لك فوق جبيني ، بل الصليب .

تواضعك عنوان مجدك يا رافع المتواضعين بتنازلك وتواضعك .

صليبك مصباح كبير ؛ وان اردت ان اضيء فلن اخجل من خشب المصباح .

عجزتُ عن ان انير ذاتي لأكون سراجاً وما تمكنتُ من اتخاذ محل فوق المصباح : تمجدت يا من اعطيتنيه ، سوف اتمجد بك فوق المصباح ؛ ان راح المصباح سقطت انا .

حاشا لي ان افتخر الا بصليبك ، وليصلب لي العالم كما أنا صُلبْتُ للعالم . أغثني كيلا اطلب السعادة من العالم ، وأغثني فابتعد عن سعادته .

العالم يمالق ، فجنّبني فساده . العالم يهدد ، فاجعلني لا اخشى هجماته . مجدي فوق المصباح ؛ عليَّ ان احتفظ لسراجي بالتواضع مخافة ان تطفئه الكبرياء .

الفصل الثامن : في ان الايمان بدون اعمال ميت

عظيم هو الايمان ؛ انما لا فائدة منه إن خلا من المحبة .

إرفع الايمان يسقطْ ما تؤمنُ به وارفع المحبةَ يسقطْ ما تعمل ؛ لأنَّ غايةَ الايمان ان تؤمن وغاية المحبة ان تعمل .

ان كنت تؤمن ولا تحب فلست تسعى الى الصلاح ، وان سعيتَ فسعيَ عبدٍ لا سعيَ ابنٍ ؛ وخوفاً من العقاب لا حباً بالبر .

فالايمان الذي ينقّي القلب هو الذي يعمل عن محبة .

ان آمنتَ بالمسيح ، ضماناً للطمأنينة في الخطأ ، ضللتَ كثيراً ؛ لان المسيح الذي تنازل وجاء لمساعدتك ، شفقة عليك ، لن ينفعك اسمُه متى باشر قضاءه الصارم .

« ليس من يقولُ لي يا رب يا رب يدخلُ ملكوت السماوات بل من يعمل مشيئة ابي ، وكثيرون يقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب باسمك اكلنا وشربنا » متى ٧ : ٢١–٢٢ الشجب هو نهاية جميع المدمنين على امثال تلك الافعال : ومتى رأيت عدداً كبيراً منهم لا يكتفون بتلك الافعال بل يعذرون من يقوم بها ويشجعونه، التزم انت شريعة الله ولا تتبع مخالفيها .

ولن تدان بحسب افكارهم ؛ بل وفقاً لحقيقة الشريعة ؛ ولا تقتصر على ما استحقّه لك ايمانك من فضل ؛ بل زدْ عليه الرجاء والمحبةَ ولا تقلقْ لما سيكون .

المحبةُ لا تستطيع الا ان تعمل ؛ اعطني محبة خاملة ، جامدة لا تعمل . اليس الحب هو الذي يأتي الافعال السيئة والقبيحة والقتل وسائر السفاهات ؟

نقّ حبّك وحوّل الى البستان ماء القاذورات . واجعل ما في حبك للعالم من زخمٍ دافعاً له الى خالق العالم .

وما نفعك من التبشير بالحقيقة اذا كان قلبُك مخالفاً للسانك ؟ وما نفعك من سماع الحقيقة ان كنت لا تبني على صخرة ؟

ان سمعتَ وعملت بنيتَ على صخرة ؛ امّا ان سمعتَ ولم تعمل بنيت على الرمل وان بنيت على الرمل فللخراب تبني : ان لم تبن على صخرة طمى السيل وجرفك وصرت بلا مأوى .

ان سمعت كلام الله ولم تعمل به كنت كمن يأكلُ جيداً ويصعب عليه ان يهضم ما يأكل ؛ فلا يستبقي خلاصة ما يأكل بل ينبذ الطعام فضلاً عن التقزز الذي يتسبب له من عسر الهضم .

وايّ نفعٍ لك من الايمان ان كنت تجدّف ؟ انت تعبد المسيح في رأسه وتجدّف عليه في جسده . ان كنت قد انفصلت عن الجسد فالرأس لا ينفصل عن جسده بل يناديك من فوق : « بلا سبب تكرمني » ...

ان الاعتراف بالمسيح حباً بعبادته شيء والاعتراف به ، صدّاً له ،

شيء آخر . قال بطرس تمسّكاً بالمسيح : « انت هو المسيح ابن الله الحي » متى ١٦ : ١٦ ، وقالت الشياطين صدّاً له عنهم : « نعرف انك انت ابن الله » مرقس ٢ : ١٢ .

ايمان المسيح متحد بالمحبة وايمان الشيطان خالٍ من المحبة : ومن لا يؤمن فهو شرّ من الشيطان واكثر تأخراً منه .

وان قالت الشياطين نعرف انّك انت ابن الله ، « فهل هذا يعني انهم يملكون معه الى الابد ؟ حاشا .

وعلى سؤال المعلم : « من انا على حدّ قولكم ؟ » اجاب بطرس : « انت المسيح ابن الله الحي » فقال له الرب : « طوبى لك يا سمعان بن يونا » متى ١٦ : ١٥ .

وقال له الشياطين الكلامَ عينَه . ولماذا ليسوا سعداء ؟ لانهم قالوا ذلك عن خوف ، وبطرس قال عن محبة . انك سمعتَ اعترافاً مماثلاً انما لا تجدُ محبةً مماثلة .

الكلام هو هو ؛ انما الرب يسأل الاصلَ ولا يسأل الزهرة .

اسمع القديس يعقوب : « ما المنفعة يا اخوتي اذا قال احد ان له ايماناً وليست له اعمال ؟ العلّ الايمان يستطيع ان يخلصه ؟ الايمان بغير الاعمال ميت » . يعقوب ٢ : ١٤–٢٠حتى مَ ينخدع اولئك الذين يعدون نفوسهم بحياة خالدة انطلاقاً من ايمان ميت ؟ اسألك أتؤمن ام لا ؟ قل لي . وتقول : اني اؤمن . اعمل بما تقول ؛ وذلك هو الايمان . ولا تسبّح الله بصوتك وحسبُ ؛ بل فلتأتلف اعمالك مع صوتك في تسبيحه .

تنشد ، احياناً بصوتك ، واحياناً اخرى ، تسكت ؛ إجعل حياتك كلها نشيداً مستمراً وليكن صوتك في اعمالك . اكفر بالعالم اولا وتصدق على المحتاج ؛ وانبذ ما يهواه العالم ولا تبال بالاهانات ؛ ولا تبغ انتقاماً من أحد؛ بل قدّم خدك لمن يصفعك وصلّ لاعدائك ولا تطالب احداً بمال لك

اخذه ؛ وان أسأت الى احد في رزقه فعوّض عليه اربعة اضعاف .

وليكن حبك لله ، في ما تصنع ، حباً منزهاً عن كل شيء وحُبك لقريبك ، خيراً .

لا شيء لك تقدمه الى الله ؛ انما لك ما تعطي القريب : آس البائس يغزُر فضلك ، وأعط ممّا لك ، من لا يملك شيئاً ، ووزّع الفائض عنك على الفقراء .

ان كنت ذا مالٍ فأطعم المسكين ؛ واكسُ العريان ؛ وابن كنيسةً واعمل الخير جهدك .

وان كنت ذا فطنة فدبّر القريب وبدّد منه ظلام الشك بنور التقوى .

وان كنت ذا علمٍ فخذ من مخزن الرب ؛ وغذّ اخوتك وقوّ المؤمنين وادعُ التائهين وابحثْ عن الضالين واعمل كل ما تستطيع .

إنّا لنجدُ بين المساكين انفسهم من يعرفون كيف يُبذلون نفوسهم فيقدم هذا رجله لأعرج وذاك عينَه لأعمى وآخر يعود المرضى وآخر يدفن الموتى.

انها لأمور يستطيع كلّ واحد ان يقومَ بها ؛ وبات من الصعب جداً وجودُ من لا يستطيع ان يقدم لقريبه شيئاً .

وعلى هذا النحو تتم وصية الرسول : « احملوا بعضكم اثقال بعض وهكذا أتموا ناموس المسيح » غلاطية ٦:٢ .

ان كان هذا الايمان ايمانك فانت احد المختارين المنتخبين المبرّرين فاعمل اذن على ان تنميه فيك .

عواطف وصلوات

يا سيدي يسوع المسيح اني اؤمن فاجعلني احبك بهذا الايمان : لان من يؤمن بك يحبك لا كما كان الشياطين يؤمنون ولا يحبون : ومع انهم آمنوا فقد كانوا يقولون : « ما لنا ولك يا ابن الله » ؟ (متى ٨:٢٩) .

اجعلني اقرن المحبة بالايمان ، فلا اقول : « مالي ولك ؟ » بل لقد افتديتني يا رب فسأتمسك بك .

اليك اصرخ ، اغثني لئلا تخرس فيّ اعمالي ويظل صوتي مدوياً .

اليك اصرخ ، كافرًا بالعالم وملذاته وموزعاً مالي على المساكين .

اليك اصرخ قائلاً بحياتي لا بل فيّ : لقد صُلِبَ لي العالم وانا صُلِبْتَ للعالم (غلاطية ٦:١٤)

اليك اصرخ موزعاً مالي على الفقراء والمحتاجين .

سوف اقرن حياةً مستقيمة بايمان مستقيم ! اعترف لك بكلامي فانطق بالحق ، واعترف لك باعمالي فأحيا حياة صالحة .

الفصل التاسع : في ان الرجاء هو رفيق الايمان

ان كنت حائزًا الايمان الذي يعمل بالمحبة فمن الضروري ان ترجو ما وعد الله به لان الرجاء للايمان رفيق .

الرجاء ضروري طال ما انك لا ترى ما تؤمن به ، خوفاً من ان تيأس ممّا لا ترى فتفقد الايمان .

انت تحزن لانك لا ترى ، ولكن تعزّ لانك ترجو ان ترى . فليكن الرجاء معك رفيقاً للايمان .

ضيقٌ لك في الزمن الحاضر ورجاءٌ في المستقبل؛ فاذا لم تجد عزاء عن ضيقٍ لك حاضرٍ في رجاء المستقبل هلكت لا محالة .

ليس فرحُك ، الآن واقعاً بل رجاء . ولكنه رجاءٌ اكيد ، كما لو كان حقيقة ، اذ لا خوف على ما وعدتْك به الحقيقةُ لانها لا تغش ولا تغش ، ولذلك فمن المستحسن ان ترتبط بها ؛ ان ثبتت في كلامها حررتك .

في الحاضر تؤمن وفي المستقبل ترى ، طال ما انت تؤمن فالرجاء قائم في هذا الزمان .

وحين ترى يصبح الرجاء حقيقة والمشاهدة تكون وجهاً لوجه .

طال ما انت في هذا الجسد فانت بعيد عن المسيح .

انت مسافر تتقدم بالايمان وليس بالمشاهدة .

اذا سافرت وسرت بالايمان بقيت على الطريق وما بلغت الوطن . ولكن اذا لم تؤمن فلست تبلغ الوطن ولا تسير على طريقه .

وبالنتيجة عليك ان تسير سيراً يحفظك على الطريق ، ملَكَ الوطن جعل نفسه طريقاً ؛ اثبتْ في كلام الرب الهك لئلا تخجل عند مجيئه .

خلاصك الآن قائم على الرجاء ، وليس على الحقيقة ؛ لانك لم تنل حتى الآن ما وُعدت به بل ترجوه .

الواعد أمين لا يغشك ؛ انما عليك انت ألاّ تتركه بانتظار ساعة الجزاء .

اياك والكذب ؛ كأن تقول شيئاً وتعمل آخر . إحفظ ايمانك يحفظ لك وعده . واذا لم تحفظ الايمان حرمت نفسك بنفسك ولا شأن للواعد بما قد يحدث .

إسمع صوت الله الذي يعد . وكأني به يقول : صوت المسيح .

اني احفظ لك ما وعدتك به : رجاء الكفرة في الحاضر ورجاؤك للمستقبل ؛ رجاؤهم زائل ورجاؤك مضمون . رجاؤهم كاذب ورجاؤك حق .

اذا دعوتني جئتك وكنت لك ثروة .

انا ثروتُك . بكل جوارحك تطلبُ ما تريد . ولمَ تريد في الوقت الحاضر صندوقاً مليئاً وضميراً فارغاً ؟؟

انا لا أملأ الصندوق بل القلب . وأيّ نفعٍ لك من الثروات الخارجية اذا كان الفقر الداخلي يضغط عليك ؟

ان الذين يدعونني ، طمَعاً بالمكاسب الزمنية والخيور الارضية والحياة الحاضرة والسعادة العالمية ، لا يدعونني حقاً .

عُدْ الى عذوبة الروح القدس تعلّمك من الداخل ما لا يستطيع الناس ان ينطقوا به ؛ وبما انك لا تقدر ان ترى فاجعل رغبتك واجبة .

حياة المسيحي الصالح رغبة مقدسة : انت ترى ما لا تشتهي ؛ ولكن ، حين تشتهي ، تصبح أهلاً لأن تحوز ما تشتهي . ومتى جاء زمنُ المشاهدة تذوق كمال ما تشتهي .

وكما انك اذا اردت ان تملأ كيساً ووجدت ان ما تريد ان تلقيه فيه كبير ، فتشدُّ باطرافه باسطاً إيَّاها كذلك أصنعُ معك فارجئ المشاهدة لازيد من شوقك فيتسع قلبك ويصبح اكثر جدارة .

الشوق المقدس يدرّبك متى فصلْتَ مطامعك عن حب العالم .

عليك ان تمتلئ خيرًا وتطرح الشرّ جانباً ؛ واعلم اني لا أريد ان املأك عسلاً اذا كنت مملوءًا خلاً ؛ واين اضع العسل ؟

اسكُبْ ما في الاناء وطهّره .

إرفع قلبك وتنشّق هواء الحياة والحرية التي لا أضمن منها ؛ لاني اعطيتك ان تصير ابناً لله . جميل هو وغير قابل للتصديق ، على ما يبدو ، ما قد وعدتُك به .

ومن ذا يتصور بان ابن الانسان يصير ابن الله ؟

شيّد الرجاء في قلبك واطردْ منه عدم الامانة : ها قد صنعت من اجلك ما هو أهمّ من ذلك بمقدار .

أتعجبُ حين تتأمل في الحياة الأبدية ؟ أتعجبُ حين تفكّر بانك قادر على البلوغ اليها ؟ حريّ بك ان تزداد تعجباً لكوني ذهبت الى الموت من اجلك . وهل تشك في الجزاء الموعود بعد ان اخذت عنه هذا العربون ؟

واثقٌ انا يا رب من مواعيدك : الماضية آمنت بها ؛ والحاضرة عرفتها ؛ والمستقبلة ارجوها .

لا تدع العدو يبعدني عن الطريق ، يا من تقبلني تحت جناحيك فرخاً لم ينبتْ له ريش لئلا يختطفني الباز .

ها هنا انت رجائي ؛ وفي ارض الاحياء نصيبي : ان هذه الارض هي ارض الاموات وعنها أرْحَلُ . المهم هو ان اعرف الى اين أرحل ؟

الانسان الصالح والانسان الشرير يسافران معاً على هذه الارض فيعبران عليها عبوراً لكنهما لا يسيران نحو الغاية عينها .

وهنالك امكنة مختلفة معدّة لاستقبالها ، وفقاً لاستحقاقات كل منهما . بين الصالحين والاشرار هوّة لا يمكن عبورها . وبما اني اسير هنا بعيداً عنك ، عليّ ان احتمل مختلف الضيقات والاحزان والاخطار .

الاتحاد بك حياة والابتعاد عنك موت . في كنفك ارجو فاحمني وارحمني .

سوف تحمل الشيوخ والاطفال . طال ما انت قوتي فانا قوي ؛ ولكن اذا تركتني لوحدي فقوّتي ليست الا ضعفاً . خير لي ان اكون بقربك وان ملتُ عنك وانحرفتُ اصبحت فاسداً .

هبني ان اعود ، منذ الآن ، ايها الرب ، لئلا انقلب ؛ خيري ثابت فيك الى الابد . أخشى بعد ان اذهب وأتيهُ ألاّ اجد ملجأ اعود اليه . بيتي انت وابديتك لا تسقط خراباً في غيابي .

الفصل العاشر : الرجاء في سفرك تعزيةٌ لك

الرجاء ضروري لك ، ايها المسافر ، وعزاءٌ في الطريق .

حين تتعب في سفرك ، تحتمل اتعابك ، أملاً بالوصول . إنزع عنك الامل بالوصول تفقد ، للحال ، القدرة على السير ، إحتفظ بضميرٍ

صالحٍ لتحافظ على الامل ؛ وان عذّبك الضميرُ الشريرُ فقدتَ الرجاء ورحتَ تنتظر الشجب .

إجعل لك ضميراً صالحاً ثم آمن واعمل أملاً بالملكوت ؛ ولكن ، تواضع قبل كل شيء ، فالله يعزي المتواضعين بالرجاء فلا يستكبر احد معجباً بنفسه ، ولا ييأس انسان وإن وضيعاً ؛ لان وعد الله نافذ ، اكيد ، ثابت ، امين لا يتزعزع ولا يخامره ادنى ريب ؛ وهو للحزانى عزاء .

حياة الانسان على الارض تجربة ، ولكن اياً كان مقامُكَ فيها فليس لك ملجأ سوى الله ؛ وليس لك فرح الا في وعوده ؛ لأن هذه الحياة ، مهما سَكَبَت من غبطة ، تخدع الكثيرين ؛ بينا الله لا يخدع احداً .

يوم اتجهتَ الى الله تحوّلت فيك المحبة والسعادة فلم تُنزعا منك بل تحوّلتا . لا يحصل الانسان على جميع مسرات هذه الحياة ، لكنّ الامل بها ثابت فيجعلها أفضل افراح هذا العالم ، وفقاً لما جاء في الكتاب : «تلذّذ بالرب» مزمور ٣٦ : ٤ .

وحتى لا تفكر بانك تملك الآن ما وعدك به يضيف قائلاً : «فيعطيك سُؤل قلبك» مزمور ٣٦ : ٤ .

ان لم تحصل حتى الآن على ما يشتهيه قلبك فهل تلتذ بالرب لولا علمك بانه امين ومدين لك بوعده ؟

المتكبرون ، بالسعادة الحاضرة يفرحون ؛ وبالمراتب التي نالوها ؛ يفاخرون ؛ وبالذهب البراق يزهون ؛ وبالخدام العديدين يُحاطون ؛ والعملاء المخلصون حولهم يلتفون : ولكن هذه كلها مظاهر كالظل تمر .

وحين يتم الوقت الذي به يفرح جميع الذين وضعوا رجاءهم على الرب يلفهم آنذاك حزن لا ينقضي .

واذ ينال المتواضعون الجزاء الذي كان يسخرُ منه المتكبرون تنقلب غطرستُهم حزناً ويدوّي ذلك الصوت الذي عرفته في كتاب الحكمة قائلاً :

« هذا الذي كنا حيناً نتخذه سخريَةً ومثلاً للعار كيف اصبح معدوداً في بني الله وحظُه مع القديسين . فماذا نفعتنا الكبرياء وماذا افادنا افتخارنا بالاموال ؟ قد مضى ذلك كله كالظل » ... حكمة ٥ : ٣، ٨ .

هم توكلوا على الخيور الباطلة ففسد رجاؤهم ، بخلاف رجائك ، فانه سوف يتحقق .

اتَّق الرب وسرْ في سبيله ولا تَغرَّ ممَّن لا يسيرون في سبله فتراهم سعداء ، ولا سعادة لهم ، بينا الشهداء سعداء في عذابهم .

جلادوهم كانوا يحبون ما يرون ، اما هم فكانوا يسرعون الى الخير الذي لا يرون وكلّما تأخر الموت عنهم اعتبروا تأخّره خيبة املٍ لهم .

وهذه هي حالك : لك الآن ان تتعب ؛ لك ان تجني الثمر ؛ التعب عينه مقرون بالفرح القائم على الرجاء .

الآن تأكل خبزَ الألم ؛ ولولا بعض اللذة فيه لما أكله إنسان : وأية لذة يجد في البكاء انسان يصلي ؟ إنَّ دموع المصلين لأعذبُ من افراح روّادٍ المسارح . اشكُ همّك الى الله وصعّد زفراتك اليه ، بانتظار مشاهدته، شوقاً اليه ، حينذاك تحلو دموعك المنبعثة مع اشواقك . وسوف يأتي الهك ويمسح دموعك ويكون لك خبز الدموع فتسمن الى الابد .

انت تعمل الآن ما يُرجى منه ثمر ؛ ثم تذوق ثمرة شغلك . ومع انك تأكل اتعاب اعمالك ، فانت سعيد . وكم تكون سعيداً أوان القطاف ؟ ! ان كان للرجاء هذا القدر من العذوبة ، فما اعذب الحقيقة ؟ !

عواطف وصلوات

ربّ ، تبارك جودُك عن كلّ ما اعطيتني من خيرٍ وعمّا لم تعطني . هذا الخير انا اعتبره دَيْناً لي عليك ؛ انت مدين لي ؛ لا ، لانك اخذتَ مني شيئاً بل لانه قد حسن لديك فأغدقتَ عليّ الوعود ؛ وفي الواقع فأنا اقول لانسان عكس ما اقول لك : لي عليك

ما اعطيتك ؛ هو مني اعطيكه مقابل شيء ما وليس بالمجّان .

اما حين اقول : لي عليك وعد ، فاني اطالب بما لم اعطِ . صلاح الواعد يعطي مخافة ان تنقلب الثقة خبثاً لان من يخدع شرير . ولكن ، هل اقول لك : رد لي ما اعطيتك ؟ وماذا استطعت ان اعطيك ، انا الذى اخذت منك كياني كله وكل ما فيّ من صلاح ؟ انا لم اعطك شيئاً . اني لا اطالبك كمن له دَيْن على آخر انما اقول : اعطني ما وعدتني به بعد ان عَملْتُ بحسب امرك ؛ أجَلْ ؛ وقد قمتَ بعملك لان الله ساعدك .

ارني رحمتك يا رب ، وما اسعدني ان اظهرت لي رحمتك ! فلا استكبر انا بل اقنع بان كل ما لي من خير هو هبة من جودك .

وحين ارى ان كل ما لي ليس هو مني ، بل منك ، ادرك آنذاك ان كل ما يستحق الثناء فيّ ، هو رحمة منك ولا فضل لي فيه .

وحين ارى هذه الحقائق الواضحة لن استكبر ولن اشمخ . وان لم اشمخ انجو من خطر السقوط ؛ فأثبت واستمسك بك واخلص لك ثم افرح بك واغتبط يا ربي والهي .

يا خالقي ، انت سعادتي التي لن يفسدها احد عليّ ؛ ولن ينتزعها احد مني . ارني رحمتك وهبني خلاصك : اعطني مسيحك الذي فيه رحمتك .

لقد تجددت بنعمة تبني اولادك لكي اصبح لك ابناً . وحقاً اني ابن لك بالايمان والرجاء لا في الواقع .

لقد خلصت بواسطة الرجاء ؛ آه ما اسعدني ! فمن ينتزع مني غبطتي ؟

الفصل الحادي عشر : في الغرور

صوت المسيح .

ان سرت في الطريق المستقيم فلا تنسبه لنفسك مخافة ان تحيد عنه .

ولذلك فاني أعلّمك التواضع من الكتاب قائلاً : « اعمل لخلاصك بخوف ورعدة » فيلبي ٢ : ١٣ . وبما اني قلت : « اعمل » فلا تستنتج من خلال ذلك انك تقدر ان تعمل من نفسك بل أكمل حيث يقول : « انا

هو » (اي الله) الذي اعمل فيكم الارادة والعمل على حسب مرضاته ، انا
انا الذي اعمل فيك ... فيلبي ٢ : ١٣ .

اقبل الغيث بخوف ورعدة الوديان العميقة تمتلئ والمرتفعات تجف . الغيث نعمة . ولم تعجبُ مني انا الذي اقاوم المتكبرين واعطي المتواضعين نعمتي ؟ « لا تستكبر بل خَفْ » : رومية ١١ : ٢ ، خف لكي تمتلئ ؛ ولا تستكبر لئلا تجف . الزهو بالقدرة الشخصية أضعف الكثيرين ، لا يقوى احد بي الا اذا اعترف بضعفه . لست انظر الى ما تستحق بل الى نعمتي ورحمتي انظر .

اذا ضعفتَ عضدتُك وان اعترفتَ بضعفك قوّيتك .

لا تغترّ بنفسك مخافة أن تفقد بغرورك ما اكتسبته بضعفك .

كثيرون اغترّوا بنفوسهم وقواهم فوقعوا في اليأس .

وكثيرون تركوا مالهم وتبعوني فوعدوا نفوسهم بالجلوس معي للحكم ؛ بيد انهم يعتدون بنفوسهم وعندهم شيء من التيه والعجرفة لا يعرفه احد سواي .

لا تعتمد على قواك لأن ما تظنه لك باطل . ان اردت ان تعتمد على قواك سقطت .

تأمّل بطرس : اغترّ في البدء بنفسه واعتمد عليها فسقط في الجبن والكفر وأكّد لي بانه مستعد ان يموت عني ، يوم كان عليّ ان اموت عنه ، فقلت له : « أأنت تبذل نفسك عني ؟ » يوحنا ١٣ : ٣٨ وتقوم من من اجلي بما لم اقم به حتى الآن من اجلك ؟ اتظن نفسك قادرًا على ان تسبقني وانت عاجز عن السير ورائي ؟ ولمَ تدّعي لنفسك هذه القدرة ؟ ما هو رأيك بنفسك ؟ ومن أنت ؟ الحقّ الحق اقول لك قبل ان يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات يو ١٣ : ٣٨ . كان بطرس يحسّ بما في قلبه من رغبات ؛ اما قواه فما كان ليدرك حقيقتها . كان يفتخر مريضاً بعزمه ، اما انا طبيبه فكنت انظر الى ضعفه ؛ هو يَعِدُ وانا ادرك ما سيكون من وعوده .

هو يؤكد ما يجهل وانا ادرك ما سوف يصير وانبئه عنه . ولم يحدث ما توقعه المريض بل تمّ ما أنبأه عنه الطبيب .

وقالت الخادمة البوابة لبطرس : « أما انت من تلاميذ هذا الرجل ؟ فقال ما انا منهم » يوحنا ١٨ : ١٧ .

وهوذا اقوى عمود يرتجّ بأسره لاول هبّة ريح .

اين ذلك الوعد الجريء وتلك الثقة بالنفس ؟ كم من شيوخ وشبان من الجنسين قد عملوا ، فيما بعد ، ما لم يستطعه بطرس ، وليّ مفاتيح الملكوت !

ان الذي اغترّ بنفسه فأكد لي بانه يموت عني انكرني ، ثلاثاً ، انا حياته . هكذا تكتشف ذاتك يا من تتكلم بتأكيد ان كنت جاهلاً عجزك .

لا تغترّ بنفسك بل ضَعْ رجاءك كله فيّ ؛ لان قواك باسرها فيّ ؛ يا من انتصرت بي ، لا بغرورك .

ان اعترفت الآن بضعفك فافزع من الحدأة الى جناحيَّ امك ، فرخاً ضعيفاً .

الحداء قوات جوية ؛ وهي ابليس وملائكته الذين يريدون ان يخطفوك ايها الضعيف .

افزع الى جناحي امك الحكمة ؛ فانا الحكمة اللامخلوقة صرت ضعيفاً من اجلك . وكما ان الدجاجة تستضعف نفسها مع فراخها لتحضنها تحت جناحيها هكذا فاني وان كنت ذا طبيعة الهية فلم اعتدّ مساواتي لله اختلاساً لأصير صغيرًا معك احميك تحت جناحيّ ، فاخليتُ ذاتي آخذاً صورة عبد صائرًا في شبه البشر وموجودًا كبشرٍ في الهيئة : « فيلبي ٢ : ٦ » .

عواطف وصلوات

« برضاك ، ربّ ، رسّختَ جبل عزتي ثم حجبت وجهك فصرت مرتاعاً » (مزمور ٢٩ : ٨) . أريتني بأن كل غناي منك ؛ وأريتني مصدر الرغبات الصالحة ولمن يجب ان

اعزو ما احصل عليه ؛ ولن اشكر ، والينبوع الذي يلزمني وروده ريّان ، فامتلئ ؛ والمكان الذي يضمن لخصبي البقاء .

سوف توجهني ايها المحسن اليّ فلا اخسر شيئاً مما اعطيتني ؛ لانك انت تحفظه لي . سوف احافظ على قوتي بقربك ، ولكي تجعلني ادرك هذا الامر حجبت وجهك عني فصرت مرتاعاً .

لقد كنت مرتاعاً فيبست ، ويبست لاني ارتفعت .

عليّ ان اعترف بما انا فيه من اليبوسة والجفاف لكي امتلئ من جديد : نفسي امامك ارض قاحلة .

صرخت فاستمع لي : اليك اوجّه صلاتي بارادة حرة ثابتة فلا تتخلَّ عن حقارتي ايها العطوف .

احفظني كحدقة العين وفي ظل جناحيك استرني وداخل سور محبتك ورحمتك احمني .

اجعل رجائي دائماً فيك : ان كنت في ظلك تواضعت وكان رجائي دوماً فيك . ولن اغترّ البتة بقواي . اسكرني من خصب بيتك وأروني من نهر ملذاتك فأشرب ولا ارتوي من ذاتي لان ليس فيّ ينبوع بل فيك ينبوع الحياة .

الجبال لا ترتوي ولا تستنير بذاتها . بنورك ارى النور ولو اردت ان اكون نوراً لنفسي لخسرت النور الذي ينيرني . وبما اني اعرف انه لا يسقط الا من اراد ان يكون لنفسه نوراً برغم انه ظلمة بظلمة ، سألتك ان تبعد الكبرياء عني كيلا تهزّني ايدي الخطأة .

الفصل الثاني عشر : في الحذر من الغرور واليأس

يا من يتأرجح بين ضعفٍ يعترف به ، وغرور به يزهو ، غالباً ما تصابُ بجراحٍ من هنا وهناك . وسوف تسقط في هوةٍ ، ايا كانت الجهة التي تقع فيها ، ان بقيت متبعاً هذا النهج .

ان فكرة الضعف تؤثر عليك فتقول ان الله الرحيم يغفر ، للخطأة

المدمنين ، خطاياهم أياً كانت ؛ شرط ان يؤمنوا بالله مخلصاً وغفوراً ؛ اذ لا يجوز في النهاية لأي مؤمن ، وان خاطئاً ، ان يهلك ؛ اجل ان كان هذا رأيك فسوف تسقط بسببه .

واما ان تجاسرت وزهوتَ مغترّاً بنفسك ومتوكلاً على قوتك وبرك وصممت على ممارسة الخير متمماً مراسيم الشريعة بحذافيرها واعتقدت ان حياتك بيدك وانك في عصمة من الزلل والسقوط بفضل ارادتك القوية . واتيت ما يراه الناس صلاحاً ولم يجدوا في حياتك ما يستحق اللوم فان الله يشجب فيك هذا الغرور وتلك الغطرسة .

وماذا يحدث لو بررت نفسك بنفسك وكنت ببرك مغروراً ؟ سوف تسقط .

ولكن اذا نظرت الى ضعفك وتأملته ؛ وتوكلت على رحمة الله ثم اهملت تنقية حياتك من الاثم وثابرت على الغوص في لجّة الفوضى سقطت ايضاً .

ان اعتماد الخطأة على برّهم ، هو بمثابة اليد اليمنى لهم ، وعدم معاقبتهم هي بمثابة اليد اليسرى .

أصغ الى صوت الرب . « لا تمل يمنة ولا يسرة » امثال ٤ : ٢٧ ، لا تعتمد في ملكك على برك ولا في خطيئتك على رحمة الله .

وصية الرب تصدّك عن امرين : عن الارتفاع وعن الانخفاض . ان ارتفعت عالياً هبطت الى اسفل وان سقطت في اللجة ابتلعتك . احفظ جيداً في قلبك ما اردده عليك من جديد : لا تعتمد على برك لتملك ولا على رحمة الله لتخطأ .

ان رأيت ذاتك منحرفاً عن الطريق فعد اليه وان كنت عليه فسر حتى تصل . احذر الكبرياء خارجاً عن الطريق واحذر الكسل عليه .

اصلح ايمانك ووجهه ثم قوّم سيرك : ان كانت لك ساقان قويتان فسر مطمئناً واركض لانك على الطريق تسير . وكلما ازددت سرعة كلما وصلت بسهولة .

وقد تتعثر احياناً في سيرك ؛ انما لا تـملْ عن الطريق ؛ ولو تأخرت في الوصول ، فسوف تصل ؛ لا تلتفت الى الوراء ولا تمل .

سوف تكون سعيداً ، لا ، لان الله لن يجد فيك خطيئة : الكل خطأة قدامه ، لا لأنا جميعاً قد خطئنا وفاتنا مجده ؛ بل سوف تكون سعيداً اذا غفر الله لك خطاياك . النعمة جزاؤك ، وان كانت النعمة جزاء لك فهي هبة تعطى وتبقى مجاناً .

انت لم تأت صلاحاً ؛ ومع ذلك فقد غُفرتْ لك خطاياك وأجريَ الفحص على اعمالك فوجدتْ كلها سيئة ؛ ولو ان الله اعطاك ما استحقتْ اعمالك لشجبك حتماً . وعقاب الخطيئة الموت .

اما الله فلم ينزل بك عقاباً استحققته بل اعطاك ما لم تستحق اعمالك . كان له ان ينتقم منك فاذا به يسامحك . وبفضل غفرانه هذا تبدأ تكون مؤمناً ؛ وهوذا الايمان الذي سما بواسطة الرجاء والمحبة قد راح يعمل صلاحاً ؛ ولكن لا تفتخر ولا تتشامخ .

تذكَّر من اين اخذك ووضعك على الطريق المستقيم ؛ واذكر ما كنت عليه من الضلال برغم خطى لك سليمة وسريعة : واذكر انك لو مرضت وارتميت على الطريق شبه ميت لنقلت على ظهر فرس الى الفندق .

ان شئت ان تكون للنعمة عدواً فافتخر بافضالك وان عدت الى الله مبتعداً عن طريق السوء فثق بانه يغفر لك خطاياك الماضية وان دفعت كل ما يترتب عليك من ديون فسوف يفتح لك حساباً جديداً .

خطاياك كلها سوف تغفر لك ؛ ولا تتصور بانه قد تبقى عليك خطيئة لا يشملها غفران لتكون مصدر قلق بالنسبة اليك ؛ وحذار من ان تطمئن الى الشر فتستمر في الخطيئة . شيئان يقتلان النفس : اليأس والامل الفاسد ؛ وفي الواقع ، كما ان الرجاء الصحيح والصالح ينجّي فالفاسد منه يخدع .

هناك اناس يفكرون بآثام صنعوها فيعتقدون بان غفرانها مستحيل ؛ واذ

يعتقدون انهم الى الهلاك سائرون حتماً ، يهلكون يأساً ، قائلين في ضميرهم : « لم يعد لنا ادنى امل » لقد ارتكبنا خطايا فظيعة يستحيل علينا نيل الغفران عنها . وبالتالي فلمَ لا نُشبِعُ رغباتنا ؟ فلنشبع على الاقل رغبة حاضرة طال ما ان اجر المستقبل محظور علينا . فلنصنع ما طاب لنا ، وان حراماً ، حتى نحصل على عذوبة زمنية طال ما انت لن تستحق الابدية : هؤلاء يهلكون يأساً .

وهنالك اناس يفكرون تفكيراً مختلفاً تماماً دون ان يكون اقل خطراً حين يقولون في ضميرهم : اذا رجعنا يوماً عن طريق الاثم فالله الرحيم ينسى خطايانا كلها . ولمَ يتوب احدنا اليوم وليس غداً ؟ فلينقضِ اليوم الحاضر كالامس الغابر متشبعاً من اللذة الاثيمة في لجة المخجلات والتمتع المميت . غداً اتوب فينتهي كل شيء . حسن ، ولكن ماذا يحدث لو متَّ قبل غد ؟ الرب يقول لك يا من تهلك بسبب غرورك . « لا تؤخر التوبة الى الرب ولا تتباطأ من يوم الى يوم فان غضب الرب ينزل بغتة ويستأصل في يوم الانتقام » يشوع بن سيراخ ٥ : ٨-٩ .

ولكن ماذا يقول لك انت يا من وُجدت في خطر من اليأس ... » « والمنافق اذا تاب جميع معاصيه التي صنعها لا تذكر له ؟ » حزقيال ١٨ : ٢١ . لقد اراك ميناء الغفران وترك يوم الموت مجهولا لمن هم في خطر بسبب غرورهم يعللون النفس بان يستمرّ التأخير .

يومك الاخير تجهله ، وتنكر الجميل لان لك اليوم الحاضر لتصلح نفسك . حذار من المستقبل ان كنت الى الماضي مطمئناً : احفظ رسوم الرب لتجد ما يعدك به . لا تتأخر من يوم الى يوم ولا تغلق باباً مفتوحاً بوجهك .

هوذا مانح الغفران يفتح لك الباب ، فلمَ تتباطأ في الوصول ؟ افرح حين تقرع فيفتح لك ، انت لم تقرع الباب ومع ذلك فقد فتح لك وبقيت خارجاً ؟ ولمَ التردد ؟ ان من اشفق عليك يوم كنت خاطئاً لن يتخلى عنك يوم تصبح ورعاً .

والذي وهب الخاطئ موت ابنه يحتفظ بكل شيء لمن يخلص بموت ابنه؛ اطمئن وتمسك بالمدين لك يا من آمنت بوعوده .

عواطف وصلوات

ربّ اني لفي خطر من اثنين : من الرجاء الفاسد واليأس . والاشياء المتناقضة عواطف متناقضة .

ارجو بغير حق فانخدع حين اقول : انت صالح ورحيم سوف اعمل ما يروقني ويطيب لي ، فاطلق العنان لشهواتي واشبع ملذاتي . ولماذا ؟ لانك رحيم صالح ووديع .

وانخدع في يأسي حين افكر بان لا شيء يبقى لي برغم اني تائب .

وانخدع في يأسي حتى اظن ان الغفران مستحيل في توبتي فأقول في نفسي الصائرة حتماً الى الهلاك : لقد حكم عليّ بالهلاك فليمَ لا اصنع ما اريد ؟

ولكني ارفض خطيئة اليأس وارفض خطيئة القبول برجاء فاسد : ويل لي من اليأس وويل لي من رجاء فاسد .

امام هذين الخطرين وهذين الشرين تصمد رحمتك عوناً لي ويدعوني من جديد الى الرجاء صوتُك قائلاً : ليست مرضاتي بموت المنافق لكن بتوبة المنافق عن طريقه فيحيا ، (حزقيال ٣٣ : ١١) . واعود الى الرجاء ولكني اخشى فخاً آخر ؛ اخاف ان ازداد خطأ من جراء هذا الرجاء الفاسد لان خبثي يوسوس اليّ قائلاً : حين تتوب الى الله يغفر لك كل شيء فاصنع الآن ما تشاء .

واذا بي اسمعك الآن تقول لي ، لا تؤخر توبتك الى الرب ولا تتباطأ من يوم الى يوم فان غضبي ينزل بغتةً ويستأصل في يوم الانتقام .

اني لا اقول : غداً اتوب وغداً ارضيك فتغفر لي كل ما اتيته بالامس واليوم ، قلت انك وعدت توبتي بالغفران ولكنك لم تعد اهمالي بالغد .

ايها الصالح سأتوب اليك وستغفر لي خطاياي وستكون لي الجزاء الذي يرجوه كل من تبرر من اثمه .

ايها الربّ الهي ، إملْ بوجهك اليّ وارنيه ، فاخلص .

الفصل الثالث عشر : في مديح المحبة

انا لا أدري ان كانت الدعوة الى المحبة افضل من القول : « الله محبة » ، ١ يو ٤ : ١٦ انه لمديح وجيز وعظيم : وجيزٌ لفظاً وعظيمٌ معنى .

وما اسرع هذا الكلام : الله محبة ! وما أوجزه ؛ فان احصيته وجدته كلمة واحدة وان زنته فكم يكون ؟

« الله محبة ، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه » ١ يو ٤ : ١٦ ليكن بيت الله لك بيتاً ؛ وكن انت بيت الله ؛ اثبت في الله يثبت الله فيك . الله يثبت فيك ليضبطك ، وانت في الله لئلا تسقط . لقد قال الرسول في المحبة عينها : « المحبة لا تسقط ابداً » ١ كور ١٣ : ٨ . وكيف يسقط من كان الله به ممسكاً ؟ الرسول يوصي بامور ثلاثة حين يقول : « والذي يثبت الآن هو الايمان والرجاء والمحبة ، هذه الثلاث ؛ واعظمهن المحبة . » ١ كور ١٣ : ١٣ .

ان كانت الوصيتان مع المحبة ؛ فالمحبة اعظمهن وان لم تكن وحيدة .

كم من سُنن يفرض علينا الايمان ! وكم من سنن يفرضها الرجاء ! ومن يستطيع ان يحصيها او يميزها ؟ أنْظُر الى كلام الرسول : « المحبة هي الناموس بتمامه » رومية ١٣ : ١٠ .

متى وجدت المحبة ، فماذا ينقص ؟ ومتى انتفت المحبة فماذا ينفع ؟

فالمحبة التي بها تحب الله والقريب تنطوي بتأكيد على كلام الله السامي والشامل : المعلم السماوي يعلّمك دون سواه قائلاً : « احب الرب الهك من كل نفسك ومن كل عقلك واحب قريبك كنفسك » . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء : متى ٢٢ : ٣٧ ، ٤١ .

واذا لم تستطع مطالعة الكتب المقدسة وكشف حُجُب كلام الله وادراك اسرار كتبه ، فعليك بالمحبة حيث تجد كل شيء . وعلى هذا النحو

تحفظ ما تعلمت من الكتب وما تتعلمه منها .

ان عرفتَ المحبّة تعلّمتَ بواسطتها ما كنت تجهله . المحبةُ تكشف لك ما يمكنك ان تفهمه من الكتب وتخفي عنك ما لست اهلاً لفهمه في الوقت الحاضر .

ان رعيت المحبة في سلوكك الخُلقي حفظتَ ما غَمُض عليك من كلام الله وما اتّضح .

ولذلك ، ارتبطْ بالمحبة بهذا الرباط الفكري السليم والخلاصي الذي به يصبح الفقير غنياً وبدونه يعود الغني فقيراً : المحبة تصبر في الشدة وتتّسم بالاعتدال في الازدهار ؛ بها ينشط الانسان ضد امياله ، ويفرح بصلاح اعماله ، ويصمد بوجه التجربة ، ويسخو في ضيافته . المحبة تغتبط كثيراً بين الاخوة الحقيقيين ، وتتسلح بالصبر الطويل امام من يريدون ان يخدعوها. المحبة قبول في ذبيحة هابيل واطمئنان في نوح اثناء الطوفان واخلاص تام لابراهيم في اسفاره وعذوبة لموسى في تجاديفه ورحمة واسعة لداود الغارق في تجاربه .

وللاطفال الثلاثة الذين لفحتهم النار بلهيبها ، رجاءٌ بريء ، وللمكابيين صبر على النيران القاسية وشجاعة ؛ ولسوسنّة طهارةٌ امام الرجل ؛ ولمريم طهرٌ بمعزل عن الرجل ، انها حرية لبولس في الاتهام ؛ ووداعة لبطرس في الطاعة ؛ وانسانية في المسيحيين للاعتراف ؛ ولاهوت في المسيح للغفران .

ولكن ، أي كلام اعظم واغنى ممّا جاء على لسان الرسول في المحبة حيث اظهر الرسول الطريق التي تفوق سواها ؟ « لو كنت انطق بالسنة الناس والملائكة ولم تكن فيَّ المحبة فانما انا نحاس يطن او صنج يرن. ولو كانت لي النبوة وكنت اعلم جميع الاسرار والعلم كله ولو كان لي الايمان كله حتى انقل الجبال ولم تكن فيَّ المحبة فلست بشيء ولو بذلت جميع اموالي لاطعام المساكين واسلمت جسدي ليحرق ولم تكن في المحبة فلا انتفع شيئاً . المحبة

تتأنى وترفق . المحبة لا تحسد ولا تتباهى ولا تنتفخ ولا تأتي قباحة ولا تلتمس ما هو لها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق وتحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء . المحبة لا تسقط ابداً . اما النبوءات فستبطل والالسنة تزول والعلم يبطل » ١ كور ١٣: ٨ .

وكم هي ضرورية للجميع ؟ انها للادب روح ، وللنبوءة قوة ، وللاسرار فاعلية ، وللعلم اساس ، وللايمان ثمرة ، وللفقراء غنىً ، وللمائتين حياة .

وهل اكرم من الموت عن الكفرة ؟ وهل من صلاح اعظم من محبة الانسان لاعدائه ؟ هي وحدها لا تحزن لسعادة الآخرين لانها لا تحسد احداً . وهي وحدها لا تفتخر بسعادة حصلتْ عليها لانها لا تستكبر ؛ وهي وحدها لا تعرف عذاب الضمير الشرير لانها لا تأتي شراً .

انها في الحزن سلام ، وفي البغضاء احسان ، في الغضب سكينة ، وفي المكائد براءة ؛ في الاثم انسحاق قلب وفي الحق نشوة فرح .

وهل اقوى منها على الثأر بل على الظلامات .

وهل اوفى منها ، لا للانانية ، بل للابدية ؟

اذا كانت المحبة تحتمل كل شيء في الحياة الحاضرة فلانها تؤمن بكل ما في الاخرى ؛ واذا كانت تحتمل كل شيء ها هنا فلانها ترجو ما وعدت به في السماء .

ارع المحبة وتأمل فيها بقداسة تجن منها ثمار البر . حقاً انها لا تسقط ابداً . واعمل إذاً على ان يتجلّى في سلوكك الخلقي اغنى ما تجده في مدائح المحبة لانه يحسن بان يكون كلام الشيخ وقوراً ووجيزاً .

الفصل الرابع عشر : في ان المحبة تجعل نير المسيح عذباً

صوت المسيح

« ان اردت ان تتبعني فاكفر بنفسك واحمل صليبك واتبعني » . متى ١٦ : ٢٤ .

« احمل نيري عليك لان نيري طيب وحملي خفيف » . متى ١١ : ٢٩ . حين اقول لك بان تكفر بنفسك ، اذا اردت ان تتبعني ، فهل تجد وصيتي هذه قاسية وثقيلة ؟ ليست قاسية عليك ولا ثقيلة لاني انا بعونك .

المحبة تخفف من قسوة الوصية . لقد عرفت مدى فاعلية المحبة : كم من صعاب واجهت وكم من مشقات تحملت لتصل الى ما احببت ؟

غالباً ما يكون الحب عينه قابلاً للذم ؛ كم يشقى الناس في سبيله ولا يشعرون ؛ وكلما تكاثرت العقبات امامهم كلما جدُّوا في طلبه .

كم من مخاوف يقاسي البخلاء ؟ وكم من هموم تعذب الطمَّاعين ؟ وكم من متاعب يرضاها الفجَّار اشباعاً لشهواتهم ؟

وعليه ، بما ان هؤلاء جميعاً يكونون ما يحبون ؛ وبما ان همّ الانسان الوحيد يقتصر على اختيار موضوع حبه في هذه الحياة ، فلماذا تعجب من الكفر بنفسك حباً بي ان كنت حقاً تحبّني وتريد ان تتبعني ؟؟

ان هلكت في حبك وجدت نفسك في الكفر بنفسك .

هلك الانسان للمرة الاولى بسبب انانيته ولو لم يفضل ذاته عليّ لآثر الطاعة لي على التمرّد عليّ ، اتماماً لارادته .

ومن أحب نفسه أتمّ ارادتها . قدّم ارادتي على تلك الامور كلها وتعلّم ان تحب نفسك بأن تبغضها .

صوت النفس

انا اعلم يا ربّ بأنك لا تستطيع ان تخدعني ؛ بيد اني وانا اتأمل بأولئك الذين يحملون نيرك القـاسي على رقابهم المرتعدة ويقبلونه فوق مناكبهم الطيّعة ، اراهم جد مضطربين

يواجهون صعوبات هذا العالم ؛ وكأني بهم يدعون الى العمل بدلاً من الراحة .

ولقد قال لي الرسول سابقاً : « وجميع الذين يريدون ان يحيوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون » (٢ تيمو ٣ : ١٣) .

وكيف تقول : تعال اليّ ايها التعب والثقيل الحمل وانا اريحك ؟

ولِمَ لا تقول بالاحرى تعالَ ايها البطّال واعمل ؟

لقد وجدتَ بطّالين فأخذتهم الى كرمك ليتحملوا حرّ النهار .

صوت المسيح

يتحمّل القديسون شتى المشقات والعذابات : لكن الروح القدس ينقّي فيهم شيئاً فشيئاً انسانهم الباطني من فساد الانسان الخارجي ؛ واذ يذوقون الراحة الروحية في وفرة ملذاتي راجين السعادة العتيدة يستعذبون الضيقات الحاضرة ويستخفون الاثقال التي يحملون.

لقد استخفوا الضيقات والتهديدات التي لا اقسى منها ، حين نظروا اليها بعين الايمان الباطنية ، وقدروا تفاهة الزمنيات امام الحياة الابدية ؛ وتجنبوا العقابات اللامتناهية المحفوظة للكفرة ، وتمتعوا مطمئنين بسعادة الابرار الخالدة .

ويتحمل الناس البتر والحرق ؛ لا لكي يتجنبوا آلاماً ابدية بل لكي يقصّروا قليلاً مدى جرحٍ ما ولا يكترثون لأشد العذابات حدة.

كم يجابه التجار من زوابع وعواصف! وكم يواجهون من بحور هائجة واجواء مضطربة كسباً لثروات باطلة ، سرعان ما تعرّضهم لمخاطر اخرى فور الحصول عليها !

اي حرّ وقرّ واية اسفار واخطار بين الحيوانات المفترسة يتحملها الصيادون سعياً وراء فريسة يصطادونها .

وكم يقاسي الاطفال في سنيهم الاولى من آلام وعذابات ؟

وكم يُحيون من سهرات في مدارسهم ويُقاسون من حرمان ؛ لا لكي يتلقنوا الحكمة ، بل لكي يتمكنوا من تحصيل الثروات واحراز النجاح الباطل ، بعد اضطلاعهم بأصول الحساب وتمرسهم بالكلام الزائف .

جميع الناس يتحمّلون الاتعاب عينها بيد انها تبدو ثقيلة على من لا يحبون ؛ وخفيفة على من يحبون . الحب يجعل الآلام والاخطار سهلة القبول او بالاحرى يصيّرها كلا شيء .

بأية ثقة وسهولة تكوّن المحبة سعادة حقة للذين اوصلتهم الشهوة الى الشقاء ! سرعان

ما يقبل المرء ضيقاً زمنياً ، تجنباً لعذاب ابدي ، ونيلاً لراحة ابدية .

لذلك ان نيري طيّب وحملي خفيف ؛ ان اختار القليلون الطريق الضيّق ؛ فانه سهل على من يحبون .

ها اني ابحث عن مناكب طيّعة حين اقول : « نيري طيّب وحملي خفيف » . غيرُ حملي يشدّ عليك ويثقل ؛ اما حملي فلا يثقل عليك ، بل يرفعك . للحمل الغريب ثقل ولحملي جناحان : ان انت امسكت العصفور بجناحيه نزعت عنه حملاً ، وكلما امعنت في نزع هذا الحمل عنه كلما ابقيته لاصقاً بالارض .

ان من اردت ان تساعده ، ملقى على الارض ، لن يطير لانك نزعت عنه حمله ؛ امّا اذا استعاده فانه يطير حالاً .

هكذا هو حمْلي : احمله ولا تكن كسولاً ولا تنظر الى من يرفضون حمله ؛ احمله بطيبة خاطر ؛ ما اخفّه واعذبه واطيبه انه يقتلع من الارض ويرفع الى السماء !

صوت النفس

ربّ ، من يعطيني جناحين كجناحي الحمامة لأطير واستريح ؟ الجناحان هما وصيتا المحبة اللتان هما كل الناموس والانبياء . الوصية الكائنة فيهما هي حمل خفيف .

وان كان الصعب في الوصية سهلاً على من يحب فزدني يا رب حباً . ان خف حملك بمساعدة الروح القدس الذي به تفاض المحبة في قلوبنا (رومية ٥:٥) ، فأعطنيه لاعمل عن حب ما اعمله عن خوف . أحملُ بارادتي نيرك وحملك ، وأحسّ الآن بان لي مرشداً فأقول لك : « ارشد خطاي بحسب كلمتك » ، اكدُنْني تحت نيرك وحملك واعطني ان احبك فيخف حملك ويطيب نيرك : سوف يكون نيرك طيباً على من يحب وقاسياً على من لا يحب .

الفصل الخامس عشر : في نظام المحبة

يعيش في برٍّ وقداسة من يقدر كل شيء حق قدره ، فينظم حبه كيلا يحب ما لا يجوز ، ويحب ما يجب ، فلا يحب كثيراً ما يلزم ان يحب

قليلاً ولا يحب على السواء من وجب له الحب قليلاً او كثيراً .

للحب بداية ونمو واكتمال

تأمل اولاً الحقيقة التالية : كل حب او ميل في الانسان يعود للشخص عينه ، وتلك هي حال الشيء الخارجي ، موضوع الحب .

ان كنت تحب الذهب فانت تحب اولاً نفسك وتحب الذهب حباً بنفسك لانك ان متّ فلن يبقى من يملك الذهب .

الحب في الانسان يبدأ في النفس وبخلاف ذلك فهو مستحيل ؛ ولا حاجة لأن يُحَثّ الانسان على محبة نفسه .

باشر بأن تحبّ شيئاً ما : وسيكون إمّا انت واما ما هو احط منك قدراً او اسمى .

ان كنت تحب ما هو احط منك فأحببه تمتعاً به وتفريجاً عنك ولا تحبه على سبيل الارتباط به .

اتحب الذهب ؟ فلا ترتبط به : كم انت افضل منه !

الذهب تراب برّاق ، اما انت فمخلوق على صورة الله لتستنير بنوره .

ومع ان الذهب من صنع الله ؛ فلم يصنعه على صورته بل صنعك انت على صورته . وبالنتيجة ، بعد ان فضّلك على الذهب وجب عليك ان تحتقر الذهب .

اتّخذ تلك الاشياء للاستعمال دون سواها ولا ترتبط بها برباط الحب كما على دبق . لا تجعل لك اعضاء تعذّبك وتؤلمك حين تريد ان تبترها .

تنزّه عن الحب الذي تحب به ما هو ادنى منك ؛ وباشر بمحبة ما هو مساوٍ لك ، اي ذاتك ؛ ولو شئت لقمتَ به سريعاً .

لقد بيّن لك الربُ عينه ، في الانجيل ، وأظهر لك ، بوضوح ، نظاماً ، ان اتبعته حصلت على الحب الحقيقي والمحبة الصحيحة حين قال : « أن تحبّ الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك وان

تحب قريبك كنفسك » متى ٢٢ : ٣٧ .

عليك اذن ان تحب الله فنفسك ثمّ قريبك كنفسك . لانك ان لم تستطع ان تحب نفسك فكيف تحب حقاً قريبك ؟

يظن الكثيرون بانهم يحبون نفوسهم حباً شرعياً حين يسلبون الناس اموالهم ويسكرون ويتعبّدون لشهواتهم ويحصّلون كسباً حراماً عن طريق النميمة والخداع . فعلى اولئك ان يصغوا الى الكتاب المقدس القائل : « من احب الجور ابغض نفسه » مزمور ١٠ : ٦ .

ان انت احببتَ الجور ابغضت نفسك وما احببتها ؛ فكيف تدّعي ، من ثَمَّ ، حبّ الله والقريب !

وبالتالي ان شئتَ ان ترعى نظام المحبة الصحيحة فاصنع البرّ وكن رحيماً واهرب من التطرّف وابداً ، عملاً بوصية الرب ، بالمحبة لاصدقائك ولاعدائك .

ومتى حاولت ان ترعاه من كل قلبك باخلاص تمكّنت من الترقي في تلك الفضائل كمن يرقى على درجٍ لتستحق ان تحبّ الله من كل قلبك ومن كل قوتك .

وبالنتيجة يبدو لي ان التحديد الموجز والصحيح للفضيلة هو : النظام في المحبة . ذاك ما تعلّمنا اياه الكنيسة نقلاً عن نشيد الاناشيد القائل : « نظّموا فيَّ المحبة » .

خذ القياس وأعطِ كل ذي حق حقه ، ولا تضعْ تحت ما هو فوق . احبّ والديك انما قدّم الله على والديك في حبك .

تأمل في كلام ام المكابيين : « يا بني لقد حبلت بكم وولدتكم انما لم استطع ان اكوّنكم فاسمعوا الله وقدّموه عليّ ولا تتوانوا مخافة ان ابقى بدونكم » لقد اوصت فاتبعوها .

تعليم الأم لبنيها هو عينه تعليم السيد المسيح الى الشاب حين قال له : « اتبعني » ؛ تذكّر دائماً المحبة في وصيتها : «أحبّ الهك من كل قلبك ومن

كل نفسك ومن كل عقلك واحب قريبك كنفسك » (متى ٢٢ : ٣٧) .

فكّر بهذا الكلام وتأمّل به دوماً واحفظه واعمل به وكمّله .

محبة الله هي الأولى بين الوصايا ومحبة القريب هي الاولى في نظام العمل.

ان الذي امرك بهذه المحبة في وصيتيها لم يوصك بمحبة القريب اولاً ثم بمحبة الله ، بل بمحبة الله اوصاك ثم بمحبة القريب .

امّا انت فلأنك لا ترى الله تحب القريب الذي تراه لتؤهل لان تحب الله الذي لا تراه ، واذ تحب قريبك تطهّر عينيك لتشاهد الله ، وفقاً لما قاله يوحنا بوضوح : « ان قال احد اني احب الله وهو مبغضٌ لاخيه فهو كاذب لأنّ من لا يحب اخاه الذي يراه كيف يستطيع ان يحب الله الذي لا يراه » (١ يوحنا ٤ : ٢٠) .

احبب قريبك وفكّر في ما يدفعك اليه تعرف ان كنت تحب الله .

ولكن لا يجوز أن تحب الخاطئ لكونه خاطئاً بل ان تحب الانسان لكونه انساناً حباً بالله ؛ امّا الله فاحبّه حباً بذاته . وعليك ايضاً ان تحب الجميع على السواء ؛ ولكن بما انك لا تستطيع ان تكون نافعاً للكل فن الافضل ان تهتمّ بمن ترتبط بهم ارتباطاً وثيقاً بحكم المكان والزمان واسباب اخرى مختلفة .

أقمْ درجات وارقَ عليها ؛ وتقدّم كل يوم في هذا الحب بالصلاة وعمل الخير ، حتى اذاً ما ايّدك ذاك الذي اوصاك بالمحبة ومنحك اياها ، غذاها فيك وأنماها حتى يكتمل عمله فيك .

بتلك المحبة ارضى الله آباؤنا القديسون وبطاركتنا وانبياؤنا ورسلنا . بفضلها جاهد الشهداء الحقيقيون ضد الشيطان فأراقوا دماءهم وانتصروا ؛ لان المحبة لم تفتر قط فيهم ولا انقطعت .

بها يتقدم المؤمنون الصالحون كل يوم لأنهم لا يبتغون ملكوتاً زائلاً بل ملكوت السماوات يطلبون . ولا يرجون ميراثاً زمنياً بل أبدياً ، ولا يتوقون الى

خبورٍ عالمية بل الى مشاهدة الله التي تفوق بطيبتها وعذوبتها كل وصف وتفكير .

ولكن حذارِ مما يظهر بمظهر الصلاح دون ان يكون له اصلٌ في المحبة .

للزهور اشواك : بعضها يبدو قاسياً ومهدداً ولكن سرعان ما يتحول تحت تأثير المحبة .

بكلمة واحدة اعطيت الوصية : « احبَّ واعمل ما تشاء » .

ان سكت فعن محبة اسكت وان هتفت فعن محبة اهتف وان اصلحت فعن محبة اصلح وان رحمت فعن محبة ارحم واجعل المحبة متأصلة فيك من الداخل لئلا يصدر عنك ما ليس خيراً .

عواطف وصلوات

اللهم ايها الدائم الابدي أعطني ان اعرفك واعرف نفسي ، علّمني ما يجب ان اعلم واحفظ . علّمني ان اعمل : علّمني ان اعمل مشيئتك . لاني ان اصغيت وحفظت في ذاكرتي ولم اعمل بموجب ما حفظت صرت كمن لم يتعلّم شيئاً .

انظر اليَّ وارحمني بحسب رأي من يحبون اسمك يا من سبقت فاحببتني .

واذ احبك أحبّ نفسي ، لكي احبّك واحب القريب حباً خلاصياً كنفسي .

من كل قلبي ومن كل نفسي ومن كل عقلي اريد ان احبك واحب القريب كنفسي.

ببرّك احببني وليس ببرّي ، اي املأني من تلك المحبة التي اشتهيها .

ساعدني فأعمل ما تأمرني به وقوّني لكي اطيع .

ببرّك أحيني لاني احمل في ذاتي جرثومة موتي ولا اجد الحياة خارجاً عنك . ايها المسيح انت بري ، يا من صرتَ لي من قبل الآب حكمة وبرًا وقداسة وفداء .

وفيك اجد الوصايا التي اتوق اليها لكي احيا فيك .

انت هو كلمة الله الذي صار بشرًا ليصير قريباً لي .

الفصل السادس عشر : في محبة الله

المحبة كلمة عذبة واعذب منها هو العمل بها .

لا يسعُك التحدث عنها لكثرة اشغالك المتنوعة التي تتجاذبك من كل جهة وتمنعك عن الرجوع اليها في الحديث وان يكن موضوعها افضل المواضيع .

بيد انك تستطيع ان تحيا في من لا يسعك التحدث عنه .

اتسبّح الله دوماً في ترانيمك ؟ إنك تسبّح الله طوال ساعة ، على الاكثر ، ثم تتفرغ الى شيء آخر . ولكن ان كنت لا تقدر ان تسبّح الله دوماً بكلامك فسبّحه بسلوكك الخلقي . ان اعمال الرحمة والمحبة وقداسة النفوس وصفاء الطهارة واعتدال القناعة لأمور يجدر بك ان تتمرّس بها .

وفي الواقع انّى كنت : في الخارج ام في بيتك ؛ امام الناس ام في مخدعك ، انطقت ام سكتت ، أعملت ام لم تعمل ، فمن الواجب عليك ان تمارس هذه الفضائل التي سمّيتها لانها باطنية .

رسّخ المحبة في قلبك : لكل محبة طاقتها التي تعمل في النفس حتماً فتسيّرها .

وكما ان الحب العاطل يضرم النفس ويدفعها الى طلب الملذات الارضية الفانية التي تؤدي بها الى الهلاك فاللجة ؛ هكذا فان الحب المقدس يسمو الى الاعالي ، الى ما هو خالد الى ما لا يزول ويرفعها من اعماق الارض الى السماء .

اتريد ان تعرف نوع الحب الذي فيك ؟ انظر اين يقودُك . لستُ احثّك على الاّ تحب شيئاً انما احثّك على عدم التعلّق بالعالم لكي تظل حرًا في حبك الله خالق العالم .

لقد اظهر محبته لك يوم كنت خاطئاً فمات لاجلك ، ومات البار عن الخاطئ .

حين اخذ الجسد اخذ ما فيك من قبحٍ ؛ اخذ موتك ، لكي يساويك

ويسالمك ويهيب بك الى ان تحب الجمال الباطني . لقد رأيته معلّقاً على الصليب ، لا منظر له ولا جمال ، ترك منظره وجماله ليعطيكهما .

البهاء والجمال هما موضوع المحبة : عليك ان تعدُوَ محباً وتحبّ عادياً .

ها قد صرتَ جميلاً انما لا تنظر الى نفسك لئلا تخسر ما لك بل انظر الى من صيّرك جميلاً .

كن جميلاً لكي يحبك الله . باختصار ، ان الله يقدّم لك ذاته فأحبه لكي تحصل عليه ؛ لانك تستطيع ان تحبه اذا لم تحصل عليه . ولكن لست ترى الله ، فأحبه لكي تراه .

لا تبحث الاّ عن الله ، أطلبه وحده فيستجيبك وقبل ان تنهي حديثك سيقول لك : هاءنذا حاضر . ماذا تريد؟ وماذا تطلب ؟

لا تطلب سوى الله ، لان كل ما يعطيكه هو دونه قدرًا . خُذ الله واستمسك به .

ومع أنك لا تستطيع ، مذ الآن ، ان تحصل عليه بكليته فتقرّب اليه عن طريق الايمان لتتحد به ؛ اذ ذاك يريحك من اثقالك ويؤهلك لان تكون بكليتك له فيتحول هذا المائت الى ما لا يموت وتكون مساوياً للملائكته وتشاهد دائماً وجهه وتفرح فرحاً لا يقدر ان ينتزعه منك احد لانك طلبته فاستجابك ومن ضيقاتك نجّاك .

ان احببتَ الله فأحبّه مجاناً ؛ وان احببتَ الله حقاً فليكن لك الجزاء المنشود ، وان وجدتَ افضل منه فاطلبه .

احبَّ الله من اجل الله وأحب نفسك فيه من اجله ؛ وان احببتَ الله احببتَ نفسك حباً حقيقياً ؛ إمّا لانه فيك وامّا لكي يكون فيك .

ارتفع الى الله بالمحبة : كلما زدتَ له حباً زدت معه ارتفاعاً . ولماذا تبحث عن الطريق ؟ تعلّق بمن نزل وصعد فجعل نفسه طريقاً . أتريد ان تصعد؟ الله ذاته طريق فتمسّك به صعداً .

ان اردت ان تصعد مطمئناً فالله الذي تعبده يكون مكافأةً لك اكيدة : وجزاؤك ان تراه كما هو ، وحسبك الله جزاءً .

وحسبك الله جزاءً اياً كان بخلك : في الواقع تستطيع بطمعك ان تحوز الارض بأسرها ، وزدْ اليها السماء . لكن الذي صنع السماء والارض هو اعظم منها .

احب الله حباً ينسيك نفسك .

ما اكثر الذين يبحثون عن الله حباً بنجاح زمني ! وما اقلَّ الذين يطلبون يسوع حباً بيسوع !

سألتك الدرجة التي سلكتها في المحبة ، مقياساً للتقدم الذي احرزته .

لو انّ الله جاء وتحدث اليك بصوته الشخصي قائلاً : « اتريد ان تخطأ ؟ اخطأ واصنع ما طاب لك ، ليكن لك فوق الارض كل ما تبتغي وليضمحل من امامك كل ما يزعجك . وان شئت فاسلب واقتل واشجب واستعبد لك من تريده مُلْكاً ؛ فلا يقاومك احد ولا يقول لك احد : ماذا تفعل هنا ؟ ولا يمنعك احد عن شيء ولا يطالبك بشيء . ولتكن لك كل تلك الخيرات التي تشتهيها ، فلا تستمتع بها الى زمن بل الى الابد . ومع ذلك فلن ترى وجهي .

واذا اضطربت لدى سماعك الكلام : لن ترى وجهي وبكيت وانتحبتَ وقلت لله : بحقّك عرّني من كل هذه الأمور ودعني أرَ وجهك ؛ واحدةً سألتك وهي ان اقيم في بيتك حياتي كلها ، اجل ، ان اضطربتَ لذلك كله فأنت تحب . وان اضطرب قلبك لأنك لن ترى وجه الله واعتبرته قصاصاً لك صارماً فأنت تحب مجاناً .

ان كان في قلبك شرر من ذلك الحب المجاني فغذّه وانشد التواضع بالصلاة والتوبة المرة وحب البر والاعمال الصالحة وصادق الزفرات وخالص الامانة التي تزيده اضطراماً . انفخ فيه من الحب النزيه وغذّه حتى ينمو ويرسل لهيباً منبسطاً وأكولاً فيحرق تبن الشهوات اللحمية بأسرها .

ربّ ، انت تحثّني على ان احبك . وهل يسعني ان احبك قبل ان تحبني ؟ ان توانيتُ عن محبتك ، فلا تدعني اتأخر عن ان أبادلك حباً بحب .

انت سبقت فأحببتني ولم يكن حبي لك سبّاقاً .

لقد احببت الخاطئ وحللته من الاثم واحببت الخائن فميّزته عن الاثم واحببت المريض فعدته لتشفيه وظهرَتْ محبتك فيّ حين جئت الى عالمنا هذا لأحيا انا فيك .

انا لا اريد ان امجدك واحبك واعانقك وحدي اذ لولا حماسي واندفاعي في تمجيدك لما استطعت ان امد يَدَيّ لإخوتي واجلبهم اليك .

اجعلني اخجل من نفسي ان كنت احبك غيرةً من الآخرين .

بحبي لك اشمل اهل بيتي وجميع الذين يرتبطون بي : واسعى جادّاً للسموّ ، بمن اقدر ، عن طريق التشجيع والتوسل والمناقشة وتقديم البراهين ، بكل صبر ووداعة ؛ واحمل الجميع في حبي حتى اذا مجدوك رفعنا اليك آيات الحمد .

وهل اعذب من هذه المحبة ؟ احبك فأحب ما هو خير لي ؛ وليس ما هو خير لك ؛ والاّ لكنت اسيء الى نفسي وليس اليك .

وان لم احبك فلن يعوز لاهوتك شيء : انت تنميتني ولست انا انميك؛ ومع ذلك سبقت وأحببتني وجئت الى العالم لتموت عني قبل ان احبك وصرتَ واحداً منّا ، يا من خلقتنا .

الفصل السابع عشر : في محبة الذات الصحيحة

لا يسعك إلاّ ان تحب نفسك حباً خلاصياً ان كنت تحب الله اكثر من نفسك .

وكيف يحب الانسان الله اكثر من نفسه ؟

اسمع الكلام الذي كان يقبله الشهداء ويتلقفونه بشوق ويستسلمون اليه بكل نياط قلوبهم فيصبح جزءاً من كيانهم : « من اراد انّ يتبعني فليكفر

بنفسه ، اجل ، فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني » (متى ١٦ : ٢٤) .

وكيف يكفر بنفسه من يحبها ؟ انه لسؤال معقول ؛ ولكن ، بنظر الناس ؛ يقول الانسان للانسان : كيف يكفر بنفسه من يحبها ؟ امّا الله فيقول للانسان : كل من يكفرُ بنفسه يحبها ومن يحب نفسه يهلكها ومن يكفر بنفسه يجدها (يو : ١٣ : ٢٥) .

لقد أمرَّ من عرف كيف يأمر ويرشد ويثقّف ويجدّد ذاك الذي تنازل وخلق .

من المؤسف ان يخسر الانسان ما يحب ؛ بيد ان الزارع يخسر ما يزرع فيخرج الحب ويبذره ويتخلّى عنه ويُطمَر في التراب .

ولِمَ تتعجب ؟ المبذّر المحتقر يصبح حصّاداً بخيلاً .

وينقضي الشتاء ويقبل الصيف ويكون لك من الزارع رايه ومن الحصاد غبطتُه .

فمن احبّ نفسها فليهلكها ؛ وان سألت نفسك ثمرة فازرعها . ذاك ما تعنيه عبارة « اكفر بنفسك » كي لا تخسرها ان احببتها حباً مضاداً .

اطلب في الحب ما هو حق واحذر ممّا هو شر ؛ فانك ان احببتَ الاثم تخلّيت عن الله ، وان تخلّيت عن الله حباً بنفسك تخلّيت عن الله وما ثبّتّ في نفسك ، وخرجْتَ من نفسك بعيداً جداً عن قلبك باحتقارك ما هو باطني وتعلّقك ما هو خارجي .

اين انت ايها المحب لنفسه ؟ في الخارج .

هل انت المال الذي تحب ؟ انت تخلّيت عن الله ، حباً بنفسك ؛ لقد تخلّيت عن نفسك حباً بالمال . تخلّيت عن نفسك ثم هلكت . هات ميزان الحق ودع ميزان الشهوة ؛ وضَعْ نفسك في إحدى كفتيه وفي الاخرى المال . وها انت تزن بأصابع الغش التي للشهوة لكي ترجح كفّة المال .

توقّفْ ولا تزن : انت تريد ان تغش نفسك وانا ارى ما تفعل .

توقّفْ واترك الميزان لله : انه لا يغش ولا يُغَش .

هو ذا الله يزن: أصغِ اليه محذرًا قائلاً : «ماذا يفيدك لو ربحتَ العالم كله ؟» (متى ١٦ : ٢٦) .

انه الصوت الإلهي ، صوت القاضي الذي لا يغش ، صوت من ينبّه ويحذّر .

كنتَ تضع المال في كفّة ، والنفس في كفّة اخرى ؛ فانظر اين وضعت المال ؟ وبمَ يجيب الوازن ؟ لقد وضعتُ الله . وماذا ينفعك لو ربحت العالم كله وخسرتَ نفسك ؟

اردتَ ان تزن نفسك بالمال فزنها مع العالم : واردت ان تهلك كسباً للارض بيد ان نفسك تزن اكثر من السماء والارض .

انت تتصرف بهذا الشكل لانك حين تتخلّى عن الله حباً بنفسك تخرج من نفسك وتزداد اعتبارًا لما هو خارجي .

عُدْ الى نفسك وتطلّعْ من جديد الى فوق ؛ حين تعود الى نفسك فلا تمكث في نفسك .

عُدْ اولاً الى نفسك مما هو خارج عنها ثم سلّمْ نفسك الى خالقك الذي بحث عنك ضائعاً ووجدك ضالاً وردّك اليه كافرًا به .

اذن عُدْ الى نفسك وكمّل سيرك الى خالقك .

اقتدِ بذاك الابن الاصغر الشاطر — وقد تكون مثله — الذي انغمس في اللذة وافتقر في الملاهي وبذّر مواهبه ؛ ولمّا اصبح فقيرًا راح يرعى الخنازير ؛ واذ تألم من هذه الحالة تذكّر اصله فقال في نفسه : «كم من الاجراء في بيت ابي يفضل الخبز عنهم وانا هنا اموت جوعاً ...» (لوقا١٥ : ١٧).

ثم عاد الى نفسه . وان كان قد عاد الى نفسه فلانه خرج منها ؛ ولانه خرج من نفسه بزلة منه ، فقد عاد الى نفسه اولاً ، ليعود الى من قد ابتعد عنه بزلّة منه .

وبما انه حين سقط بزلّة منه ، بقي مصرًا على فكرة له شريرة ، هكذا حين عاد من جديد الى نفسه وجب عليه الاّ يبقى في نفسه كيلا يسقط من جديد ؛ حين عاد الى نفسه قال كيلا يبقى في نفسه : «اقوم واذهب الى ابي» ؛ ابتعد عن نفسه فابتعد عن ابيه ؛ وسقط الى ما هو خارجي فخرج من نفسه .

وعاد الى نفسه وجاء الى ابيه فوجد لديه الطمأنينة . ان كان قد ابتعد عن ابيه بخروجه من نفسه فبعودته الى نفسه قد كفر بنفسه ليذهب الى ابيه .

كفر بنفسه حين قال : خطئت في السماء وقدامك ولذلك فانا لستُ اهلاً لان ادعى لك ابناً... ذاك ما عمله القديسون : لقد كفروا بالخيور الخارجية والمغريات العالمية والاضاليل والمخاوف وبكل ما يروقهم ويخيفهم ؛ لقد كفروا بهذه كلها وداسوها وأتَوْا الى نفوسهم وتأملوها فعرفوها ولم يرضَوْا بها : أسرعوا الى الخالق فتجددوا فيه بالحياة ؛ وفيه ثبّتوا ليهلك في نفوسهم ما قد باشروا به ، وينمو الخير الذي زرعه في نفوسهم . ذاك هو الكفر بالذات وتلك هي محبة الذات بحسب البر . وعليه فاكفر بنفسك ولا تحيَ بها ؛ ولا تعمَلْ مشيئتك بل اعمل مشيئة الساكن فيك .

عواطف وصلوات

ربّ ، انت مخلصي ، وانا لا اريد ان اعادي فاديّ ولا ان اعلّم معلمي ؛ انما اطلب ثمن خلاصي من جنبك المفتوح . اريد ان اسير وراءك ، لا قدامك ؛ لاني ان سرت وراءك تبعتك وان تبعتك حملت صليبي فأكون تلميذًا لك ، لا مشيرًا .

ولا اريد ان احب نفسي خوفاً من ان اهلكها ؛ انما اريد ان اهلكها حباً بك لكي اجدها . وايّ نفع لي من المحافظة على حياتي فوق الارض اذا كنت اهلكها للسماء .

يفوتني ما احتفظ به ؛ واجد فيك ما اخسره . واي شيء لي ان لم تكن انت لي ؟ اريد منك سوى نفسي . مجاناً احبك ولا اريد سواك . لست اخشى الفقر لانك تهبني ذاتك وهذا حسبي .

الفصل الثامن عشر : في محبة القريب

يعلن الرب يسوع بانه اعطى تلاميذه وصية جديدة وهي ان يتحابّوا ، بقوله لهم : « وصية جديدة اعطيتكم ان تحبوا بعضكم بعضاً » (يوحنا ١٣ : ٣٤) .

الم تكن هذه الوصية في شريعة الله القديمة حيث جاء «بأن تحب قريبك كنفسك » (لاون ١٩:١٨) .

ولِمَ دعاها الرب وصية جديدة وهي قديمة ؟ اهي جديدة لانها تنزع عنّا القديم وتُلْبسنا انساناً جديداً ؟

انها لتُجدّد الحافظ لها ، او بالأحرى ، العامل بموجبها ؛ ولستُ اعني كل محبة ؛ بل تلك التي ميزّها الرب عن المحبة اللحمية بقوله : كما انا احببتكم .

يتبادل الازواج الحب ؛ وكذلك الوالدون وبنوهم ؛ ويرتبط الناس بعضهم ببعض بحكم ضرورة بشرية اخرى يحياها الخطأة فيما بينهم ؛ وليست تلك الضرورة هي التي تشدّ الناس بعضاً الى بعض انما العار المخجل في حياتهم .

وعليه ، فقد اعطانا يسوع وصية جديدة بان نحب بعضنا بعضاً كما احبّنا . بالمحبة تتجدّد لتصبح انساناً جديداً ، وارثاً العهد الجديد ومنشداً نشيداً جديداً .

بالمحبة تجدّد الصدّيقون القدامى والبطاركة والانبياء كما تجدّد ، فيما بعد ، الرسل والطوباويون ؛ وبالمحبة تجدّد اليوم ابناء الجنس البشري بأسره، المنتشرون في انحاء المعمور ، لتعمل منهم شعباً جديداً يكون جسداً لخطيبة جديدة لابن الله وعروس الابن الوحيد .

أصْغِ الى قول الرب :«وصيةً جديدة اعطيكم بان تحبوا بعضكم بعضاً ؛ لا كما يحب الاثمة بعضهم بعضاً ؛ ولا كما يتحابّ الناس كناس بل كما انا احببتكم » (يو ١٣ : ٣٤) .

فلنحب بعضنا بعضاً كما يتحابّ ابناء العلي لنصير اخوةً لابنه الوحيد .

فلنحب بعضنا بعضاً بالمحبة التي بها احبنا من سوف يوصلنا الى غايتنا التي منها يرتوي عطشنا الى الخير .

بتلك المحبة نموت عن العالم في جسدنا القابل الفساد ؛ وتختفي حياتنا مع المسيح في الله ، فضلاً عن ان محبتنا هي موتٌ عن العالم وحياةٌ في الله .

اذا كان الموت يبدأ بخروج النفس من الجسد فكيف لا نعتبر موتاً خروج محبتنا من العالم ؟

ان احببنا الله فلا يسعنا ان نستهين بدعوته ايانا الى محبة القريب .

وان احببنا القريب بالروح والقداسة فلسنا نحب فيه سوى الله .

وهل احبَّ المسيح فينا غير ابيه ؟ انه لم يحب ما لنا بل احبنا ليكون لنا وليوصلنا حيث الله كلٌّ في الكلّ .

وعلى هذا النحو فان الطبيب يحبّ مريضه حباً صحيحاً . انه لا يحب فيه سوى العافية التي يريد ان يبعثها فيه ؛ ولا يحب فيه المرض وقد جاء ليخلصه منه .

وبالتالي علينا ان نتحابّ ، لنتعاون ، ما استطعنا ، بلوغاً الى الله بالمحبة .

وأحبنا المسيح لكي نتحابّ . لقد اوصانا بمحبة بعضنا بعضاً ، لنرتبط بمحبة متبادلة ونصيرَ بفضل هذا الارتباط العذب اعضاء في جسد واحد لهذا الرأس العظيم .

يا اخي ، ارعَ هذه المحبة تَعِشْ بسلام .

وهل تخشى الإساءة الى الغير ؟ ومن الذي يسيء الى محبوبه ؟

احبَّ ولن يسعك الا ان تعمل الخير . ولكنك قد تضطر الى التوبيخ !

وبدافعٍ من المحبة توبّخ ؛ وليس بدافع من القساوة . وقد تضطر الى الضرب : اضرب حفاظاً على النظام ؛ لان حب المحبة لا يسمح لك بان تتجاهل الفوضى .

أنا لا اعرف انساناً يُضْمر البغض لعدوّه ويتظاهر له بالمودّة : يراه يعمل شراً فيثني عليه ؛ يريده ان يصير الى الهلاك ويسير اعمى في مزالق شهواته من حيث لا يعود . يمتدحه ويغمره بسيل من اللطف الكاذب : انه يكرهه ويمتدحه .

وانت ترى صديقك ينهج النهج عينه فتنصحه ؛ وان لم يسمع منك توبخه ؛ واليه تتوسل ثم تعاديه وغالباً ما تشعر بضرورة محاربته .

أنظر كيف ان البغض يتودّد والمحبة تقاوم .

لا تنظر الى كلام من يتملّق ؛ ولا تتوقف على مظهر التوبيخ القاسي ؛ بل انظر الى الينبوع ؛ وابحث عن الاصل ، الذي عنه يصدرُ هذان الاسلوبان في المعاملة .

هو يتملّق ليخدع وانت تقاوم لتصلح .

اضرمْ محبة الاصلاح حباً بالخلاص ليبتهج بها ذو الاخلاق الحسنة وليرضخ لها سيئ الاخلاق ابتغاء للاصلاح فالخلاص .

لا تحب في الانسان ضلاله بل احبه كانسان لان الانسان من صنْع الله والضلال من صنع الانسان .

احب عمل الله ولا تحب عمل الانسان .

ان احببت شيئاً قبلت به وعملت على اصلاحه .

لا تقصر محبتك على زوجك وبنيك بل اجعلها شاملة للكل .

ضع ثقتك بالله وليكن هو اول مَنْ تحب : ارتفع اليه واجذب معك من استطعت ؛ ان كان عدواً فاحمله الى الله .

أهو ابنك ام زوجك ام خادمك ؟ فليكن لله .

أهو ضيفك ؟ فاجعله لله .

اخطف له عدوّك فيبطل ان يكون لك عدواً .

على هذا النحو يتقدم الانسان وتغتذي المحبة وتتكامل : وعلى هذا

النحو ترتسم من جديد في قلبك صورة الله يا من خُلقْتَ على مثاله .

وبهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي اذا كنتم تتحابون (يوحنا ١٣ : ٣٥) .

وكأني به يقول : وتشاطرون من ليسوا لي ، هباتي كلها : ولا تشاطرونهم الطبيعة والحياة والرأي والعقل وحسب ؛ بل تشاطرونهم موهبة الالسن ومعرفة اسرار القلوب والنبوءة والمعرفة والايمان وتوزيع الاموال على الفقراء وتسليم الجسد لكي يحرَق ؛ ولكن بما ان المحبة تنقصهم جميعاً فانهم كالصنج يرنون وليسوا بشيء ؛ ولا ينفعهم شيء .

وبالتالي فلستم تُعرَفون كتلاميذ لي ، بفضل هذه الاعمال الخيرة التي يأتيها من ليسوا لي تلاميذ ؛ انما بفضل محبتكم بعضاً لبعض .

يا ايتها الجميلة بين النساء ، يا من تصعدين متكئة على حبيب لك يضفي عليك من بهائه نوراً ساطعاً فيسندك ولا تسقطين ؛ كم لك من مدائح في نشيد الاناشيد وكأنها قصيدة عرس ؛ لان المحبة هي في وسط نعيمك ! المحبة لا تخسر نفسك بين الاثمة : انها تميّز قصتّك عن سواها وهي قديرة كالموت في نعيمك . ما اعجب هذا الموت الذي يسهل في سبيله كل ضيق اذا لم تكن في نعيم !!

عواطف وصلوات

علّمني يا ربّ ان اتحمل الخطايا لان هناك من يدركون خطايا الآخرين ولا يحذّرون منها الخطأة ؛ وهذا الكذب مكروه .

اجعلني اتحمَّل الخاطئ ، لا حباباً بالخطأ الذي فيه بل لكي اتعقّب ما فيه من خطأ حبابه . اني احب الخاطئ ، ولست احبه كخاطئ بل كانسان .

إن احببت المريض تداركت الحمّى ؛ ولو كنتُ اتجاهل ما فيه من حمّى لما احببته ؛ سأقول لاخي كلّ حقيقــة ولن اخفيها عنه . سوف اقول له الحقيقة بصراحة ولكني اتحمّله الى ان يصلح نفسه . بالوقت الذي فيه يشكو البار خاطئاً نراه يتحمل عيوبه مشفقاً عليه .

ربّ سوف اصلح اخوتي ، ولكن اذا أدّبت بدافع من المحبة فلا تجعل قلباً خالياً من اللين . سوف اغضب من جرح لكي يبرأ صاحبه ؛ لاني ان استعملت اللطف في معالجة الجرح سار الانسان الى الهلاك .

الفصل التاسع عشر : في العناية بالموتى

لا بدّ من ان نَظْهَرَ جميعنا امام منبر المسيح لينال كل واحد منّا بحسب ما صنع خيراً كان او شرّاً (٢ كور ٥ : ١٠) .

ان قول الرسول هذا يهيب بنا الى ان نعمل ، قبل الموت ، ما سوف ينفعنا بعد الموت ، حيث ينتهي كل عمل ، ساعة الدينونة .

يسعك ، وانت حيّ بالجسد ، ان تعمل خيراً حتى اذا متّ كان عوناً لك ؛ ولذلك بقدر ما تصنع من خير في حياتك تنعُم بالمساعدة التي تقدمها لك الديانة بعد موتك .

هنالك اناس لا يفيدون من هذه التقدمات ؛ إمّا لان حياتهم بلغت من الشرّ حدّاً يصدّ عنهم كل مساعدة ؛ وإمّا لان الصلاح ملأ حياتهم فباتوا بغنىً عن المساعدة .

وبالتالي ، فالحياة التي يعيشها كل واحد بالجسد ، هي التي تجعل نافعاً له ما يقدّم عنه من اعمال تقوى بعد ان يتخلّى عن هذا الجسد .

واذا لم يحرز الانسان في حياته ما يجعل تلك المساعدات مفيدة فباطلاً يطلبها بعد الموت .

وعلى هذا النحو تسير الامور فلا تستخدم الكنيسة عبثاً صلواتها في الموتى انما يأخذ كل انسان معه ما يصنع في حياته خيراً كان او شرّاً ، والرب يجازي كلاً بحسب اعماله .

ولكي يفيد الانسان مما يُقدّم عنه يجب ان يستحقه في حياته بالجسد .

إنّا لنطالع في سفر المكابيين خبر تقدمة عن الموتى ، لم يطّلع الناس عليه في الكتب القديمة ، انما اخذته الكنيسة بعين الاعتبار واثبتته ، بما لها من سلطان ، وأقامت امام هيكل الرب الإله رباط التشفع بالموتى في فرض الكاهن .

بيد ان العناية بالجنازات ومواكبتها والدفن وظروفه أمور يجد فيها الاحياء تعزيةً لهم ولا يجني منها الاموات كبير فائدة . اذا كانت الجنازة الاحتفالية تنفع الكافر فهل تضرّ بالتقي الجنازة الوضيعة ؟ ويقيم جمهور من الخدم جنازاً احتفالياً ، بنظر الناس ، للغني المتدثّر بالارجوان ؛ ويقيم الملائكة جنازاً عظيماً ، بنظر الرب ، للفقير المغطّى بالقروح ؛ لا لكي يضعوه في قبر من رخام بل ليضعوه في حضن ابراهيم .

ومع ذلك فلا يجوز امتهان حرمة الموتى واحتقار اجسادهم ، ولا سيما الابرار منهم والصديقين ، الذين استخدمتهم النفوس آنيةً مقدسة للقيام بصالح الاعمال .

اذا كان الاولاد يزدادون تعلّقاً بخاتم والدهم او بثوبه او بأي شيء آخر منه استعمله في حياته كلما ازداد حبهم له ، فأحرِ بهم ان يكرّموا جسده وقد كانوا اليه اقرب وآنس من اي شيء آخر .

وهذه الاشياء ليست للزينة ولا للمساعدة الخارجية انما هي ملازمة لطبيعة الانسان بالذات .

وان تكن هذه التعزيات ، وما اليها ، حيث تظهر غيرة الناس على ذويهم هدفاً يسعون اليه ، فلا اراها نافعة للموتى ، الا اذا صلّوا لاجلهم واستشفعوا فيهم القديسين الموجودين في جوار الرب طالبين مساعدتهم ، وهم يكرمون مدافن موتاهم .

وتقام التذكارات فوق مدافن الاموات الذين انسلخوا عن اعين الاحياء ، تذكيراً بهم ، ولئلا يطغى عليهم النسيان في القلوب .

امّا اذا دعت الضرورة الى عدم دفن اجساد الموتى في هذا المكان او ذاك فلا يجوز اهمالهم في الصلوات بل على الجماعة المسيحية الكاثوليكية ان تقيم عنهم الصلوات ؛ واذا ضمتهم الكنيسة الى بعض صلوات تذكارية دون ان تعلن عنهم فلكي تتذكر هذه الأم الورعة ، التي هي للجميع ، ان هناك اناساً ماتوا ولم يخلّفوا والدين او بنين او اصدقاء او معارف يذكرونهم بعد الموت . واني لاعتقد بانه اذا لم تتم تلك الصلوات ، بتقوى صادقة ، وايمان مستقيم ، فلا نفع لهم من جنازاتهم مهما بلغت من القداسة .

إعتنِ بالموتى ؛ اذ لولا عنايتك لما توسلت الى الله من اجلهم ؛ ومع ذلك فلا تتصور بان ما تبديه لهم من اهتمام مفيد لهم كلياً الاّ اذا كان ما تقدمه عنهم من نوع التضرعات التي تقام امام مذبح الرب والصلوات والصداقات ؛ مع العلم بان هذه لا تنفع الاّ الذين استحقوها في حياتهم .

وطال ما لا يسعك ان تتبيّن من يفيدون من صلواتك فعليك ان تصلّي عن جميع الذين تجددوا بالنعمة لئلا تنسى واحداً ممّن استحقوا الصلاة .

ومن الافضل ان تقام هذه التذكارات التقوية عمّن لا تفيدهم او لا تؤذيهم على السواء لئلا يحرم منها اولئك الذين تنفعهم .

وعلى هذا النحو يُعنى كل انسان بأقاربه علماً منه بأن من يخلّفونه سوف يؤدون له الخدمة عينها . وبالرغم من هذا كله فان ما ينفق من مال في سبيل دفن الجسد لا يساعد البتة على خلاص النفس ؛ بيد انه واجب انساني تفرضه المحبة التي لا يكره احد بموجبها جسده .

واستناداً الى ما تقدم ، على الانسان ان يُعنى ، جهده ، بجسد قريبه ، بعد انفصال النفس عنه .

واذا كان غير المؤمنين بقيامة الاجساد يقومون بهذه الاعمال ، فأحرِ بمن يؤمنون بقيامة الاجساد وخلودها ان يقوموا بها شهادة على ايمانهم .

اسمح لي يا رب ، ان أحزن على ذويّ حزناً قابلاً للشفاء ؛ فأسكب على نفسي انا الصائر الى الموت دموعاً ، سرعان ما تُوقفها غبطة الايمان الذي به اؤمن ان المؤمنين حين يموتون يبتعدون عنا قليلاً ؛ انما لكي ينتقلوا الى حال افضل .

ان الاخوة يعزّونني بمشاركتهم لي تكريم الجنازة ومواكبتها فيواسونني في حزني حتى لا تصحّ بي شكوى القائل : « وانتظرت من يرثي فلم يكن ومن يعزّي فلم اجد » (مزمور ٦٨ : ٢١) .

على كل انسان ان يُعنى جهده بالدفن وتشييد القبور ، لان الكتب المقدسة تعتبر هذه الاعمال صالحةً ؛ عليه ان يُعنى بدفن اجساد البطاركة وسواهم من القديسين وممّن يبقون بلا ضريح وبخاصة من كان لك . سوف اقوم بهذا العمل كواجب عليّ تجاه ذويّ تخفيفاً لحزني عليهم . ولكني سأكبّ باجتهاد وسخاء والحاح على ان اغيث بتقدماتي وصلواتي وصدقاتي نفوس الموتى الذين يرتبطون بي برباط القربى وقد ظلّوا بالروح احياء ؛ وحبي لهم لن يكون طبيعياً وحسب بل روحياً .

قضى الله على حزن الوثنيين الذين لا رجاء لهم اما انا فيسعني ان احزن لان الرجاء يعزيني ويزيل عني كآبتي . فليطرح القلب حداده ولينفِ الايمان حزنه اذ لا يليق بمن كان هيكلاً لله ان يحزن ، وهو ذو رجاء عظيم .

ايها المعزّي الكلي الصلاح ، الوفيّ لمواعيدك ، انت تسكن في هذا الهيكل .

الكتاب الثالث

الفصل الاول : في طبيعة الشريعة والنعمة

ارادة الله شريعته ؛ يستشيرُها كلّ عقل تقي ؛ ليعمل بموجب ما يجد فيها من امرٍ ونهي ، وفقاً لما ترسمه الحقيقة الازلية .

لقد اعطيتَ الشريعة ايها الانسان لكي تعرف ذاتك ؛ لا لكي تشفى من مرضك ، بل ، لكي تسعى باحثاً عن الطبيب اذا تفاقم داء المخالفات .

لقد قال طبيبك : « ان الاصحّاء لا يحتاجون الى طبيب بل المرضى » . (متى ٩ : ١٢) . ايها المتكبّر إن لم تعترف بخالقك انكرتَ صانعك ؛ وان انكرتَ مرضك اعتبرتَ ان لا لزوم للطبيب . سبّح الخالق بطبيعتك واطلب الربّ لضعفٍ انزلته به .

تافه هو البحث عن الربّ من اجل شريعته ؛ لو اعطيت الشريعة المحيية لانبثق عنها البرّ دون سواها .

الشريعة عون أعطيتَهُ ، لئلا تظنّ نفسك سليماً . بحريتك جرحت نفسك ، أمّا وقد صرت جريحاً وضعيفاً ، فلن تتوصل الى ان تشفي نفسك بحريتك .

بيد انك ، يوم تبدأ تحيا حياة إفراط ، لا إعتدال فيها ، تصاب بمرض ولن تتخلّص من مرضك اذا استخدمتَ الطريقة عينها التي رَمَتْكَ بك في المرض . الطبيب يوصي سليم الجسم بالاعتدال ، والطبيب الصالح يشير الى ذلك ويأبى ان يكون وجوده ضرورياً للمريض . وهكذا فقد اوصى الربّ

الإله بالاعتدال الانسان المخلوق منزهاً عن كل عيب ؛ ولو انه عمل بموجب وصيته لما احتاج الى طبيب يعالجه .

ولكن بما انه لم يعمل بموجبها فقد اعتلّ وسقط . وبعد ان اصبح مريضاً راح يُنْجب أناساً مرضى ؛ لكن الله لم يشأ ان يتخلّى للموت الابدي عن الجنس البشري الذي شُجبَ بعدل ؛ فأرسل الطبيب الربّ الذي يشفي مجاناً ؛ وهو يعتبر الشفاء مجاناً ، شيئاً بسيطاً ؛ طال ما انه يكافئ من يعيد اليهم الصحة .

وهل من مزيد على هذه المحبة ؟

ومن ذا الذي يقول : « اشفيك وأكافئك » ؟ نبيلٌ هو هذا العمل لانه عالم ، وهو الغني ، بانه آت الى الفقير ليشفي المرضى ويعطيهم ذاته دون سواها .

المخلص عونٌ للمريضِ وأجر للذي يشفيه . استعمل الشريعة استعمالاً شرعياً اي اعرف بواسطتها علّتك واطلب مساعدة الله لتُشفى .

الشريعة لا تحيي ؛ ولو احيتْ الشريعة لصدر البرّ كل البرّ عن الشريعة ؛ ولما طُلِبَ المخلص وجاء المسيح وافتدى بدمه النعجة الضالة .

كانت الشريعة مرشداً لنا الى المسيح يسوع ؛ والمرشد لا يحتفظ بالولد بل يرسله الى الاستاذ ؛ وحين يتثقف الولد ويكبر يخرج عن طاعة المربّي .

دخلت الشريعة كل شيء فتكاثر الاثم ؛ ولكن « حيث يكثر الاثم تكثر النعمة ايضاً » (رومية ٥ : ٢٠) .

احتقرت مساعدة الطبيب حين كان مرضك بسيطاً ؛ ولكن ، لمّا تفاقم مرضك استدعيته .

وُضعَت الشريعة لتحدّ من المخالفات وتُذلّ عنفوان المتكبرين المعتمدين على قواهم ؛ وكأني بهم يظنون انهم يستطيعون ان يقاوموا الشريعة بحريتهم ؛ بيد ان الانسان الذي تمتّع بملء حريته في الفردوس الارضي كان قادراً على ان يسقط أو لا ينهض .

كنتَ على الارض ملقىً : ولولا سقوطك هذا لما احتجت الى وسيط . لقد انطرحت على الارض فعجزتَ عن النهوض ولن تقوم الاّ اذا مدّ الله اليك يده وسيطاً . لا تقل : بما اني لستُ تحت الشريعة بل تحت النعمة ، يمكنني ان اخطأ واعمل ما اريد .

ان قلت هذا ، لزمتَ المرضَ وما طلبتَ العافية : النعمة علاج . اذا شئت ان تظلّ مريضاً انكرت فضل الدواء ؛ ولكن حين تأخذ العون من الله ، هذه الهبة العلوية ، من يد الرب ، وتأتي ، بمساعدة الروح القدس ، خيرًا ؛ فلا تستكبر لجهد تأتيه وعملٍ تقوم به ؛ ان عملك هذا لن يكون صالحاً الاّ اذا استسلمتَ الى الخير ، لان روح الله ، عونك ، هو الذي يعمل فيك .

لقد فُرِضَ عليك اسم عونك ذاته ايها العامل بعض الشيء . اقرّ بما تطلب واقرّ بما تعترف به حين تقول : «كن عوني ولا تتخلّ عني» (مزمور ٢٦:٩) .

انتَ تدعو الله لكي يساعدك ، ولا ينال احد مساعدة اذا لم يعمل شيئاً . ونحن نعلم ، يقول القديس بولس: «ان الذين يحبون الله ، كل شيء يعاونهم للخير» (رومية ٨:٢٨) .

ان كنت انت تعمل فالله لا يعمل فيك . اياك ان تقول : اذا حرمني الله عونه ومساعدته فلا تتأثر نفسي بشيء من جرّاء ذلك ؛ وهي قادرة على ان تقوم بالاعمال ذاتها بشيء من الصعوبة والضيق : «السفر على شراع اسهل من السفر على مقذاف والتقدم فيه مضمون» .

والسفر على ظهر حصان ، اسرع منه مشياً على الاقدام ، ومع ذلك فالوصول مضمون للمشاة ايضاً ؛ انما ليست هي حالنا من مساعدة الله والمسيح والروح القدس .

لو فاتتك مساعدة الله لما استطعت حقاً ان تقوم بأي عمل صالح .

انك لتعمل احياناً ، بمعزل عنه ، حسب إرادتك الخيّرة ، ولكنك تعمل سوءًا ؛ لان ارادتك الحرّة كما سُمّيَتْ لا يسعها الاّ ان تعمل السوء ؛ ومتى عملته اصبحت خادمة واستحقت الشجْب .

اما المعلّم الحقيقي الذي لا يتملّق ولا يخدع احدًا فلا يقول لك : ومع انه يسعك ان تعمل شيئاً بدوني فمن الاسهل عليك ان تعمل معي ؛ انه لا يقول لك : بدوني تحمل بعض الثمر ومعي تحمل اكثر . اجل انه لا يقول لك ذلك . بل اسمع ما يقول : «بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً» (يوحنا ١٥–٥) .

أضِفْ روح الشريعة الى حرفها : ان اتخذتَ الحرف دون الروح فلستَ تعمل شيئاً بل تجاوزت الشريعة لان الشريعة تأمر ولا تنفّذ ؛ والجسد يُقاوم بضراوة حيث لا وجود للنعمة .

سألتُ الروح ان يساعدنا على تنفيذ اوامره .

لا يسعك ان تعذر جهلك لكونك اتخذتَ الشريعة ؛ لقد تعلمت ما يجب ان تصنع ولذا فالجهل لا يعذرك ؛ ان لم يساعدك الروح هلكت .

سَلِ الروح ان يكون لك عوناً ويلهمك ان تتم امر الله بفرح وسرور .

ولكن لا تخفْ : ان لم تحفظ الشريعة كاملةً فافزع الى الرحمة .

واذا صعُب عليك حفظ الشريعة فاستعمل الصلوات التي وضعها لك المشترع السماوي .

صَلّ بحرارة لتتمكّن من حفظها ؛ وسوف تبلغ مرامك اذا سألت الله عونه ولا تستبقْ مساعدة الله كما فعل بطرس معتدًا بقواه ؛ بل الحقْ بها وواظبْ على الصلاة نظير بطرس في توبته .

أطلبْ بطرس ، المعتمد على قواه ، تجد بطرس الخائن . واطلب بطرس المعتمد على الله تجد بطرس المبشر بالله .

ارتعد الضعف في ساعته ؛ لا لكي يُهلك التقوى بل لكي ينهزم الغرور.

ملأه الله من روحه وصيَّر المغرور الذي قال له : « سوف تنكرني ثلاث مرات » . حاملاً لواءه بشجاعة ؛ اغترَّ بقوى ليست من الله بل بالتي من نسيج حريته . ونظر الربُّ اليه فبكى بكاء مرًّا .

مرٌّ هو تذكّر الخيانة وعذبة هي نعمة الفداء .

لو لم يُترَك بطرس وحيداً لما انكر ؛ ولو لم ينظر اليه يسوع لما بكى .

واخيراً ، بعد ان قام الرب من الموت ، سلّم نعاجه الى بطرس الخائن .

لقد اغترَّ فأنكر ؛ وأحبَّ فأصبح راعياً .

لا تعتدَّ بقواك ؛ الله يدعوك ويأمرك بان تطيع ؛ وهو عينه يعطيك القوة لان تطيع وتعمل .

عليك ان تتسلّح بالايمان حتى تتواضع متى اقبلت النعمة وتتوسل الى الله ، ولا تغترَّ بنفسك فتنزع عنك الانسان العتيق وتلبس الجديد .

عواطف وصلوات

أحبَّني ، يا رب ، لئلا يقتلني الخوف ؛ وهبني ان اريد ؛ انما لا يكفيني ان اريد ؛ ساعدني على ان اريد ارادةً كاملة واتمَّ ما اريد .

ما أنا اخترتك ، بل انت اخترتني . ويا لها من نعمة تفوق الوصف ؛ مَنْ كنتُ انا قبل ان يقع اختياري عليك ؟

لم اكن احبك . مَنْ كنتَ اذاً ؟ كنت خاطئاً وهالكاً .

واي خير اتيت حتى استحققت هذه النعمة ؟ وما هي الاعمال الصالحة السالفة التي صنعتها حتى منحتني نعمتك ؟

وهل وجدت فيَّ فضائل جديرة بالتكريم ، بدلاً من خطايا تستوجب المغفرة ؟

اكيد انك لو شئت ملاحقة الاثام التي غفرتها لي لما ظلمتني . أوليسَ العدل كل العدل في معاقبة الخاطئ ؟ ومع ان معاقبة الخاطئ عدل فلا يليق برحمتك ان تعاقبني بَلْ تبرّرني وتصيّر الخاطئ باراً والكافر مؤمناً .

لولا تنبيه من رحمتك ، لما فاضت بالتسبيح لك شفتاي . احمَدُك على ما اعطيتني واسبّح رحمتك واباركك مدى الحياة وباسمك ارفع يدي .

والفضل في ذلك ليس لي ولا لحياتي التي تباركْتَ فيها بل لرحمتك عليّ .

باسمك ارفع يديّ ، وبالصلاة ارفعها . ايها الربّ إلهي لقد رفعت يديك على الصليب وبسطتَهما من اجلي . اجل ، بسطتَ يديك على الصليب لابسط يدي الى عمل الخير ؛ لان صليبك حمل اليّ الرحمة : لقد رفعت يديك وقرّبتَ ذاتك عني الى الله ذبيحة تمحو كل خطاياي .

اجعلني ارفعْ يديّ انا ايضاً اليك في صلاة ؛ ولن تخيب صلاتي اذا تمرستُ بالاعمال الصالحة ؛ ردّ اعمالي الصالحة الى ذهني حين ارفع اليك يديّ لئلا انسبها اليّ بل الى رحمتك .

لا لي يا ربّ ، لا لي ، بل لاسمك أعطِ المجد .

أحبِبْني باسمك وبِبرك ، وليس ببري واستحقاقاتي بل بعطفك عليّ .

لو بيّنْتُ لك فضلي ، لما كان لي منك سوى العقاب ، يا من اقتلعتَ مني عيوبي وغرستَ فيَّ عطاياك .

الفصل الثاني : في طبيعة الخطيئة

الخطيئة عمل وقول وميل مخالفٌ للشريعة الابدية .

والحال ، فان الشريعة الابدية هي العقل الإلهي والارادة الإلهية التي تدعو الجميع الى احترام نظام الاشياء الطبيعي وتنهى عن تجاوزه .

وبالتالي فالخطيئة هي شرٌّ في الانسان وفوضى حقيقية ؛ بالخطيئة يميل الانسان عن الخالق الاسمى الى الكائنات الدنيوية .

أعمالُ الله لك ، خير كلها ؛ انما فيها الكبير والصغير ، وفيها الروحي والزمني ؛ ومع ذلك ، فكلّها صالحة لان صانعها صالح .

ولذلك قيل في موضع ما من الكتب الالهية : « ورايته فيَّ المحبة » (نشيد ٢ : ٤) . لقد خلقك الله صالحاً الى حدّ ما ، ثم وضع ما هو ادنى وأحط ووضع دونك شيئاً تعلوه لتصير ارفع من هذا وأحط من ذاك . إياك ان تتخلى عن الاسمى وتتجه الى الادنى .

إنْ اسأت التصرف بخيور حزتها ، خطئتَ حتماً ؛ استعملْ خيور الدنيا استعمالاً حسناً لتتمتّع تمتعاً تاماً بالخير الاسمى .

وتميل الى ما ليس شرًا بطبيعته ؛ انما يسوء باستعمالك له استعمالاً سيئاً وبمقاومتك لنظامه الطبيعي ، فتنحدر من الارفع الى الادنى .

وفي الواقع ، فالبخل ليس عيباً في الذهب ؛ انما عيب في من يحبّ الذهب حباً رديئاً ، متخلياً ، عن العدل الذي هو افضل من الذهب ، في سبيل الحصول عليه .

وليست الدعارة عيباً في الاجسام الجميلة والانيقة ؛ انما هي عيب في النفس التي تهوى اشباع ملذاتها الجسدية ، عن طريق الاثم ؛ فتنبذ التعفف والاعتدال الذي به نتعلق ، بالروح ، كلّ جمال ممتع ، بشكل صالح ، لا يعرف الفساد اليه سبيلاً .

وليس الاعجاب بالنفس عيباً في مديح الناس ؛ انما هو عيب في النفس الوسخة التي تهوى تقريظ الناس لها نابذة شهادة ضميرها .

وليست الكبرياء عيباً في ذوي السلطان ولا في السلطة عينها ؛ انما هي عيب في النفس الشريرة التي تريد ان تفرض سلطتها متجاهلةً وجود سلطة شرعية اعلى منها .

وبالنتيجة ، فكل من يحبّ خيرًا ما ، حباً اثيماً ، أياً كان ذاك الخير ، يأثمُ هو ذاته ، في الخير الذي يحصل عليه ؛ ويشقى لحرمانه ذاتَه خيراً افضل .

خفْ من الشرّ في نفسك ؛ وخفْ من شهوة فيك ؛ خفْ مما خلقتَ في نفسك ؛ وليس لله أيّ شأن فيه .

الربّ خلقك خادماً صالحاً ؛ وانت خلقت ، في نفسك ، في قلبك ، ربّاً شريرًا ؛ فتطيع الاثم وتخضع للربّ الذي صنعتَه لنفسك ، لانك تأبى الخضوع للذي خلقك .

اسمع لصوت الربّ الإله الذي يقول لك .

صوت المسيح

يا بنيّ اني اكره ما هو منك واحبّك انت ؛ اكره ما صنعت انت واحب ما انا صنعت . ومن انت سوى ما صنعتُ على صورتي ومثالي ؟ انك تهمل ذاتك وتحب اعمالك وتهمل في ذاتك عملي فتبتعد عني طبعاً وتعثر وتخرج عن ذاتك . اصغِ الى كلامي : « توبوا اليّ فأتوب اليكم » (زكريا ١ : ٣) فأنا لا اتغيّر ولا اتخلّى عنك ؛ انما أصلح بقائي ، ثابتاً وغير قابل التغيير .

ابتعدت انا ؛ لانك ابتعدت ، واتخذتني سبب عثرة ولم اجعلك تعثر .

اصغِ اذًا اليّ : « توبوا اليّ فأتوب اليكم » . وهذا يعني اني اتجـه اليك بعد ان ترتدّ اليّ .

اني اتعقّب الهارب وانير وجه التائبين . الى اين تهرب بعيدًا عني انا الموجود في كل مكان والذي لا يحده مكان ؟

اخلّص الباحثَ عني وأعاقبُ من يهجرني ؛ اذا هربت مني وجدتَ قاضياً ؛ الافضل لك ان تتوب اليّ فتجد اباً .

لا تسئ التصرف بحريتك ، فتخطأ حريتك ؛ بملْ ارادتك ، كيلا تخطأ ؛ لان ارادتك تكون حرة اذا كانت صالحة .

صوت النفس

لقد فاضت عليّ رحمتك يا ربّ وعطفك عليّ كبير ؛ لانك افتديتنا بدمك يوم كنّا تفاهةً بسبب آثامنا : ولقد اتيت عملاً عظيماً يوم خلقت الانسان على صورتك ومثالك . وبما أنّا شئنا خطأةً ألاّ نحسب شيئاً ، وانتقل الموت ووزرُ الخطيئة الينا من ابائنا صرنا

كتلةً من غضب وإثم . ومع ذلك فقد حَسُنَ لديك، يا رحيم ، ان تفتدينا بثمن عظيم . وبذلت دمك عنّا يا من ولدت وعشت ومتّ باراً .

يا من افتديتنا بهذا الثمن العظيم ، انت لا تريد ان نهلك . انت ما افتديتنا لكي نهلك بل لكي نحيا ، ولو ارتفعت خطايانا فوق رؤوسنا ، فأنت لا تزل الثمن الذي دفعته عنا ، لانك دفعت ثمناً باهظاً .

الفصل الثالث : في ان الخطيئة هي عمى النفس

يقتصّ الله في بدء الامر من النفس التي مالت عنه فيضربها بالعمى عقاباً لها.

لان من مال عن النور الحقيقي الذي هو الله يصبح اعمى ويحلّ به العقاب وان لم يشعر به .

اتظن ان هذا العقاب بسيط ؟ متى تكلّمت عن ظلام القلب دون سواه وعن عمى العقل ، فهل تعتبره عقاباً خفيفاً ؟

لو سرقت شيئاً وفقدت للحال إحدى عينيك لزعم الناس ان الله الذي هو حاضر قد اقتصّ منك ؛ أو تَفْقُدُ عين قلبك وتظن ان الله يحميك من الاذى ؟

لا تعتقد بان النور غير موجود لكونك لا تراه ؛ الشمس للأعمى موجودة وان لم يرها ؛ وهي موجودة بالنسبة اليه انما هو غائب عنها . وانت تخطأ تفقد النور من قلبك .

الحكمة حاضرة ، وبرغم انها حاضرة امام الأعمى فهي غائبة عن ناظريه ، لا ، لانها بعيدة عنه بل لانك انت الأعمى قد ابتعدت عنها . ماذا يجب عليك ان تعمل ؟ تَنَقَّ لتتمكن من رؤية الله . انك لتترك ها هنا ، ساعة تموت ، ما كان يحملك على الخطيئة ؛ وتحمل معك خطاياك .

ان كنت تخطأ بسبب المال فيجب ان تتركه هنا ؛ او بسبب الاملاك

فيجب ان تتركها هنا ؛ او كنت تخطأ بسبب المرأة فيجب ان تتركها على الارض ؛ وحين يُطبق الموت جفنيك تضطر الى التخلي عن كل ما كان يحملك على الخطيئة لتحمل معك الخطيئة التي اقترفتها . ومع ذلك نراك تخطأ ؛ البخل عدوّ المسيح ؛ ولِمَ انت عبدٌ له ؟

المسيح يأمرك بالقليل ؛ فلا تعمله ؛ والبخل يأمرك بالكثير ؛ واياه تعمل .

المسيح يأمرك بان تكسو الفقير فلا تطيع ؛ والبخل يأمرك بالغش فتطيع .

ولكن ان لم ترَ الخطيئة قبل ان تعملها ؛ فتفحّصْها على الاقل بعد ان تعملها .

حلاوة العالَم تطيّب العالَم الى حين ؛ ثم تنقلب مرارة حادة .

لقد خطئتَ وجنيتَ ربحاً ؟ فما هو هذا الربح الذي جنيتَه ؟

لقد أهنْتَ الله حباً بالكسب ؛ وضعُفَتْ صداقتك له ، لتزيد من مالك وذهبك .

فماذا خسرتَ وربحتَ ؟ لقد ربحتَ ذهباً وخسرتَ صداقة الله .

قارنْ بين الصداقة والذهب . لو كانت هذه الصداقة تباع وتُشرى في الاسواق لكان لها ثمن كثير .

اتفكّر بربحك ولا تفكّر بخسارتك ؟ انت تفرح بما تحشو به صندوقك ، ولا تبكي على ما يخلو منه قلبك ؟ انا لا ادري بما يملأ صندوقك ؛ انما عليك ان تخاف مما يفرغ منه قلبك .

حين تفتح صندوقك وتجد فيه ذهباً جديداً تفرح بزيادة وجدتها فيه ؛ افتح صندوق قلبك الذي كان عامراً بصداقة الله ثم خلا منها ؛ ان كنت تفرح بتلك الزيادة فلماذا لا تحزن لهذا النقصان ؟ خسارتك كانت اوفى من ربحك ؟ وماذا يحلّ بك ؟ لن تتمكن من حمل الذهب الذي ربحته على حساب صداقة الله ، لو ظلّ قلبك عامراً بالله لنال اكليل النصر ؛ لكنه يسير الى العقاب .

تأمَّلْ بما صنعتَ فانه كلا شيء ، وبسببه اهنتَ الله ؛ ولكن ، ما اقوى هذه الشهوة التي تعميك عن رؤية هذه الاشياء .

يا بني العزيز ، لا تكن ظلمةً ولا تكن كافرًا ظالماً ، اثيماً ، خاطفاً ، بخيلاً ، ومحباً للعالم ؛ لان هذه كلها ظلام . النور ليس بعيداً عنك انما انت بعيد عنه . فلا تكن اعمى .

عواطف وصلوات

لقد خلقتني يا ربّ على صورتك فهلكت . وماذا فعلت ؟ لقد اشعلت السراج . السراج من لحم ، انما فيه النور حيث تجد نفسي ذاتها .

سراج الحكمة جسدك . من التراب صنع انما بكلمتك يسطع ويجد النفس الضائعة .

انتَ مخلّصي ونعيمي ؛ وانّى لي هذه النعمة لولا استنارة الليل ووجودك معي ؟ سألت عني قبل ان اسأل عنك ووجدتني لكي اجدك .

انر سراجي ايها الرب إلهي وأنر ظلمتي .

لقد كنت حقاً ظلمة قبل ان احبك ، ويوم لم اكن اعترف بخطاياي بل ادافع عنها كنت ازيد ظلامي سواداً . لقد كنت في ظلمتي واذ اعترفت بها استنارت .

اني لا اريد ان ازيد ظلامي اسوداداً بدفاعي عن اعمالي الشريرة ، حينذاك يصبح ليلي نوراً في نعيمي لان ظلمتي تبطل ان تظل فيك ظلمة .

الفصل الرابع : في عبودية الخاطئ

كل انسان يهودياً كان ام يونانياً ، غنياً ام فقيراً ، نبيلاً ام حقيراً ، ملكاً ام مستعطياً ، اجل كل انسان يعمل الخطيئة يكون عبداً للخطيئة .

ليتَ الانسان عبد للانسان من دون الخطيئة ! اني اسأل الله ، لي ولك ، قدرة للتحدث عن تلك العبودية التي يجب علينا ان نهرب منها .

أصغِ الى النبي القائل : « ويل للذين يجرّون الاثم بحبال الباطل والخطيئة بمثل امراس العجلة » (اشعيا ٥ :١٨) . العجلة هي الخطيئة ، ويجرّ الاثم بمثل امراس العجلة اولئك الذين يزيدون خطايا على خطايا فيعملون خطيئة ثم يقترفون اخرى تخلّصاً من الأولى . وكما انه يلزم لمن يصنع حبلاً ان يجمع خيوطه خيطاً خيطاً ويشدها شداً قوياً ، هكذا هو الحال في الخطايا التي تتجمع وترتبط الواحدة بالاخرى لتؤلف حبلاً طويلاً .

وما الغاية من هذا الحبل ان لم يكن لربط رِجْلَيْ الخاطئ ويديه وزجّه في الظلمة الخارجية ؟

انك لتذكر ما جاء عن احد الخطأة في الانجيل : (متى ٢٢ :١٣) لو لم يعدّه هو لنفسه لما كان له هذا الحبل لتقييد يديه ورجليه . ولقد قيل في مكان آخر : « المنافق آثامه تأخذه وبحبائل خطيئته ينشبُ » (امثال ٥ :٢٢)

لا تَثِقْ بغبطة تجنيها من خطيئة لان آلامها تفوق افراحها بمقدار .

انك تصبو الى السعادة ، بيد انك مشدود الى حديد غريب بارادة لك من حديد .

ويمسك العدوُ بارادتك جاعلاً منها قيداً يضغط به عليك لان الشهوة انبثقت عن ارادتك الفاسدة ؛ وعن الانقياد للشهوة تنشأ العادة التي اذا لم تقاومها صارت فيك ضرورة . وعلى هذا النحو فإن القيد الذي شبكت حلقاته ينطبق فيأسرك في عبودية قاسية .

ويا له من استعباد مُذلّ استعباد الخطيئة ! ان معظم الناس الذين يتألمون من استبداد اسياد ظالمين يتمنّون لو يباعون من آخرين ليغيّروا على الاقل مواليهم . وماذا يستطيع ان يعمل عبد الخطيئة ؟ وبمن يستجير ؟ وممّن يباع ؟

واخيراً نرى العبد الرقّ ، وقد ملّ مطالب سيده ، يأبق تخلصاً منه ؛ ولكن الى اين يهرب عبد الخطيئة ؟ انّى هرب جرّ وراءه خطيئته . لا يستطيع

الضمير الشرير أنْ يهرب من ذاته ؛ فما من مكان الآ ويصل اليه ؛ او بالاحرى لا يستطيع ان ينفصل عن ذاته لان الاثم الذي اقترفه باطني ؛ لقد صنع الاثم سعياً وراء لذة جسدية فاذا بما قد كان سبباً لغبطته يبتعد عنه ويبقى الجريح وحيداً . يا لشرّ العبودية !!

لقد خطئ طمعاً بأشباع شهوة جسدية ؛ فاذا باللذّة تنقضي وتبقى الخطيئة : اللذة تنقضي والأسر يبقى . فيا للعبودية الاثيمة !

يرُوقُك طريق الخطأة لانه رحب والسائرون عليه كثيرون : انت تدرك عرضه ولا ترى نهايته .

في آخره هوّة عميقة ؛ وقعرُها سحيق جداً ؛ والمغتبطون في السير عليه ينتهون الى الهوّة . وطال ما انك عاجز عن رؤية نهاية الطريق بعينك فثق بمن يراها .

أليس من واجبك ان تثق بالربّ إلهك القائل : « واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي الى الهلاك والداخلون فيه كثيرون » (متى ٧ : ١٣) . سيقضي الربّ على هذا الطريق ، طريق الخطأة . إفزع الى المسيح واطلب عون الله الذي حرّرك من الخطيئة واطلب ان تباع فيشتريك بدمه .

فانه هكذا قال الربّ : « مجاناً بعتُمْ وبغير فضة تُفْدَوْنَ » (اشعيا ٥٢ : ٣) . يقول الربّ هذا الكلام لانه هو عينه دفع الثمن ؛ ولم يدفع مالاً بل بذل دمه لانك لا تزال عبداً بائساً .

عواطف وصلوات

وكما يكره الطبيب في المريض داءه فيعالجه ليشفى منه ويتعافى ؛ هكذا انت تعمل لي ايها الربّ إلهي لتقضي على الاثم وتخلّص الانسان منه لان أولى الحريات هي ان يكون الانسان خلُوّاً من كل عيب .

ومتى عشتُ في البر فاخرتُ بحريتي ؛ بيد أنّ هذه الحرية الجديدة ليست كاملة لاني

ارى في اعضائي سُنّةً أخرى تضادّ سنّة عقلي بحيث لا اعمل ما اريد وما لا اريده اياه اعمل (رومية ٧ : ٢٣) .

حرّ أنا من جهة وعبد من جهة اخرى ؛ وحتى الآن لم ابلغ الحرية الكاملة الصافية ولمّا اصل الى الابدية . مريض انا من جهة وحرّ طليق من جهة اخرى . حرّ انا ، ربّ ، بالجزء الباقي لي في مرضي والذي به اخدمك ؛ انما لا ازال عبداً بذاك الجزء الذي به اخضع لسنّة الخطيئة .

أنا انسان شقي يا رب ! فمن يخلّصني من جسد الموت هذا ؟ نعمتك بواسطة ابنك ربنا يسوع المسيح (روميا ٧ : ٢٤–٢٥) .

الفصل الخامس :

في ان حزننا لموت النفس يجب ان يفوق حزننا لموت الجسد

كما يموت الجسد عندما تفارقه النفس كذلك تموت النفس عندما تنفصل عن الله . بيد أنّ موت الجسد محتوم وموت النفس اختياري .

عندما تنفصل النفس عن الجسم ، يموت : كان قُبَيْل الموت جميلاً فأصبح بعده قبيحاً . وتبقى الاعضاء كالعينين والأذنين بمثابة نوافذ لبيت هجره سكانه .

ومن يبكي على الميت كمن يصرخ بدون جدوى على نوافذ مسكن ليس فيه من يسمع . شعور الباكي يعبّر عن امور كثيرة : كم يُحْصي من حسنات ويعدّد من مآثر . وما اشدّ حزنه متكلماً كأنّ الناس يفهمون ما يقول مع انه يتكلم الى غائب ! انه يستعرض عاداته ومظاهر عطفه عليه فيقول : انت اعطيتني كذا ووهبتني كذا وكذا وغمرتني بمحبتك . لو انك فكرت وادركت فسبرت غور حزنك الجنوني لرأيت ان من احبَّك قد ابتعد عنك ؛ وعبثاً تقرعُ باب بيت لن تجده فيه . الجسد يحيا والانسان يأثم ويخون

ويأبى ان يؤمن ويتصلّب في تقويم اخلاقه ، وبرغم انه حيّ بالجسد ، فالنفس التي تُحيي الجسد ميتة .

النفس كنز ثمين ؛ انها لتحيي الجسد ، وان ميتة ؛ والنفس خليقة ، سامية ، جديرة ، وان ميتة ، بأن تحيي الجسد .

هل تبكي ميتاً ؟ من الافضل أن تبكي الخاطئ والكافر والأثيم لانه مكتوب « النوح على الميت سبعة ايام والنوح على الاحمق والمنافق جميع ايام حياته » (بن سيراخ ٢٢:١٣) .

وهل فيك رحمة مسيحية وتبكي جسداً فارقته النفس ولا تبكي نفساً فارقها الله ؟ ولِمَ تخشى موت الجسد ولا تخشى موت النفس ؟

تسهر لكي تبعد موت الجسد ، مع انه آت حتماً . وكذلك فأنت تتعذب : تعمل جهدك كيلا تموت يا من حُتِّمَ عليه ان يموت ؛ ولا تسعى للكفر بالخطيئة يا من يجب عليه ان يحيا الى الابد .

ومع انك تعمل كيلا تموت ، فعملُك باطل ، لانك تعمَل لكي تؤخر الموت ، لا لكي تتحاشاه .

امّا اذا سعيتَ جهدك كيلا تخطأ فلا عذاب لك بل حياة الى الابد . أضْرِمْ فيك نار الحماس ، ثم اضرمها في نفسي لنحب تلك الحياة الى الابد ، كما يحب الناس هذه الحياة الفانية .

وبالنتيجة ، عليك أنْ تخشى موت النفس ، واياك ان تخشى موت الجسد ؛ لانك ان خشيتَ موت النفس حييت في الله وان احتقرت جسدك بحقّ ، استعدته في النهاية ؛ لا للعذاب الابدي ، نظير الاشرار ، بل للحياة الابدية نظير الابرار .

استحق القديسون ، من الله، المجد ، اكليلاً ؛ وخلّفوا لنا اسمهم ممجداً ، بعد ان خافوا من ذلك الموت واحبوا هذه الحياة منتظرين تحقيق مواعيد الله ، محتقرين الى جانب ملاذّ الدنيا مضطهديهم وتهديداتهم .

ارحمني يا ربّ واحفظ نفس عبدك ! ها اني اسمعك تقول لي : « لا تخافوا ممّن يقتلون الجسد ولا يستطيعون ان يقتلوا النفس » (متى ١٠:٢٨) .

يستطيع ان يلحق بي ضرراً كبيراً من استطاع ان يقتل جسدي ؛ ولكن ماذا يستطيع بعدئذ ؟ يستطيع ان يُلحق بي ضرراً كبيراً كل من استطاع ان يقتل جسدي ؛ ولكن ماذا يستطيع بعدئذ ؟ يستطيع ان يعمل بي ما قام به ضدك . ولماذا اسعى وراء الخيرات طال ما اخشى ايها الرب إلهي ان اقاسي ما قاسيت من عذابات؟ لقد جئت، يا رب ، لابساً هذه الحياة الزمنية المريضة المعرّضة للموت . ولو اني استطعت ان لا اموت لما خفت من الموت حقاً ؛ ولماذا لا اقبل ، حبابك ، ما لا استطيع ان اهرب منه ، بحكم طبيعتي ؟

بامكان العدوّ الذي يهددني ان ينزع مني هذه الحياة . امّا انت ايها الرب إلهي فستمنحني حياةً اخرى ، لان الاولى هبة منك ؛ واذا ابيت، فهذه ايضاً لا تنزع مني . اما اذا شئت فلديك ما تعطينيه عوضاً عنها . ولا اخشى التجريد من كل شيء حباً بك ! وهل اخشى على نفسي ان تُجرّد من ثوبها الفضفاض وقد كسوتها ثوباً من المجد ؟ غضب العدو لا يتعدّى القتل ؛ ان استطاع ان يقتل الجسد فهو عاجز عن منعه من القيامة ولا سلطان له بعد الموت لا على النفس ولا على الجسد . كنت اخشى على نفسي فاذا بك تقول لي : « جميع شعور رؤوسكم محصاة » وكيف اخشى ان افقد نفسي ولا يسعني ان افقد شعرة واحدة من رأسي ؟ لا شيء يخيفني لأنك اقوى من الكل ايها القدير يا من دعوتني ، يا اقوى الاقوياء واعلى من كل ذي سلطان . لقد متَّ عني وانا واثق بأن احيا بك لان موتك عربون لي عن حياتك . وعمّن مت ؟ عن الخطأة ام عن الابرار ؟ سَلْ بولس يقل لك : « لقد مات المسيح عن الخطأة » كنت خاطئاً فمتَّ عني ؛ وهل تتخلّى عني بعد ان تبررت ؟ وهل تتخلّى عن البار يا من بررت الخاطئ ؟

الفصل السادس : في ثقل العادة الشريرة

قيل : العادة طبيعة ثانية تزاد على الاولى .

العادة قدرة ، اذا تأصلت فيك ، كانت لك عدواً ؛ ولا شرّ منه .

وما اصعب نهوض الرازح تحت ثقل العادة الشريرة ؛ لان الخطأ شيء واتخاذه عادةً شيء آخر . ان من يخطأ ثم يصلح خطأه فوراً يعود سريعاً من جديد الى الحياة لان قيود العادة لم تؤثخره ولم تكن له قبراً ؛ لكن الذي يتعوّد الخطأ يُدفَن في اغلال عادته ولذلك يقال عنه بحق : رائحة كريهة تفوح منه .

وفي الواقع ، تفوح منه رائحة كريهة ؛ لانه عاطل الصيت ؛ وانت تقول له : اياك ان تعمل هذا . فكيف يستطيع ان يسمع لك وهو الذي تضغط عليه الارض وقد أنتن ؛ ويرزحُ تحت وطأة العادة الشريرة .

كُنْ على ثقة بان الموتى الثلاثة الذين أقامهم ، بالجسد ، سيدنا يسوع المسيح ، يرمزون ، نوعاً ما ، الى النفوس القائمة من الموت . لقد اقام ابن رئيس المجمع الذي كان مسجّى في البيت ؛ واقام وحيد الارملة الشاب ، المحمول على الأكف ، خارج ابواب المدينة ؛ واقام العازار بعد دفنه بأربعة ايام . تأمّل نفسك « ان خطئت متّ » الخطيئة موت النفس . بيد انك تخطأ بالفكر احياناً اذ يروقك ما هو شر ، فتقبله وتخطأ به ؛ واذا بهذا القبول بالشر يميتك ميتة باطنية لان فكرك العاطل لم ينتقل الى حيّز العمل .

ان الرب الذي اقام من الموت تلك الفتاة التي كانت لا تزال في بيتها قد رسم ما يجب القيام به تجاه نفس لا تزال خطيئتها باطنية . اما اذا قبلتَ الشر باطنياً ثم جسّدته عملاً أشبهتَ الميت المحمول على الأكف خارج المدينة ؛ ومع ذلك فقد اقامه الربّ وردّه الى امه الارملة ؛ ان خطئت فاندم على خطيئتك والربّ يقيمك ويردّك الى أمك الكنيسة .

والميت الثالث هو لعازر الذي يرمز الى نوع من الموت الرهيب . « انه العادة الشريرة بالذات التي تضغط على النفس فلا تقوى على النهوض ، ولا على التنفس » ويأتي الربّ الذي يسهـُل كل شيء لديه ، ويبدأ يُظهر بعض الصعوبة ثم يرتجف بالروح ويصرخ صرخة قوية ويبيّن ان التوبيخ هو لمن استسلموا بعناد الى عادتهم العاطلة ؛ وعندما يأمر الرب ، صارخاً ، تتحطم قيود الموت ويرتعد سلطان الجحيم وتعود الحياة الى لعازر ؛ ولكن تأمّل كيف يقوم من الموت . هوذا يخرج من القبر حياً ، غير قادر على المشي فيقول الرب لتلاميذه . حلّوه ودعوه يذهب . الرب اقام الميت والتلاميذ حلّوه من ربطه .

فمن الضروري اذن على من يعود الى الحياة ان يُحَلّ من قيوده ، ويسمح له بالذهاب . وعَهَدَ الرب بهذه المهمّة الى الرسل حين قال لهم : « ما حللتم في الارض حُلَّ في السماء » (متى ١٨:١٨) .

إنْدم على اثمك طال ما لا يزال في القلب ، وقبل ان يصبح فعلاً ؛ ونَقّ ضميرك وليقم الميت في بيت الضمير . امّا ان خرج الاثم ، الذي فيك ، من الفكر الى الفعل ، فلا تيأس ؛ أن الميت لا يقوم وهو في داخل البيت بل وهو محمول على الأكف .

إنْدم على عملك تَعُدْ اليك الحياة بسرعة ؛ ولكن اياك ان تقبل من جديد صخرة العادة الشريرة .

وقد يكون حديثي مع انسان ثَقُلَتْ عليه صخرة اخلاقه القاسية فرزح تحت ثقل العادة الشريرة ودُفن منذ اربعة ايام وأنتن . وعلى هذا ايضاً ألاّ ييأس . لقد اصبح الميت في اللجّة بيد ان المسيح في الاعالي ؛ وهو قادر على ان يصرخ ويقلب أثقال الارض ويحيي بذاته الباطن ويُعهد به الى تلاميذه لكي يحلّوه من قيوده . عليه اذن ان يتوب . ولن يبقى في لعازر الحيّ ، القائم من الموت ، بعد دفنه باربعة ايام ، أيّ اثرٍ للفساد . وبالنتيجة

على من يحيون ، ان يحافظوا على الحياة ؛ وعلى من يعرفون انهم موتى بإحدى هذه الميتات الثلاث ، ان يسعوا الى قيامة سريعة .

عواطف وصلوات

ربّ ما اصعبَ النهوض على من تضغط فوقه صخرةُ العادة الشريرة ؛ ومع ذلك فانه ينهض بعد ان تحييه من الباطن نعمتك الخفية ؛ ويقوم بعد ان تصرخ فيه صرختك القوية .

لقد رأيتُ أناساً كفروا بعادات لهم شريرة فعاشوا حياة اكمل ممّن رجعوا الى عاداتهم السيئة .

انا لا اريد ان ابغض انساناً . إنّ اخت لعازر (إنْ كانت هي التي قد دهنت بالطيب قدميك ومسحتها بشعرها بعد ان بللتها بدموعها) قد استيقظت من رقاد اشدّ خطرًا من الموت الذي حلّ باخيها ؛ وذلك حين حلَّتْ من ثقل العادة الشريرة . لَقد كانت تحملُ على العثار بسبب ما عليها من خطايا ، فقلتَ انت لها : « لقد تُرِكَتْ لها خطاياها الكثيرة لانها أحبّت كثيرًا » (لوقا ٧ : ٤٧) . انا لا اريد ان استسلم الى اليأس ولا اعتمد على قواي وحدها لان اليأس والغرور شر . ولا استسلم الى اليأس اختيارًا لما يجب ان أعتَمدَ في حياتي . انما اسمعك تقول : « انا ما جئت لأدعو الصديقين بل الخطأة » (متى ٩ : ١٣) . ولولا حبك للخطأة لما نزلت من السماء الى الارض .

الفصل السابع : في ان من تعوّد ارتكاب الخطيئة استخفّ خطرها

متى صارت الخطيئة عادةً بدَتْ خفيفة غير مؤذية ؛ وان تكن جسيمة وثقيلة ؛ حتى ان الانسان لا يعود ينفيها ؛ بل يُعْلنها ويتباهى بها .

لم تُعرَف الرذيلة عقاباً لدى سكان صادوم وعامورة بل كانت الشريعة تُرَحِّبُ بها .

وكان الصادوميون يثورون عندما يوجّه اليهم اللوم على الفحشاء التي يرتكبون ؛ وكانوا يقولون لانسان صديق يوبّخهم على ميل فيهم قبيح :

« انت جئت لتسكن بيننا لا لتسنّ لنا شرائع » (تكوين ١٩/ ٩) .

لقد اعتادوا هناك ارتكاب الفحشاء التي لا اقبح منها حتى غدا البرّ عندهم اثماً ؛ ولاموا مقاوم الشرّ اكثر من صانعه .

وانت ان علَقْتَ في شَرَك العادة الشريرة منعك التمرّس بالشرّ من ان تتبيّنه ؛ واصبحتَ تدافع عن اعمالك الشريرة .

اياك ان تهمل الخطايا التي صارت فيك عادة ؛ لانك ان تعوّدتَ خطيئة استخفَفْتَ خطرَها وما عددتَها شيئاً فتتصلّب في موقفك وتفقد الندامة .

كلُّ شيء يتناهى في الفساد ، لا عذاب له ؛ وكلّ جرح يؤلم ، يكون سليماً او قابلاً للشفاء . انما لا يجوز ان تعتبر ، سليماً ، جرحاً لا يؤلم ؛ بل بالاحرى يجب ان تعتبره ميتاً . واذا لمستَ الجرح وخزته وشددتَ به ولم تشعر منه بوجع فيجب ان تعتبره ميتاً وبالتالي تستأصله من جسمك .

أصلحْ نفسك ان كنتَ قد استسلمت الى عادة سيئة ؛ اذ بامكانك ان تعود عنها بعادة اخرى صالحة . إيّاك ان تعمل على هواها وان تروي غليلها باستسلامك اليها بل اقضِ عليها بمقاومتها .

وطال ما هي قائمة فانها تخاصمك ؛ فان لم تصغ الى اقتراحاتها ضَعُفَتْ واخذتْ قوتُها تتلاشى يوماً بعد يوم ؛ لانّ قوّتَها تكمُنُ في خضوعك لها ؛ فان اسلستَ لها القياد اعطيتها قوى جديدة .

العادة الشريرة الملجومة مكبوتة ؛ المكبوتة تمرض والمريضة تموت ، لتَخلُفَها عادة صالحة .

عن خبرة اتكلم : في الغد ، يزداد الانسان كسلاً امام عمل اليوم .

واذا لم يتبع الانسان في الغد ميله الشرير سَهُلَ عليه الانتباه لان عادة اليوم السابق تساعده .

إنما عليك ان تكافح لانك اوجدتَ لنفسك عدواً شرساً في عادتك الشريرة .

انت لم تشتغل لتحيا ؛ بل اشتغل لكي تتغلّب عليه ؛ واذا كنت اضعف منه فصلِّ الى الله .

أصلِحْ ذاتك الآن ، يا بنيّ . أصلحْ ذاتك حالاً . ومن يمنعك عن ذلك ؟ الربّ صبور ، غفور ، طويل الاناة ؛ انت تعود الى الخطيئة وهو يغفر لك من جديد ؛ ثم تعود الى الاثم ، وحتى مَ يظلّ صابراً ؟ انك لتجرّب إلهاً عادلاً .

أضطرب لاني اخاف . علّمني ان لا اخاف فلا اضطرب . سأقول لك عن الشيء الذي اخشاه . وما اسرع وصول كلمتك الى نفسي وبأية عاطفة تفرض عليّ إتمام ارادتك : اني ارى كل ذلك .

لقد ارتوتْ الارض جيداً فما عليها سوى ان تنبت حنطة لا شوكاً .

الاهراء مستعدة لاستقبال الحنطة؛ والنار مستعدة لاستقبال الشوك . انت تعرف ما تصنع بحقلك ؛ والله لا يعرف ما يصنع بعبده ؟

عذبٌ هو المطر الذي يجعل الحقل خصباً . وهل يلام المطر اذا انبتَ الحقل شوكاً ؟ الا يشهد المطر يوم الدينونة قائلاً : «على الجميع سكبت طراوتي» .

انظر الى ما تحمل من ثمر لتعلم أيَّ مصير ينتظرك .

ان حملتَ حنطةً فالى الاهراء ، او شوكاً فالى النار . لكنّ زمن الاهراء والنار لم يأت بعد ؛ عليك ان تستعد لئلا تخاف .

باسم المسيح الذي فيه احيا واتكلّم ؛ والذي فيه يحيا من اتكلّم معه ، ألَمْ يَحنْ الزمان والمكان للتحوّل بفطنة ، من حياة شريرة الى حياة صالحة ؟

الا يمكنك اذا شئتَ ان تتحوّل اليوم ؟ الا يسعك ، اذا شئتَ ، ان تقوم به فوراً ؟

بينما اتكلّم ، حوّلْ قلبك ليتمّ ما يدعونا الله اليه اغلب الاحيان ؛ هذا الذي اذا اهملناه ، جرَّ علينا العقاب .

ضعْ همَّك في التنزّه عن الخطأ ؛ واذا ما فاجأتْكَ الخطيئة لضعفٍ

في حياتك فانبذها حالاً واشجبها ثم هيّأ مطمئناً الى القاضي تجدْ محامياً عنك ؛ ولا تخفْ من ان تخسر قضيتك بالاعتراف بها .

عواطف وصلوات

كثيرة هي امراضي يا رب ؛ انما لا مرض بدون شفاء لديك ، ايها الطبيب القدير . اني ابتغي الشفاء ولا اصدّ يديك عني ؛ فأسرّ حين تدفئني ؛ واتحمّل حين تقتطع مني ، وارضى بالدواء المؤلم آملاً بالشفاء الذي يعقبه .

انتَ تسمح بالالم ، حين لا يكون الشفاء منه اكيداً ، يا من وعد بالشفاء ؛ ولا يسعه ان يخدع نفسه . ينخدع الطبيب احياناً بعد شفاء جسم الانسان الذي يعالجه دون ان يكون قد صنعه . امّا انت يا من صنعتَ جسمي ونفسي ، وتعرف ان تحيي خليقتك ، وان تجدّد ما قد خلقت ، اودّ لو ابقى بين يديك طائعاً ، يا من تكره من يصدّ يديك عنه ؛ ولكن ها هو ذا جسدي يفسد فيثقل على نفسي .

كم من حواجز تمنعني من التأمل بحضرتك ؛ وكأني بالفساد البشري يفرض عليّ الوقوف عندها ! كم من امور تصدني عن التأمل بسموّك ! وكم من اشياء اخرى تقطع عليّ حبل تأملي ، يا لها من اشباح كثيرة ؛ كلها تتحرك في قلبي كمثل دود ينغر في فسادي .

لقد اكتشفت علتي وأودّ الآن لو اسبحك يا طبيب نفسي .

الست تشفيني يا صانعي ، بشكل لا يعرف فيه المرض اليّ سبيلاً اذا راعيت شريعة الصحة ؟ الم تنظم وترتّب ما وجب عليّ تجنّبه حفاظاً على صحتي ؟ لقد رفضت الانصياع لارشاداتك ، حفاظاً على صحتي ، فلهدا سأكون اكثر طواعية لاستعادة عافيتي .

الفصل الثامن :

في انه لا يجوز اهمال الخطايا العرضية بل يجب التكفير عنها

انه لمن الصعب عليك ان تتغيّر كلياً بحيث لا يبقى فيك ما يستحق اللوم . ان احرزتَ تقدماً وعشتَ وفقاً لما يتطلبه البرّ فلستَ تحيا ها هنا بلا

خطيئة لان الاخطاء التي تسميها جرائم كمثل انتهاك حرمة الاقداس والسرقة وشهادة الزور ليست وحدها خطيئة ؛ ولكنه خطأ ايضاً ان تنظر الى ما حرِّم عليك النظر اليه وان تسمع ما حُظِّرَ عليك سماعه وان تفكر بما لا يجوز لك التفكير به .

كم خطيئة يرتكبها اللسان ؟ وكم اقوال تافهة لا تليق بالمناسبات التي فيها تقال ؟ الا تعمل اليد شراً ؟ الا تسرع الرجل الى المحرمات ؟ الا تتجه العين الى المخجلات ؟ الا يتوق اللسان الى ما لا يليق ؟ قل لي ، ما الذي يضبط افكارك ؟ في صلاتك غالباً ما تفكّر بشيء آخر ؛ وكأنك تنسى ذاك الذي انت واقف او ساجد بحضرته .

وانك لتخطأ في ما تجيزه لنفسك ، متى تعديت القياس ، مثلاً في الأكل ؛ مع العلم ان الأكل ضروري . الخطايا التي عنها نتكلم ، يومية هي ، برغم انها اخطاء ؛ وهي ليست خفيفة لانها كثيرة .

اني اخشى السقوط بسبب عددها ان لم يكن بسبب ثقلها ؛ لا تهملها لكونها خفيفة بل خف منها لانها يومية . صغيرة هي حبّات الرمل ومع ذلك اذا وضع منها في السفينة اكثر مما يلزم غرقت السفينة . صغيرة هي نقاط المطر ومع ذلك أليست تملأ الانهار التي تهدم البيوت ؟

ولو تألبتْ عليك هذه الخطايا كلها الا تضغط عليك برغم خفتها ؟ وما همك؟ أسحقك الرصاص ام الرمل ؟ الرصاص وحدة متراصة والرمل مجموعة حبّات صغيرة ؛ انما كثرتها هي التي تضغط عليك . كدّس الاشياء الصغيرة واجعل منها كومة لا بأس بها : صغيرة هي حبّات القمح ، اذا جمعتها جعلتَ منها كدسة تملأ الاهراء .

وانت سوف تلقى في المستقبل الكومة التي كنت تجمعها كل يوم ؛ انت تجمعها واحدة واحدة لتجدها بعدئذ كوْمة كبيرة ؛ فلا تستهن بهذه الاخطاء الخفيفة : ان استهنتَ بها ساعة تقوم بها فخف منها ساعة تحصيها .

تجنبتَ الثقيل منها ولكن ماذا تفعل بالخفيف منها ؟ الا تخاف منها ؟ لقد ألقيت الحجر فحذار من ان يخنقك الرمل .

وبالتالي ، ان خففتَ خطاياك ، ثم كثرتْ ، صارت كَوْمَةً تضغط عليك ؛ وغفر الله لك بصلاحه ، الخطايا نفسها ، التي لم تتمكن من الهرب منها ها هنا .

ان تجاوزتَ الحد أهنتَ الله واحصاك مع المجرمين ؛ وحين لا يكون لأحد عليك شيء فاغفر لكل من خطئ اليك لكي يغفر الله لك ما خطئتَ به اليه . امّا ان رفضتَ استعمال الدواء على هذا الشكل فقدتَ كل امل لك بالخلاص .

لا يغفر الله لك الاّ اذا غفرتَ انتَ لمن أساء اليك . ضع هذا الرأي في قلبك بمثابة دلو تسحب به الماء من السفينة ؛ لأن ماء البحر يتسلل حتماً من ثقوب هيكلها حتى اذا كثُرَ فيها ، ولم يكن فيها دلو ، غرقتْ السفينة .

وعلى هذا النحو تدخل الخطيئة في حياتنا ها هنا مع امواج هذا العالم من خلال شقوق ضعفنا وطبيعتنا الآيلة الى الموت .

تمسَّكْ بهذا الرأي بمثابة دلو تفرغ به من قلبك الشرّ لئلا تغرق ؛ اترك لمدينيك ديونهم لك لكي يترك الله لك دينك وتعتمد هذه الطريقة لتفرغ كل ما فيك من شرّ .

انما عليك ان تكون فطناً يا من لا تزال على البحر ؛ ولا يكفيك ان تقوم بهذا العمل مرةً واحدة ، بل عليك ان تقوم به مراراً الى ان تجتاز ارض الوطن حيث لا امواج تضربك ؛ ولا يبقى عليك ان تغفر اساءةً لأحد ؛ ولا ان تستميح الغفران عن خطايا لم تقترفها .

أعطني يا رب ان اقول كلّ يوم بقلب صادق : « اغفر لي يا رب خطاياي كما انا اغفرُ لمن خطئ اليّ وأعطني ان اعمل بموجب ما اقول .

اني أعدُك بذلك ؛ ومعك اصنعُ ميثاقاً واقطعُ عهداً على نفسي .

انتَ تقول لي : « اغفر فأغفر لك » ان لم اغفر فأنا مناقض لنفسي لا انتَ .

يمكنك ان تأتي وتلقى خطاياي ؛ ولكن بما اني عشتُ حياةً صالحة فلن تلقى فيَّ خطايا ثقيلة ومميتة لاني ما سرقت ولا نهبت ولا صنعت زوراً ؛ اذن لن تجد فيَّ شيئاً .

حين انظر الى كثرة خطاياي الخفيفة اليومية ، ارى ، وان لم تكن سوى خطايا فكر وقول ، بأن عددها الكبير المتجمع يؤلف كومة .

وحين انظر الى ضعفي أتوقُ الى الارتفاع اليك فأصرخ : « من الاعماق صرخت اليك يا رب ، يا رب استمع صوتي ، ولتكن اذناك مصغيتين الى صوت تضرعي ان كنت للآثام راصداً يا رب ، يا رب من يثبت ؟ » (مزمور ٢٩ : ٣/١) .

يسعني ان اتجنّب القتل والنهب والتجديف واعمال الزور ، فهل يسعني ان اتجنب ايضاً خطايا اللسان والقلب ؟ من الذي يستطيع ان يثبت امامك ان رصدت آثامه ؟ ان شئت ان تعاملني معاملة قاضٍ صارمٍ لا معاملة أب رحيم ، فكيف استطيع ان اثبت امام عينيك ؟ لديك المغفرة يا الله ولأجل شريعتك انتظرتُك . وما هي شريعتك ؟ ان نحملَ بعضُنا اثقالَ بعض ؛ وهكذا نتمّ شريعتك . سنحمل بعضُنا اثقالَ بعضٍ متى قلنا : اغفرْ لنا ذنوبنا كما نحن نغفرُ لمن خطئ الينا . انا نلتُ مغفرة خطاياي وانت وعدتني بملكوت السماوات ؛ تركتَ لي ديوني ؛ امّا جزائي فلم أنَلْهُ الآن ، بل في المستقبل .

لقد نلتُ مغفرة خطاياي ولمّا أحصَلْ على الحياة الابدية في حين انك غفرتَ لي ووعدتني بالحياة الابدية . لو كان الكلام من بشر لخفت ؛ ولكنه كلامك انتَ من لا يغشّ .

اني ارجو كلامك واثقاً لانك صادق في اقوالك .

الفصل التاسع : في ان عذابَ ضمير الخاطئ هو شرُّ عذاب

كثيرة هي ضيقاتي ؛ وفي كل منها ، افزع الى الله : ان حزنتَ لأمور عائلية او صحية او لخطرٍ يتعرّض له انسان تحبّه ، او لما هو ضروري لقيام هذه الحياة الحاضرة ، فلا يجوز ان تلجأ الآ الى مخلّصك وإلهك فتجد قوة لديه ؛ على انه لا شرّ من عذاب الخطيئة ، في كل ما يحل بالانسان من عذابات ، في هذه الدنيا .

مهما يكن عذابك ، فان سلمت من كل جرح في ضميرك وكان باطنك سليماً يمكنك ان تفزع اليه فتجد الله .

امّا اذا لم تجد فيه راحةً لغياب الله عنه ، ولوفرة الآثام فيه ، فماذا تصنع؟ واين تهرب من العذاب والضيق ؟

سوف تهرب من الريف الى المدينة ، ومن الساحة العامة الى بيتك ، ومن عتبة الباب الى مخدعك ، ويظلّ الضيق تابعاً لك . وهل تهرب من مخدعك الآ الى سريرك ؟ واذا كان سريرك قلقاً عابقاً بدخان الشر ، مضطرماً اثماً ، فلا يمكنك ان تفزع اليه ، بل تُطرَد عنه ثم تُطرَد عن ذاتك .

وها إنك تجد عدوّك في المكان الذي فزعت منه اليه ؛ واين تهرب من ذاتك ؟ انّى تهرب تجرّ ذاتك وانّى تجرّ ذاتك تعذّب ذاتك بذاتك .

وتجد الضيقات عينها ؛ وهي ليست اقسى من ذي قبل ولا يسعها ذلك لأنها ليست باطنية اكثر من سواها . حين يختار العمّال الخشب او ينبذونه ؛ يبدو غالب الاحيان مخدّشاً عفِناً ؛ بيد ان نظرة العامل اليه لا تتوقف على خارجه ، بل تلج الى داخله ، حتى اذا وجده سليماً ، ابقاه في البناء ولم يقلقه منظره الخارجي ، طال ما ان الباطن منه صحيح .

وبالعكس ، ان لم يكن الضمير الباطني سليماً ، فما نفع الخارج السليم ، والعمود الفقريّ للضمير نخر .

ضميرك هو بيتك الداخلي ؛ ان كان شريرًا طردك منه الى الخارج ؛ ولا يسعك ان تسكن فيه بحريتك . وتخرج من ذاتك بارادتك وتحاول ان تجد اللذة في المادة حولك ؛ وتسعى الى ان تستريح في الترهات والمسارح والدعارة وكل ما هو عاطل . وتحاول ان تجد ذاتك مرتاحاً ، خارجاً عن ذاتك ، اذ ليس لك ملجأ باطني تجد فيه نفسك مرتاحاً في ضميرك .

وماذا تصنع ايها الشرير متى حلّت بك التجربة ؟ لن تجد تعزيةً لا في الداخل ولافي الخارج ؛ ولن تستطيع ان تخرج الى مكان . وكل مكان قاسٍ عليك ؛ ولن تجد مكاناً تدخل اليه ، وكل مكان شر .

تعزيتك ليست في الخارج ؛ ولا في الداخل ؛ ليست في الخارج ، حيث الضيق ، وليست في الباطن ، لأنه شر ؛ ولا يمكن للانسان ان يرتاح الى الشر . ومن كان شريرًا كان شريرًا مع نفسه ؛ ولا مقرّ له من العذاب ؛ لأنه هو ذاته لذاته عذاب . ومن عذّبه ضميره كان عذاباً على نفسه .

اذا كان العائدون الى بيوتهم يَشْقَوْنَ خوفاً من ان ينقلب عليهم ذووهم ويخونوهم ، فماشقى الذين يأبون الرجوع الى ضميرهم مخافة ان تطردهم منها معارك آثامهم .

تقدّس تماماً بخوف الله ، تقدّس جسدًا وروحاً ؛ ان كان برّ الجسد والروح ناقصاً كان العمل ناقصاً .

هناك من يتنزّهون عن اعمال السوء ولا يتجنبون افكار الشر ؛ يطهّرون الجسد دون الروح . واي نفع لك من طهارة الجسد اذا كان الساكن في الجسد فاسدًا ؟ ان عشت حياة شر ، ولو صَمَتَ اللسان ، جدّفت على الرب بحياتك « ولا سلام للمنافقين يقول الرب » (اشعيا ٤٨ : ٢٢) .

وماذا ينفعك الترنيم بلسانك اذا كان الاثم يَفُوحُ من حياتك ؟

بارك الرب بحياتك ولسانك وقلبك وفمك وكلامك واخلاقك ؛ وسبّحه تسبيحاً خالياً من كل تناقض . وعليك ان توفّق بين اللسان والحياة والشفاه والضمير لئلا يكون الكلام الصالح شاهدًا على اخلاق عاطلة .

إلهي ، إلهي ، كم انا شقيّ ومغرور ؟ كنت ابحث عمّا احب ، وأهوى الحب ضجرًا من حياتي المطمئنة الهادئة ومن سبلي الخالية من كل فخ .

وحرمت باطنياً ذاك الفداء ، الذي هو انت ، يا إلهي ؛ ولم اعمل بدافع من هذا الجوع ولا كانت لي رغبة البتة في طعام غير فاسد ؛ لا ، لاني اخذت منه كفافي ؛ بل لان فراغاً اكبر يحدثُ تقززًا اكبر .

وساءت حالُ نفسي المغطّاة بالقروح ؛ وانطرحتْ خارجاً عن ذاتها وراحت تتوق الى دغدغة الكائنات المحسوسة .

ان المشاهد المسرحية المليئة بصورٍ عن بؤسي ، وبما كانت تتغذى منه النار التي تلتهمني ، تخلبني وتجرني وراءها .

كنت افرح بالعشاق الذين يستمتعون بإثمهم ؛ وان يكن ذلك خداعاً وعلى المسرح ، وحين يضيعون عن الواقع تأخذني الشفقة عليهم فأكتئب ؛ وما أحبّ هاتين العاطفتين على قلبي .

وهل من غرابةٍ في ان يكسوني برص مخجل ، انا النعجة الضالة في قطيعك ، التي لم تعد تطيق الحياة تحت نيرك .

ويا لفظاعة الاثم الذي فيه ارتميت مصغياً الى فضول دنس يقودني بعيدًا عنك .

لكن رحمتك الامينة في تتبّع اثري ، من بعيد ، كانت تبدو حائمةً حولي ؛ وفي كل ذلك كنت تجلدني .

يا إلهي ورحمتي كم من مرارة سكبتَ فوق تلك الحلاوات حباً بي ، فيا ما احسنك . يا عذوبةً ذقتها متأخرًا ، يا رب ، يا من كنت ساكتاً ، ساعة هربتُ منك راكضاً في اثر ما كان سبب آلامي العقيمة المتكاثرة بدافع من كبرياء سافلة وتعبٍ لا راحة بعده . يا للسبل المعوجة . الويل للنفس المجازفة التي ابتعدت عنك راجية ما هو افضل منك . اذا انقلب الانسان اولاً وثانياً على ظهره وجنبه وبطنه وجد كل شيء خشناً انما انتَ وحدك الراحة .

انتَ حاضر بيننا لتخلّصنا من الاضاليل الدنيئة ، وتضعنا على طريقك وتعزينا قائلاً : « اسرعوا ، سوف احملكم واوصلكم الى هدفكم وهناك ارعاكم » .

الفصل العاشر : في صبر الله على الخطأة

بقدر ما يجب عليك ان تتكل على رحمة الله بقدر ذلك تخشى عدله . لأن من افتداك برحمته يدينُكَ بعدله . وان تَرَفَّقَ بك ، ايها الخاطئ المتمادي في غيّه ، فلا تعتبر موقفه هذا ، اهمالاً بل صبر منه عليك .

لم يفقد قدرته انما ابقاك لزمن توبة : خَفْ عدله ان رغبتَ في رحمته ؛ يُسامح الآن انما لن يصمت ؛ وان صمت فالى حين ولن يصمت الى الابد .

متى كلّمك الرب في شريعته ، فأصغ اليه ، إنْ شئت ان يترفّق بك ، يوم الدين : اليوم ينبّهك بلطف ؛ امّا بعدئذ ، فانه يطالبك بعدل ويجازيك بحسب اعمالك .

الوقت الآن هو وقت رحمة : يدعو الخاطئ ويغفر للتائب آثامه ؛ ويصبر عليك حتى تتوب . أياً كان الوقت الذي فيه تتوب ، فانه يتناسى الماضي ويعدك بالمستقبل ، نراه يستحثك اذا كنت كسولاً ؛ ويؤاسيك اذا كنت متضايقاً ؛ ويعلّمك اذا كنت منتبهاً ؛ وينصرك اذا كنت مجاهداً ؛ ولا يتخلّى عنك اذا كنت في شدة وصرخت الى الرب إلهك ليعطيك كفافك ، فترفع اليه الذبائح ، اذا منحك ما به ترضيه ؛ فلا تدع زمن الرحمة هذا الطويل يمرّ ويفوتك .

لقد أُعطيتَ زمناً للاصلاح ؛ ولكنك آثرت المهلة المعطاة على الاصلاح عينه . ان كنت شريراً بالامس ، فكن اليوم صالحاً ؛ وان قضيت يومك في الاثم ، فغيّر ما انت فيه غداً على الاقل .

انك لتنتظر دائماً رحمة الله ، وتعد نفسك بها ، كما لو وعدك بحياة اطول، يوم وعدك بالغفران .

وانّى لك ان تعرف ما يحمل لك الغد ؟

سوف يكون خزْيك مشوؤماً ان لم تقبل الخزي ، اليوم ، حباً بالخلاص .

إتّضع فوراً واطرح عنك السبُلَ المعوجة واحتفظ لنفسك بالسبيل القويم . لا احد يحيا ولا واحد يخزى إلاّ وعاش اولاً في الخزي .

يمنحك الله في الوقت الحاضر سبيلاً الى خزيٍ خلاصي ان لم ترفض الاعتراف دواءً . امّا اذا لم تشأ ان تخزى الآن فسوف تخزى ساعة تسوقك آثامك امام الديّان وتخزى حين تقول : اليكم من سخرتُ منهم وعيّرتهم ، لقد كنت في جهلي اعتبر حياتهم جنوناً فكيف بهم يحصون مع ابناء الله ؟ واي نفع لي من كبريائي ؟

قل الآن ما قد تقوله آنذاك تكن لك منه فائدة . وقُلْ للحال : « واي نفع لي من كبريائي ؟ »

خزيك ، الآن ، وزمن التوبة ، لخلاصك . اما بعدئذ فقد يكون متأخراً ، عقيماً ، لا فائدة منه .

إستمسكْ بالله في اعترافك ؛ ولا ترضَ بما لا يرضى عنه . حياتك الشريرة لا ترضيه ؛ ان انت رضيت بها انفصلت عنه ؛ وان لم ترضَ بها انضممتَ اليه بالاعتراف .

انظر كم انت مخالف له ، حين لا يرضى عن تبايُنٍ بينكما .

على صورة الله خلقت ؛ فشوّهتَ فيك هذه الصورة وقضيتَ عليها بحياةٍ لك شريرة . واصبحت مناقضاً له ؛ ان نظرتَ الى نفسك لم ترضَ بها . سوف تستعيد الشبهَ به ، حين تأنف من كل ما يأنف منه ؛ ومتى انفت من نفسك اتاك الله راحماً ؛ ولو شاء ان يعاقبك ، فانه يغفر لك .

ان ندمتَ ندامةً صحيحة اصلحتَ نفسك بنفسك . كن صارماً مع نفسك يكن الله لك رحيماً . وان عرفتَ اثمك غفر لك . تحوّلْ جهدك : مهّد النتوءات بالمحراث ونقّ الحقل من الحجارة واقتلع منه الاشواك . لا يكن قلبك جافاً ، فتقع منه فوراً كلمة الله . ولا يكن ارضاً خفيفة لا يدخلها جذرُ المحبة ، ولا تختنقْ بهموم العالم وشهواته زرعاً صالحاً نثرته فيك يداي.

ولا تقلْ : خطئت وماذا اصابني ؟ ما فقد الله قدرته ؛ ولكنه يطلب منك ان تتوب .

عواطف وصلوات

ايتها النفس العاقة لقد احياك الرب إلهي ودعاك وانعشك بالامل وغسلك من آثامك ؛ ومع ذلك فلست تنظرين اليه .

وما اعظم صبرك يا الله . ولمَ لم انقلبْ رأساً على عقب واتلاشى .

ولمَ لا تنشقّ الارض لتبتلعني ؟ ولم لا تلتهمني نار من السماء ؟ لماذا ؟ لانك طويل الاناة .

وهل ابقى بلا عقاب ؟ كلا . هل اجهل ان صبرك يؤدي بي الى التوبة ؟ اني اجمع فوق رأسي بسبب قساوة قلبي المتمرد على التوبة ، كنوزًا من الغضب ليوم الغضب واعلان حكم الله العادل حين يجازي كلاً بحسب اعماله .

اذا لم تجازِ الآن فسوف تجازي آنذاك ؛ لانك ان جازيت الآن فجزاؤك الى حين ؛ بيد انك تجازي الى الابد من لم يتُبْ ويصلح نفسه .

ها هو صبرك يدعوني الآن الى التوبة ؛ وفي اليوم الاخير فسوف يشهر عدلك سيفه .

ساعدني يا رب ان اكون لك مرضياً في ارض الاحياء .

الفصل الحادي عشر : في خطيئة داود

يبدأ السيد المسيح عظاته الانجيلية بهذا القول : « توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات » (متى ٤/١٧) على النحو عينه بدأ يوحنا المعمدان سابقه فقال : « توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات » ...

ويلومك السيد اذا ابيتَ ان تتوبَ الآن وقد اصبح ملكوت السماء قريباً .

ولن يأتي ملكوت السماء بالرصد كما قال ، بل « ملكوت السماوات في داخلكم » (لوقا ١٧/٢١) .

تقبَّلْ بحكمة نصائح المعلم ، لئلا يفوتك زَمَنُ الرحمة ؛ وقد اعطاكه الرب وأطال أناته عليك .

انه يطيل أناته عليك لكي تتوبَ اليه فتنجو من الهلاك .

انت تعلم لماذا يجب عليك ان تكون يقظاً ؛ وان سقطتَ فانتبه الى ما يجب ان تقوم به ؛ كثيرون يهوون السقوط مع داود ويرفضون النهوض معه .

ليس داود مثالاً للسقوط بل للنهوض ؛ هذا ، ان سقطْتَ . لكن حذارِ من السقوط . على الصغار الاّ يغتبطوا بسقوط الكبار ، انما عليهم ان يخافوا منه خوفاً يؤدي بهم الى الخلاص .

ذاك ما دفع الى اعطاء داود مثالاً وتدوينه في الكتب وقراءته احياناً في الكنيسة .

اذا لم تسقط فاحذر السقوط واذا سقطت فانتبه لكي تنهض .

ان خطيئة رجل عظيم كهذا لا يُسدل عليها الستار بل يُحكى عنها في الكنيسة فتصغي اليها وتسيء السمع ساعياً الى ايجاد عذر لخطيئتك . ونراك مصغياً تدافع عمّا تتأهب لاقترافه ولست تتجنّب ما لم ترتكبه بل تقول في نفسك : « ان كان داود قد عمل هذا فلِمَ لا اعمله انا ؟ » وتزداد نفسك شرّاً حين ترتكب الاثم على مثال داود فتكون خطيئتك شرًا من خطيئته .

ما فكّر داود قطّ بأن يقدّم نفسه ، مثالاً لنفسه ؛ لكنه سقط تحت وطأة الشهوة وليس بلوغاً الى القداسة .

اما انت فانك تقدمه مثالاً للقداسة ؛ وبالتالي ، فانك تخطأ تاركاً قداسته ، مقتدياً بسقوطه .

انت تهوى في داود ما يكرهه في نفسه : تستعد للخطيئة وتتأهب وتدرس كتاب الله لكي تخطأ . وتصغي الى كتب الله لتعمل ما لا يرضي الله . داود لمْ يصنع ما انت تصنعه .

ردَعَهُ النبي ولم يعثر بسببه . ان كنت قد سقطت فتأمَّلْ جرحَك

البليغ ولا تيأس من قدرة الطبيب . ان الخطيئة التي يعقبها يأس موت مؤكّد. فلا تقلْ : ان انا صنعت شرًا استحققت الهلاك ولن يغفر لي الله ، فلم لا أضيف اذًا اثماً على اثم . سوف افيد من هذا العالم لذةً ودعارة ومجوناً طال ما اني قد فقدت كل امل بالتجدد ؛ ولم يبقَ عليَّ سوى ان اسعى الى ما اراه وقد عَسُرَ عليَّ الوصول الى ما اؤمن به .

اياً كنت ، ايها الخاطئ ، المتردد في الندامة على خطيئة ، اليائس من خلاصه ، ادعوك الى ان تصغي الى بكاء داود . هو ذاته ياتي اليك وليس النبي ناتان؛ فاصغِ الى نحيبه وانتحبْ معه واصغِ الى تنهداته وتنهّد معه وامزج دموعك بدموعه واصغِ اليه في توبته وشاركه فرحته .

ان لم تتمكن من إبعاد الخطيئة عنك فالرجاء في نيل المغفرة متوفر لديك . إندمْ ولا تبحث عن رفاقٍ لك الى العذاب ولا تتعزَّ لكونهم كثرة .

احتراقك بالنار مع كثيرين من امثالك لن يخفف من عذابك ؛ وهذه ليست نصيحة منطقية اكيدة بل عزاء باطل للارادة الشريرة .

هو ذا زمن الرحمة ، فأصلحْ ذاتك ؛ هو ذا الزمان والمكان . ان خطئتَ فأصلحْ ذاتك، قبل أن تصلْ الى نهاية الطريق؛ فلا النهار انتهى ولا الزمان فات . لا تيأس ، لأن الياس شرّ من الخطيئة بل قلْ مع داود :

عواطف وصلوات

ارحمني يا الله بحسب كثرة رحمتك .

اتوسل ، رب ، الى كثرة رحمتك لاني اعترف لك بكثرة شقائي .

ان الذين خطئوا عن جهل هم بحاجة الى رحمة اخفّ مما لسواها ؛ داوِ جرحيَ البليغ بدواء لك عظيم . مخيف ضعفي ؛ لكن ، الى القدير ألجأ .

لولا هذا الطبيب الماهر ليئستُ من جرحي المميت .

رب ، اسكبْ رحمتك على من خطئوا عن جهل ؛ امّا انا الذي خطئت عن معرفة فلن انال رحمةً عادية بل سوف احصل على رحمة واسعة .

اللهمّ زِدْ غسلاً لخطايا انسان يعرفها ؛ يا من يغسل ايضاً خطايا من لا يعرفها . انك تسدد الضربة الى فساد الشر وتشفي ألم الجرح .

أشحْ بوجهك عن خطاياي ، ولا تمل به عني ؛ وامح كل مآثمي . تشيح بوجهك فتمحو الخطايا وتنظر اليها فتدوّنها ؛ لان وجهك على صانعي الشر يمحو من الارض ذكرهم .

لا تطرحني من امام وجهك الذي فيه اخاف ، واليه اتوسل ؛ فلا تنزع مني روحك القدوس .

روحك على من يعترف بخطاياه ؛ ان انا اعترفتُ صرتُ اهلاً لقبول مواهبه ؛ لاني لا اطمئن الى ما عملت .

امنحني بهجة خلاصك التي فقدتها ، ساعة خطئتُ وبروح رئاسي اعضدني . انت غفرت لي؛ وانا علمت بان آثامي قد غفرت لي . ولذلك فاني مطمئن الى نعمتك التي هي قوة لي فلا انكر الجميل .

وماذا اصنع ؟ اعلّم الاثمة طرقك والكفرة اليك يرجعون . رحمتك يا رب وافرة والخاطئ التائب اليك، لا ييأس ؛ وان آثماً . تفتح يا رب شفتيّ ليرتّل في مجدك ؛ بمجدك اخبر لاني مخلوق لم يُهْمَلْ حين خطئ؛ بل دعي الى الاعتراف بخطاياه فتنقّى منها واستعاد السلام .

لو شئتَ ذبيحة لقدمتها اليك حتماً ؛ ولكنك لا ترضى بالمحرقات .

في نفسي اجد ما اقدمه لك ولن ابحث في الخارج عن النعجة التي للذبح .

فيّ الذبيحة . لانك لا ترذل ذبيحة قلب منسحق تائب ، بل ذبائح العجول والتيوس ترذل ؛ انها لذبائح مرّ عليها الزمن . الآن ، فالذبيحة عن الاثم ، هي ذبيحة القلب المنسحق التائب وبعدئذ فذبيحة العدل تسبيح ؛ لانه قيل : طوبى لسكان بيتك الذين يسبحونك مدى الاجيالً .

الفصل الثاني عشر : في اعمال التوبة

يتغذى العقل بالمطالعة ، في الجسم الذي يصوم ؛ وينتعش الانسان الباطني بفضل هذا الدواء ويصبح قادرًا على ان يتحمّل برجولة صوم الانسان الخارجي .

ويحسن بك انت ايها الغيور الذي يحمل في جسدك موت السيد المصلوب ان تكوّن لنفسك صليباً من قهرك لملذات الجسد .

بيد ان هذا الصليب الذي لم يخجل منه الرسول بل فاخر به قائلاً : « حاشا لي ان افاخر الاّ بصليب يسوع المسيح ، الذي به صلب لي العالم ، وأنا صُلبْتُ للعالم » (غلاطية ٦/١٤) ؛ وليس لاربعين يوماً بل للحياة بأسرها .

صمْ الصوم الكبير واحذر في الباقي من السنة من ان يرزح قلبك تحت وطأة السكر والإفراط في الحياة ؛ ولا تتلطخ بالزنى والدعارة ولا تأت المنكر . امّا في الصوم فتنزّه عن الاعمال المسموح بها ، واصرف بالصلاة الوقت الذي قد لا يكون لك من استعماله كبير فائدة . وجسدك الذي استسلم الى العواطف اللحمية اجعله يخرّ ساجدًا في صلوات بارة . ويداك المتشابكتان في عناقات مقبولة تنبسطان في تضرع الى الله .

وان شمل صومُكَ باقي ايام السنة فزدْ توبةً في الصوم الكبير .

وان صلبت جسدك في تلك الايام من السنة بالتعفف المستمر فاستمسك بالهك من صميم فؤادك والزمْهُ .

وعلينا جميعاً نحن الذين ثبتنا على العهد ، في سفرنا ، مخلصين ، ان نتوق شوقاً الى الوطن الواحد بدافع من المحبة .

ان لم تَنَلْ هبة الله فلا تَغْتَرّ ممن نالها ولا تهزأ به .

واعتبرْ خيرًا لك ما تحب في اخيك من الخيرات الروحية كما عليه ان يعتبر له الخير الذي يحبه فيك .

إياك ان تسعى تظاهرًا بالزهد وان تُعدّل في ملذاتك ، بدلاً من ان تستأصلها كأن تمتنع عن اكل اللحوم وتتناول الاطعمة النادرة فتتنعّم بها تحت ستار قهر الجسد .

والحقّ ، أن كل طعام نقي ، لمن كان نقياً ؛ انما اللذة الحسية التي تشبعها فيه ، ما كانت يوماً نقية .

أضفْ الى صدقاتك ما تحرم نفسك منه في الصوم .

وأضفْ الى صلواتك التي بها يسهُلُ على صومك ان يسكّن غضب الله ، الصدقة التي هي بمثابة جناح للتقوى .

واختبرْ كم يجب عليك ان تتباعد عن سلب الآخرين اموالهم ساعة تشعر بأنك تغشّ بحيث لا تتصدق على البائس بما يفضل عنك .

قال السيد : « اعطوا تُعْطوا ، اغفروا يغفر لكم » (لوقا ٦/٣٧–٣٨) .

قم بهاتين الصدقتين عطاءً وغفراناً ، بكل نشاط ومحبة ، يا من يرفع الصلوات استعطاءً للخير واستبعادًا للعقاب .

إنْ كان المزارع الذي يطلب الحصاد من مكان ، لم يُلْقِ فيه بذارًا ، يُعَدّ وقحاً ، فما اعظم وقاحة الغني الذي يستجدي عطايا الله ويرفض استجابة سؤال الفقير ؟

مَنْ لم يشعر بالجوع يريد ان يتغذى من الفقير ؛ فلا تحتقر في الفقير إلهك معوزاً حتى اذا ما صرتَ في عوز كفاك الغني .

لديك فقراء ، وانت فقير ايضاً : أعْطِ تأخذْ ، أجلْ أعطِ . ومقابل هذا العطاء الزهيد المنظور والارضي ، ماذا تنتظر ؟ « ما لم تره عين ولم تسمَع به اذن ولا خطر على قلب بشر » (١ كور ٢ : ٩) .

ادّخرْ للسماء ما تحرُمُ منه نفسك عائشاً في مزيد من التقتير . وليأخذ المسيح الجائع ما حرمتَ نفسكَ في الصوم . إنّ الحرمان الاختياري غذاء المحتاج ؛ والمسكنة الاختيارية للعائش في بحبوحة ، بحبوحة لازمة للمسكين .

على النفس الهادئة الوضيعة ان تتسلح بالرفق في سهولة الصفح .

اطلب الصفح ان اتيتَ شراً ؛ لئلا يستعبدك ابليس الذي ينتصر في تنابذ المسيحيين .

في الصدقة التي بها تترك لأخيك دينه ، لكي يترك لك الرب دينك ، منفعة لك كبيرة .

لقد أوصى المعلّم الإلهي تلاميذه بهذا العمل الصالح المزدوج قائلاً : اغفروا يغفر لكم واعطوا تُعْطوا ... تذكّر ذلك العبد الذي ترك له سيّده دينه كلّه، وأبى هو ان يرحم رفيقاً له استدان منه مائة دينار برغم ان دائنه قد ترك له عشرة آلاف .

لا عذر له البتة في الامتناع عن هذا العمل الصالح ، حيث الارادة وحدها تعطي القدرة على العمل .

بامكانك ان تقول : لا استطيع ان اصوم لألم في معدتي ؛ او اريد ان اعطي الفقراء انما لست املك شيئاً ؛ او مهما يكن زهيداً ما سوف اعطيه فاني اخشى ان اصاب بالعوز بسببه .

وبرغم انك تعطي في أغلب الاحيان اعذاراً على هـذه الاعمال ، كاذبة ؛ لأنك لا تجد لها اعذاراً حقيقية ؛ فلا يمكنك ان تقول : اني لن اصفح عمّن يتوسل اليّ لان صحتي لا تسمح لي بذلك . او لان ليس لي يد أمدّها اليه .

اغفر يغفر لك ، ولا حاجة لك هنا الى اي شيء مادي ؛ ولست تحتاج الى عضو في جسدك ، اتماماً لما تسأل . قمْ به ولا تخفْ ؛ أعط وكن مطمئناً ؛ فلن تتألم منه في جسدك ولن يشحّ رزقك في بيتك . لاحظْ الآن الشرّ الذي تعملَه حين لا تغفر لأخيك التائب ، وقد طُلِبَ منك ان تشمل محبتك عدوّك . وتأمل ان كان يحق لك ان تترك الأمور على حالها مع انه قد كتب « لا تغرب الشمس على غضبكم » (افسس ٤–٢٦) .

وتأمل ان كان يحق لك ان تُدْعى مسيحياً ، مع انك تصوم ، حين تأبى ان تضع حدّاً لعداوات لا يحق لك ان تقبل بها .

عواطف وصلوات

ربّ ساعدني ايها الرحيم ، اني ارجو التغلّب بالصوم والصلاة على العالم وتجاربه والشيطان ومكايده والبشر ونشاطهم والجسد ومغرياته والازمنة واضطراباتها وعلى سائر الضيقات الجسدية والروحية .

نشّط عقلي بالصوم وذكّرني من جديد بالخلاص الذي وفّرته لي رحمةٌ بي ، في صومك وصلاتك من اجلي . وهل من رحمةٍ اعظم من تلك التي اظهرتها لي ، انا المسكين ، حين نزلتَ من السماء يا خالق السماء وجعتَ يا خبزاً سماوياً حقاً وعطشت يا مروي العطاش وضعفت ايها القوة وجرحت ايها الكمال ومتَّ ايها الحياة .

وهل اعجب من رحمة تُقْنِعُ الخالق بان يُولَد والسيد بأن يخدم والفادي بأن يباع والرافع بان يُهان والباعث من الموت بأن يُقتَل ؟

لقد تصدّقت عليّ يوم امرتني بان اعطي الجائع خبزاً ، يا من سبقت فسلمت نفسك عني الى جلاديك ، اشباعاً لجوعي .

امرتني بقرى المسافر وجئتَ الى بيتك حباً بي ، فلم تقبلك خاصتك .

باركْتُكَ نفسي يا من تغفرُ جميع الزلّات وتشفي سائر الامراض وتفدي حياتي من الفساد وتكللها برأفة منك ورحمة وتشبع جوعي من خيراتك .

عليّ ان اصوم واسحق نفسي حين اراك يا من علّمتَ التواضع وانسحقت وأطعتَ حتى موت الصليب . وعليّ ان اقتدي بصليبك مسمّراً بمسامير العفة شهواتي المروّضة .

وعليّ ان اعاقب جسدي واستعبده لئلا أنقاد في ركاب لحمٍ طاغٍ الى المحرّمات .

وعليّ ان اروّضه فأحرمه بعض ما يجوز . وفي هذا كله عليّ ان اكون مضطرماً في عبادتي ، كابحاً لجماح كبريائي ؛ ولا تدعني افرح بخير من جودك اذا لم يكن التواضع فيّ خيراً . انا لا أفيد من عطاياك الاّ بالمحبة .

الفصل الثالث عشر : في ثمار التوبة

عليك في هذه الحياة ان تميت بالروح ، كلّ يوم ، تصرفات الجسد ، ضبطاً وقهرًا وافناءً ؛ ذاك ما يجب ان تهتمّ به وتسعى اليه ؛ يتطلع الله اليك في جهدك هذا ، فاطلب مساعدته حين تتألم .

وان لم يساعدك ، فلستُ اقول انك تنتصر ؛ بل ، لن تستطيع ان تجاهد . ان كنت حقاً للمسيح تلميذاً فاصلب جسدك مع شهواته وميوله .

في الواقع ، عليك ان تظلّ فوق هذا الصليب ، حياتك كلها ؛ لانه لا مجال لنزع المسامير في هذه الحياة التي قيل عنها في المزمور : « اللهمّ ، ثبّتْ جسدي بالمسامير في مخافتك » (مزمور ١١٨ : ١٣٠) .

للجسد ميول لحمية والمسامير وصايا عدلك ؛ ومخافة الرب التي رفعتك على الصليب وجعلتك قرباناً مقبولاً لديه قد ثبّتت الجسد بالمسامير . اصلب الانسان العتيق : « لا بالقصوف والسكْر والمضاجع والعهر والخصام والحسد بل البس الرب يسوع ولا تهتمّ بجسدك لقضاء شهواته » (رومية ١٣ : ١٣—١٤) .

وعلى هذا النحو عشْ دوماً ها هنا ؛ وان لم تُرِدْ ان تغوص في وحل الارض فلا تنزل عن الصليب . اراك احياناً تقرع صدرك ، فاطرد منه الخطيئة ؛ لان من قرع صدره وارتكب الخطيئة عينها عَمِلَ حتماً على ترسيخ الخطيئة الخفية بضربة ظاهرة .

اصنعْ ندامة ؛ أيْ ثُرْ على ذاتك بسبب خطاياك الماضية وكفّ عن ارتكاب خطايا جديدة .

إصنعْ ندامة ؛ أيْ ثُرْ على ذاتك طال ما انت معافى ؛ لانك ان صنعتَ ندامة حقيقية وحلّ الاجل فسوف تتصالح سريعاً . ان فعلت هكذا كنت بلا خوف . وتطمئن لانك ندمت في زمن كان يسعك ان تخطأ فيه . اما اذا شئتَ ان تصنع ندامةً حين يستحيل عليك ان تخطأ فلستَ انت

بالمتخلّي عن الخطيئة بل هي التي تتخلّى عنك . اتنتظر ساعة الموت للمصالحة؟ لقد خبرنا ان الكثيرين ماتوا وهم يترقّبون ساعة المصالحة .

التوبة عن خطاياك تصيّرك افضل مما كنت فيه حقاً ؛ ولكن لا فائدة من توبة الآ اذا قمتَ باعمال رحمة . أصغ : « يا اولاد الافاعي من علّمكم ان تهربوا من الغضب الآتي ، الا اثمروا ثمرًا جديرًا بالتوبة ، فكل شجرة لا تثمر ثمرًا طيباً تُقطَع وتلقى في النار » (لوقا ٣ : ٧، ٩) .

اذا لم تثمر تلك الثمار الطيّبة فباطلاً تفكّر بالحصول على مغفرة خطاياك بتوبة عقيمة .

ما هي تلك الثمار ؟ اسمع يوحنا : « ومن كان لديه ثوبان فليقسمهما بينه وبين من لا ثوب له ، ومن كان لديه طعام فليعمل كذلك » .

هل تريد كلاماً اكثر وضوحاً وصراحة وتأكيداً من هذا الكلام ؟ وهل هو مخالف لما قال آنفاً : « فكل شجرة لا تثمر ثمرًا طيباً تقطع وتلقى في النار » . وهل هو مخالف لقضائه على الذين هم عن الشمال : « اذهبوا الى نار الابـد ، لاني جعتُ ولم تطعموني » (متى ٢٥ : ٣٥) . قليل على الانسان ان يبتعد عن الخطيئة اذا اهمل الخطايا السالفة ، وفقاً لما كتب : يا بنيّ ان خطئت فلا تزد على خطاياك ولا تظننّ نفسك في حمى من الخطيئة متى اتخذتَ هذا الموقف ؛ والنبي يقول : « استغفر عمّا سلف من الخطأ ليترك لك » (بن سيراخ ١/٢١) .

وأيّ نفعٍ لك من الاستغفار اذا لم تستعد لان يُستجاب لك ، بفضل ثمارك الجديدة بالتوبة ان كنت نظير شجرة عقيمة قطعتَ وألقيتَ في النار ؟ وان شئت ان تستجاب صلاتك فاغفر يغفر لك واعطِ تعطَ .

انك تطالع في الكتب المقدسة ان « الماء يطفئ النّار الملتهبة والصدقة تكفّر الخطايا » (ابن سيراخ ٣/٣٣) وتطالع ايضاً : « خبّئ الصدقة في قلب الفقير وهي تتوسل الى الرب من اجلك » ؛ كما وانك تقرأ ايضاً : « لذلك

ايها الملك فلتحسُنْ مشورتي لديك وافتد خطاياك بالصدقة » (دانيال ٤/٢٤) .

وهناك دروس اخرى كثيرة في كلام الرب تبيّن لنا قدرة الصدقة على اطفاء الآثام ومحوها ؛ وبالتالي فانه تعالى يرسل الناس الى الهلاك او المجد بنسبة ما يكونون قد تصدقوا به ام لا ؛ وكأني به يقول لهؤلاء : « انه لمن الصعب عليّ ان انا امتحنتكم ومحصتكم وتفحّصْت ملياً اعمالكم ان لا اجد فيكم ما ادينكم به ؛ لكن ، اذهبوا الى ملكوتي لاني جعتُ واطعمتموني ، انكم تذهبون الى ملكوتي لا لانكم لم تخطأوا بل لانكم افتديتم خطاياكم بصدقاتكم » .

ثم يتوجه الى الآخرين قائلاً لهم : « اذهبوا الى نار الابد المعدّة للشيطان وملائكته » .

واذ يعرفون انفسهم خطأة يرتعدون ، متأملين في خطاياهم ؛ لكن ، بعد فوات الاوان . وهل يجرؤون ان يقولوا انهم يدانون ظلماً حين يسمعون الحكم الصادر عليهم من فم ديان عادل ؟

وحين يشعرون بوخز ضمائرهم ، ويرون كل ما في نفوسهم من جراح ، ايجرؤون ان يقولوا : لقد حوكمنا ظلماً ؟

سوف يدركون ، ولا ريب ، انهم شُجبوا بعدل بسبب ذنوبهم وآثامهم ؛ بيد ان القاضي سوف يقول لهم : « كلا كلا ، لا تظنّوا انكم تدانون على هذه الخطايا ، بل لاني جعتُ ولم تطعموني » .

لو ملتم عن خطاياكم وتبتم اليّ وافتديتم جميع آثامكم بالصدقات لكنتم تحررتم بها ونجوتم بواسطتها من تهمة خطاياكم الفظيعة ؛ لانه قيل : « طوبى للرحماء فانهم يرحمون » (متى ٥/٧) . « والآن اذهبوا الى نار الابد لان الدينونة بلا رحمة تكون على من لا يصنع رحمة » (يعقوب ٢/١٣) .

انت، ايها الرب ، حارس لثروتي ، تدّخرُ لي في السماء ما اعطيك على الارض . لو انك قلت لي أعطني مالك لادّخره لك في السماء لما احجمتُ عن ذلك ، يا رب ، يا ايها المعلّم الصالح ؛ لكنك تقول لي في الوقت الحاضر : اعطِ الفقراء وانا اعلم ان الذي يأخذ مني ليس ذاك الذي ارى يده ، بل انت يا من امرتني بالعطاء .

انتَ لا تأخذ مني مباشرةً بل بواسطة خاصتك . الفقير يستعطي انما انت تأخذ ؛ انا اعطي من يفيد من عطائي ، انما انت الذي تردّ تأخذ ؛ ولن تردّ كما اخذت ؛ انما تردّ اكثر مما اخذت وتَعدُ بأكثر مما اعطيت .

انتَ لا تمنعني عن الدين بفائدة يا من تحثّني على انتظار مواعيدك ، واني اعطيك بيد الفقير الجدير بالاستفادة من مالي .

انا اعطيتك الارض وانت تعطيني السماء .

قبلتَ هبات مني زمنية لتردّ لي هبات منك ابدية .

اخذت مني الخبز لتعطيني الحياة .

قبلت ضيافتي لتعطيني بيتاً ، وعدتُ المرضى فستمنحني الخلاص ، وزرتُ المسجونين فستهبني الحرية ؛ الخبز الذي اعطيته الفقراء نفد ؛ اما ذاك الخبز الذي سوف تعطينيه فلن ينفد الى الابد .

انتَ عالم بأني لا استغفرك حباً بخيرات هذا العالم الزائلة الفانية المتبددة كالدخان ؛ انما اتوسّل اليك اتماماً لكل برّ وقداسة وقمعاً لكل شهوة وليس ارضاء للجسد .

تلك هي صلواتي اليك ، يا رب ، ساعدني في هذا الجهاد الباطني لكي ابلغ المجد بعد الانتصار .

الفصل الرابع عشر : في غبطة الضمير الصالح

ان كنت حقاً تقياً ، فالله يساعدك من الداخل حيث لا يرى احد . وكما ان الضمير هو عذاب كبير للاشرار ، هكذا هو عينه ، فرح

عظيم للابرار ؛ ولمَ تسعى اذن وراء خيور هذا العالم التي تخدع العيون البشرية واللحمية ؟

إخترْ ما يجب ان يكون في قلبك ؛ كن مليئاً بالخير من الداخل ، حيث يرى الله ، ولا يرى الانسان .

أصغِ الى الرب : « اياك ان تعمل برّك بمرأى من الناس لكي ينظروا اليك » (متى ٦/١) وفي اعمالك الصالحة العلنية لا تبحث عن مجدك بل عن مجد الله .

إقْنَعْ بمن يرى ما في الباطن ؛ واعملْ على ان يكون محباً ومحبوباً من الباطن ذاك الذي صنع انسانك الباطني وما فيه من جمال . المسيح يرى ضميرك فيحبك فيه ؛ وفيه يتحدث اليك ويعاقبك ويكافئك .

ان خلوتَ من الجمال الباطني فأيّ نفع لك من كلّ ما سواه ؟

كن تقياً يكن لك في قلبك أمان وسلام ؛ شرط ان يظلّ ايمانك يقظاً لانه ان نام هلكت .

ضربت الامواج السفينة وكان يسوع نائماً ؛ ولمّا قام انتهر الامواج والعاصفة فزال الخطر وحدث هدوء عظيم .

على قلبك ان يظلّ هادئاً ، طال ما ان المسيح ساهر ؛ فتصل انت ايضاً الى الميناء ، ان من هيأ السفينة لا ينسى الميناء .

هنيئاً لك فرحُك حين تدخل الى قلبك ولا تجد فيه شرّاً . نَقِّ فؤادك لتتمكن من الدخول اليه مرتاحاً . « طوبى للأنقياء القلوب فانهم يعاينون الله » (متى ٥/٨) .

انزع منه اوساخ الشهوات وآفة البخل وطاعون الخرافات ، وانزع منه ما به انتهكتَ الاقداس ونقّه من الافكار الشريرة والبغضاء . ارفعْ هذه كلها منه وادخله تجد فيه غبطتك .

ومتى بدأت تفرح فيه ، تبتهج بنقاوة قلبك وتندفع الى الصلاة .

اذا جئتَ الى مكان راحة وهدوء وارتفعتَ في اجوائه ، ربما تقول : لنصلّ ها هنا ؛ لان شروط هذا المكان تروقك ؛ فيحملك ايمانك على الاعتقاد بأن الله سوف يستجيبك .

ان كنت تسرّ بتآلف الاجواء في مكان ما فلمَ لا تغتاظ من فساد ما في قلبك ؟

ادخل الى قلبك ونقّه وارفعْ لحاظك الى الله يستجبْ لك .

ولكن ، متى بدأ ضميرك ان يكون صالحاً على هذه الارض ؛ فلن تتخلص من التجارب قبل ان يبتلع الموت بالغلبة ويلبس هذا الجسد المائت ما لا يموت لان شيئاً من الضعف لا يزال قائماً.

ولا مفرّ لك من بعض التجارب والآلام ؛ سوف يطهّر الله كلّ شيء فيك وينجيك من كل تجربة فاسعَ اليه .

يستطيع النمّام ان يعطّل صيتك؛ ولكنه لا يستطيع ان يفسد ضميراً نقياً .

ان كآبة المظلوم لأفضل من غبطة الظالم .

لا تحتقرْ نفسك ان كنتَ فقيراً في بيتك وغنياً في ضميرك ؛ فالغني في ضميره يرتاح في نومه على الحضيض اكثر من الغني النائم على ارجوانه .

والقلب الجريح بالاثم لا يتألم من الاضطراب الخبيث .

احفظ في قلبك الثروة التي حملها اليك فقر الرب إلهك ؛ واجعله حارساً لها لئلا تَهلَكَ عطيّته لك وأقمه عليها أميناً .

عواطف وصلوات

« ايها الرب كن لي إلهاً يحامي عني ويبقى ملجأ لخلاصي » (مزمور ٣٠/٣) كن لي بيت ملجأ وإلهاً محامياً . حينا اكون في خطر ، واريد ان اهرب ؛ الى اين؟ والى اي مكان امين اهرب ؟ الى اي جبل ؟ الى اي كهف ؟ وتحت اي سقف محصّن ؟ الى اية مدينة ؟ ونحو اية اسوار ؟ استطيع ان اهرب من كل ما اريد ، خلا ضميري .

أدخلُ بيتي واستريح في سريري وادخل الى ذاتي حيث لا يسعني ان اجد محلاً اكثر عمقاً منه ؛ وافزع اليه من ضميري متى كانت خطاياي تنهشني .

أسرعْ فخلّصني ؛ وفي برّك خذني غافرًا لي آثامي ومشيّدًا عدلك فيّ . اليك افزع يا بيت ملجإي .

واني اهرب بعيدًا عنك ؟ ان صعدتُ الى السماء فأنت هناك وان اضطجعتُ في الجحيم فانت حاضر (مزمور ١٣٨/٨) .

واني توجهتُ وجدتك ؛ اذا غضبتُ وجدتك مستعدًا للانتقام واذا هدأ غضبُك مددتَ اليّ يد المساعدة .

لم يبقَ لي سوى ان اهرب ؛ لا الى البعيد بل الى جوارك . من الانسان افزع الى حيث لا يكون ؛ ومنك افزع اليك ، اذ ليس من محلّ استطيع ان اهرب اليه منك .

كُنْ لي، اذن، بيت ملجأ ؛ اذ لولا خلاصي فكيف يسعني ان اهرب ؟ أشفني فأفزع اليك ؛ ان لم تشفني فلا يسعني ان امشي ؛ وبالتالي كيف يمكنني ان اهرب ؟؟

الفصل الخامس عشر :

في ان عبودية ابناء الله هي الحرية الصحيحة

شئت ام ابيت ، انت خاضع لإله واحد وربّ واحد ، ومدرك لهذه الحقيقة ؛ حتى انك تطيع إلهك من كل ارادتك .

البار يخدم خدمة حرّ والشرير يخدم خدمة عبد ؛ ومع ذلك فكلاهما يطيعان العناية الالهية ، انما طاعة ذاك طاعة ابن يشاركها في كل عمل صالح، وطاعة هذا طاعة عبد وهي تعمل فيه ما تراه مناسباً .

الابرار يخدمون الله احرارًا ؛ والاشرار يخدمونه قسرًا ؛ مع انه لا احد يفلتُ من شريعة القدير . أن يعمل الانسان ، حرًا ، ما تأمر به الشريعة ، شيء ، وان يتحمّلها ، قهرًا ، شيء آخر . ولذلك فان الابرار يعملون

وفقاً للوصايا ، والاشرار بموجبها يتألمون .

من الافضل ان تخدم بطيبة خاطر ؛ لانك ، ان رفضتَ الطاعة للمسيح ، رفضتَ خدمة معلّم صالح ، دون ان تقوى على الهرب من طاعته .

ان رفضتَ الطاعة للمحبة سقطتَ حتماً في عبودية الاثم .

ان صلحتَ واطعتَ كنت حرًا ؛ امّا ان أثمتَ وسُدْتَ كنت عبدًا ؛ لا لانسان بل ، وهذا هو المؤسف، لكل ما فيك من رذائل .

ان سعيتَ الى اتمام وصايا الله باتّقائها ، تعبتَ ؛ بيد ان المحبة الكاملة تطرد الخوف خارجاً (١ يو ٤/١٨) وليست تخفف من ثقل الوصية وحسب ؛ انما تسمو بها كأن لها اجنحة .

ان بَدَتْ لك وصايا الله شاقةً فثقْ بأنك لا تزال ضعيفاً ؛ وليست لك القوة التي تكشف لك وصايا الله على حقيقتها ، خفيفة ، عذبة . فصلّ بقلب باكٍ لتنال نعمة السهولة .

انت تريد ان تركض الى المسيح بما عليك من احمال ثقيلة ؛ فلن تستطيع ؛ اصغ الى صوت الربّ إلهك .

صوت المسيح

تعال ايها المتألم والثقيل الحمل وانا اريحك . اني اغفر لك خطاياك السالفة وارفع البرقع الذي يغشي عينيك واشفي منكبيك المتعبين .

سأرفع عنك الاحمال حقاً ، انما لن اتركك بدون حمل . سوف ارفع الاحمال الشريرة واضع عليك الاحمال المفيدة . الشهوة كدّنتْكَ تحت نيرها الشرير ؛ امـا المحبة فسوف تضعك تحت نيرها الخلاصي .

ولِمَ تتردّد في قبول حملي ؟ هل التواضع والتقوى هما حمل ثقيل عليك ؟ هل الايمان والرجاء والمحبة أحمال لا تطاق ، لكونها تجعل الانسان وديعاً ومتواضعاً ؟

أنظرْ ، ان اصغيت اليّ فلن يثقل عليك الحمل « لان نيري طيب وحملي خفيف » متى ١١/١٩ .

لا يقاس حملي بثقل الأحمال بل هو جناحان لمن يجب عليه ان يطير .

للطيور ان تحمل اجنحتها : هي تحمل اجنحتها ، واجنحتها تحملها : على الارض تحمل الطيور اجنحتها ، وفي السماء ، اجنحتها تحملها .

اذا اشفقت على العصفور ولا سيما في الصيف وقلت : « يثقل الجناحان على هذا العصفور المسكين » ثم نزعت عنه حِمْلَهُ هذا ، سمّرت على الارض هذا العصفور الذي شئت ان تريحه .

وبالنتيجة عليك ان تحمل اجنحة السلام وتقبل اجنحة المحبة .

عواطف وصلوات

لن اخلُص ، رب ، الا بك ؛ ان لم تجعل ذاتك راحةً لي ، فلا شفاء لي من حزني .

ارفعني عن الارض وارحمني فيك ، حتى اكون في مكان حصين ؛ وحين افزع الى ذاك المكان لن اخشى عدوًا . من ذا ينصِبُ لي فخاخاً ويوقع بي؟

كن لي اذاً إلهاً يحميني وبيت ملجأ ، فتخلصني . لن يسعني ان انجو ان انا اخترت ملجأ سواك ،لا مكان لي افزع اليه ، بعيدًا عنك ، سوى اليك . اذا اردت ان انجو من غضبك هربت اليك هادئاً .

انت قوّتي وملجأي . ولكي اتقوّى بك ، كما كنت ضعيفاً في ذاتي ، فسوف افزع اليك .

سألتك ان تقوّيني بنعمتك لئلا اتأثر بتجارب العدو .

فيَّ ضعف بشري الى جانب العبودية الاولى . في اعضائي شريعة تضادّ شريعة روحي وتحاول ان تسوقني اسيرًا تحت شريعة الخطيئة ؛ وجسدي الفاسد يثقل ايضاً على نفسي .

مهما قوّتني نعمتك ؛ وطال ما اني احمل هذا الإناء الخزفي الذي فيه كنزك ، عليَّ دوماً ان اخشى بعض الشيء هذا الاناء . انت لي قوة في هذا العالم ضد التجارب كلها ، وإن كثُرَتْ عليَّ وعكّرت صفوي ، فزعت اليك .

ومع اني شديد الخوف كالارنب فسوف أظلّ مقرًا بضعفي انا المغطّى بالريش الحاد كمثل قنفذ .

الفصل السادس عشر : في الاقرار الوضيع بالخطايا

تفهمُ الكتب الاعتراف على نوعين : اعتراف المادح ، واعتراف الباكي .

فاعتراف المادح يناسب كرامة الممدوح واعتراف الباكي يناسب توبة من يشكو ذاته .

حين تمدح الله تعترف به ؛ وتعترف به ايضاً حين تشكو نفسك ؛ ولا يمكن للسان ان ينطق بأكرم من ذلك . ولا شيء انبل من هذين الفعلين ، ولا ألزَم للعقل والفهم منهما .

أشكر الله وأشكُ ذاتك لانه يغفر خطاياك برحمة منه ؛ اذ لو اراد ان يعاملك بحسب استحقاقاتك لما وجد فيك سوى ما يستحق اللوم .

ابتعدْ عن الاثم ؛ والله لن يحاسبك على ما فات بل يُحرقُ صكوك خطاياك ويفتح لك حساباً جديداً .

اتّقِ وجهه قبل مجيئه ؛ واعترف بما عليك كيلا يجد فيك سوى ما يستحق الثواب لا العقاب . الا يليق بمجد الله ان تعترف بخطاياك ؟ بالعكس ، انه ليناسب بنوع خاص تسبيحه .

بقدر ما تسوء حالة المريض يُمدَح الطبيب . اعترف اكثر بخطاياك ان راودك اليأس بسبب آثامك .

وكلما كثرت الخطايا المعترف بها كلما عظُم مجد الغافر ؛ وطالما انك لم تعترف بخطاياك فستظلّ نوعاً ما على خلاف مع الله . وكيف لا تكون هذه حالك ان كنت تشكر ثم تعمل ما لا يرضيه ؟

هو يعاقب السارق وانت تسرق ؛ وهو يعاقب المدمن على السكر وانت تمتدح السكر .

ان اعترفت بخطاياك وشكوتها تبدأ مصالحتك مع الله الذي يتهم خطاياك ؛ ان شكوتها من تلقاء نفسك انضممتَ الى الله ، وكأنك امام اثنين : الانسان

والخاطئ. هو صنع ما ارتضيته كانسان وانت صنعتَ ما ارتضيته كخاطئ.

أنقضْ ما صنعتَ ليخلّص الله ما صنع ؛ عليك ان تكره فيك ما صنعته انت ، وأن تحب ما صنعه الله . وحين يبدأ عملك ان يزعجك ينبثق عن اتهام الاعمال الشريرة مبدأ الاعمال الصالحة .

ان الاقرار بالاعمال الشريرة بداية الاعمال الصالحة . لا تكن لطيفاً مع نفسك ولا تداعبها ولا تغترّ قائلاً في باطنك : اني بار . اذا احببت النور والحق ، فعليك ان تشكو فيك آثامك . لا توفّر نفسك ، ولا ترحمها ، يرحمك الله . بل اعترفْ بما تريد ان يغفره لك .

ان لم تعترفْ باثمك فبأي لسان يَسعُك ان تقول له . اصرف وجهك عن خطاياي لاني عارف بخطيئتي واثمي امامي في كل حين (مزمور ٥٠–٢) .

اتخذ اثمك قاضياً عليك ولا تتخذه محامياً عنك . إجلسْ انت على منبر ضميرك وامثل في قفص الاتهام .

لا تتخذْ مكاناً لك وراء ذاتك فيضعك الله امامه .

اثمك ، سوف ينال عقابه ؛ إمّا منك وإمّا من الله . ان صدر عنك كان بدونك ، وان صدر عن الله كان بحضورك .

كن انت للخطيئة معاقباً حتى يكون الله لك محامياً .

لا تطلب لخطيئتك معذرةً ان كنت قد شئتها او حملك اليها آخر .

لا تتهم احداً مخافة ان يتهمك من لا تستطيع الدفاع عن نفسك امامه .

يغتبط الشيطان حين تتهمه ؛ وهذا جلّ ما يتمناه حقاً ؛ انه يريد ان ترشقه بانواع التهم شرط ان يفقد اعترافك ما له من استحقاق .

ومع انك تريد ان تتهم نفسك فان من يشكوك ينتصر عليك .

اتهم نفسك ليكون لك الله محامياً . سوف يشفي امراضك كلها ، ولكن ، اذا شئت . لانه لو شفى كلّ مريض لما شفاه رغماً عنه .

لن تنال برّ الله اذا كنت لا تشتهيه ؛ ولن تناله إلاّ اذا شئته . والبرّ

ليس سوى برّ الله .

برّ الله يبقى ، وان لم تشأ ؛ ولكنه لن يحيا فيك الاّ اذا انت شئت .

ان من خلقك بدونك لن يخلصك بدونك . لا يرتضي الله بتضحية نعجة ذبيح بل بقلب منكسر .

واضِعْ قلبك واسحَقْهُ ؛ وأمتهُ لتتنقّى بالرحمة . انت لا تتبرر اذا ثرت على نفسك ، لكنك تتبرر جزئياً اذا اصلحتَ نفسك وان كنت لا تزال خاطئاً ؛ اذ يجب عليك ان تصلح ذاتك .

ان قسوتَ على نفسك دخل الله وسيطاً بينك وبينها وكَفّ عن شجبك .

إرْتفعْ الى الله ؛ ولا تستكبر عليه .

ان سجدت امام الله رفعك وان استكبرت عليه خذلك .

ان تكبرت ، ظاهرًا ، جففتَ باطناً . انا لا اقول لك : كُنْ اقلّ مما انت ؛ بل اعرف ذاتك واعترف بضعفك وخطيئتك ؛ ثم اعترف بان الله هو الذي يبرّر وانك انت وسخ .

اكشف في اعترافك عن رحمة قلبك تدخل في قطيع الله .

عواطف وصلوات

اقبل يا رب ذبيحة اعترافاتي بواسطة لساني الذي كوّنته ودفعته الى الاعتراف باسمك . واشفِ جميع عظامي لتقول لك : من مثلك يا رب من مثلك ؟ ان من يعترف لك لا يستطيع ان يخبرك عما يجري في ذاته ؛ والقلب الذي ينكمش على ذاته لا يستطيع ان يهرب عن ناظريك . ولا تستطيع قساوة البشر ان تصد يدك . انك تحطمها ساعة تشاء برحمة منك او نقمة . ولا احد ينجو من حرّك .

فلتمدحك نفسي ، حباً بك ؛ ولتعترف بمراحمك تمجيدًا لك . ان الخليقة بأسرها لا تنفك تسبحك ولا تسكت ابدًا ، إمّا بعقل الانسان الذي يحدثك بلسانه ؛ وإمّا بواسطة الاجسام الجامدة والحيوانات التي تسبحك بالسنة من يتأملون فيها ؛ حتى تخرج نفسنا من ضجرها وترتقي اليك ايها الخالق العجيب يا من تتجدد فيك حيث تجد القوة الحقيقية.

الفصل السابع عشر : في القديسة مريم المجدلية

انه لمن المحتم ان ينال كل اثم ، ثقيلاً كان ام ضعيفاً ، عقابه منك انت ، يا من تندم عليه ، او من الله الذي ينتقم منه . متى ندمت عليه قاصصت نفسك بنفسك ؛ عاقب خطاياك اذا سألت الله رحمةً ؛ وبكلمة ، فأمّا ان تعاقبْ انت وإمّا هو ؛ ان شئت ان تتجنب عقابه فعاقب نفسك.

انما الكثيرون لا يخجلون من خطاياهم ، بل يخجلون من التوبة . يا للمحاقة ! انت لا تخجل من الجرح بل من ضمادته .

أليس الجرح المكشوف مدعاة للتقزز والنتانة ؟ افزع اذا الى الطبيب . كان الافضل لك ان تسمع كلمة الطبيب يوم كنت ذا صحة جيدة لئلا تحتاج الى عنايته .

وكان الافضل لك ان تحافظ دوماً على عافيتك ؛ احتقرت مشورة الطبيب وأفرطتَ بصحتك فوقعتَ من جراء ذلك في مرض ؛ أصغ اقلّه الآن الى ارشادات الطبيب لتتمكن من النهوض من خطيئتك .

اطلب الطبيب ولا تخجل ؛ كلما كان جرح قلبك بليغاً كلما وجب عليك ان تطلب الطبيب .

الله يكسو جرحك فلا تَسْعَ الى ان تكسوه لانك ان شئت ان تخبئه خجلاً اهمله الطبيب .

الطبيب يغطي الجرح ويُعنَى به ؛ بالدواء يغطي الجرح . والجرح يبرأ في كنف الطبيب . وعمّن تريد ان تخفي جرحك ؟ عمّن يعرف كل شيء ؟

ان الفريسيين الذين ظنوا انفسهم ابراراً تذمّروا على الرب الذي كان يعايش المرضى متعهداً شفاءهم فقالوا : انظروه يؤاكل العشارين والخطأة . فأجاب الطبيب المرضى : « الاصحاء لا يحتاجون الى طبيب بل المرضى ؛ انا ما جئت لأدعو الصديقين بل الخطأة » . وهذا يعني انكم ، وان كنتم

خطأة ، تدّعون البرارة وحسن الصحة ؛ ومع انكم مرضى ، فانكم ترفضون العلاج ولا تحتفظون بصحتكم .

ان الفريسي الذي دعا الرب الى مائدته ، كان يظن نفسه سليماً معافى ، بخلاف تلك المرأة المريضة التي دخلت البيت بلا دعوة الى حيث يسوع ؛ بل ، حملها شوقها للخلاص ، الى هذا النوع من الوقاية فلم تدنُ من الرأس ولا من يدي الرب بل انطرحت على قدميه وغسلتها بدموعها ونشفتها بشعرها وقبلتها ودهنتها بالطيب ؛ على قدميْ الرب استعادت الخاطئة السلام .

والفرّيسي المتكئ الى المائدة ظنّ نفسه باراً فتذمر على الطبيب قائلاً : لو كان هذا نبياً لعلمَ حقاً مَنْ هي هذه المرأة التي لمست قدميه .

شكّ في الرب ، ظناً منه ، انه لم يعرفها ولم يصدّها عنه كيلا تلمسه بيدين اثيمتين ؛ بيد ان يسوع المسيح العالم بكل شيء رضي بأن تلمسه لمساً به تشفى .

واذ ادرك الرب افكار الفريسي اعطاه هذا المثل : «كان لمداين مدينان على احدهما خمسماية دينار وعلى الآخر خمسون . ولم يكن بوسعهما ان يقضيا دينهما فأعفاهما جميعاً . فأيهما يكون اكثر حباً له ؟ ...» فأجابه الفريسي : « ذاك الذي اعفاه من الاكثر ، على ما اظن » ؛

ثم التفت الى المرأة وقال لسمعان : « اترى هذه المرأة ؟ اني دخلت بيتك فما سكبت على قدميّ ماء . وامّا هي فالبدموع بلّت قدمي وبشعرها مسحتها . انت ما قبلّتني قبلة وامّا هي فلم تكفّ مذ دخلت عن تقبيل قدمي . انت ما دهنت رأسي بزيت ؛ امّا هي فبالطيب دهنت قدمي ؛ اقولُ لك : غفرت لها خطاياها الكثيرة لانها احبت كثيراً . وامّا الذي يغفر له القليل ، فانه يحب قليلاً » .

وهذا يعني ان مرضك اشد من مرضها ، تظن نفسك في صحة جيدة وانك بحاجة الى استغفار القليل مع ان ديونك كثيرة . ايها الفريسي المزدري

ضافك الرب فأطعمته وما دريت بأنك محتاج الى طعامه ؛ وكيف عرفت بأن الرب كان يجهل تلك المرأة ؟ الانه سمح لها بان تلمسه وتقبل قدميه وتنشفّها وتدهنها بالطيب ؟ انت تظن بأنه ما كان يجب ان يسمح لامرأة خاطئة بان تعمل هذا بقدمين طاهرتين ولو ان امرأة كهذه دنت من قدمي ذلك الفريسي لكان قال لها ما قاله اشعيا بشأن مثيلاتها : « قفي عندك ولا تدني فاني نقي » (اشعيا ٦٥/٥) .

لقد دنت من الرب مدنّسة لتعود منقاة ؛ وتقدمت منه مريضة ، لتعود معافاة ؛ واقتربت تائبة لتعود مغفوراً لها .

اذا اطمأنّ قلبك الى الاثم الكبير الذي سوف يخلّصك الرب منه بنعمه ، عليك ان تنقى في الكنيسة وكأنك موصوم بوصمة العار .

آمَنْ وادنُ من قدمَي الرب وابحث عنها واعترف باكياً فوقها وامسحها بشعرك . قدما الرب هما كل مبشّر بالانجيل وشعر المرأة خيور نافلة .

إمسحْ بشعرك ، وامسح صانعاً رحمةً ؛ واذ تمسح قدمَي الرب بهذا الشكل قبّلْها وخذ السلام لتنال المحبة .

لا تخجل ؛ إندمْ ؛ القلب التائب ينال شفاء والقلب المستكبر يُنبَذ . الرب يشفي ذوي القلوب المنسحقة الوضيعة الذين يعترفون بخطاياهم ويعاقبون انفسهم مصدرين بحقها حكماً صارماً اختباراً لرحمة الله . وبالتالي فانك سوف تشفى بقلب منسحق ، تائب ؛ لا تخجل ؛ إسحقْ قلبك لأنّ الله يشفي امثال هؤلاء المنسحقي القلوب .

عُدْ الى دواء الرب ؛ فانه سوف يقودُك ويجبر كسرك ويحقق لك شفاءً تاماً ؛ وما هو مستحيل اليوم سيصير ممكناً لك غداً .

من المستحسَن ان تعترف بضعفك متى دنوتَ من الالوهة ؛ ان لم تشأ ان تتضع ، معترفاً بأثمك ، فسوف تنسحق تحت يد الله ، لا تخفِ ذاتك فالله يخفيك .

ألقِ بنفسك في الله ، ولا تخفْ ؛ فلن يبتعد عنك ولن يدعك تقع ؛ ألقِ بنفسك فيه مطمئناً فيقبلك ويشفيك .

عواطف وصلوات

اللهمّ ، ان ابيتُ ان اطيعك ، يا طبيبي ، كيلا أمرض فسأطيعك تخلصاً من مرضي وضعتَ لي شرائع يوم كنتُ بصحة جيدة كيلا احتاج فيما بعد الى طبيب .

واحتقرت شرائعك حين كنت معافى ، فشعرت بما لي من خبرةٍ شخصية وكم ساهم موقفي ذاك في هلاكي .

ورحتُ امرض واتألم ملازماً الفراش انما لم ايأس . وبما اني لم اتمكن من زيارة الطبيب تنازلتَ وجئتَ اليّ ولم تحتقر الجرح الذي احتقرك صحيحاً ، وبرغم انه أبى ان يحفظ وصاياك الاولى كيلا يمرض ، فقد تابعت تقديم المساعدات له .

بدأت أشعر بالألم حين نبذتُ وصاياك ؛ ولن اشفى من المي قبل ان اشرب كأس التجارب المريرة والضيقات والعذابات والشهوات التي تكثر في هذا العالم .

قلت لي : اشرب فتحيا ، وكيلا اجيبك في مرضي : لا استطيع ، شربتها انت اولاً ايها الطبيب الصحيح الجسم .

اي حنظل لم تشربه في كأسك ؟ ان كانت الآلام مرة ، فقد ربطت وجلدت وصلبت ، وان كان الموت مرّاً فقد كان لك ايضاً منه نصيب .

ان كان الضعف يخشى هذا النوع من الموت فلم يكن ذاك النوع اكثر عاراً من موت الصليب .

لولا مساعدتك لي فماذا كان حلّ بي ؟ ولولا عنايتك بي كيف كان يأسي ؟ ولولاك اين كنت منطرحاً ؟ لقد استدركتني برحمةٍ منك ؛ فكل ما فيّ هو بكليته منك ايها الرحيم .

الفصل الثامن عشر : في الفريسي والعشار

المدخل على الابواب : باشر بالاعتراف .

اجعل خيرك في الله الذي ابتعدت عنه فجنيتَ شراً . ان كنت نعجة

الرب إلهك فادخل من الباب ولا تمكث في الخارج مع الذئاب .

اعترف بخطاياك ، وان كان فيك صلاح فاعترف بمصدره ؛ او كان فيك شرّ فاعترف كذلك ، ليجعلك الاعتراف صالحاً .

ان كنت صالحاً فبفضل من الله صلاحك ؛ او كنت شريراً فمنك . اهرب من ذاتك وهلمّ الى الله خالقك ؛ لانك ، ان تهرب من ذاتك تتبع ذاتك ؛ واذ تتبع ذاتك تستمسك بالله الذي صنعك .

هل تخشى الاعتراف لانك تخاف ان يشجبك الله باعترافك ؟ لا تخف . اعترافك هذا لا يؤدي بك الى العذاب . يا من يسعك ان تنجو بالاعتراف، سوف تهلك ان لزمت الصمت .

يفرض الله الاعتراف لكي يخلص المتواضع ويقضي على من لا يشكو ذاته لكي يعاقب المتكبر .

اكتئب قبل الاعتراف ثم اغتبط بعده لانك نلت الشفاء .

انظر الى هذا القضاء العادل بين الفريسي والعشار .

ماذا قيل عن الفريسي ؟ سقط .

وماذا قيل عن العشار ؟ ارتفع .

سقط الاول لانه ارتفع ، وارتفع الثاني لانه اتضع .

ولكي يضع الله من يرتفع فانه يثقل عليه بيده ؛ لقد رفض ان يتضع ويعترف بخطيئته فاتضع تحت وطأة يد الله .

ثقيلة هي يد من يضع كما هي خفيفة يد من يرفع .

وانها لقوية في هذا وذاك ، قوية لتثقل وقوية لترفع .

كان الفريسي يعترف بفقره وحاجته دون ان يتجاسر على رفع عينيه الى السماء . اعترف بانه انسان خاطئ فلم يعد يؤمن بحقه في التطلع الى فوق . كان يتطلع الى عدمه ويعترف بكمال الرب ويدرك بأنه قد جاء الى الينبوع ظمآن .

ويدلّ الى حنكه ويقرع باب الغنى الالهي ليبرّد حلقه ؛ ويقول قارعاً صدره ، مطأطئ الرأس الى الارض : اغفر لي انا الخاطئ . من بعيد كان يصلي مع انه كان قريباً جداً من الله .

ادرك خطاياه فابتعد عن الله واتقاه فتقرّب اليه . هو توقف بعيداً لكن السيد نظر اليه عن كثب ؛ ان يقف بعيداً ، ولا يتجاسر ان يرفع عينيه ، فهذا امر بسيط ؛ لكنه لم ينظره لئلا يُرَى .

ما تجاسر ان يتطلع الى فوق ، الضمير يضغط عليه والرجاء يرفعه .

وكان يقرع صدره ويطالب لنفسه بالعقاب؛ واشفق السيد عليه لانه كان يشكو نفسه .

وكان يقرع صدره قائلاً : ربّ اغفر لي لاني لست سوى خاطئ .

هوذا الاعتراف يصيّره غنياً ، وان كان فقيراً جداً فكيف تمكن من استخراج تلك الجواهر الكريمة من اعترافه ذاك ؟ ونزل من الهيكل مبرراً ، اسعد واغنى من ذي قبل .

الفريسي الصاعد الى الهيكل للصلاة لم يطلب شيئاً . بعض الناس يظنون انفسهم اغنياء وهم لا يملكون شيئاً . قال الفريسي : « شكراً لك يا سيدي لاني لستُ كباقي الناس الظالمين والسارقين والفجّار ولا كهذا العشّار .

لو انه قال على الاقل كالكثير من الناس، وما معنى سوى جميع الناس ما عداه؟ باقي الناس وسائر الناس ؛ لقد قال : « انا بار وسائر الناس خطأة ... ولستُ مثلكم ظالماً وسارقاً وفاجراً » .

وانها لمناسبة للتكبر في جوار العشار حين قال ، كهذا العشار : « وانا وحدي فاضل ، امّا هذا فانه من مصاف الآخرين ، لست مثله بسبب اعمالي الصالحة التي تجعلني باراً .

اني أصوم في السبّة يومين واعشر كل مالي .

ابحث في كلامه عما سأل الله فلن تجد شيئاً ؛ انه صعد ليصلّي ولم يشأ

ان يمدح الله انما مدح نفسه .

قليل بالنسبة اليه ألاّ يصلّي الى الله ويمدح نفسه ؛ ومن واجبه ايضاً ان يجدّف على من يصلّي .

لقد سمعت النقاش حول الفريسي والعشار ، اصغ الآن الى الحكم ؛ لقد سمعت المدعي المتكبر والمدعى عليه المتّهم ، فاصغ الآن الى القاضي .

الحقّ اقول لكم (هي الحقيقة ، هو الله الذي يتكلم) : الحقّ اقول لكم لقد خرج هذا العشار من الهيكل اكثر برّاً من الفريسي .

ربّ ، قل لي السبب ، ها اني ارى العشار نازلاً من الهيكل مبرراً اكثر من الفريسي واني لابحث عن السبب .

اتبحث عن السبب ؟ من ارتفع اتضع ومن اتضع ارتفع .

لقد سمعت الحكم ، احذر السبب السيء ؛ وبكلمة اخرى لقد سمعت الحكم فاحذر الكبرياء .

هل تعتدُّ بقواك ؟ انت شرّ من الفريسي واكثر كراهية منه . في الواقع ادّعى الفريسي البرارة بكبر ولكنه شكر الله قائلاً : اشكرك يا سيدي لاني لست كباقي الناس .

الشكر لك يا الله : يشكر الله لانه ليس كباقي الناس ، ومع ذلك فالرب يلومه على كبريائه وتشامخه ؛ لا ، لانه يشكر الله ؛ بل لانه يظن بانه لا يرغب في ان يزيد شيئاً على فضيلته .

هل تعتدُّ بقواك ؟ لا تطلب شيئاً لانك كامل وبار ؛ وبالتالي فالحياة البشرية على وجه الارض ليست تجربة ؛ وعليه فقد اصبحت في بحبوحة ولا حاجة لان تطلب مغفرة الخطايا .

رب ، انا لا اريد ان اضيّع اعترافي . اني اقول : لقد خطئت حقاً وها اني اقرّ بخطأي . ارحمني يا رب لاني خاطئ . إن ضيّعت اعترافي فقدت كل سبيل الى الرحمة ؛ وان دافعت عن اثمي فكيف تحررني منه ؟ سأتهم نفسي لتحررني ؛ ومن اللائق بي ان اصرخ وابكي واعترف والاّ استكبر واتباهى وأفاخر باستحقاقاتي . لانه وان كان لي ما يفرحني فأي شيء لي ولم انله منك .

رب ، دنسٌ انا ؛ ولهذا اقرّ بخطاياي لكي اصير نقياً ؛ انا خاطئ ، فإني اقرّ بخطاياي لكي اصير باراً .

وحدي تلطختُ بالخطيئة ولن يسعني ان اتطهر منها لوحدي .

سوف اعترف بخطاياي وانبذ الشر الذي التهمه بنهم : اغثني كيلا اعود الى قيئي كالكلب الوسخ .

هبني ان احب الجمال الحقيقي ؛ ولكن هبني ان أبدأ بالاعتراف طال ما ان الجمال يأتي بعده .

عليّ ان اعاقب نفسي لكي اكون عادلاً مع نفسي . بداية البرّ فيَّ هو في ان اعاقب نفسي الشريرة وانت تصيّرني صالحاً .

وطال ما هذا هو اول عمل صالح، فانه يصبح طريقاً لك اليّ ؛ طريقك سوف اشقّه معترفاً بخطاياي .

كنت ارتضي بخطاياي ؛ فاجعلني اكره ما كنت عليه لكي اصير ما لم اكن في الماضي .

ساعدني على ان اهيّئ لك السبيل واجعل البر الذي يهيب بي الى الاعتراف بخطاياي سبّاقاً لسبيلي .

حينذاك تأتي وتعودني لانك تضع خطواتك في الطريق ؛ والطريق الذي عليه تتوجه ماشياً هو ما يجب عليك ان تقطعه للوصول اليّ . قبل ان اعترف بخطاياي اغلقتُ بوجهك الطريق المؤدي اليّ ولم يعد لك مخرج منها . سوف اعترف بخطاياي . فافتح الباب وتعال وضَعْ قدميك على الطريق لتعلّمني ان اسيرَ وراءك .

الكتاب الرابع

الفصل الاول : في ان الصلاة واجب وضرورة ملحة

لم يكن باستطاعة الله أن يقدّم للناس عطيةً اعظم من هذه وهي ان يجعل كلمته ، الذي به خلق كل شيء ، رأساً لهم ؛ ويؤهلهم لان يكونوا له اعضاء ؛ فيكون ابن الانسان مع الآب إلهاً واحداً ، ومع البشر انساناً واحداً ؛ حتى اذا توسلنا الى الله لم نفصل عنه ابنه ؛ واذا صلّى جسم الانسان فلا ينفصل عن رأسه ؛ ويكون بالتالي سيدنا يسوع المسيح ، ابن الله ، الذي يصلي فينا ومن اجلنا ؛ والذي اليه نصلي ، هو عينه المخلص الوحيد لجسمه .

يصلي فينا كرأس ، وعنّا ككاهن ، فنصلي اليه كإله .

فيه نعرف اصواتنا ؛ وفينا نعرف كلماته . اليه نصلي كإله ، وفينا يصلي بصورة العبد . هناك خالق ؛ وهنا مخلوق ؛ ثم يأخذ ، ولا يتغيّر ، طبيعة متغيّرة ، جاعلاً ، منّا ومنه ، كائناً واحداً ، رأساً وجسماً .

وبالتالي ، فاننا نصلي اليه وبه وفيه ؛ ومعه نتحدث ؛ فلا تقلْ شيئاً بدونه ؛ ولا يقلْ شيئاً بدونك .

ان من يستجيبك مع ابيه قد تنازل وصلى الى ابيه من اجلك . وهل اضمن لسعادتك من صلاة يرفعها باسمك معلّمك الذي يمنح ما يطلب ؟

لقد رأيته يصلي ، فتعلّمْ منه الصلاة ؛ لانه صلّى لكي يعلّمك ان تصلي ؛ وتألّمَ لكي يعلّمك ان تتألّم ؛ وقام من الموت لكي يعلّمك ان ترجو القيامة .

يطلب الرب منك ان تصلي ؛ ولهذا يقول : « سلوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم لان من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له ، ومن منكم يسأله ابنه خبزاً فيقدّم له حجراً او يسأله سمكة فيقدم له حية ؟ ان كنتم انتم الاشرار تعرفون ان تعطوا بنيكم الصالحات فكم احرى بأبيكم السماوي ان يعطيها من يسأله » ؟

يا للغرابة ، انت شرير وابوك صالح ؟ ومع انك شرير وابوك صالح ، فإياك ان تبقى شريراً .

ان شئت براً ، فاطلب من الله الذي يحثّك في انجيله على ان تطلب وتسأل وتقرع . انه يعرف من يستعطيه وهو ابو العائلة ، الغني ، الكبير ، المالك الثروات الروحية والابدية ، القائل اليك بالحاح : اطلب وسل واقرع لان من يطلب يأخذ ومن يسأل يجد ومن يقرع يفتح له .

هو يحثّك على ان تطلب ، فهل يرفض لك طلباً ؟ تأمّلْ كيف يحثّنا السيد على الصلاة فيشبّه نفسه بنقيضه ، قاضي الظلم ، قائلاً : «كان في مدينة قاض لا يخاف الله ولا يستحي من الناس وكانت في المدينة عينها ارملة جاءته يوماً قائلة له : « انتقم لي من خصمي » (لوقا ١٨ : ٢) فلم يستجبْ لها ، وألحّتْ عليه بالسؤال فملّ منها ، وصنع لها عن ضجر ما لم يصنعه عن طيبة خاطر .

انه يحثّك ، مستعملاً الضد ، لكي تسأل .

ورجل ما جاءه بغتة ضيف فأتى الى صديقه يقول له : جاءني غريب فأقرضني ثلاثة ارغفة فأجابه صديقه : « اني في سريري واولادي معي » (لوقا ١١ : ٥) ؛ ويلحّ الطارق المزعج ويقرع باب صديقه . وماذا يصنع الآخر ؟ يقوم فيقضي حاجة صديقه ، لا بدافع من الصداقة ؛ بل عن سبيل اللجاجة لان الطارق ظلّ يقرع الباب برغم انه قد اصطدم برفض . ان ذاك الذي رفض اولاً مطلب صديقه قد لبّى اخيراً لجاجته .

وما اكثر ما يعطيك من هو الصلاح بالذات ، الذي يحثّك على ان تطلب ؛ ولا يرضى عنك الاّ اذا طلبت ؛ وان تأخر في العطاء فلن يرفض لك طلباً بل يزيدك عطاء .

ان الشيء الذي نطلبه طويلاً ، ثم نحصل عليه اطيب بكثير مما نحصل عليه بسهولة ، ولا نقدره حق قدره . سَلْ ، واطلب بالحاح ، ولا تملّ ، تَضْمَنْ الاستجابة : الله يحفظ لك ما يرفض ان يعطيكه فوراً ؛ ويريد ان تنمي فيك شوقاً كبيراً الى الخيرات العظمى « لهذا يجب عليك دوماً ان تصلي بلا ملل » (لوقا ١٨ : ١) .

عواطف وصلوات

ربّ ، نبّهتني وحرضتني وأمرتني بان اطلب واسأل واقرع بابك فجعلتني استعطيك؛ ولهذا سوف اسمع لمن يستعطونني . اسأل ؟ ومن اسأل ؟ ومن انا ؟ وماذا اسأل ؟ اسألك انت ايها الإله الصالح ، انا الانسان الشرير .

اني اسأل البر الذي يصيّرني باراً ؛ واسأل ان يكون لي الى الابد ذاك الطعام الذي لن اجوع اذا شبعتُ منه . ولكن ، عليّ ان اجوع واعطش لكي اشبع منه وارتوي ؛ لان الجوع والعطش هما اللذان يجعلاني اطلب واسأل واقرع « طوبى للجياع والعطاش الى البر » . هل اكون سعيداً ان عطشت وجعت ؟ وهل يكون الفقر احياناً سبب سعادة ؟ اني سعيد ، لا لأني جائع وعطشان بل لاني سوف اشبع ؛ والسعادة ليست في الجوع بل في الشبع . انما عليّ ان اشعر بالجوع قبل الشبع كيلا اشعر بقرف من الخبز .

اني اليك فقير ، سأتعرف الى من يسألونني كي تتعرف انت اليّ . ومن هم الذين يسألونني ؟ بشر . ومن يسألون ؟ بشراً . ومن هم الذين يستعطون ؟ بشر صائرون الى الموت . ومن يستعطون ؟ انساناً صائراً الى الموت . ومن هم الذين يستعطون ؟ بشر صائرون الى الهلاك . ومن يستعطون ؟ كائناً ضعيفاً مثلهم . ومن هم الذين يسألون ؟ بؤساء . ومن يسألون ؟ انساناً بائساً مثلهم .

لولا ثرواتي ، لكنت كمن يستعطونني . وبأية وقاحة اسألك انا الذي لا يتعرف الى من يستعطونه ؟

اللهمّ انت تسأل البؤساء ، ولا تسأل المتكبرين المتدثرين بالحرير ؛ ولست تسألنا عن ثيابنا بل عما اذا كنا ابناء روح ام ابناء جسد .

نسير عراة في هذه الحياة ومرضى ؛ ولذلك نحن نبكي وننتحب . ان وجب عليّ البحث عن الحياة الحقيقية ، فعليّ ان استبدل خيراتي بالخيرات الحقيقية لكي اجد ما اعطيه ها هنا فوق الارض . غَيِّرْ هذه الاشياء يا من تغيّرنا . الفقير ينتظر مني شيئاً وانا انتظر منك اشياء . هو ينتظر من يدٍ مخلوقة وانا انتظر من يدٍ خلقتني . انها لم تخلقني لوحدي بل خلقتْ معي الفقير . اعطيتنا هذه الحياة كالطريق عينها ، فوجدت رفيقاً لي ، لا يحمل شيئاً ؛ اما انا فمثقّل بالاحمال . هو لا يحمل شيئاً ؛ اما انا فأحمل اكثر مما يلزمني . لقد رزحتُ تحت حملي ؛ اني اعطيه مما هو لي فأعوله واخفف من حملي .

الفصل الثاني : في اسلوب الصلاة

لقد سمعت الرب يسوع ، المعلّم السماوي والمرشد الامين يحضّك على الطلب ليستجيب سؤلك .

لقد سمعته في الانجيل يحضّك على ان تسأله باستمرار ، وتقرع بابه بلجاجة ؛ وربط بين تحريضه لك وبين الصديق اللجوج وقاضي الظلم ؛ وحثّك ملحاً على الطلب والسؤال وقرع الباب ليستجاب لك ، وتأخذ ما تطلب وتقرع من اجله .

ان الربّ يسوع المسيح ، شريك الناس في ما يسألون وشريك ابيه في عطاياه ؛ لا يحضّك على السؤال لولا رغبة له اكيدة في العطاء .

اخجل يا كسول ، انه مصمّم على العطاء اكثر مما انت مصمّم على السؤال ، ومصمّم على الرحمة اكثر مما انت مصمّم على التخلص من شقائك ، واذا لم تتحرر من بؤسك بقيت في تعاستك لان من يحضّك لا يبغي سوى خيرك .

استيقظ ، وآمن به واسمع لمن يَعدُك ، وابتهجْ مع من يعطيك . ان الله يريد ان يعطي ؛ ولكنه لا يعطي الآ من يسأله ؛ ويأبى ان تُمتَهَنَ عطاياه . اتريد ان تصل الي بالصلاة ؟ تواضع . ليكن قلبك متضعاً حتى يأتي الله اليك ويقيم معك في غرفتك .

تواضعْ وصعّدْ من قلبك زفرات الألم ، لا صيحات القرف . انتحبْ وايّ بار لا ينتحب؟ اذا لم تكن قادراً على البكاء فأنت لا تتألّم من غربتك . وبأيّ وجه تأتي الى الوطن يا من لم تنتحب ، في غربتك عنه ، ساعياً اليه ؟

مهما كُنت سعيداً في حياتك هذه فاعتبر ذاتك في المنفى حبّاً بالحياة الابدية ؛ وتأمّل في حزنك كيلا تنقطع عن الصلاة .

اذا فاتتك التجربة فاتتك الصلاة . وبالتالي فلتكن صلاتك تواضعاً ومحبةً وصوماً وصدقةً ومسامحةً وغفراناً وسخاءً وابتعاداً عن الانتقام والشر ، وتمرّساً بالخير ، وسبيلاً الى الله ، وحصولاً عليه .

ان الصلاة المرفوعة على اجنحة تلك الفضائل تطير الى السماء بسرعة حيث سبقها المسيح . اجعل صلاتك نقية كيلا تبغي ما تتوق اليه الشهوة ؛ بل ما تسعى اليه المحبة : اجعلها نقيةً كيلا تستنزل الشر على اعدائك ، وتغضبَ في صلاتك على من لا تستطيع ان تُلْحق بهم ضرراً متى انتقمتَ منهم ...

وكما انك تجعل نفسك بالصدقات والاصوام اهلاً لان تصلي ، هكذا تكون صلاتك بمثابة صدقة اذا عرفتَ ان توجهها وتشمل بها اصدقاءك بل اعداءك . ان تنزّهتْ عن الغضب والحقْد تغذّتْ باستمرار من المحبة .

صلّ ولا تملّ ؛ صلّ باستمرار صلاة ايمان ورجاء ومحبة . يلزمك احياناً ، ومن وقت الى آخر ، ان تصلي الى الله بالكلام ، لكي توقظ نفسك بواسطة تلك الاشارات وتدرك ما وصلت اليه في هذا المضمار ، وتنمي ما فيك من ميل الى الصلاة .

كل صلاة تصدر عن عاطفة حارة تعطي ثمرة افضل .

جنّبْ فكرك ، في ساعات معيّنة ، بواسطة الصلاة اللفظية ، الهموم وسواها من المشاغل التي تخفف من شوقك الى حياة الابد . وانتبه اليّ مصغياً الى ما ترجوه ، مخافة ان يبرد كلياً ما بدأ يفتر فيك ، فينطفئ بالتمام اذا لم تستمر في اشعاله .

ولكن ، لا تكن صلاتك في كثرة الكلام : ان ربنا هو اول من اختصر الخطب الطويلة كيلا تظهر في صلاتك الطويلة الى الله بمظهر من راح يلقّنه درساً .

حاجتك في الصلاة الى تقوى لا الى ثرثرة .

اذا صليتَ فلا تكن مهذاراً كالوثنيين الذين يظنون أنهم بكثرة كلامهم يُستجاب لهم ، فلا تكن مثلهم لان اباك عالم بما تحتاج اليه من قبل ان تسأله .

لا تقلْ : ان كان الله عالماً بحاجتي فلمَ اعرضها عليه بقليل من الكلام ؟ طلب منك ان تصلي اشباعاً لرغبة فيك ؛ كيلا تحتقر عطيتّه اليك ؛ ولهذا فقد وضع فيك تلك الرغبة عينها .

لن تنقطع عن الصلاة اذا طلبتَ باستمرار حياة السعادة . اذا لم يتوفّر لدى الانسان وقت طويل للصلاة عليه ان يرفع دوماً صلاة اشتياق . انها لصلاة مقبولة ومفيدة . اذا استغرق الانسان في الصلاة طويلاً فلا يعني انه يستعمل كلاماً اطول : الحديث الطويل شيء والعاطفة الطويلة شيء آخر : جاء عن الرب بالذات انه قضى ليلته يصلي وأطال في الصلاة .

وماذا يقصد من عمله هذا ؟ ان يعطينا مثلاً ، في حياتنا ، ذاك الوسيط الضروري مع الآب الذي يستجيب الى الابد .

يقال ان في مصر اخوة يرفعون باستمرار ابتهالات قصيرة تتلى بسرعة ، حفاظاً على انتباه ضروري لكل من يصلي ، تجنباً للوهن والانقطاع عن

العمل اذا طالت الصلاة ؛ وبذلك يبيّنون لنا بوضوح انه كما لا يجوز اضعاف هذا الانتباه بمزيد من الجهد كذلك اذا استمرّ فلا يجوز ان يتحوّل عن غايته . من ذا الذي يقول ان الخطاب الطويل صلاة ؟ ان بقي الانتباه حاداً فعلى المرء ألاّ يتوقف عن الصلاة .

ان الاكثار من الكلام في الصلاة لشبيه بعمل ضروري يقوم به انسان بكثير من الكلام الذي لا طائل تحته .

بيد ان من يصلي طويلاً يقرع باب من يتوسّل اليه بقلب نشيط ورع ؛ لان الانسان في هذا الموضوع يعمل بدموعه اكثر مما يعمل بكلامه ؛ ويعمل بزفراته اكثر مما يعمل بأقواله .

انه يرتضي في الحاضر بدموعنا ؛ ونحيبنا لا يخفى عمّن خلق الكل بكلمته اذ لا يطلب من الناس كلامهم .

صلّ بايجاز ولتكن صلاتك كاملة « متى صلّيتم فلا تكونوا كالمرائين الذين يهوون الصلاة وقوفاً في المجامع او في زوايا الازقة ليراهم الناس ، الحقّ اقول لكم انهم قد قبلوا اجرهم امّا انت ، متى صلّيت ، فادخل مخدعك واغلق بابك وصلّ الى ابيك سراً وابوك الذي يرى السر يجازيك » (متى ٦ : ٥–٦) . ولكن لا جدوى من دخولك الى مخدعك ان ظلّ بابك مشرعاً بوجه الثقلاء الذين يريدون اكثر ؛ انهم يريدون الدخول الى مكمن سرك .

ان الاشياء الزمنية المرئية التي تلج افكارك من الباب ، اي بواسطة شعورك اللحمي ، هي بمثابة طغمة من الاشباح تشوّش عليك الصلاة .

اوصِدْ بابك بوجه الشعور الشهواني حتى توجّه الى ابيك الصلاة الروحية التي تقوم بها في اعماق قلبك اذ تصلي الى ابيك سراً . ولكن غالباً ما تستهويك الافكار وتجرّك وراءها حين تركع للصلاة .

انك تحني الرأس والجسد وتعترف بخطاياك وتعبد الله . اني ارى الجسد حيث يقيم وابحث عن النفس اين تطير .

ارى الاعضاء جامدة ، فلننظر اذا كان الضمير منتصباً وقوفاً امام من يسجد له واذا كان يتأرجح على أكفّ الافكار ، مترنحاً يمنة ويسرة في مهبّ العاصفة .

ان كنت الآن تتحدث اليّ ، ثم تتحوّل عني بسرعة الى خادمك ، متغافلاً — لا اقول — عمّن تتوسل اليه بل عمّن هو مساوٍ لمن كنت تتوسل اليه ، الا تظن بأنك تهينني ؟

ذاك ما تصنعه كل يوم بالله : يتحمل الله قلبك المنهمك بغريب الافكار التي غالباً ما تكون شريرة ومعادية له ؛ ان لم تكن شاذة . ان الافكار الباطلة اهانة بحق من باشرت الحديث معه .

افحص ضميرك وتأمل نفسك ببساطة وصراحة لان ليس كالغش والاغراء بالنسبة اليك . وتأمل ايضاً كيف ان صلواتك تتحول احياناً عن غايتها بسبب افكار باطلة لان قلبك يكاد يكون عالقاً بالله . وكيف تهرب من نفسك وانت تريد ان تبقى جامداً فلا تجد محلاً تسجن فيه نفسك ؛ ولا رادع لديك يحد من حماسك ونزواتك في حين انك تستطيع ان تضبط نفسك لتسترضي الله ؟

من النادر جداً ان نجد صلاة كهذه .

سل الله طوال حياتك الارضية ان لا يتخلى عن صلاتك ولا يبتعد برحمته عنك اي ألاّ تتوقف انت عن الصلاة ولا يمتنع هو عن الاشفاق عليك .

ايّاك والضجر ؛ كثيرون يملّون الصلاة . في بدء توبتهم يصلون بحرارة ؛ ثم يفترون ويبردون واخيراً يهملونها كأنهم اصبحوا في مأمن من كل شر. العدو ساهر وانت نائم .

لا تنقطع عن الصلاة ، وَعْدُ الله لك مضمون ؛ فلا تهمل صلاته لان نعمه تتطلب ذلك الثمن .

متى رأيت قلبك ساهراً ، يقظاً في الصلاة ، فاطمئن الى الله الذي ليس بعيداً عنك برحمته .

العمل اذا طالت الصلاة ؛ وبذلك يبيّنون لنا بوضوح انه كما لا يجوز اضعاف هذا الانتباه بمزيد من الجهد كذلك اذا استمرّ فلا يجوز ان يتحوّل عن غايته . من ذا الذي يقول ان الخطاب الطويل صلاة ؟ ان بقي الانتباه حاداً فعلى المرء ألاّ يتوقف عن الصلاة .

ان الاكثار من الكلام في الصلاة لشبيه بعمل ضروري يقوم به انسان بكثير من الكلام الذي لا طائل تحته .

بيد ان من يصلي طويلاً يقرع باب من يتوسّل اليه بقلب نشيط ورع ؛ لان الانسان في هذا الموضوع يعمل بدموعه اكثر مما يعمل بكلامه ؛ ويعمل بزفراته اكثر مما يعمل بأقواله .

انه يرتضي في الحاضر بدموعنا ؛ ونحيبُنا لا يخفى عمّن خلق الكل بكلمته اذ لا يطلب من الناس كلامهم .

صلّ بايجاز ولتكن صلاتك كاملة «متى صلّيتم فلا تكونوا كالمرائين الذين يهوون الصلاة وقوفاً في المجامع او في زوايا الازقة ليراهم الناس ، الحقَّ اقول لكم انهم قد قبلوا اجرهم امّا انت ، متى صلّيت ، فادخل مخدعك واغلق بابك وصلّ الى ابيك سرّاً وابوك الذي يرى السر يجازيك» (متى ٦ : ٥–٦) . ولكن لا جدوى من دخولك الى مخدعك ان ظلّ بابك مشرعاً بوجه الثقلاء الذين يريدون اكثر ؛ انهم يريدون الدخول الى مكمن سرك .

ان الاشياء الزمنية المرئية التي تلج افكارك من الباب ، اي بواسطة شعورك اللحمي ، هي بمثابة طغمة من الاشباح تشوّش عليك الصلاة .

اوصِدْ بابك بوجه الشعور الشهواني حتى توجّه الى ابيك الصلاة الروحية التي تقوم بها في اعماق قلبك اذ تصلي الى ابيك سرّاً . ولكن غالباً ما تستهويك الافكار وتجرّك وراءها حين تركع للصلاة .

انك تحني الرأس والجسد وتعترف بخطاياك وتعبد الله . اني ارى الجسد حيث يقيم وابحث عن النفس اين تطير .

ارى الاعضاء جامدة ، فلننظر اذا كان الضمير منتصباً وقوفاً امام من يسجد له واذا كان يتأرجح على أكفّ الافكار ، مترنحاً يمنة ويسرة في مهبّ العاصفة .

ان كنت الآن تتحدث اليّ ، ثم تتحوّل عني بسرعة الى خادمك متغافلاً – لا اقول – عمّن تتوسل اليه بل عمّن هو مساوٍ لمن كنت تتوسل اليه ، الا تظن بأنك تهينني ؟

ذاك ما تصنعه كل يوم بالله : يتحمل الله قلبك المنهمك بغريب الافكار التي غالباً ما تكون شريرة ومعادية له ؛ ان لم تكن شاذة . ان الافكار الباطلة اهانة بحق من باشرت الحديث معه .

افحص ضميرك وتأمل نفسك ببساطة وصراحة لان ليس كالغش والاغراء بالنسبة اليك . وتأمل ايضاً كيف ان صلواتك تتحول احياناً عن غايتها بسبب افكار باطلة لان قلبك يكاد يكون عالقاً بالله . وكيف تهرب من نفسك وانت تريد ان تبقى جامداً فلا تجد محلاً تسجن فيه نفسك ؛ ولا رادع لديك يحد من حماسك ونزواتك في حين انك تستطيع ان تضبط نفسك لتسترضي الله ؟

من النادر جداً ان نجد صلاة كهذه .

سل الله طوال حياتك الارضية ان لا يتخلى عن صلاتك ولا يبتعد برحمته عنك اي ألاّ تتوقف انت عن الصلاة ولا يمتنع هو عن الاشفاق عليك .

ايّاك والضجر ؛ كثيرون يملّون الصلاة . في بدء توبتهم يصلون بحرارة ؛ ثم يفترون ويبردون واخيراً يهملونها كأنهم اصبحوا في مأمن من كل شر . العدو ساهر وانت نائم .

لا تنقطع عن الصلاة ، وعْدُ الله لك مضمون ؛ فلا تهمل صلاته لان نعمه تتطلب ذلك الثمن .

متى رأيت قلبك ساهراً ، يقظاً في الصلاة ، فاطمئن الى الله الذي ليس بعيداً عنك برحمته .

اللهمّ ، عيناك تحدّقان اليّ واذناك تصغيان الى صلاتي ؛ وهل يسعني ان اطلب اكثر من ذلك .

اني اتألم كثيراً ها هنا انت تسمعني ؛ في ضيقي اصرخ . سوف احفظ سبلك انما تعال اليّ في وقت التجربة ، انت الطبيب وانا جاهل ما انا عليه من الفساد .

انا اصرخ وانت تقطع ولست ترفع يدك الآ بعد ان تنتزع ما يبدو لك لازماً : ان الطبيب الذي يصغي الى المريض فيهمل الجرح وما فيه من فساد هو طبيب قاس .

رب والهي ، انت بكليتك محبة . بيد انك لا تستجيب سؤل من يتضرعون اليك لكي تشفيهم وتوفر لهم الحياة الابدية ؛ ساعدني على ان اعمل ما تأمر به . ان لم تحررني من قيود المادة حررتني بالروح .

استخفّ الاولاد الثلاثة النيران وصرخوا اليك من داخل الأتون وهم يسبحونك . ولم تستطع النيران ان تمس خدامك وتؤذي الاطهار الابرار الذين يسبحونك . فنجيتهم من اللهيب .

ايها الرافع الاطفال الثلاثة من الأتون هل نجيت ايضاً المكابيين من اللهيب ؟ الم يرنموا وسط النار ؟ الم يموتوا في اللهيب ؟ لقد خلصت الاوائل دون الآخرين او بالاحرى لقد خلصت هؤلاء مع اولئك ؛ بيد انك عضدت الاطفال الثلاثة ليخزى الناس الشهوانيون . وان كنت قد منعت خلاصك عن المكابيين بنفس الطريقة فلكي يتعذب اكثر اولئك الذين ظنوا نفوسهم بأنهم قد نكلوا بشهدائك . لقد خلصت بطرس حين جاء الملاك اليه في السجن قائلاً له : « قم واخرج » فسقطتْ للحال وثاقاته وسار وراء الملاك الذي اخرجه من السجن .

وهل اضاع بطرس كل برّ حين علّق على الصليب فما خلصته منه ؛ وقد كنت اخرجته سابقاً من سجنه ؟

زدت له استجابة حين خلصته من ضيقاته : كم تحمل من ضيق بعد خلاصه الاول ؟ ثم ارسلته اخيراً الى حيث لن يقاسي ادنى شر ؟

كانت المرأة الكنعانية تصرخ طالبة منك نعمةً ملحة بجرأة قوية وانت تتظاهر بالابتعاد عنها لا لكي تحبس عنها رحمتك بل لكي تذكي فيها نار الشوق وتعطي صلاتها مثالاً في

التواضع ؛ وكانت تصرخ كأنك لا تسمع لها ، مع انك كنت تُعِدّ في الصمت ما تنوي القيام به .

ان كان انسان وحسب ، ينهض من سريره ويعطي لكي يتخلص وليس عن سبيل الصداقة ؛ فكم تعطي انت الإله بسخاء وفرح الذين يسألونك ؟ لكنك تريد ان يسألوك لكي يصبحوا جديرين بعطاياك .

رجوتك انا الواقف ببابك ، ان تفتح لي ، والا لما دفعتني الى ذلك . احمدك على العظيم الذي اعطيتنيه بيد اني لا ازال مريضاً . ها اني اصلي وها هي شفتاي تتحركان للصلاة وفكري يحلّق في الجوّ . فكري يتخذ موقفاً ثابتاً للصلاة ؛ ونفسي مشتتة هنا وهناك غافلة عمّا حولها .

ولِمَ اصلي اليك بلا نشاط وخشوع ؟ ان الجسم الذي يفسد يُصبح ثقيلاً على النفس والبيت الارضي يثقل على الحس الذي يفكّر كثيراً .

انزع عني جسدي الذي يثقل عليّ فأسبحك . انزع هذا البيت الارضي الذي يحطّ من شأن الحسّ المفكر حتى اخلص من افكار كثيرة الى فكرة واحدة واسبحك في حياتي .

الفصل الثالث : في كيفية الصلاة

الصلاة حديث مع الله .

تقرأ فيتحدث الله اليك ؛ وتصلي فتتحدث اليه . وكما تتجه أذنا الرجل الى فيه فعلى قلبك ان يتجه الى اذني الله . كم من أناس يصلّون بشفاههم ويخرسون بقلوبهم ؛ وكم منهم يخرسون بشفاههم ويبتهلون بعاطفتهم ، ولذلك يستجاب الكثيرون برغم انهم صامتون وباطلاً يهتف الآخرون .

صلّ بعواطفك ان رفعتَ صلاة شوق ؛ وان صمتَ لسانك فلتكن من القلب صلاتك . امّا اذا لم تصلّ صلاة شوق وان تعالى صراخك وأصمّ آذان الناس ، فأنت اخرس بالنسبة الى الله .

ان كان سامعك انساناً فارفع صوتك ؛ وان لم يكن حاضراً ، فاسكتْ لان من يصغي ، من الداخل يقيم دوماً فيه .

تتغير نبرة الصوت مع الزمن ولا يحق للعواطف الباطنية ان تلزم الصمت .

عندما تذهب الى الكنيسة لترنيم نشيد ما يجلجل صوتك مسبحاً الله : وتبذل افضل ما عندك حين تنشد ثم تغادر الكنيسة وتبقى نفسك مرددة لتسابيح الله .

يريد الله ان يسبّح لكي تنمو انت ، لان مجده لا يزداد . انت تستطيع ان تفيه تماماً كل ما له عليك من ديون واذا طالبك بشيء فلا يطالبك به لنفسه بل من اجلك لانك ستفيد منه .

الله لا يحب المديح لانه يتعاظم بالمديح؛ بل لان المديح يؤدي بك اليه .

وبمَ تكافئ الربَّ عن كل ما صنع لك؟ اذكر حسناته وتأمّل سيئاتك : ان الخيرات التي غمرك بها توازي ، عداً ، سيّئاتك .

لا تحاول ان تعطيه ممّا لك ؛ لان الله يرفض ما هو منك ؛ وانت ان ارجعتَ اليه ما لك فلستَ تعطي سوى الخطيئة . لقد اخذتَ منه كل مالك ؛ وليس منك سوى الخطيئة وحدها ؛ وهو لا يطلب مكافأة ، ممّا لك ، بل ممّا له .

وكما تُحمَل الغلّة الى الفلاح من الارض التي زرعها فهكذا تردّ له غلته . امّا اذا حملتَ له شوكاً فانك تعطيه من انتاجك .

أعطِ ما هو حقّ وسبّح الله به ؛ ان شئت ان تسبّح الله بقواك الشخصية وقعتَ في الكذب .

اعطِ ، على هذا النحو ، ذاكراً انك لست تعطي سوى ما اخذت ؛ وبارك الرب بنفسك كيلا تنسى جميع مكافآته .

ان ادعيتَ العظمة ، فلست تسبح الله بل نفسك ؛ وان بدأت تسبح الله فسبحه بلا انقطاع .

لا تقلْ : اسبّح الله طفلاً ، ومتى كبرتُ وبلغتُ سن الرشد سبّحت نفسي .

اجعلْ شيخوختك بيضاء مع شعر الحكمة ولا تدعها تذوي مع هرم الجسد .

كن عفيفاً في شيخوختك ورصيناً في حداثتك ولا تستأنس بالكبرياء في شيخوختك ؛ بل تواضع بحكمة .

حذارِ من السقوط ، اذا كان ما حولك مزدهراً فاشكر الله ومتى ساءت احوالك فسبّح الحقيقة .

في الضيق رفع دانيال صلاته الى الله من منفاه ، في بابل وهو في حوزة اعدائه ؛ وآنذاك قاسى القديسون عذابات كثيرة : دانيال ذاته ألقي في جب الاسود ، والاولاد الثلاثة القوا في الأتون : دانيال في ضيقه اعترف بحقيقة الله قائلاً : « لقد خطئنا واثمنا وعملنا شراً » (دانيال ٩:٥) ؛ لك المجد يا رب ولنا الخزي والعار .

سبّح الله على قيثارة ذات عشرة اوتار وأنشدْ نشيداً على القيثارة . رنّم على نغم القيثارة ولا تحملها . اما ان تأملتَ الشريعة حملتها وما ترنمت . إعملْ ، ولكن ان عملتَ فلستَ تترنّم لان المترنّم فرح .

ان عملتَ بلا كلام كانت لك القيثارة وحدها ؛ اما ان نطقتَ بالالفاظ وحدها فأنت تنشد بلا قيثارة .

ان شئتَ ان تجمع بين الترنيم والقيثارة فتكلّمْ جيداً واعمل جيداً ولا تخف الاناشيد الالهية في صخب الاخلاق الشريرة ؛ فيا ايها الانسان الذي يسبّح الله ، عِشْ بحساب برّه « لان الله لا يرضى بتسبيح يخرج من فم خاطئ » .

يهتمّ الله بسلوكك في الحياة اكثر مما يهتم بنبرة صوتك . اتعمل ثمّ تفكّر بالغش ؟ امتنعت عن تسبيح الله ثم رحت الى افظع من هذا كله ،

حين جرفك الاثم في تياره فلم تكفَّ عن تسبيحه وحسب بل جدفت عليه .

متى سبحت الله في عمل لك صالح سبحتَه بواسطة ما تعمل ومتى جدفت عليه في عمل لك شرير جدفتَ عليه انت بذاتك .

إن اكلتَ او شربتَ غنِّ . لا يكن غناؤك بايصال عذب النغم الى الاسماع بل في ان تأكل وتشرب باعتدال وزهد وقناعة .

اذا صَلُحَ عملك فأكلتَ وشربتَ تجديداً لقواك الجسديـة وتنشيطاً لاعضائك ، وشكرت ، انت ايها الانسان الصائر الى الموت والهلاك ، من اعطاك تعزية بتلك المساعدات ؛ فانك تسبّح الله في طعامك وشرابك . اما اذا تجاوزتَ سنة الطبيعة وأكلتَ بشراهة جدفت على الله في حياتك وان كنت ترفع بصوتك له تسبيحاً .

بعد ان تأكل وتشرب تأخذ قسطاً من الراحة . وماذا يحدث في نومك ؟

اذا نمتَ ولم يعكّر شرّ الضمير عليك صفوك فان نومك البرئ تسبيح لله .

وبالنتيجة عليك اذا سبّحت ان تترنم بلسانك ، وليس بلسانك فقط بل وبقيثارة الاعمال الصالحة ايضاً .

ان قمتَ بواجبك سبحتَ الله وان أكلتَ وشربتَ واسترحتَ في سريرك ونمتَ سبحتَ الله ومتى تكفّ عن تسبيحه ؟

تسبّح الله تسبيحاً كاملاً متى بلغت تلك المدينة التي تتساوى فيها والملائكة ؛ فلا تعود بحاجة الى شيء في جسدك ؛ هناك لا جوع ولا عطش يستوليان عليك ، لا حرّ ولا قرّ ولا حمّى تفتك بك ؛ وهناك لا موت ينتهي به كل شيء :

تمرّس بهذا التسبيح الذي تصعّده اعمالك استعداداً لتلك التسبحة الكاملة :

رب ، تنفتح اذناك على القلب ، لا على الفم . انها تنفتحان على حياة من يسبّحك لا على لسانه . أرنّم بلساني لكي أنشط ؛ وبقلبي لكي ارضيك .

سآخذ مزماراً وقيثارة كيلا اسبحك بصوتي وحده بل بصوتي واعمالي .

متى رنمت قدمت الخبز للجائع والكساء للفقير والمأوى للمسافر ورنمتْ يداي ، بنفس الوقت ، مع صوتي ؛ ثم ائتلفت اعمالي واقوالي . اجعلني احيا دوماً في الصلاح فأسبحك على الدوام ؛ واذا فرض الصمت احياناً على لساني ، فلتهتف حيـاتي ولتكن اذناك مصغيتين الى صوت قلبي . ان كانت اذنـا الانسان منفتحتين لسماع صوتي فأذناك منفتحتان على قلبي .

لست أُعنى بصلاة اللسان وحسبُ بل اريد ان اسبحك بكل كياني : اليك ارفع نشيداً بصوتي وآخر باعمالي وحياتي .

اذا بقي البكاء والحزن والتجربة فاني ارجو يوماً فيه تزول كلها فأسبحك بلا انقطاع .

سوف ينقطع صوتي أمّا عاطفتي فلا تنقطع ؛ وسوف اظهر بمظهر الساكت انما لن اصمت معك .

السقوط ، وانا اسبحك ، افضل لي من السعادة ، وانا اسبّح ذاتي . لكني لست اسقط وانا اسبحك : ان تسبيحك غذاء لي ، وكلما ازددت لك تسبيحاً كلما ازددت قوةً . اجعلني اسبحك بلساني وعقلي واعمالي الصالحة . طال ما انك تحضني في كتبك على القيام بمثل هذا التسبيح فسوف انشد لك نشيداً جديداً .

للانسان الجديد نشيد جديد ؛ وللعتيق نشيد عتيق . ان احببت الارضيات انشدتُ نشيداً عتيقاً ، اما ان اردت ان انشد نشيداً جديداً فعليَّ ان احب الازليات .

ان هذا الحب عينه جديد وازلي : انه دائم الجدّة ولن يشيخ الى الابد ؛ لقد عتقتُ في الخطيئة فجددني بنعمتك .

الفصل الرابع : ما يجب التماسه في الصلاة

الصلاة عمل روحي . وكلما ازدادت تحقيقاً لمميزاتها كلما ازدادت حظوة لدى الله . الخيرات نوعان : زمنية وابدية . الزمنية هي الصحة والغنى والحياة الكريمة والاصدقاء والبيت والأسرة وكل ما اختصّ بهذه الحياة التي نحن فيها سائرون .

امّا الابدية فهي الحياة الخالدة وسلامة النفس والجسد وخلودهما ومعاشرة الملائكة والمدينة السماوية والنصر النهائي والاب والوطن : هذا بلا عدو وذاك بلا موت .

اني انبهك واحضّك بالرب على أنْ لا تسأل من الزمنيات شيئاً وكأنه ثابت بل اسأل ما يعرفه الله افضل منك . انت لا تعرف بتأكيد ما هو افضل لك ؛ لانك تتأذّى احياناً ممّا تظنه مفيداً وتفيد مما تظنه مؤذياً .

انت مريض فلا تُمْلِ على الطبيب نوع العلاج الذي يريد ان يصفه لك . اتطلب الغنى ؟ كم من الناس اهلكهم غناهم ؟ وكيف تعرف ان الغنى الذي تتوق اليه نافع لك ومفيد ؟ الم يعش فقراء كثيرون بسلام في ظلّ بؤسهم ولمّا صاروا اغنياء ولمع نجمهم وقعوا فريسة من هو اقوى منهم ؟ ما كان اسعدهم ، مجهولين ، منسيين ، اولئك الذين تبعهم الناس حباً بما يملكون وليس حباً بهم .

تلك هي الحال في الخيور الزمنية : ان صليتَ جيداً الى الله ادركتَ انه عالم بما هو مناسب لك .

اطلب الخيور الروحية بكل حرارة واطلبها باستمرار ؛ ولا تطلبها بخطب طويلة ؛ فليكن بكاؤك شاهداً ، عليك في طلبك .

على القلب ان يصلي دوماً ولو سكت اللسان : ان كان شوقُك مستمراً استمرت صلاتك أيضاً .

ومتى تغفو الصلاة ؟ متى برد الشوق . اطلب ، بكل ما فيك من نهم ، تلك الخيور الابدية ؛ اطلبها بكل ارادتك الصالحة والتمسها بكل ثقة .

اما اذا شئتَ الخيور الزمنية فاطلبها باعتدال وهدوء ، عالماً بأنك ان نلتها ، تنالها ممّن يعرف خيرك .

هل طلبت ولم تنلْ ؟ آمنْ بالاب الذي يعطيكها لو عرفها مفيدة لك ونافعة .

اعمل من تلقاء نفسك هذا التشبيه : انت تجهل الإلهيات امام الرب كما يجهل ابنك البشريات امامك .

ابنك يبكي طوال يومه لكي تعطيه سكيناً ، وقد يكون سيفاً ، بنظره ، فترفض طلبه وتهمل دموعه لئلا تضطر الى البكاء عليه ميتاً .

هب انه بكى وانتحب وراح في ثورة غضب يضرب نفسه لكي ترفعه على ظهر حصان فلم تلبّ له طلباً علماً منك بأنه يعجز عن كبح جماح الحصان الذي قد يقلبه عن ظهره ويقتله . انك تحتفظ بكل شيء للولد الذي رفضت له جزءاً من الكل فتأبى ان تعطيه جزءاً من لهو خطر الى ان ينمو ويكبر فيتمتع اذ ذاك بكل شيء مطمئناً . ليس من النبل في شيء ان طلبنا من الله ان يستجيبنا تحقيقاً لارادتنا . وهل افضل من ان يستجيبنا الله ضناً بمصلحتنا ؟ الشياطين كذلك تحققت ارادتهم فدخلت في قطيع الخنازير .

ان ابليس ، زعيمهم ، الذي طلب ايوب ليجربه ، استجيب ، تكريماً لأيوب وخزياً للشيطان .

ورأى الاسرائيليون رغباتهم تتحقق وعرفوا ما حلّ بهم بينما كان الطعام في افواههم (سفر العدد ١١ : ٣٣) .

لا تعتبر عظيماً تحقيق الرب لارادتك .

الرب يعطيك احياناً مبتغاك ، غاضباً ؛ واحياناً اخرى يرفض لك طلبك برغم انه يعطف عليك .

ولكن متى سألتَ الله خيوراً يمتدحها وفضائل يأمر بها وان يحقّق مواعيده لك في الحياة الاخرى ، فليكن سؤالك له بهدوء وصلّ ما استطعت لتنال مبتغاك .

انت تعطى مطلوبك لان الله يريدك ويعطيك ما تبقّى ، رحمةً بك ، وليس انتقاماً منك .

اطلب الخيور الزمنية باعتدال وخوف واستسلم اليه ليعطيك ما يراه نافعاً لك ويمنع عنك ما يعرفه مضرًا .

الطبيب وحده يعرف ما يضرّ وما ينفع ولا شأن للمريض في ذلك .

ان طلبت من الله خيوراً زمنية برهنت على انك لا تزال تحت السنة ، فلمَ لا تعمل بموجبها ؟ ولكن متى رأيت الكافرين بالله متخمين بالخيور الزمنية اصطكّت رجلاك وقلت في نفسك : ها اني اعبد الله واركض كل يوم الى الكنيسة واسحق ركبتيّ مصلياً ومع ذلك اكون اغلب الاحيان مريضاً بينا القتلة والسارقون يفرحون وينعمون بفيض من الخيرات ، والتوفيق يحالفهم .

هل تسأل الله امثال تلك الاشياء ؟ اياك ان تحبه لكي يكافئك ؛ بل فليكن هو عينه مكافأة لك .

وهل تعطى ما هو افضل من الله ؟ ان قال الله لك : سلْ ما تشاء فماذا تسأل ؟

استحثّ عقلك وانزع منه الشهوة ووسّع رغبتك ، ما استطعت ؛ لان الله القدير قال لك : سلْ ما تشاء ، وليس القائل انسانا عادياً .

ان رغبتَ في القنيان فارغب في الارض كلها حتى يصبح جميع من فيها خداماً عندك وفلاحين . وماذا تملك معها ؟ ستطلب البحر حيث لا يمكنك ان تعيش ؛ فالاسماك اقوى منك في هذا الطلب .

وقد تملك على الجزر ، فاقطعها واطلب الجوّ ثم ابسط رغبتك حتى السماء وتمنّ على ان يكون الشمس والقمر والنجوم لك لان من خلق كل

شيء قد قال لك : سَلْ ما تشاء . إعلمْ بأنك لن تجد اثمن وافضل ممّن صنع كل شيء .

اذن ، اطلبه هو عينه تحصل معه على كل ما صنع : ثمينة هي مصنوعاته كلها لانها كلها جميلة ؛ ولكن ، هل اجمل منه ؟ وجميعها مليئة بالقوة ؛ ولكن هل اقوى منه ؟

وهو يريد ان يهب نفسه دون سواها : ان وجدت ما هو افضل فاطلب .

ان طلبتَ شيئاً آخر اهنته واجحفت بحقه مفضلاً عليه مخلوقاته برغم انه هو صانعها يريد ان يهبك ذاته .

عواطف وصلوات

استجب ، اللهمّ صلاتي وأصغِ الى كلمات فمي ولتبلغْ الى مسامعك كلمات فمي لاني لست اسألك خيور هذا العالم . أصغِ اليّ لان الذين يهوون هذا العالم لا يُصغون اليّ ولو ارتفعت صلاتي اليهم لانهم لا يدركون . في الخيرات الزمنية يتنعمون فلا يطلبون الخيرات الابدية .

فلتبلغْ اليك صلاتي التي اضطرمت واندفعت طالبة خيراتك الابدية . اني بحضرتك اتلوها فساعدها على الوصول اليك . وان لم تصلْني خيراتك الآن فانا مطمئنّ ؛ لانها سوف تصلني في وقت لاحق . وعلى من يشاؤون ان يختاروا ما يشاؤون ويأخذوا نصيبهم من خيرات هذا العالم : انت نصيبي وانا اخترتك ؛ املك عليّ حتى احصل عليك ؛ انا لك بيت ومسكن ؛ وانت مالك ومملوك ؛ وذلك لمصلحتي . امّا انا فهل انا مفيد لك ونافع ؟ لك اقول : انتَ إلهي ؛ لانك تحتاج الى خيراتي : ان نفسي تعظمك وتفرح بخلاصك .

الفصل الخامس : في الصلاة الربية

ان الكلمات التي علمناها سيدنا يسوع المسيح في هذه الصلاة هي صورة لمطالبينا بحيث لا يجوز ان نطلب سوى ما جاء فيها .

ان صلّيت بحسب الاصول ، اياً كانت تعابيرك الصلاتية وعواطفك السابقة لها النامية معها او اللاحقة بها فلست تقول سوى ما جاء في الصلاة الربية .

ان كانت لك قضية واردتَ ان تستعطف الامبراطور بشأنها بحثتَ عن عالم خبير بالقانون لكي يدبّج لك كتاب استرحام لئلا تسأل ما لا يجوز فيرفض طلبك ، وتعاقَب بدلاً من ان تنال مبتغاك .

ولمّا كان الرسل يحاولون ان يصلوا دون ان يجدوا سبيلا الى ملكوت الله قالوا للمسيح : علمنا يا رب ان نصلي . وهذا يعني انك انت يا من تسنّ لنا الشرائع وتساعدنا ، او بالاحرى ، تعاون الله ، اعدّ لنا صلواتنا ؛ أخرج الربّ من كتاب الشرع السماوي صورة صلاتهم قائلاً لتلاميذه : صلوا هكذا :

ابانا الذي في السماوات

على كل من يتوسل ان يحصل في بدء الامر على رضى من يسأله ثم يعرض عليه طلبه . ينال الطلب الرضى عادةً اذا كرِّم من يصلي اليه ؛ ومن المعروف ان التكريم يكون في بداية الطلب ؛ ولهذا لم يأمرك ربك بان تقول سوى : ابانا الذي في السماوات .

وبما انك مدعوّ الى الميراث الابدي لتكون شريكاً فيه للمسيح وتبلغ التبني الذي للبنين بنعمة من الله ودون اي استحقاق منك ؛ فانك تطلب هذه النعمة بالذات في بداية الصلاة حيث تقول : ابانا .

وبهذا الاسم تنشط المحبة : وهل احب على الابناء من ابيهم ؟ في هذه المحبة التي تجعل البشر في صلاتهم يدعون الله ابانا نوع من الحدْس بأنك سوف تنال ما تسأل قبل ان تسأل . وهل يمنع شيئاً عن ابنه الذي يسأله من قد انعم عليه بان يكون له ابناً ؟ واخيراً كم يُعنى بالنفس ليكون القائل « ابانا » جديراً بذلك الآب ؟ انه إله وآب : إله بالقدرة وآب بالصلاح .

ما اسعدك يا من وجدت ربك اباً لك ! آمنْ به وعدْ نفسك بكل شيء من رحمته ، لانه قدير . لا تتعلّق بما في الارض بعد ان وجدت لك أباً في السماء .

بدأت تنتسب الى دوحة كريمة : تحت سلطة ذاك الآب تجد العبد والسيد اخوين ؛ كما تجد الامبراطور والجندي والغني والفقير اخوة ايضاً ، لجميع المسيحيين المؤمنين آباء عديدون على الارض ومن بينهم الاشراف والوضعاء انما جميعهم يدعون لهم في السماء اباً واحداً حقيقياً .

ان كان ابونا هناك فهناك ميراثنا . ذاك هو الآب الذي معه تملك كل شيء انه يعطي الميراث قبل ان يموت لانه لا يموت بل ينتظر وصولك اليه . وطال ما انك تعلم من هو ذاك الذي تسأله ، فاعلم ايضاً بما تسأل ، كيلا تهين بمطلب لك غير لائق اباً لك جليلاً .

ليتقدس اسمك

ذاك ما تقول؛ لا لانك تتمنى على الله ان يتقدس بصلواتك ؛ بل لانك ترغب في الحصول منه على تقديس اسمه فيك . وبمن يتقدس الله وهو عينه يقدّس ؟ وطال ما انه هو عينه قال : «كونوا قديسين كما اني انا قدوس» (لاويين ١٩ : ٢) . اطلب واسأل يا من تقدست في العماد لكي تستمر في الحياة التي باشرت فيها .

وكما ان قديساً حين يسأل الله ان يصيره قديساً يسأله ان يستمر حقاً في قداسته كذلك العفيف يسأله ان يظلّ عفيفاً والبار باراً والتقيّ تقياً . وبشأن سائر الفضائل الاخرى التي نؤكد عليها كهبات إلهية يسأل القديسون الله في الصلاة بان يحفظهم في النعم التي يعلمون بأنهم قد نالوها منه .

ان حازوا تلك النعم حازوا ولا شك نعمة الثبات فيها ؛ وهي كبرى هبات الله الحافظة لسائر النعم . متى قلت هذا الكلام لله ، باركك ؛ ومتى باركك زادك قداسة وسعادة . ومتى مجّدت الله زادك مجداً وشرفاً ؛ وبذلك لا يخدم مصلحته بل مصلحتك .

وفضلاً عن ذلك فانت تتمنى ان يكون اسم الله مقدساً بين البشر ، اي ان يعرف الناس الله معرفة تمنعهم من ان يتصوروا اقدس منه وتجعلهم يخافون من ان يهينوه .

عظيم هو اسم الجلالة ينطق به الانسان وفقاً للاحترام الذي تمليه عليه عظمة جلاله . واسمه مقدس لدى كل من ينطق به باحترام وخوفاً من اهانته .

وتطلب كذلك ان يكون اسم الله مقدساً لدى جميع من لا يؤدون له ذاك التكريم بسبب ما هم عليه من الكفر ؛ اذ لا يعتبرون مقدساً كل ما تقدس به وفيه وفي قديسيه .

وتصلي من اجل الجنس البشري والارض بأسرها ومن اجل الشعوب الجالسة كل يوم تتناقش بان الله ليس عادلاً وبأنه لا يحكم بحق ؛ وتصلي لكي يصلح سلوك اولئك الناس فيقبلون الى برّه بقلب مستقيم مستمسكين به ، متجهين اليه ، ممتنعين عن لومه . ولكن ، يجب على البار ان يرضي الابرار لان إله اسرائيل صالح لذوي القلوب المستقيمة .

ليأت ملكوتك

ان ملكوت الله آتٍ ، سواء اطلبته ام لم تطلبه . ولِمَ تطلبه ان لم يكن لكي يأتي اليك كما لجميع القديسين ؟ تطلبه لكي يحصيك الله مع قديسيه الذين يأتي ملكوته من اجلهم .

وتطلب هذا الملكوت الآتي في نهاية العالم الذي قيل عنه في الانجيل المقدس : « هلموا يا مباركي ابي رثوا الملك المعدّ لكم منذ انشاء العالم » (متى ٢٥ : ٣٤) .

ذاك هو الملك الذي تتمنى ان يأتي قائلاً : « ليأتِ ملكوتك » . انك تتمنى ان يأتي وان تكون جديراً به ؛ سوف يأتي ، ولكن ماذا ينفعك مجيئه ان وجدك الى الشمال ؟

انت تطلب السعادة لنفسك ها هنا ؛ وتصلي على هذه النية : اطلب

سعادة الحياة الصالحة والبلوغ اخيراً الى ملكوت الله الذي سيكون من نصيب جميع القديسين .

وتصلي لكي تحيا حياة صالحة قائلاً : ليأتِ ملكوتك . ربّ أوصلنا الى ملكوتك وليأتِ الينا طال ما انه يجب ان يأتي من اجل قديسيك وابرارك . وبينا نقول هذا الكلام ثبّتنا في البرّ الذي اعطيتناه .

لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض

وفي هذا ايضاً تسأل ما هو خير لك لانه من الضروري ان تتمّ مشيئة الله . ومشيئة الله هي ان يملك الابرار ويهلك الاشرار ؛ وهل يمكن الاّ تتحقق هذه الارادة ؟ واي خير تتمنى لنفسك حين تقول : لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض ؟ كما ان الملائكة لا يغيظونك في السماء كذلك انا في الارض لن اغيظك . وكما ان جميع البطاركة والانبياء والرسل هم بمثابة سماء لله ، فانت ارض بالنسبة اليهم : لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض ولتكن فيك كما هي فيهم .

كنيسة الله كالسماء واعداؤها كالارض ؛ وانت تصوغ تمنيات صالحة لاعدائها كي يؤمنوا ويصيروا مسيحيين ، لتكن مشيئة الله في الارض كما في السماء .

السماء روحك والارض جسمك ؛ وكما يتجدّد روحك بالايمان كذلك فليتجدد جسمك بالقيامة ولتكن مشيئة الله على الارض كما في السماء .

عقلك ، الذي به تُدرك الحقيقة ثم تغتبط بها ، هو السماء : « اني ارتضي ناموس الله بحسب الانسان الباطن » (رومية ٧ : ٢٢) اين هي الارض ؟ « اني ارى في اعضائي ناموساً آخر يحارب ناموس روحي » (رومية ٧ : ٢٣) . ومتى انتهى العراك وتمّت الألفة بين الجسم والروح تحققت مشيئتك يا الله كما في السماء كذلك على الارض .

ومتى تقدمت بهذا الطلب تأمّل بهذه الاشياء واطلبها من ابيك .

ومتى صلّيت قُلْ باستمرار : لتكن مشيئتك فيَّ يا رب فلن اقاومها . الملائكة والقديسون يعملون ارادتك فعليَّ انا ايضاً ان اعملها .

اعطنا اليوم خبزنا اليومي

من الواضح انك تصلي الآن لنفسك .

حين تقول : ليتقدس اسمك يجب ان توضح بانك تصلي لنفسك وليس لله .

وحين تقول : لتكن مشيئتك عليك ان تدرك انك لا تطلب خير الله بل خيرك الشخصي ، متى طلبت ان تتم ارادته فيك .

وحين تقول ليأتِ ملكوتك، عليك ان تدرُك ان ملكوت الله الذي تطلبه يحقق سعادتك الشخصية . ولكن ابتداء من هذا المقطع حتى نهاية الصلاة يتضح جلياً انك تصلي الى الله من اجلك .

وحين تقول : اعطنا اليوم خبزنا اليومي تعترف بأنك تستعطي الله ؛ ولكن اياك ان تخجل . مهما بلغ غنى الانسان على الارض فهو لا يزال فقيراً الى الله .

الفقير المستعطي ينتظر امام باب الغني . امّا الغني ذاته فانه ينتظر امام باب الغني الإلهي .

الفقير يسأله وهو عينه يسأل .

ولولا حاجته لما قرع بصلاته مسامع الله . الى أي شيء يحتاج الغني ؟ أتجاسر فأقول : انه يحتاج الى ذاك الخبز اليومي بالذات .

ولولا عطية الله له لما ملك كل شيء بوفرة . وماذا يبقى له لو ان الله رفع يده عنه ؟

كثيرون ناموا اغنياء فاستيقظوا فقراء ؛ أليس كذلك ؟ وما يتوفر للغني لا يتوفر له بقدرته بل برحمة من الله .

ولكنك ترى الله يشرق شمسه على الصالحين والطالحين ويمطر غيثه على

الابرار والاشرار ويعطي خبزه ليشبع جوع من يسبحونه ويحيي اجسادهم بل يعطيه كذلك للذين يجدفون عليه .

ان سبّحت قاتك ؛ وان جدفت قاتك . انه ينتظر توبتك ، فان لم تغيّر اهلكك .

علينا ان نفهم هذا الطلب اليومي للخبز على طريقتين : اما عن حاجة للخبز الجسدي واما عن حاجة للخبز الروحي .

القوت والكسوة شيئان ضروريان لحياة الانسان الجسدية ؛ وبدونهما لا يمكن للانسان ان يعيش : انما يُدرك الكلّ بواسطة الجزء .

ومتى طلبت الخبز اردت من خلاله الباقي كلّه ؛ واردت به ايضاً الغذاء الروحي الذي تأخذه من مذبح الرب .

وسيكون الخبز اليومي الضروري لهذه الحياة الحاضرة .

وهل يجب عليك ان تتناول الافخارستيا متى جئت الى المسيح وبدأت ملكك معه ؟

الافخارستيا خبز لك يومي ؛ تناوَلْهُ حياةً لنفسك وجسدك وقوّةً الى الوحدة : ان بلغت جسده وصرت فيه عضواً اصبحت ما انت تتناول واصبح هو حقاً خبزك اليومي .

ان الشرح الذي تعطيكه الكنيسة كل يوم والترانيم والقراآت التي تنشدها او تصغي اليها هي ايضاً خبزك اليومي . وهي ضرورية لك في سفرك .

واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر لمن خطئ الينا

من ذا الذي يعيش ها هنا بالجسد ، ولا يثقّل على ضميره شيء ؟ من هو الانسان الذي يمكنه ان يحيا بلا صلاة ؟ يمكنه ان يتباهى انما لا يمكنه ان يدعي البرارة ؛ ويَحْسُنُ به ألاّ يستكبر نظير الفرّيسي الذي صعد الى الهيكل فأخفى جراحه وراح يتباهى باستحقاقاته . امّا الذي كان يقول : ارحمني يا رب انا الخاطئ فقد كان يعلَم سبب صعوده الى الهيكل .

وعلّم الرب يسوع تلاميذه قائلاً لهم بأن يصلوا هكذا : اغفر لنا ذنوبنا . لقد وقّع الله معنا عهد محبة وأوجب علينا ان نقول : « كما نغفر لمن خطئ الينا » .

ان اردت ان يكون قولك هذا نافذاً فقل صادقاً : « كما نغفر لمن خطئ الينا » . ان لم تقل هذه الكلمات الاخيرة او قلتها دون ان تفكّر بها فقد نطقتَ بالأولى منها بلا جدوى .

اترك من كل قلبك ما لك على قريبك ؛ اغفر من قلبك حيث يرى الله . اغفر لمن خطئوا اليك واستفض في الصلاة مطمئناً .

اغفر بكلمة . من واجبك ان تغفر لأنك ان لم تغفر هلكت .

متى سألك انسان مدين لك ان تغفر له ، فاغفر له حالاً . انا لا اقول ، انك ان لم تغفر ، تزول الصلاة من قلبك بل انت تزول من كتاب الله .

ولا تدخلنا في التجربة

لا يدفع الله بأحد الى تجربة انما يسمح بان يدخل في تجربة كلّ من تخلّى عنه لسبب خفي جداً او بسبب خطاياه ، وغالباً ما يرى من يتخلّى عنه جديراً بالتجربة فيتركه يدخل فيها .

ولكن ، دفعُ الانسان الى التجربة شيء وتجربته شيء آخر .

لا يمتحن الانسان بلا تجربة كما لا يمكنه ان يمتحن نفسه وفقاً لما جاء في الكتاب : « وماذا يعلم من لم يمتحن ؟ » (بن سيراخ ٣٤ : ١١) ولا يمتحن بواسطة الآخرين كما قال الرسول : (وبليّتي التي في جسدي لم تزدروا بها » (غلاطية ٤ : ١٣–١٤) . واعترف هو نفسه بثبات الذين لم تفترُ محبتهم بسبب البلايا الجسدية التي مُنيَ بها .

قبل كل تجربة ، ان الله الذي يعرف كل شيء قبل ان يحدث ، يعرفك انت ايضاً .

لا تصلّ ها هنا دفعاً لكل تجربة ؛ بل صلّ لكيلا تسقط في تجربة .

وعلى مثال من حتّم عليه ان يجرّب بالنار فلا تصلّ كيلا تصل النار اليك بل صلّ كيلا تحرقك .

النار تمتحن اناء الفاخوري والتجربة تمتحن الابرار .

حين تقول : لا تدخلنا في التجربة فهل تطلب شيئاً آخر سوى ان من يغشّك ويهاجمك من الخارج يعجز عن الدخول اليك والتغلب عليك بالحيلة او بالقوة ؟

ومع ذلك مهما استعمل خصمُك من وسائل ضدك فان لم يحتلّ قلبك حيث الايمان ، يطرح خارجاً .

« ولكن ان لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس » (مزمور ١٢٦ : ١) .

لا تعتدّ بنفسك ان اردتَ ألاّ يدخل الشيطان من جديد الى نفسك بعد ان ألقيتَه خارجاً .

ولكن نجنا من الشرير

صلّ ها هنا كيلا تدخل في تجربة ؛ وصلّ كي تنجو من الديون التي تطلب ، سادساً ، ان تُترَك لك ؛ وبخاصة كي تتحرر من الشرّ الذي فيه سقطت . وبعدئذ لن يبقى عليك ان تخشى تجربة او اي شيء آخر .

من الضروري ان تكون ابدية المطالب الثلاثة الاولى : ليتقدس اسمك ، ليأتِ ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض . امّا الاربعة الباقية فتختص بالحياة الحاضرة .

اعطنا اليوم خبزنا اليومي ، متى بلغت الكمال لن يبقى عليك ان تسأل كل يوم خبزك اليومي .

اغفر لنا ذنوبنا ، وهل تنطق بهذا الكلام في الملكوت حيث لن يبقى عليك ديون ؟

لا تدخلنا في التجربة ، وهل يسعك ان تنطق بمثل هذا الكلام حيث لا تجربة ؟

نجنا من الشرير ، حين لا تشعر بأدنى شرّ فهل يسعك ان تطلب النجاة منه ؟

المطالب الاربعة للحياة الحاضرة والثلاثة الاخرى للحياة الابدية .

ولكن سل هذا كله لتصل اليه ؛ وصلّ اليه ها هنا لئلا تحرَم منه هناك .

يجب ان تتلو هذه الصلاة كل يوم : تتلى هذه الصلاة الربية كل يوم في الكنيسة على مذبح الربّ لكي يصغي المؤمنون اليها .

لا تخف من ان تنسى جزءًا منها لانك ان لم تستطع ان تتذكرها كما يجب ، سوف تتذكرها لدى سماعها كل يوم .

عواطف وصلوات

رب اني اصرخ اليك فاستجبني . اليك اوجه صلاتي بارادة حرة قوية ، يا من تسمع لي في صلاتي الضعيفة لتمكنني من الحصول على تلك الارادة .

أمل اليّ اذنك واسمع كلماتي ؛ ولا تتخلَّ عن حقارتي بحقّ محبتك . طبعت على وجهي صورة وجهك وصنعتني على صورتك ومثالك ، جعلتني لك صورة ؛ لكن صورتك لا تمكث في الظلام . ارسل من حكمتك شعاعاً يبدّد ظلماتي ولتسطع فيَّ صورتك لانك ابي . إحمني وأقمني في ظلك يا ابي كيلا اجفّ في نار الاثم ؛ انت ابي وإلهي .

هل ابحث عن اب حباً بميراثه ؟ انت إلهي .

هل ابحث عن رب يحررني ؟ انت إلهي .

واخيرًا بعد ان خُلِقْتُ مرة فهل ارغب في ان اتجدد ؟ انت هو إلهي الذي خلقني واحياني بكلمته .

بكلمتك، الإله الساكن فيَّ، خلقتني ؛ وبكلمتك ، الذي صار بشرًا لاجلي ، احييتني .

علّمني ان اعمل مشيئتك لانك إلهي ؛ ان لم تعلمني عملت مشيئتي وتخليت يا إلهي عني . علّمني ان اعمل مشيئتك لانك إلهي . علّمني لاني ان علّمت نفسي ، فلست إلهي . علّمني ان اطلب اولاً ملكوتك وبرّك فيزداد الباقي لي .

اعطنا اليوم خبزنا اليومي : افخارستياك قوت يومي .

علّمني ان اعرف ما آخذ ، لانه يحسن بي ان اتناول الخبز اليومي الضروري لهذا العصر .

سألتك ان تصيّرني صالحاً ، فأثبت في الصلاح والايمان والحياة المستقيمة . ذاك ما اتمناه لاني ان لم اثبت في حياة صالحة حُرمتُ من هذا الخبز . اعطني اليوم افخارستياك وهَبْني ان احيا ملتصقاً بهيكلك .

اترك لي ديوني كما اترك للآخرين ما عليهم من ديون . ولماذا اريد الانتقام ؟ اراك فوق الخشبة معلّقاً تعلمني من على اعلى منبر للقضاء – ان اردت الانتقام لنفسي رأيتك مصلوباً فاجعلني اسمعك متوسلاً : « يا ابت ، اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يصنعون » .

سوف اسمعُك تعلّمني وتأمرني بما يجب ان اعمل وتساعدني على تتميمه .

مَنْ وثق كثيرًا بنفسه سقط في الكبرياء . ومن لا يثق سقط في الاهمال .

الاولون يقولون : ولِمَ نصلي الى الله ونسأله النصر على التجربة ، والنصر في حوزتنا ؟

والآخرون يقولون : ولِمَ نجدّ لحياةٍ صالحة ، ونحن متعلقون تعلقاً تاماً بالله ؟

رب وابي ، ايها الساكن في السماواتّ ، لا تدعني ادخل في تجربة من تلك التجارب ؛ ولكن نجني من الشرير .

الفصل السادس : مرتا ومريم

انت تعلم بأن الربّ يسوع المسيح قد حلّ ضيفاً عند امرأة تقية تدعى مرتا ؛ واذ كانت منهمكة ومهتمة بالخدمة جلست اختها امام الربّ تسمع كلامه : الواحدة تشتغل والاخرى تتأمل ؛ تلك تعطي وهذه تأخذ . مع ذلك ، فان مرتا التي كانت تتعب في شغلها نادت الربّ وشكتْ اليه إعراض اختها عن مساعدتها ؛ فأجاب الربّ مرتا عن مريم ، واذ سئل ان يفصل بينهما ، جعل نفسه محامياً عن مريم قائلاً : « مرتا مرتا انك مهتمة بأمور كثيرة والمطلوب واحد ؛ ان مريم اختارت النصيب الافضل الذي لن ينزع منها » (لوقا ١٠ :٤٣–٤١) . سمعت الشكوى وعرفت حكم القاضي : حكم صدر لمصلحة المدعى عليها .

كانت مريم تصغي الى عذوبة كلام الرب ، ومرتا مهتمة بتدبير القوت للربّ : كانت مريم تتوق الى ان تتغذى بالربّ ومرتا تعد وليمة للربّ الذي ابهج مريم بوليمته .

اتظنّ ان مريم التي كانت تصغي الى كلام الرب وتتذوّق عذوبته منه بقلب مدرك كانت تخاف من ان يقول لها الرب قومي ساعدي اختك ؟ أسَرَتْها عذوبته الرائعة التي كانت حتماً في فكره وليس في معدته .

انها معذورة ولهذا جلست مطمئنة . وكيف ذلك ؟ فَكِّرْ ، تأمَّلْ ، تعمَّقْ ما استطعت لتجد لك غذاء .

انتبه وأصغ : قال الرب لمرتا : انت مهتمة بأمور كثيرة والمطلوب واحد ؛ لقد اختارت مريم حظاً افضل ؛ انت لم تختاري ما هو عاطل انما هي اخذتْ الافضل ؛ انت مهتمة بأمور كثيرة امّا هي فلا تهتم الاّ بأمر واحد .

ما شجب الرب العمل ولكنه ميَّز بين الادوار .

ان خدمة المساكين عمل صالح وبخاصة ما كان واجباً نحو قديسي الله بواسطة التضحية الدينية . فالله يحثّك عليها ويثبتك فيها بكلمة منه حيث يقول : لا تتهاون في استقبال المساكين والغرباء . تلك اعمال صالحة وافضل منها هو العمل الذي اختارته مريم لان الأولى منها ناتجة عن ضرورة ، امّا التأمل فله عذوبته النابعة من صميم المحبة .

كثرة الاعمال زائلة امّا محبة الوحدة فباقية : ان ما اختارته مريم باقٍ لها . امّا ما اختارته مرتا فسينزع منها ؛ ولكن لخيرها ، لكي تأخذ الافضل . يُنزَع منها العمل لكي تعطى الراحة . مرتا لا تزال على سفر في البحر ، امّا مريم فقد بلغت الميناء .

لاحظْ ان هاتين المرأتين تمثلان نوعين من الحياة : الحياة الحاضرة والحياة المقبلة ، حياة التعب وحياة الراحة ، حياة الشقاء وحياة السعادة ، حياة الزمن وحياة الابد .

انظر وتأمل ، ما استطعت الى ذلك سبيلاً ، في ما توفّره هذه الحياة ، وان بريئة ، لمرتا لكي تحياه : اني لا اسميها حياة شريرة ، اثيمة ، مجرمة ، فاجرة ، كافرة ، بل حياة عمل مليئة بالمصاعب تساورها المخاوف وتتجاذبها التجارب .

وكانت الحياة الشريرة بعيدة عن ذلك ؛ اذ ليست حياة مريم ولا حياة مرتا ، مع انها كانت الى حين مسيطرة عليه الى ان دخل الربّ .

نوعان من الحياة يتمثلان في هاتين المرأتين : في ذلك البيت حيث حلّ الرب ضيفاً كانت كلّ منهما بريئة في موقفها ومشكورة : احداهما تحيا للعمل والاخرى للتأمل ؛ دون ان تكون هذه او تلك منها شريرة او عاطلة عن العمل .

نوعان من الحياة سليمان ومحمودان : احدهما للعمل والآخر للتأمل ؛ الاول بعيد عن كل اثم يجب ان تتحاشاه حياة العمل ؛ والثاني بعيد عن الكسل الذي يجب ان تهرب منه حياة التأمل . في ذاك البيت نوعان من الحياة بل ينبوع الحياة بالذات : في مرتا صورة الاشياء الحاضرة وفي مريم صورة الاشياء المستقبلة . إنّا لمقيمون حيث مرتا تعمل ؛ وراجون لما كانت مريم تعمل . فلنعمل جيداً الامر الاول حتى نحصل حقاً على الثاني .

عواطف وصلوات

مرتا ومريم شقيقتان بالدم بل بالدين : استمسكتْ بك كل منهما ، ربّ ، وخدمتاك انساناً حاضراً بذات العاطفة . استقبلتك مرتا كما يُستَقبل الغرباء عادة ، فاستقبلت الخادمة معلمها والمريضة مخلّصها والخليقة خالقها .

لقد اخذت صورة العبد وشئت ان تتناول طعامك في تلك الصورة عينها من يد خدامك لا عن ضرورة بل عن محبة . يا من جئت الى ميراثك الخاص قد استقبلت كضيف ؛ لكن خاصتك لم تقبلك واعطيتَ جميع الذين قبلوك القدرة على ان يصبحوا ابناء الله ؛

واتخذت تحت رعايتك خدامك لكي تجعلهم اخوةً لك ، وافتديت الاسرى لتجعلهم شركاء لك في الميراث. وقتَ بهذا كله لكيلا اقول : آه ! ما اسعد الذين استحقوا أن يقبلوك في بيوتهم !

انا لست احزن ؛ ولا اشكو لكوني ولدت في زمن لا اراك فيه بالجسد ؛ لانك لم تحرمني من هذا الانعام إذْ قلت: «كل ما تصنعه لواحد من اخوتي هؤلاء فلي تصنعه» (متى ٢٥ : ٤٠)

ان مرتا التي اعدت كل شيء لخدمتك ، ورتَّبته ، كانت منهمكة بأمور كثيرة ، اما اختها مريم فقد فضلت ان تتناول منك قوتها .

الواحدة تعمل والثانية تتمتع بالوليمة ؛ الاولى تهتم بأمور كثيرة والثانية تنصرف الى واحد كأن هذا العمل وحيد وضروري .

شيء واحد ضروري . وهذا الشيء الواحد الضروري هو فوق ، ايها الرب ، حيث انت والاب والروح القدس واحد .

هاك ما احب : ان اتأمل في جمالاتك ؛ ولهذا اريد ان اسكن في بيتك طوال ايام حياتي .

لن اتأمل ، للحال ، لاني ساقط ، انما سوف اقف واتأمل . سأقف لانك نزلت لتنهضني من سقطتي ؛ وسأثبت على حال وسأتمتع بغبطة عظيمة ، فأجعل قلبي يتجاوز ما هو معروف وارادتي كل فكر جسدي معهود مولود من حواس الجسد لكي تتصور انواعاً مختلفة من الاشباح .

اجعلني اطرحها كلها من نفسي وأصدَّ عني كل صورها . هبني ان ادرك ضعف قلبي واقول اياً كانت الفكرة التي تراودني : ما هذا هو المطلوب وإلاّ كنت احسست به .

انتَ الخير الوحيد الذي تنبثق عنه كل الخيرات : ذاك جمالك موضوع تأملي .

ربّ ، ان كانت خيرات هذا العالَم التي يدعونها صالحة ، وليست في ذاتها صالحة ، تفرّحني ، فكيف يكون تأملي بذلك الخير الابدي الذي لا يتغير ؟ لذلك اريد ان اسكن في بيتك طوال ايام حياتي .

احفظني لكي اتأمل في جمالاتك واتمكن يوماً من التمتع بها دون ان يزعجني شيء او يبعدني عنها شيء او يسلخها عني شيء فأتمتع بسلام في خيراتك .

الفصل السابع : في جهاد المسيحي

في كل تجربة من هذه الحياة حُبَّان يتعاركان : حب العالم وحب الله . فالحب الذي يتغلب على الآخر يجذب اليه المحب كما يجذب حملاً .

جاء المسيح لكي يحول الحب ويجعل ممّن تعلّق بالارض انساناً مولعاً بالحياة السماوية .

يُطلَب منك ، في حياتك هذه ، ان تجاهد ضد الجسد والشيطان والعالم . ولكن ثقْ بأن من جرّك الى هذه المعركة لا ينظر اليك ، متفرجاً ؛ بل يساعدك ، ولا يدعك تعتمد على قواك . جاهدْ لانه وعد المجاهدين ، دون سواهم ، باكليل النصر . غالباً ما ترى في الكتاب المقدس ان الاكليل هو للظافرين ، كما جاء واضحاً في قول بولس الرسول : «لقد اتممت سعيي وحفظت ايماني ولم يبقَ لي سوى اكليل البر» .

اعترف بخصمك حتى تكافأ متى انتصرت عليه .

شهوتك الجسدية خصم لك . انها تجرّبك وتجرّك وراءها ؛ وتغريك فتحبل وتلد الاثم حتى اذا اكتمل الاثم انجب الموت .

جاهد ضد شهوتك : لقد محا العماد المقدس خطاياك ؛ لكن عليك ايها المولود ثانيةً بالعماد ان تجاهد ضد الشهوة التي تبقى فيك .

فيك الحرب فلا تخف من العدو الخارجي . انتصر على ذاتك ينهزم امامك العالم . وما يعمل بك المجرّب من الخارج سواء اكان شيطاناً ام خادماً للشيطان ؟ انت لا تشعر غالباً بعدوك انما تشعر بشهوتك ؛ ولا ترى الشيطان بل ترى ما يشدّك اليه .

جاهد ، جاهد لان الذي ولدك ثانية هو القاضي ومن اعدّ المعركة يعدّ الاكليل .

اذا رفضت الحرب وعشت في سلام حقيقي ودائم شيء ، واذا حاربت

وانتصرت ، شيء آخر . ثم اذا حاربت وانهزمت شيء وان استسلمت بلا حرب شيء آخر .

اذا لم تحارب لانك لا تكره الشر جرفك الشر بخبثه . امّا اذا باشرت الجهاد واعتمدت على قواك تكبرت فتحطمت : وحاربت فانهزمت .

انك تحارب وتنتصر ؛ ومتى رأيت في اعضائك شريعة تضاد شريعة ضميرك فلا تعتمد على قواك بل قل مع الرسول « ما اشقاني ، من يخلّصني من جسد الموت هذا ؟ نعمة الله بربنا يسوع المسيح » (رومية ٧ : ٢٣) .

توكّل على من امرك بالجهاد في سبيل النصر. ستنتصر اذا عضدك مَنْ امرك. الشهوة شيء والعمل بها شيء آخر .

اللاشهوة ميزة خاصة بمن اوتي الكمال : امّا الامتناع عن دغدغة الشهوات فشأن من يحارب ويجاهد ويتألم .

ولِمَ تقنُط من النصر متى احتدمت المعركة ؟ انا عالم بأنك تهوى التنزه عن كل ميل عاطل ومحرّم . واي قديس لم يطلب ذلك ؟ بيد انه لا يتحقق . ومهما عاش الانسان على هذه الارض فحلمه هذا لا يتحقق .

« الجسد يشتهي ما هو مناف للروح ؛ والروح يشتهي ما هو مناف للجسد ؛ لئلا تعمل بعض ما تريد » (غلا ٥ : ١٧) .

سرْ بالروح ، وطال ما انك لا تستطيع ان تقضي على شهوة الجسد فامتنع اقله عن اشباعها . في الواقع ، انك تقول انك راغب في القضاء عليها مهما كلّف الامر . ولكن ، طال ما انك تجد فيك وفي اعضائك شريعة تضاد شريعة ضميرك فلا تعمل على اشباع رغباتك اللحمية . ماذا تريد ان تعمل بها ؟ ان تلاشيها ؟ الا تسمح لك بان تعمل ما تريد ؟ فلا تسمح لها انت بان تعمل ما تريد . وماذا تريد ؟ ان لا تكون ؟ ها هي باقية .

ان كان الجسد يشتهي ما هو مناف للروح فعلى الروح ان يشتهي ما هو مناف للجسد .

وان رفضت الانصياع اليك انصياعاً تاماً ، فلا تستسلم انت اليها . لتكن المعركة متساوية بينكما لكي يتقرر النصر .

الا تشعر بهذا النزاع ؟ او ليست فيك شهوة جسدية تضاد سنّة الروح ؟ ان لم يكن فيك شيء يضاد الآخر فاحذر من ان يكون احدهما سيداً على الآخر : ان لم يكن روحك على خلاف مع جسدك في شهوته فخف من ان يكون هذا السلام سلاماً زائفاً يمنع الحرب . وما معنى رجائك بالحرب ولمّا تباشر المعركة ؟

امّا اذا فرحت في سنّة الله ، بحسب الانسان الباطني ، ثم رأيت في اعضائك سنّة اخرى تضاد روحك وفرحت بها قيّدتك وصرت ، حرّاً بالروح ، اسيرًا بالجسد .

قاوم ولا تستسلم تنتصرْ .

ومع انه من الافضل للانسان الاّ يكون له عدو من ان يكون له واحد، وينتصر عليه ، والاّ يكون له شهوات ويضطر الى مقاومتها ، فطال ما انها موجودة عليك الاّ تسير في ركابها .

ان ابتَ ان تسير وراءك فلا تسرْ انت وراءها ؛ وان ارادت ان تسير وراءك بطلَتْ ان تكون ؛ ولن تجدد حربها ضد روحك .

ان ثارت ثرْ ؛ وان حاربتْ حاربْ ؛ وان هاجمتْ هاجم ؛ ثم ضع نصب عينيك شيئاً واحداً وهو ان لا تدعها تخرج من المعركة ظافرة .

جاهد باستمرار ؛ قد تخف شيئاً فشيئاً ولكنها لن تضمحل .

عواطف وصلوات

ربّ ، روحك يحارب فيّ ضد ما هو مناف لي فيّ . ابيت ان اظلّ فيّ ، بقربك ، فسقطتُ وتحطمتُ كما يتحطم شيء يسقط من يد انسان على الارض .

واذ تحطمتُ ناصبت نفسي العداء وقاومتُها .

ايها الفادي لقد اعطيتني روحاً اميت به اعمال الجسد . ان دُفعتُ عملت : وان دُفعتُ الى الخير عملت خيرًا .

هزني روحك فحاربت لان لي عوناً قديرًا .

ضربتني خطيئتي وجرحتني وألقتني ارضاً . اما انت يا خالقي فقد جرحت لاجلي ، وبموتك انتصرت على الموت .

الآن ، اذ يحارب الجسد الروح ، والروح الجسد ، فالخصام خصام مع الموت . انا لا اعمل ما اريد لاني اتمنى ان لا اشعر بأية شهوة ؛ ولكنني لا استطيع . شئت ام ابيت ، فهذا شيء فيَّ . وشئت ام ابيت فان الشهوة تغريني وتدغدغني وتثيرني وتهاجمني وتريد ان تنهض فيَّ . انها مكبوتة ولكنها ليست منطفئة فيَّ .

تلك هي حالنا طوال حياتنا فوق هذه الارض .

اللهمَّ ، شرائعك سلاح لي . اجعلني اصغي بانتباه الى كلمتك لكي اتخذها سلاحاً لي ؛ فقد اعطيتني ، بواسطة روحك القدوس ، قدرةً على ضبط اعضائي . ان ثارت فيَّ الشهوة وعضدتَني على ضبط اعضائي ، فماذا يسعها ان تصنع ، ولو ثارت ؟

اللهمَّ ، احفظ قدمي من الانزلاق وعينيَّ من التطلع الى المناظر القبيحة واذنيَّ من سماع الالفاظ الشهوانية ، احفظ جسدي بكليته مع كليتيَّ وقلبي .

وماذا صنعت الشهوة ؟ عرفت ان تنشط ولم تعرف ان تنتصر . واذ نشطت ولم تنجح فقد تعلمت ان لا تنشط . رجائي بكليته قائم على رحمتك الواسعة .

هب ما تأمر به ومر بما تريد .

تأمرني بأن اكون عفيفاً ؛ ولكي ادرك انه لا يمكن لاحد ان يكون عفيفاً ، الاّ اذا اعطيته ان يكون عفيفاً فقد فرضت عليَّ بان اطلب هذه النعمة من الحكمة ذاتها . وفي الواقع ان العفة هي التي تجمعنا وتقودنا الى الخير الاوحد ، بعد ان تبعثرت قوانا في الف شر وشر؛ لان من يحب شخصاً آخر معك ولا يحبه لاجلك يحبّ حباً ناقصاً .

ايها الحب الدائم الاضطرام ، غير المنطفئ ، ايها المحبة ، اللهمّ ، اشعلني . انك تأمر بالعفة فهب ما تأمر به ومر بما تريد .

الفصل الثامن : الفضائل سلاح المسيحي في جهاده

ان الله لا يعلمك نشيدًا سوى نشيد الايمان والرجاء والمحبة : ليكن ايمانك به قوياً طال ما انك لا تراه وتفرح حين تراه ثم ترى نوره بعد الايمان ؛ اذ لا يقال لك آمنْ بما لا ترى بل « افرح بما ترى » . قوِّ رجاءك فيه فلا يتزعزع ولا يتردد ولا يتأرجح ولا يضطرب كما ان الله الذي بنيتَ عليه رجاءك لا يتزعزع .

الصبر ، الآن ، ضروري حتى تتحقق الوعود ؛ وفي الرجاء لا يحتاج احد الى الصبر . امّا حين يطلَب منك ان تصبر حينذاك تكون في ضيق . متى قيل لك : اصبر تحمَّل ، وانتظر ، لانك خاضع لتجربة ، يريدك الله فيها شجاعاً ، صبورًا ، سخياً وطويل الأناة .

الطبيب الذي يريك الحديد الذي يعالجك به يقول لك : اصبر وتحمّل ، يفرض عليك الصبر في الآلام ويعدك بالصحة بعدها .

ان تحمّلت الآلام التي تسببت لك من مبضع الطبيب ، خائفاً ، مضطرباً ومفكرًا بالشفاء الذي لم تحصل عليه خارت قواك تحت وطأتها .

كثيرة هي آلام هذا الدهر في الداخل والخارج وهي مستمرة : الشكوك كثيرة ولا من يدركها ، خلا من يسير في طريق الله .

وها هي الصفحات الالهية تدعوك الى تحمُّل الحاضر وترجّي المستقبل، ومحبة ما لا يرى ، وصولاً الى معانقة ما يرى . ان المحبة التي تتصل ثالثاً بالايمان والرجاء هي اعلى منها لان الايمان يختص بما لا يرى ويصبح حقيقةً ما لم يكن يرى حين يرى . الرجاء انتظار خير للانسان لم يبلغه ؛ ومتى حازه بطل الرجاء . واذ يحوز الخير لن يبقى للانتظار معنى .

امّا المحبة فلا تعرف غروباً بل تنمو باستمرار .

ان احببتَ من لا تراه فكيف تحبه حين تراه ؟ أجلْ ، ارغبْ فيه تتقدم .

لا تَعِدْ الآن بالسلام نفسك ؛ لانك ان حققت السلام اجتاحك العدو وانت تظن نفسك في سلام.

انك كمن يسافر على بحيرة ، عرضة للريح والعواصف ، في سفينة تكاد تكون مليئة بتجارب العالم اليومية . ان آمنت كان المسيح فيك لانه بالايمان يسكن في قلوبنا . وبما انك تؤمن فالمسيح في قلبك .

بينما كان المسيح نائماً في السفينة خاف تلاميذه واضطربوا اذ عصفت ريح صرصر فعلتْ الامواج وأشرفت السفينة على الغرق ويسوع نائم .

كذلك يضطرب قلبك الشبيه بسفينتك لدى هبوب العاصفة في هذا العالم : تضطرب سفينتك لان المسيح نائم فيك .

تهبّ عواصف هذه البحيرة حين ترى الاشرار ينعمون بالخيرات والابرار يرزحون تحت المصائب : انها التجربة والموج العالي .

ثم تقول في نفسك : ربّ اهذا هو عدلك ؟ ان يسعَد الاشرار ويشقى الابرار ؟

فيجيبك الله : اهذا هو ايمانك ؟ هل وعدتك بهذه الاشياء ؟ وهل صرت مسيحياً لكي تتنعم في هذا العالم ؟

وهل تتعذب الآن لان الاشرار الذين سوف يتعذبون مع الشيطان يتنعمون الآن ؟

ومن اين لك هذا الكلام ؟ ولِمَ تخاف امواج البحر والعاصفة ؟ لان يسوع نائم ؛ والايمان الذي يأتيك من يسوع نائم هو ايضاً في قلبك .

أيقظْ يسوع وقل له : ايها المعلّم ، اني اهلك فالامواج المضطربة تتلاعب بي : اني اهلك .

ويستيقظ يسوع ويعود الايمان اليك وتدرك به ان كسب الاشرار ، لزمن ؛ ولن يدوم بدوامهم .

في هذا العالم سوف تنزع منهم خيراتهم وسوف يتخلّون عنها حين يموتون .

اما ما وُعدتَ به انت فسوف يبقى الى الابد .

وان ما قد اعطوه الى زمن سوف ينزع منهم للحال ؛ لان هذا الخير قد ازهر كزهر العشب .

اعرض عمّا يزول ، واتجه شطر ما يبقى ؛ فلن تهزّ مذ الآن قلبك عاصفة لانك مع المسيح ولن تملأ المياه سفينتك لان الايمان يأمر الريح والبحر فيزول الخطر .

فكّر بالمسيح متى تعرضتَ لصعوبة ؛ انت تتعذب غالب الاحيان ولا تصبر لان ما تحمله المسيح لا يخطر لك ببال . ان نسيت آلام المسيح نام المسيح فيك وان ذكرتها استيقظ . ولكن متى تأملت من كل قلبك بآلامه الا تتألم بكليتك ؟ وقد تغتبط حين ترى فيك ما يشبه آلام مليكك .

متى فكّرت بهذا متأملاً تعزّيت واغتبطت لان المسيح قام وأمر الرياح فحدث هدوء عظيم .

هل تغضب حين تسمع اهانة ؟ الاهانة ريح والغضب موج . انت في خطر ، تستعد للجواب ، ولردّ اللعنة بلعنة ؛ اذ ذاك تشرف سفينتك على الغرق . ايقظ المسيح النائم فيك ليقول لك : ولماذا ؟ هل انتقمت لنفسي ؟

ومتى قال لك الايمان هذا القول حينذاك يأمر الايمان الرياح والعاصفة فيحدث هدوء عظيم .

عواطف وصلوات

ربّ ، عالمنا هذا لا يزال عرضةً لخضات امواج التجارب وعواصف البلايا والثورات وزوابعها ؛ ومع ذلك فالسير فيه مستمر .

يستطيع البحر ان يهدد فتعلو امواجه وتهبّ عواصفه علينا نحن السائرين على هذا الطريق : بيد انك سلّمتني لكي اسافر فيه عليها .

لا ازال في ارض الاموات ، ؛ وها اني اصرخ : انت رجائي . وميراثي في ارض الاحياء : رجائي في ارض الاموات وميراثي في ارض الاحياء .

تزحف المكائد في ارض الاموات وتنقض فجأةً على المغفّلين.

مَنْ ذا الذي يستطيع ان يحصي التجارب غير المنتظرة ؟ هي تزحف وانا سهران.

اني لفي مأمن ، على الخشبة ؛ وان كنت في وسط المياه لعبة بين ايدي الامواج . لا تنم ؛ ان تمت ، ايقظتك . فتأمر الرياح وتسكت البحر وافرح انا في الوطن .

انا ذاهب الى الوطن بحرًا فوق خشبة ؛ فوق تلك الخشبة ، لست اخشى خطرًا لأن الخشبة التي تحملني تحمل العالم.

الفصل التاسع : في ضرورة طرد التجارب

فُرِضَتْ عليك الحرب ضد الشيطان ووساوسه ، وضد زعيم القوى السفلى وضد ارواح الشرّ والشيطان ، وملائكته وبخاصة ضد ذاتك .

عليك ان تحارب فيك عادتك السيّئة وطول سنيّك من حياة عاطلة ساقتك الى ما اصبح فيك عادة ؛ ولم تسمح لك بان تغير فيها شيئاً .

يُشار عليك في الواقع بان تحيا حياة جديدة ولكنك قد صرتَ هرماً .

واذ يثقل عليك حِملٌ لك قديم ، نراك تتوقف امام فرحة التجدد وتبدأ الحرب ضد نفسك .

سوف تتحد بالله منذ ان تضيق ذرْعاً بنفسك . ومنذ أن تصبح متحداً بالله تصبح اهلاً لان تتغلب على نفسك لان من ينتصر على الكل هو معك .

حياة القديسين بأسرها تنقضي في هذه الحرب ؛ وستظلّ حتى تموت عرضة للخطر في هذا العراك .

واذا وسوس لك الشيطان بخطيئة ، وسمعت له ، أمسك بك ؛ انما لن يرغمك قسرًا .

ان الشيطان يتعقّبك لكي يوقعك اذا اضطربت خطاك ، وبما انه يراقب راقبْ انت رأسه .

بداية الفكرة العاطلة رأسُه . ان باشر في ادخالها اليك ، صدَّها عنك قبل ان تغويك فترضخ بها . حينذاك انت تنجو من رأسه ؛ وهو لا يُفلح في القبض عليك .

ان راودتك فكرة عاطلة فاطرحها عنك ؛ ولا تقبل بها ؛ لان رأس الحية يلجُ فكرك ، دُس الرأس بقدمك تنجُ من سائر حركاته .

يوسوس لك بالربح ، وبكمية لا يستهان بها من الذهب ؛ فان قمت بما يدعوك اليه صرت غنياً . ذاك هو رأس الحية ، فاسحقه واطرح عنك ما وسوس اليك به؛ بيد انه يقترح عليك عملية ، فيها ذهب كثير «وما ينفعك لو ربحتَ العالم كله وخسرتَ نفسك» ؟ (متى ١٦ :٢٦) .

فليهلك العالم وربحه ولا تهلك نفسك ؛ ان كان هذا هو تفكيرك تنظر الى رأس الحية وتسحقه .

قاوم اقتراحه الاول ؛ لانه ينظر الى عقبك اي خطيئتك ؛ لانك ان خطئت سقطت ؛ وان سقطت استولى عليك .

لا تخرج عن الطريق لئلا تسقط .

فتح الله لك طريقاً ضيقاً ؛ وكل ما يبعدك عنه خطر . المسيح هو النور الحقيقي والمسيح هو الطريق ؛ وانت تذهب الى المسيح بالمسيح.

ان ابتعدتَ عن المسيح خرجتَ عن النور وعن الطريق ؛ فلا تقل : ولماذا كل هذه القدرة للشيطان يسيطر بها على العالم ؛ وبها يعمل في العالم كل ما يشاء . هل يمكنه حقاً ان يعمل كل ما يشاء؟ لا يسعه ان يعمل سوى ما يُسمَح له به . إعملْ على ان لا يسمح له بشيء ضدك ؛ وهَبْ انه عمل شيئاً لكي يجرّبك فاعمل على ان يذهب عنك مغلوباً والاّ يملك عليك .

انتبه لان فخّ عدوّك معدّ دوماً ومنصوب ؛ الويل لك ان وقعتَ فيه .

لقد دسّ في فخه ضلالاً ورعباً . بالضلال يغري وبالرعب يثبط العزيمة ويجرّ وراءه .

أوْصِد بوجه الضلال باب الطمع ؛ وبوجه الرعب باب مخافة الله ؛

ولا تقل : ليس الوقت وقت تجربة لانك ان تقل هذا الكلام تَعِدْ نفسك بالسلام ؛ واذ تظن نفسك في امان يهاجمك .

التجربة الثالثة هي تجربة القرف فلا تُسَرّ ان صلّيت ولا ان طالعت ؛ وهذه التجربة مخالفة للاولى ، اذ كنت في بدء الامر عرضة للجوع الى الحقيقة الذي لم يشبع ؛ اما الآن فانك في خطر من الضجر ؛ وهذه التجربة هي سأم النفس .

لم تعد الخطيئة تستهويك ولا كلمة الله ذاتها تبهجك . بعد ان نجوت من الاخطار وهنأتَ نفسك بالنجاة ، اياك ان تهلك سأماً .

التجربة خطيرة فامتحن نفسك متى عذبتك ؛ واصرخ الى الرب لكي ينجّيك من العذابات اللازمة ؛ حتى اذا نجوتَ منها اعترفتَ بمراحمه عليك .

لا تنتظر طمأنينة في سفرك ان اردتَ هذه الطمأنينة كانت بمثابة دبق لقلبك ؛ ولا يسعك ان ترتاح اليها .

لا تنتظر أماناً فالعدو يلاحقك باستمرار . ان لم يكن غضبُه علنياً فهو يسعى بمكر . ولذلك فقد سمي الاسد والتنين . سمّوه اسداً لما يبديه من غضب وسمّوه تنينا لما يخفي من مكر .

لا تظنَنّ الشيطان قد فقد شراسته ولهذا فحين يمالقك ؛ يجب ان تزيد خشية منه .

وكيف يسعك ان تنتصر على عدوّ غضبان اذا لم تتمكن من الانتصار عليه متى لاطفك ؟

انه يمالقك واعداً بالامجاد والثروات والملذات ؛ ويهددك مغالياً في العذابات والحرمان والاهانات التي تنتظرك .

الحية تهمس في اذنك قائلة لتدفع بك الى الاثم : ولماذا تحيا هكذا؟ انت وحدك مسيحي ؟ ولِمَ لا تعمل كغيرك ؟

العدو يلحّ عليك ويلحّ ؛ والافظع من هذا كله انه يخنق المسيحيين بمثل المسيحيين .

راقب نفسك ولا تقتدِ بالاشرار من المسيحيين .

ولا تقل : سأعمل هذا لان الكثيرين من المسيحين يعملونه ؛ وذاك ليس موقف من يستعد للدفاع عن نفسه بل حال من يبحث عن رفاق له الى جهنم .

أنتمُ في ارض الربّ حيث تلقى اناساً صالحين يرضونك ان كنت صالحاً .

احتقر المجرّب وكبرياءه ؛ ان دفعته عنك وراقبت رأسه عجز عن الدخول الى قلبك . قد يحاصر مدينة محصنة لكنه لن يتمكن من الاستيلاء عليها . سيستمر في الضرب لكي يهاجم اما اذا وجد الباب موصداً فسيمرّ عابراً .

لتكن نار التجربة امتحاناً لك ؛ ان وجدت ذهباً ولم تجد قشاً نزعت عن الذهب الوسخ العالق دون ان تحوله الى رماد .

لا تعجب بما يضحك لك في العالم ؛ ولا تنشئ حواراً مع شهواتك .

إبنِ على المسيح ، ان لم تشأ ان يجرفك النهر والريح والسيل .

ان شئت سلاحاً ضد تجـارب عدوّك فاعمل على ان ينمو في قلبك ويترسّخ الشوق الى اورشليم السماوية .

سوف ينتهي الأسر وتحلّ السعادة ؛ سوف يهلك خصمك الاكبر وتنتصر الى الابد مع الملك .

عواطف وصلوات

ما الحياة ان خلَتْ من الشهوات ؟ ما احلاها .

بالحقيقة ، لذيذة هي الخطيئة ولولاها لما سار الناس وراءها .

المسرح والمشاهد والاغاني السافلة هي حلاوة الشهوة التي تلذ للناس وتستهويهم ؛ ولكن ليس كشريعتك يا رب .

سعيدة هي النفس التي تفرح بجمال شريعتك حيث لا خجل يجرحها بل يتنقى الانسان في حقيقتك الصافية .

طيّب انت يا رب، علّمني وصاياك في عذوبتك : ان علّمتني بعذوبتك ادركتُ واجبي. ان تملّق الاثم ومال الانسان اليه ظهرت الحقيقة مريرةً ؛ علّمني بعذوبتك لكي تكون حقيقتك لي حلوةً فانبذ الاثم من اجلها .

الحقيقة احلى منها وافضل ؛ انما الخبز طيّب لذوي الصحة الجيدة .

وهل افضل واسمى من الخبز السماوي ؟ شرط الاّ يهيّج الاثم الاسنان بحدّته . كما ان الحصرم يؤذي الاسنان والدخان العينين كذلك الاثم يؤذي من يرتكبونه . وما نفعي من اظهار حسنات الخبز وعيشي عاطل ؟ لست اقتات مما امتدح . وبالتالي ، مع اني اسمع كلمة البر والحق وامتدحها فمن الافضل لي ان اعمل بموجبها . ساعدني على ان امتدح واعمل . ساعدني ، لان بيني وبين الشيطان وملائكته خصومات ابدية . لا يمكنني ان اتفق معهم وهم يحسدوني على ملكوت السماوات . انهم لأشد سهرًا على تضليلي مني على تجنّبهم . ان دخل الضجر الى قلبي خفتُ من ان تبتلعني الكآبة . في سروري اخشى ان يتيه عقلي في احاديث لا طائل تحتها . لي مع التجارب والملذات كل يوم معركة . وبالرغم من رفضي لها فاني اتحمّلها واحارب عرضة لخطر الانهزام .

بحقك ايها الساكن فيَّ استجب لي ؛ طهّر اعماق قلبي ؛ حيثما اكن مصلياً تكن انت في باطني سرًا . وبما انك تستجيب لي ، فلست خارجاً عني . اما ان ضايقتني التجارب فسوف اتطلع اليك على الصليب .

الفصل العاشر : في فائدة التجارب

كل تجربة امتحان ، ولكل امتحان ثمرة . في اغلب الاحيان تجهل نفسك : تجهل قدرتك او عدم قدرتك على العمل . وفي اغلب الاحيان تخطئ ظاناً بأنك قادر على تحمّل هذا الامتحان ؛ واحياناً نراك تيأس من قدرتك على النهوض بعبء يمكنك حمله .

التجربة تدنو منك لتسأل ؛ وانت ايها الجاهل لنفسك تكتشف نفسك بنفسك .

التجربة مزدوجة : الاولى تجربة خداع والثانية لا يدركها من تنصبّ عليه ؛ بل يدركها الشيطان ؛ والله يسمح بها لكي يمتحننا .

لا يمتحنك الله توصلاً الى معرفة ما يجهل ؛ بل لكي يظهر بواسطة السؤال ما قد خفي فيك . في الواقع انك لتنطوي على أمور تخفى عنك ؛ لا تظهر ولا ترى ولا تنكشف الاّ في التجارب . لولا تجارب الله لانقطع المعلّم عن التعليم .

اقول هذا لانك تجهل نفسك ولا تدركها الا بالتجربة . ولكن متى عرفتها فلا تستهنْ بها .

ان احتقرت نفسك يوم كنت تجهلها فلا تحتقرها الآن وقد عرفتها . الشيطان مقيّد فلا يسعه ان يعمل ما اراد ، وكل ما يسعه ان يعمل ؛ بيد انه حرّ هو بأن يجرّب ساعة يرى التجربة نافعة لمن يحرزون تقدماً .

لا يفيدك ان تعيش بعيداً عن كل تجربة .

لا تسأل الله ألاّ يجرّبك بل ألاّ تسقط في تجربة .

انك تطالع في الانجيل تجربة الشيطان للسيد المسيح في الصحراء .

تجربتَ في المسيح ، لانه اخذ منك جسده ومنه اخذ لك الخلاص ؛ منك اخذ لنفسه الموت ومنه اخذ لك الحياة . لقد اخذ منك الاهانات ليعطيك الامجاد واخذ التجربة ليعطيك النصر .

فيه تتجرّب وبه تنتصر على الشيطان .

انت تسأل عن سبب تجربة المسيح ، ففكّر بالسبب الذي من اجله انتصر . اعرف ذاتك ، فيه مجرّباً ، وبه منتصرًا . كان بوسعه ان يمنع الشيطان من الاقتراب . ولكن لولا تجربته لما جعل لك سبيلاً الى الانتصار على التجربة .

على المسيح بُنيت ؛ والمسيح هو الصخرة ؛ فانظر الى القوة التي اراد ان يجعلها لك اساساً .

وقد تأتيك ساعة رهيبة فتخيَّر اذ ذاك بين ارتكاب الاثم وتذليل ما فيك من شهوة ، فتضطرب نفسك .

تطلّع الى معلّمك : علّمك ما يجب ان تفكّر فيه وتعلمه ؛ كما دلّك على الشخص الذي يجب ان تدعوه وتضع فيه رجاءك .

لمّا تنازل فتجرّب ، اجاب الشيطان بما يجب عليك ان تجيبه ساعة تجرّب . لقد تجرّب حقاً ؛ ولكن ، بلا خطر . لقد تجرّب ليعلّمك ما تجيب به المجرّب ، حين تتعرض للتجربة ؛ فلا تسير وراء المجرّب بل تنجو من خطر التجربة .

قد تجاهد بقوة ضد التجارب حين تحيا في مواعيد الله التي هي نعمة عظمى ؛ وقد تضطرب حين ترى ما في العالم من شكوك . ولا تستطيع الشكوك شيئاً ضدك لان الرب قد وضع لها حدّاً .

التجارب والضيقات ، وان كَثُرَتْ، سبيل لك الى الكمال ، وليست سبباً للهلاك .

عالمنا شبيه ببحر لا تستطيع امواجه ان تتجاوز الشاطئ الذي وضعه الله حدّاً لها .

تأمّل ان كانت هذه التجارب مفيدة لك ام لا ؛ أصغِ الى الرسول القائل : «ان الله الذي هو امين لا يسمح بأن تجرّبوا فوق طاقتكم ؛ انما يضع للتجربة حدّاً لتطيقوا احتمالها» (١ كور ١٠ :١٣) .

انه لم يقل : لن يسمح الله بتجربتكم لانكم ان رفضتم التجربة رفضتم التقدم .

ستجدد قواك ، وان جددت قواك كنت بين يديْ فنان ينزع عنك شيئاً ويصلح شيئاً آخر ؛ فيصقل وينقي ويُعْمِلُ فيك آلاته التي هي بمنزلة

الشكوك في العالم ؛ فعليك ان لا تسقط من بين يدي الفنان .

ليس في التجربة ما يفوق طاقتك

بهذا يسمح الله ، لمصلحتك ؛ ولكي يمكّنك من التقدم . الانسان والشيطان ، كل شيطان ، يعطيان القدرة على الايذاء . انما يؤذيان من يصلحون نفوسهم .

الشيطان مقيّد ؛ وفي الواقع لو استطاع ان يؤذي بحسب هواه ، لما بقي بار ولا مؤمن على الارض .

الشيطان يجرّب ؛ ولكن وفقاً لما سمح له به ؛ الرب يعضدك لئلا تسقط ؛ لان من اعطى الشيطان ان يجرّب هو عينه يعْطي الرحمة لمن يجرّب .

لا تخف من ان يُسمَح للشيطان بأن يعمل شيئاً ؛ لان لك مخلصاً رحيماً لا يسمح بتجربتك الاّ بقدر ما هي التجربة تمرين لك وامتحان تدرك به نفسك بعد ان كنت تجهلها .

العنقود مدلّى في الكرمة وحبة الزيتون على أمها . وطال ما هما على امها ، فانهما يتمتعان بالهواء الطلق . فلا العنقود يصير خمراً ولا حبة الزيتون تصير زيتاً ، ما لم يمرّ فوقها حجر المعصرة . تلك هي حال البشر الذين دعاهم الله قبل الاجيال ليجعلهم شبيهين بابنه الذي ظهر ، بنوع خاص ، في آلامه ، وكأنه كرمة ثمينة .

ان كنت منهم قبل ان تباشر خدمة الله فسوف تتمتع بحرية لذيذة في العالم نظير العنب والزيتون المدلّى على الشجرة . ولكن ، بما انه قيل : «يا بنيّ ان اقبلت لخدمة الرب الإله فاثبت على البرّ والتقوى واعدد نفسك للتجربة» (بن سيراخ ٢ :١) . اعلم انك اذ تُقبل على خدمة الرب الإله تقبل الى المعصرة لتُفرَك وتُسحَق وتُضغَط لا لكي تهلك بل لكي توضع في اقبية الله . وكما ينزع عن العنب قشره ، هكذا ينزع ، عنك ايضاً ، معطف الشهوات اللحمية التي قال بشأنها الرسول : «اخلعوا عنكم الانسان

العتيق وألبسوا الانسان الجديد » (كولوسي ٣ : ٩) . وهذا كله لا يتم الا تحت ضغط الألم .

حين تدخل المعصرة تُسحَق ويُسحَق فيك الميْل الى المسرات العالمية ، الزمنية الهاربة والزائلة ؛ وبعد ان تتحمل بسببها في هذه الحياة العذابات والتجارب والضيقات والبلايا الكثيرة تشرع تبحث عن الراحة التي ليست في هذه الحياة ولا من هذه الارض .

عواطف وصلوات

إلهي ومليكي ، اعظّمك وابارك اسمك الآن والى الابد . اني اسبحك واباركك في كل يوم من ايامي ، ومتى انقضت ايامي وحلّ اليوم الوحيد الذي لا نهاية له ، اجعلني انتقل من التسابيح الى التسبحة كما من الفضائل الى الفضيلة .

اجعلني اباركك يوم السرور ويوم الحزن الذي لا يخلو منه الواقع البشري ، متى كثرت الشرور وتعددت التجارب . اجعلني اباركك يا من لا تتخلى عني ، وان حدث لي ضرر .

اجعلني اباركك لانك لم تُقِمْ لي ما لا طاقة لي على احتماله . في نعمائي انا خائف ولا استبعد التجربة عني .

لولا تجربتي لما امتحنت . التجربة والامتحان افضل لي من الشجب بلا تجربة .

اعدائي يغضبون ؛ ولكن ماذا يفعلون ؟ ايسلبوني مالي ورزقي وينبذوني من بينهم ويرسلوني الى المنفى وينزلون بي شتى العذابات وينكّلون بي ، ثم يقتلوني ، ان استطاعوا الى ذلك سبيلاً ؟ وبعد ، ماذا يصنعون ؟

اما انت ايها الرب الإله فانك تبسط يدك فوق غضب اعدائي وفوق الشر الذي ينزلون بي .

اعدائي لن يستطيعوا ان يفصلوني عنك .

اما انت فتنتقم لي كلما زدتني لك انتظارًا .

فليغضب العدو ما طاب له ان يغضب ولكن لا تدعه يفصلني عنك .

بيد انك يا رب لست تقبلني الآن ؛ بل انك تسحقني طوال سفري وتمنع عني بهجتك وعذوبتك ؛ انت لم تسكرني من خصب بيتك ولا رويتني من نهر لذاتك .

فيك ينبوع الحياة وفي نورك ارى النور . لقد اعطيتك بواكير عقلي ؛ وآمنت بك وحفظت حرًا شريعتك . ومع ذلك فاني لا ازال ابكي في نفسي ، منتظرًا منك ان تتبنّى جسدي وتفتديه .

لقد اعطيتني ، انا الخاطئ ، هذه الحياة التي حتّم فيها على آدم أنْ يُسحق في التعب وعرق الجبين ؛ لان الارض تنبت شوكاً وقرطباً .

وهل يستطيع عدوّ ان ينزل به اذى افظع من هذا ؟

فوق غضب اعدائي قد بَسَطتَ يدك ، لا الى يأس ، لان عينك خلّصتني .

الفصل الحادي عشر : في ضبط اللسان

يتحرك اللسان بسهولة في جوّ الرطوبة حيث يقيم وينزلق بسهولة في المنحدر. وبقدر ما يتحرك بسهولة بقدر ذلك عليك ان تكون صارماً معه .

تتغلّب عليه ، ان كنت يقظاً ؛ وتكون يقظاً ، ان خفت وفكرت بانك مسيحي .

انت تروّض الحيوان البري وتعجز عن ضبط لسانك ؛ وتروّض الاسد وتعجز عن ضبط كلامك ؛ تروّض الاسد بالذات وتجهل كيف تروّض نفسك ؛ تروّض ما تخاف منه ولا تخاف مما يجب ان تخاف منه لكي تقهر نفسك .

ان لم تستطع ان تتغلب على لسانك فافزع الى الله يروّضه .

بالصواب نطقت : « لا اقدر ان اكبح جماح لساني » لانك انسان .

تأمّل بالحيوانات التي تروّضها : الحصان لا يروّض ذاته بذاته وكذلك انتَ .

ان شئتَ ان تروّض الحصان والثور والجمل والفيل والنمر والاسد طلبتَ انساناً : اطلب الله كي يروّضك .

قل : ربّ ، جعلتَ ذاتك ملجأ لي ؛ اني أسلّمك نفسي لكي اجد فيك خيري ؛ اذ ليس فيَّ سوى الشر. تخلّيت عنك فأسلمتني لنفسي ؛ سوف اجد فيك ذاتي لاني هلكت لوحدي .

صلّ الى الله فيجعلك طيّعاً ان استسلمت اليه لكي يروّضك .

الاسد الذي لم تصنعه ، قد روّضته ، والذي صنعك الا يستطيع ان يروّضك ؟

صورة الله تخضع لها البهيمة؛ أوَ لا يستطيع الله ان يخضع له صورته؟

اجعل للسانك ضابطاً ؛ لان المهذار لا يعرف كيف يسير على الارض. المهذار يهوى الاكاذيب ولا يلتذ الا بالكلام . ان تكلّم لم يفكّر بما يقول ؛ وبقدر ما يبدي من فضول نحو عيوب الغير بقدر ذلك يخف اهتمامه بخطاياه ؛ يبحث عمّا يجرح ويغفلْ ما يصلح ؛ وبما انه لا يستطيع ان يجد عذراً لنفسه فهو ابداً مستعدّ لاتهام الآخرين .

المهذار مليء بالسم القتّال الذي يؤذي ولا شك اكثر من سم الحيوانات المفترسة والافاعي ؛ لان هذه تقتل الجسد وتلك تقتل النفس « ان الفم الكاذب يقتل النفس » (حكمة ١ : ١١) .

اجتهد في ان تروّض لسانك واستعن بالآخرين على ذلك ؛ صلّ بلسانك لكي يروّضه ذاك القائل الى خاصته : « لستم انتم بالمتكلمين بل ابوكم هو المتكلم فيكم » (متى ١٠ : ٢٠) .

بعد ان تدعوك الشريعة الى القيام بواجبك فتعجز عن القيام به بواسطة قواك الخاصة ، اطلب مساعدة الله .

امامك البر والاثم؛ ولك لسان، انّى تشأ توجّهه ، فلمَ توجّهه الى الاثم دون البر ؟

انت لا تعطي معدتك اطعمة مرة ، فهل تعطي لسانك الخبيث طعام الاثم ؟

كما تختار طعامك إختَرْ كلامك ؛ لا تخطأ بلسانك وانتبه الى ما تقول ؛ وخذ رأي الحقيقة الداخلية ثم أفصحْ عن فكرك لمن يصغي اليك .

غالباً ما تضطرب بسبب رغبة لك في الكلام ؛ فلا تتأكد مما تقول ، فتقول ما لا يجوز : الصمت افضل علاج لهذا المرض .

احفظ هذه النصيحة : من الافضل لك ان تستمع ، لا ان تتكلم ؛ وفقاً لما جاء في الكتاب : « ليكن كل انسان سريعاً الى الاستماع بطيئاً عن التكلم » (يعقوب ١ : ١٩) . وان امكنك ذلك فاعمل على الاّ تضطر الى الكلام والتعليم .

هاءنذا اقول لك : اكلمك الآن لكي اعلمك شيئاً ؛ وما كان افضل ثقافتنا لولا حاجة احدنا الى التعلم من الآخر ، فلا يتكلم فلان بينا الآخر يصغي ؛ بل نستمع الى تلك الكلمة الوحيدة التي قيل لها : « تسمعني سروراً وبهجة » (مزمور ٥٠ : ١٠) .

ما كان الرسول يوحنا يفرح بالوعظ والكلام فرحه بالاستماع لانه قال : « اما صديق العروس الواقف يسمعه فهو يفرح فرحاً لصوت العروس » (يوحنا ٣ : ٢٩) .

فليمتحن كل واحد نفسه ؛ لا لكي يصمت بل لكي يتكلم ، وفقاً لأصول الكلمة . وليكن له من ارادته فرح الصمت ؛ وفي الضرورة صوت التعليم.

ان سررت بالتعليم الدائم طلبتَ جهالاً لكي تعلمهم ؛ امّا ان كنت محباً وشئتَ العلم للجميع فلا تطلب ان يظلّ دوماً أناس جاهلون . ممارسة علمك واختباره ، لا يتعلقان بارادتك ، بل هما رهن بأحكام الضرورة .

افرح بكلمة الله ولا تتكلم الاّ عند الضرورة ، لماذا تريد ان تتكلم ولا تريد ان تسمع ؟ تذهب دوماً الى الخارج وتأبى الدخول الى الباطن .

في الداخل معلّمك ؛ متى علّمت خرجت من نفسك لتعلّم مَنْ هم في الخارج .

من الباطن تسمع الحقيقة ثم تتكلم الى من هم بعيدون عن هذا الباطن .

اما اذا سرَّك عملك الذي في الخارج فاحذر من ان تمتلئ كِبْرًا فتعجز عن الدخول من الباب الضيّق ؛ ولا يقول لك إلهك : « ادخل فرح سيدك » (متى ٢٥ : ٢١) . احبَّ اذا الداخل اكثر من الخارج .

افرح من الداخل ولا تستسلم الى الخارج ، حرًا ، بل عن ضرورة .

ان طلبت في هذا العالم ايام السعد، فاستمع الى رأي العارف بمكانها . قال الكتاب: « من هو الرجل الذي يهوى الحياة ويحب ان يرى الايام الصالحة ؟ « احفظ لسانك من الشرّ وشفتاك لا تتكلمان بالغدر » (مزمور ١٣ : ١٤) .

يشير الكتاب الى المكافأة ؛ فما هي ؟ انها الحياة والايام الصالحة ، الحياة الابدية ، والراحة بلا الم .

ولكي تحصل عليها ، لم يأمرك بعمل متعب ؛ انما اوصاك بأن تحفظ العضو الذي تحرّكه بسهولة اكثر من سائر الاعضاء ؛ ابعد لسانك عن الشر ، الا يُعَدّ عملاً بناءُ عمارة ؟ اوليس عملاً حفظُ اللسان ؟

احفظ لسانك من الشر ؛ لا تكذب ؛ ولا تتهم احدًا زورًا ، ولا تَنِمّ بأحد ، ولا تشهد بالزور ، ولا تجدّف .

احفظ لسانك من الشر ؛ انظر كم تغضب متى نمّ بك احد ؛ وكما انك تغضب على من قال فيك سوءًا ، اغضب على نفسك متى اسأت الى آخر بكلامك .

وشفتاك لا تتكلمان بالغدر ؛ ليكن ما تنطق به ، في الخارج ، نابعاً من اعماق قلبك ؛ ولا تُخْفِ في باطنك شيئاً وينطق لسانك بشيء آخر .

ابعد عن الشر واصنع الخير ،وبعدئذ انتظر ،مطمئناً ،الحياة والايام الصالحة.

أتُلِحّ في طلب المكافأة وتتقاعس عن العمل ؟ لا شيء يحق لمن لا يعمل.

اجعل حارساً لفمي وحافظاً لشفتيّ لكيلا يميل قلبي الى الكلام الشرير ، بحثاً عن اعذار لخطاياه . استمع الى صلاتي واستجب لي برحمتك . سوف اقدم لك عمل فكري ولساني ذبيحةً لكي تمنحني ما اقدمه لك .

محتاجٌ انا وبائس ، ايها الساكن الغني لكل من يدعونك ، اعتنِ بنا . احفظ شفتيّ وافكاري من كل كذب ووقاحة ؛ لاني ، كل يوم ، اجرَّب ؛ وتجربتي مستمرّة . لساني أتونٌ مفتوح باستمرار وانت تأمرني بالقناعة : هب ما تأمر به ومر بما تشاء .

الفصل الثاني عشر : في تحمل الضيقات

ان كنت للمسيح تلميذًا حقاً ، فانتظر الضيقات في هذا العالم ؛ ولا ترجُ ما هو افضل منها وأدعى الى الطمأنينة .

لا تعد نفسك بما لم يعدك به المسيح .

الانجيل يقول انه في آخر الازمنة تكثر الشكوك والآثام والضيقات ؛ ولكن « من يصبر الى المنتهى يخلص » (متى ٢٤ : ١٣) . يحسن بك ان تنتظر المسيح الذي لا يغشّ احدًا ؛ انتظره لانه وعدك بالفرح في ذاته ؛ وليس في العالم ؛ وطلب منك ان ترجو الملك معه الى الابد ، بعد زوال هذه الاشياء كلها ، خوفاً من ان تفقد سعادتك فوق هذه الارض ولا تجدها في الابدية ان شئت ان تملك في هذا العالم .

احمل صليبك ؛ وتحمّل المشقات ؛ واتبع المسيح : متى بدأت تقتفي آثار المسيح متبعاً وصاياه ، سالكاً سلوكه ، قام ضدك الكثيرون وصدّوك عنها وحوّلوك ؛ وبين هؤلاء تجد اناساً من تلاميذ المسيح انفسهم : إن الذين منعوا العميان من ان يهتفوا له كانوا يمشون معه .

وبالتالي ان شئت ان تتبع المسيح فاتجه الى الصليب ، مهما تهددوك ومنعوك وتملقوك : تحمـّله ، أحمـلْه ، ولا تقنط .

ان ابغضك العالم فاعلم انه قد ابغض المسيح قبلك ؛ وليعلم هذا ايضاً جميع الناس لانه ليس خاصاً بالعذارى دون المتزوجات ؛ ان عرفته الارامل وجب على الزوجات ايضاً ان يعرفنه . وان عرفه الاكليريكيون فعلى العلمانيين ايضاً ان يعرفوه . على الكنيسة بأسرها ، على جسده كله وعلى جميع اعضائه بما لهم من مراكز خاصة بهم ومميـّزة ان يتبعوا المسيح . لطهارة العذارى مكان قرب المسيح كما لعفة الارامل وحياء المتزوجين .

على هؤلاء الاعضاء كلهم الذين يحتلون مركزهم في جسد المسيح ، وفقاً لجنسهم وحالتهم ودرجتهم ان يتبعوا المسيح ويحملوا صليبهم ويحتملوا في العالم ، حباً بالمسيح ، كل ما في العالم من ضيق . وعليهم ان يحبوا ذاك الذي وحده لا يخون ؛ ووحده لا يغشّ ولا يُغَشّ . عليهم ان يحبوه ، لان مواعيده صادقة ؛ انما عليهم الاّ يترددوا في ايمانهم به لانه لا يلبـّي طلبهم للحال .

احتمل باستمرار وانتظر ؛ تحمل آنذاك . لا تطلب المسيح الاّ حيث اراد ان ينادى به ؛ حافظ عليه واحفره على صفحات قلبك .

تعليمه سور بوجه هجمات العدو ومكائده . لا تخف لان الشيطان لا يجرّب الاّ متى سمح له بذلك ؛ ومن الواضح انه لا يعمل شيئاً الاّ اذا استأذن وأرسل .

انه يـُرْسل ، نظير الملاك الشرير ، ويـُعطى ما يطلب ، امتحاناً للابرار واقتصاصاً من الاشرار .

وماذا تخشى اذن ؟ سرْ في الربّ إلهك وكن مطمئناً فلن تقاسي سوى ما اراده لك .

ان ما يـُسمـَح به من عذاب لك ، يكون بمثابة عصا تأديب ، وليس عقاب من يـُهلك : اوتـُعدّ للميراث الابدي ثم تحتقر الجـَلـَد ؟

هبْ ان ولداً رفض ضربات ابيه وصفعاته فكم يكون متكبراً ؟ كم يكون غير قابل للاصلاح ومحتقراً تأديب ابيه ؟

ولِمَ يعلّم الوالد ابناً له وهو انسان مثله ؟ انه يعلمه لئلا يضيع الخيور الزمنية التي ربحها وجمعها له ؛ وعليه ان يتركها يوماً ما طال ما ان الاحتفاظ بها الى الابد غير ممكن .

انه لا يعلّم ابنه لكي يملك معه بل لكي يملك بعده . ان كان الاب يعلّم الابن الذي سوف يخلفه ويمرّ في جميع الحالات التي مرّ هو عينه فيها أفلا يعلمك ابوك الذي لن تخلُفـَه انما تذهب اليه لتقيم معه في الميراث الذي لا يفنى ولا يزول الى الابد ؟ وهذا الميراث هو الآب بالذات : اتملكه في المستقبل وتأبى ان تعرفه الآن ؟ احفظ اذن تعليم ابيك .

اتبع المسيح على طريق العذابات والاهانات والافتراآت الكاذبة والصليب والموت . من الضروري ان تتحمل الاهانات وسخرية من يأبون ان يعيشوا في تقوى ، هؤلاء الذين وضعوا سعادتهم كلها في الارض . ان الله يدرّبك بواسطتهم ويعلمك من خلال ملاحقاتهم لك لان خبث الشرير يجلد البار والعبد يؤدّب الابن . الله يستخدم ها هنا الخاطئ لكي يجرّبك كما استخدم الشيطان لكي يجرّب ايوب ، ويهوذا لكي يسلّم المسيح .

الكافر يغضب عليك امتحاناً لبرّك ؛ ومتى انقضى زمن امتحانك وزلت انت ايها الممتحن يزول معك من هذا العالم مـَنْ كانوا يمتحنونك .

ابحث الآن عن دور الخاطئ تجده . صنع الله من الخاطئ عصا ومنحه الكرامة والسلطان .

بهذا يقوم احياناً فيمنح الخاطئ القدرة على مقاومة مشاريع الناس وعلى تأديب الاتقياء .

يـُعطى الخاطئ ما له ؛ لكن الله يستخدمه لخير البار وهلاك الكافر . ابحث عن مكانه فلن تجده .

ولماذا يفرح الكافر ؟ ألأن الله اتخذه عصا تأديب ؟ لخدمتك اتخذه ، وعلّمه ، من اجل الميراث الوالدي .

لا تنظر الى ما يسمح به للاشرار بل انظر الى ما يحتفظ به للابرار .

كثيراً ما يعمل الله عملك : حين تغضب تتناول عن الارض عصاً او غصناً من كرمة فتضرب به ابنك ثم ترميه في النار وتحتفظ لابنك بميراثك .

وعلى هذا النحو فان الله يعلم الصالحين بواسطة الاشرار . وبالقوة الفانية التي للذين اعدّهم للهلاك يدرّب على الطاعة اولئك الذين اعدّهم للحرية .

التبن شيء والحنطة شيء آخر ؛ ومع ذلك فالنورج يمرّ فوق كليهما ليسحق التبن وينقي القمح .

ايّ خير لم يُتحْ لك الله على يد يهوذا الخائن الشرير ؟ وكم خير جنت الشعوب المؤمنة من قساوة اليهود انفسهم ؟ لقد مات لكي تتأمله ، مصلوباً ، انت ، يا من كان عليك ان تقتلك الحية !

انه يعرف خاصته ؛ ان كانت حبات الحنطة مطمورة في التبن فان عيني المغربل لا تنخدعان .

لا تخفْ من ان يجرفك التيار مع التبن . ومع ان التيار قوي ، فانه لا يحمل حبة واحدة لجهة التبن ؛ لان من يميّز الحنطة عن التبن ليس مزارعاً عادياً بل الله الثالوث وهو يكون حَكَماً .

عواطف وصلوات

رب ، قليلون هم الذين يدركون شدة غضبك . ولكنك تغضب على الذين تحفظهم من الهلاك لئلا يتعرضوا لسخطك . ومعروف ان العقاب والعذاب اللذين تستخدمها ، لكي تصلح وتؤدب من تحبهم وتجنّبهم العقابات الابدية ، هما ثمرة محبتك .

جعلت لي تجربة من خبث الاشرار فحلّت بي المصيبة وبحثت عن ملجأ خارجاً عن سعادة العالم .

ومن ذا الذي يذكرك بسهولة حين ينعم دوماً بالسعادة ويتمتع برجاء الخير الحاضر ؟

اجعلني اتخلى عن العالم وامله وادنو من رجائك فأقول : رب ، لقد صرت لي ملجأ .

ولذلك سمحت لي بيوم تجربة لولاه لما دعوتك : اضطرب فأدعوك وادعوك فتخلصني ؛ ومتى خلصتني مجّدتك وما ابتعدتُ عنك في المستقبل .

حين انقبضَتْ فيّ حرارة الصلاة وفترَتْ قلت : « لقيت الضيق والحسرة ودعوت باسمك » (مزمور ١١٤ :٣) .

وجدتُ التجربة علاجاً ناجعاً ؛ في فساد خطاياي عفنْتُ وفقدتُ كل شعور ووجدتُ الامتحان ، وكأنه يحرقني ويبتر مني جزءاً .

لن ألومك اذا حلّ بي ضيق في هذا العالم ؛ بل سأمتدح عصا الآب الذي انتظر ميراثه .

تحت يدي مؤدبي اهرب ولا اميل عن تأديبه اذ لا يسعك ان تغش يا مؤدبي .

يا صانعي انت عالم بما يناسبني ، وهل يسعني ان افكر بان خالقي الذي عرف كيف يكوّنني قد نسي كيف يعاملني ؟ قبل ان اكون ، كنتَ تعرف كل شيء عني ؛ ولولا وجودي في فكرك لما كنت البتة . في فكرك كنت ، من قبل ان اكون ، حتى اكون ؛ اما الآن وقد وجدت وصرت وحييت وخدمتك فهل يسعك ان تحتقرني ؟

الفصل الثالث عشر :

في ان التجربة للابرار خلاص وللاشرار هلاك

ايها المسيحي ، الزرع السماوي ، المسافر على الارض ، الساعي الى السماء ، الراغب في الانضمام الى الملائكة تشجّع وثقْ بأنك ما جئتَ الى العالم إلاّ لكي تغادره .

انك تجتاز العالم توّاقاً الى خالق العالم ؛ فلا تدع اصدقاء العالم ، الراغبين في البقاء فيه ، المضطرين الى مغادرته ، شاؤوا ام أبوا ، يعكّرون صفوك ويغرّونك .

ليست عذابات العالم شكوكاً ؛ كنْ باراً لكي تتدرّب بواسطتها على ممارسة الفضيلة .

هوذا الامتحان ، سوف يكون كما تشاؤه : امّا تدريباً وامّا هلاكاً ، سوف يكون كما يجدك .

المحنة كالنار : ان وجدتك ذهباً نزعَتْ ما فيك من اوساخ ، وان وجدتك تبناً حوّلتك الى رماد .

اعتبرْ هذا العالم كور صائغ تجدْ فيه على السواء الذهب والتبن والنار : الابرار فيه كالذهب والكفرة كالتبن والتجربة كالنار والله كالصائغ .

البار يسبّح الله والذهب يلمع ؛ الكافر يجدّف على الله والتبن يدخّن : احدهما يتنقى والآخر يهلك بالتجربة ذاتها كما بالنار ؛ امّا الله الذي هو الصائغ فانه يُمْدَحُ من اجل هذا وذاك .

كثرة الاشرار مناسبة دائمة لتنقية الابرار ؛ لانه وان اختلط الابرار بالاشرار واختفوا في صفوفهم فان الله يعرف خاصته . لا تضيع سبيكة صغيرة من الذهب في كومة من التبن اذا كانت يد صائغ كهذا الصائغ فوقها .

ما اكثر التبن واقلّ الذهب ! ولكن لا تخف لان الصائغ يتمتع بمهارة تخوّله ان ينقّي ويحفظ من الضياع .

لك اقول ايها المصغي اليّ : لا اقول من نفسي وبلساني : كن صالحاً واحتمل الشر ، كن صالحاً واحتمل الشر مضاعفاً .

كن صالحاً ولا سيما في باطنك ؛ لانك ان لم تكن صالحاً في باطنك فلست صالحاً البتة ؛ وعليه ، كن صالحاً من الداخل واحتمل الشر في الخارج والداخل .

احتملْ في الخارج من كان خارجاً عن معتقدك وغير مؤمن ؛ واحتمل ، في الداخل ، المسيحي غير الصالح . واذ تحتمل الاشرار الذين يضايقونك تعجب باطنياً وتشمئز كأن يوم التذرية قد حان . لقد وضعتَ هناك للدياس

ولا تزال على البيدر للغربلة ؛ تُنْقَلُ الحنطة والحزم الى البيدر لكي تؤمن الشعوب ؛ فهل تظن انك الحنطة الوحيدة على البيدر ؟

انتحبْ على البيدر لكي تفرح في الاهراء .

تدرّبْ على الحياة بين الاشرار ، ولا تقل : ان كان لا بدّ ، اقلّه من الاشرار ، امتحاناً لي ، فليكن عددهم قليلاً وعدد الابرار كبيراً .

انت لا تفكّر بأنهم ، ان كانوا قلّة ، لما استطاعوا ان يدرّبوا عدداً كبيراً . ان كنت رجلاً فطناً عرفت انه لو كثر عدد الابرار وقلّ عدد الاشرار لما تجاسر هؤلاء ان يؤذوا ذاك العدد الكبير من الصالحين ولما تمكنوا من تجربتهم . امّا الآن وقد كثر عدد الاشرار فعلى جيش الابرار القليل العدد ان يعمل وسط تلك الكثرة من الاشرار . الانسان في شقائه بعرق جبينه يعمل ، والذهب يتنقى بالعرق .

كنْ اذن في جمال بيت الله .

ان كانت المحنة كالنار فالسعادة كالماء ؛ النار تحرق والماء يأسن ؛ فعلى الانسان ان يخشى حريق المحنة وماء الفساد .

متى نضبَتْ الخيرات او حدث ما يسمونه في العالم كارثة ، كانت النار ؛ ومتى ازدهرتْ الاعمال وعاش الانسان في بحبوحة من الارض كان الماء . حذار من ان تحرقك النار ويفسدك الماء . وبالتالي كافح النار ، اذ عليك ان تقسو كأناء الخزف وان تلقى في اتون النار ليشتدّ كيانك . الاناء الذي قسا لا يخشى الماء ، ان لم يشتدّ في النار فالماء يذوّبه وَحْلاً . لا تُسْرِع الى الماء بل رُحْ اليه ، عبر النار ، لكي تعبر الماء ايضاً . حين لا تنفجر في النار ولا تغرق في الماء بل تسبح فوقه تصل الى الراحة على اجنحة النظام ؛ وبعد ان تجتاز النار والماء تقاد الى مكان التبريد .

متى اراد الله ان يشدد ما قد كوّنه يبدو غاضباً عليك . فلا تخف لانه لا يغضب لكي يهلك وهو أب . ان استبقاك ساعة تهينه كان اشد غضباً .

ان تجارب هذا العالم هي بمثابة عصيّ ، بيد من يصلح ، تجنيباً لقضاء العذاب .

العنب المدلّى على الكرمة يبدو كاملاً ولا يشعر بالعصر ؛ انما لا يسيل منه شيء . ولكن حين يلقى في المعصرة ويداس ويعصر يبدو وكأنه قد أهين ؛ بيد ان هذه الاهانة ليست عقيمة . زد على ذلك انه لولا تلك المعاملة له لظلّ عقيماً . ان كنت حتى الآن لم تلقَ اي اضطهاد من اجل المسيح فلانك لم تحيَ حتى الآن بالتقوى في المسيح . ولكن متى بدأت تعيش ، تدخل المعصرة حيث تستعد لان تدوسك الارجل ؛ ولكن لا تكن جافاً مخافة الاّ يخرج من المعصرة شيء .

لقد ولدت لكي تتحمّل الضربات لان ولادتك من آدم الذي حقّت له الضربات .

لا يجلد الخطأة غالباً في هذه الحياة او قد يجلدون اقل مما يلزم لان ارادتهم قد سئمت . وبالنتيجة فان اعدت لك الحياة الابدية فمن الضروري ان تجلد هاهنا لان الرأي التالي صحيح : « يا بنيّ لا ترذل تأديب الرب ولا تسأم توبيخه فان الذي يحبه الربّ يؤدبه ويرتضي به كأب بابنه » (امثال ٣:١١–١٢) .

ان رذلتَ التأديب فلن تعطى الميراث لانه من الضروري ان يؤدب كلّ ابن . لقد جلد الكل حتى الآن والذي لم يعرف الخطيئة جلد ايضاً .

استعدّ لكي تأخذ نصيبك من الجلد ؛ والاّ لما كنت مقبولاً . انه يجلد كل ابن يرتضيه ، فهل تُعفى من ذلك ؟ ان لم تتألم مع المجلودين فلن تحصى مع البنين .

عواطف وصلوات

رب ، ادّبني ولا تمنع عني رحمتك ، اجلد المكابر وردّ لي الميراث .

انا اعرف جيداً وعودك : لست اخشى التأديب انما اخشى ان تحرمني من الميراث .

وكيف اجد انا الخاطئ جلدي غير لائق بي ، ووحيدك يجلد ولا ذنب عليه ؟ اني اوثر التعلّم من عصا الربّ على الهلاك تحت مداعبات الخاطف .

حين عولجت احترقت وتألمت وصرخت فلا تصغ اليّ ، تلبيةً لارادتي ؛ بل حباً بخلاصي . بولس لم يستجب حباً بمصلحته واستجيب الشيطان لهلاكه .

لقد هتف بولس طالباً منك ان تدفع عنه مهاز اللحم ، فلم تسمع له ؛ بل قلت : حسبُك نعمتي ؛ لان الفضيلة تكتمل في الضعف .

وطلب الشيطان ان يجرّب ايوب فأعطيته اياه وتمنى الشياطين ان يدخلوا في الخنازير واستجبت لهم ؛ انت تستجيب للشياطين ولا تستجيب للرسول . انك تستجيب للشياطين اهلاكاً لهم ولا تستجيب لبولس حباً بخلاصه .

انا بكيت امامك ايها الرب الهي ولم تستجب لي . ما احمقني ! ولِمَ بكيت ؟ سعياً وراء السعادة الزمنية الارضية .

وهل علمت ان تلك السعادة التي تمنيتُها وطلبتها وبكيتُ في سبيلها قد تقودني الى الهلاك ؟

لم تستجبْ لي حين وجهت اليك ذاك السؤال المحرج لان الحاجة تعلّمني والبحبوحة تفسدني .

بين يديك ، ألقي بنفسي ، يا من تعرف ان تعطيني وتحرمني . لو اعطيتني ما سألتك في غير محله لغضبت عليّ بسببه . ضع على نفسي التجارب لافزع اليك فلا تغويني الشهوات والطمأنينة .

غضبك ظاهر انما هو غضب اب . ما اكثر الذين خافوا من التجارب فدخلوا بيتك وملأوه لانهم بالايمان عامرون . تحركني بالتجربة لكي تفرغ الاناء من الشر الذي يملأه وتملأه بالنعمة .

بالرجاء احيا قبل ان املك . انت تحضر لكي تمنعني من السقوط لانك بهذا تعدّني فتنهضني وتخفف من حدة آلامي .

امين انت يا رب ولا تسمح بان اجرّب فوق طاقتي ثم تضع للتجربة حداً لكي اتمكن من احتمالها . ألقني في اتون التجربة الى ان يشتد الاناء ولا يتحطم .

الفصل الرابع عشر : في ان الشدائد مفيدة

كم تكون التجربة احياناً حلوة وضرورية !

ان كنت معذباً فاعتزل هذه الضوضاء الخارجية واذهب الى خلوات فكرك الباطنية ثم ادع الله واغلق باب مخدعك بوجه المشاكل التي تطرق بابك من الخارج ؛ واضعْ نفسك معترفاً بخطيئتك وسبّح الله وعظّمْه على تأديبه لك . وبكلمة ، حافظْ على هذا التخشع ؛ صدقني ؛ لقد خبرتُ ذلك بنفسي : حصلتْ لي تجارب فصلّيت ونجحت . رجوت الله فلم أخذَلْ ، وانار افكاري وسكّنَ خوفي .

لا تظننّ نفسك وحيداً متى كان المسيح حاضراً في قلبك بالايمان . تفكّر غالباً بأنك وحدك ، لانه لا يخلّصك ساعة تشاء . خلّص من الأتون الاولاد الثلاثة ؛ وهل تخلّى عن المكابيين ؟ لقد خلّص هؤلاء واولئك ؛ بشكل منظور ساعد الاولاد الثلاثة ، وسرّاً ساعد المكابيين فمنح الاولين الحياة الزمنية ليخزي الكفرة ومجّد الآخرين سرّاً ليشجب المضطهد الاثيم .

إعلمْ ان شقاء الجنس البشري الذي تبكيه ، هو عذاب علاج ، وليس حكماً عقابياً . ساعة كان داود الصديق يحتمل عدوه ويخافه وهو يلاحقه فيهرب منه هنا وهناك لئلا يقع بين يديه ، لم يشته امرأة غريبة ، ولا قتل الرجل ولا ارتكب الفحشاء . ويقدر ماكان واعياً لسلوك الله تجاهه زاد شعوراً بعجزه . بيد انك تقول : اني اتألم كثيراً .

ان الله يؤدب بشدة لان المكافأة التي يجب أن تأخذها قيّمة جداً . فمن اين تتألم اذن ؟ انت مولود ؛ لذلك فكّر بأنه يجب عليك ، طوال حياتك ، حتى تشيخ وتموت ، ان تحتمل ما احتمل ايوب . وما احتمله ايوب في ايام معدودة يحتمله آخر منذ ايام طفولته بالذات . ما تحتمله الآن يزول وينتهي ، واماّ ما سوف تناله فلن يزول .

لا اريد منك ان تقارن ، منذ الآن ، بين الثواب والعقاب : قارنْ ان استطعت بين الزمان والابدية . ما هو مليون سنة من العمل ، قل لي بحقك ؟ مليون سنة ينتهي . اماّ ما سوف يعطيكه الله فلا نهاية له .

ما اعظم رحمة الله الذي لا يقول لك : اعمل مليون سنة او خمسمائة سنة بل اعمل طوال هذه السنوات القليلة من حياتك تسترح الى الابد .

عواطف وصلوات

اشكرك ، ربّ ، يا من ضربت ظهري بقروح ادبك ثم ناديتني فأعدتني من الموت . انك لا تترك الخطايا بلا عقاب ، ولذلك تجلدني تأديباً لي .

ان جلدتني ، تأديباً لي ، ادركت اني تحت نير عصاك ؛ وباركتك لانك تمزج مرارات هذه الحياة الزمنية بحلاوتها لئلا يعميني التمتع بتلك الملاذ ، فلا اعود ارغب في المسرّات الابدية .

انت يا رب تنير ظلماتي حين تمزج عصي التأديب بخطاياي والمرارات بحلاواتي الكاذبة .

ما احسنك ! إن كففتَ عن مزج مرارات العالم بحلاوته نسيتك . فليغضب الخطأة ما شاؤوا وما سُمِحَ لهم بذلك ، فاني لا اخاف شيئاً ان قويتني .

سأتأمل بما تحملتَ لاجلي ، يا من لم تعرف الخطيئة . مهما كانت عذاباتي ، فليست شيئاً بالنسبة الى تلك الاهانات وتلك الضربات وثوب العار واكليل الشوك واخيراً الصليب .

سأشرب من ذاك الكأس المرير لكي اشفى .

سأشرب منه دون خوف لانك شربت منه قبلي كي لا اخاف . شربتَ منه انت دون ان تكون لك خطيئة ولا جرح للشفاء .

سأشربه حتى تزول مرارة هذا العالم وتقبل الحياة التي لا ريب فيها ، ولا غضب ، ولا فساد ولا مرارة ولا حمّى ولا رياء ولا عداوة ولا شيخوخة ولا موت ولا قتال .

التعب ها هنا باقٍ حتى النهاية ؛ وعليه ، فسوف اعمل خوفاً من ان اصل الى نهاية حياتي ان رفضت العملَ ها هنا ، ولا اصل الى نهاية عذاباتي .

الكتاب الخامس

الفصل الاول : في غفران الذنوب

ايها المفكّر بالمسيح، الراغب في الحصول على ما وعد به ، أيّاً كنت ، لا تتهاونْ في حفظ وصاياه ؛ لقد وعدك بالحياة الابدية واوصاك بان تسامح اخاك .

وكأني به يقول لك : « يا انسان اغفر للبشر لكي اغفر لك انا الله » .

الا تريد ان تأخذ من الرب إلهك ما يأمرك بأن تمنحه اخاك ؟

اذا لم ترده فلا تعطِ ؛ قل لي ، ولكن ، كيف تسأل الغفران لنفسك ان رفضتَ ان تعطي الغير ما تريده لنفسك ؟

واني أتجاسر فأقول : ان لم يكن لك ما تطلب المسامحة عليه فلا تسامح. وان لم يحق لي ان انطق بهذا الكلام فاغفر حتى ولو لم تكن لك خطيئة .

اياً كنت ، فانت انسان . ان كنت باراً ، علمانياً ام راهباً ام اكليريكاً ام اسقفاً ام رسولاً فأنت انسان .

اسمع الآن كلام الرسول القائل : اذا قلت ان ليس فيك خطيئة خدعت نفسك وليست الحقيقة فيك .

امّا اذا اعترفت بخطاياك فان الذي يسامحك وينقّيك من كل اثم امين هو وبار . انه ينقّي حين يسامح وليس كمن لا يجد ما يستحق العقاب؛ بل يسامح ما يجد ؛ وبالتالي فان كنت قد خطئت فسامح من يتوسلون اليك . ولا تحتفظ في قلبك بعداواتٍ ضد احد ؛ بقدر ما تبقي عليها بقدر

ذلك تفسد قلبك . اريدك غافراً كما اجدك مستغفراً .

الناس يتوسلون اليك ، فسامحْ ، سوف تتوسل ويغفر لك .

ها قد حان وقت الصلاة فانسجم مع الالفاظ التي تقولها .

ستقول : ابانا الذي في السماوات ؛ وعليه فلن تكون في مصاف الابناء ان لم تقل : ابانا ؛ كمّلْ : ليتقدس اسمك ، ثم ، ليأتِ ملكوتك وأردف قائلاً : لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض وانتبه الى ما سوف تضيف : اعطنا اليوم خبزنا اليومي . اين ثرواتك وانت تستعطي ؟

كمّل : اغفر لنا ذنوبنا . ها قد وصلت الى هذه الكلمات ، فبأي حق وبموجب اي اتفاق تطالب بذلك ؟

كما نغفر لمن خطئ الينا : ان كنت لا تغفر فهذا امر بسيط لكنك تكذب على الله . الشرط قائم والشريعة موضوعة : اغفر كما انا اغفر .

وعليه ، فلا مغفرة لك ان لم تغفر انت .

اغفر كما انا اغفر : انت تريد ان يغفر لك ذاك الذي تتوسل اليه ، فاغفر انت لمن يتوسل اليك .

ان المشترع السماوي قد أملى كلماته فاسأل وفقاً للغة السماء . اغفر لنا كما نحن نغفر واعمل بموجب ما تقول . ان من يكذب في الصلاة يخسر نعمة فيخسر قضيته ويلقى عقاباً .

ان الذي أملى عليك هذه الصلوات هو محامٍ لك : ان كان شاهداً عليك وان لم تُصلحْ ذاتك كان لك قاضياً ؛ وبالتّالي : قلْ واعملْ .

ان لم تقلْ ذلك وطلبت ما لا يحق لك فلستَ تنال مطلوبك ؛ ولكن ، ان قلتَ ولم تعمل فسوف تحاكَم عن الكذب . اغفر لكي تنال الغفران الذي تطلبه وتُمْحى خطاياك .

ان اردتَ ان تأخذ شيئاً فأعطِ ، وان اردتَ ان يغفر لك فاغفر : ذاك هو موجز قصير .

ان اهنتَ اخاك فلا تقلْ : واي شرّ فظيع اتيت ؟ لقد خطئت ضد انسان .

لا تتهاون بخطيئتك هذه التي ارتكبتَها ضد انسان . أتريد ان تعرف انك هلكتَ بسبب خطيئتك هذه ضد انسان ؟ اصغ الى صوت ربك .

صوت المسيح

« ان قلت لأخيك « يا احمق » استحققت نار جهنم » (متى ٥/٢٢) .

ولأنكم اصبحتم كلكم لي اعضاء فحين تخطأ ضد اخيك تخطأ ضدي ؛ وكيف لا تخطأ ضدي حين تخطأ ضد احد اعضائي ؟ لا تقل « هذا شرّ خفيف يشفى بسرعة » . خطئت ضد اخيك فاعمل ما يجب تشفَ .

لقد اتيت بسرعة إثماً مميتاً ووَجَدْتَ له العلاج فوراً .

« اذا قدمت قربانك الى المذبح وذكرت ان لاخيك عليك شيئاً فدع قربانك امام المذبح » (متى ٥/٢٢) .

انا لا اغضب لتأخرك في تقديم قربانك ؛ انا اريدك انت ، لا قربانك ؛ لقد هلكت ؛ فماذا تقرّب ؟ أتقرّب قربانك وانت لم تعُدْ لي ؟ اني ابحث عمّن اشتريته بدمي ، ولا عمّا تجده في اهرائك .

وعليه ، دع قربانك امام المذبح ، واذهب فصالح اخاك .

صوت النفس

ربّ ، من ذا الذي ليس مديناً لك بشيء سوى من لا تجد فيه أدنى خطيئة ؟

ومن ذا الذي لا يدين لاخيه بشيء سوى ذاك الذى لم يخطأ ضده احد ؟ ولذلك فقد رسمتَ لي ، بعدلك ، انا المدين لك ، خطةً وفرضتَ عليّ ان ارعاها مع اخي .

لقد رسمتَ في انجيلك بايجاز شريعتها « اغفروا يغفر لكم اعطوا تعطوا » (لوقا ٦/٣٧) .

ها اني اصلي واريد ان تغفر لي الاثم الذي اقترفتُه ، وانت تريد ان اغتنم الفرصة لكي اغفر للغير .

المستعطي يسألني وانا منك استعطي .

انا واقف على باب ربّ العائلة او بالاحرى راكع عليه اتوسل ؛ اني ابكي سائلاً شيئاً ما ، وانت هو موضوع رغبتي .

الفقير يسألني خبزاً ؛ وانا ، هل اسألك سوى ذاتك ايها القائل : « انا الخبز الحيّ النازل من السماء ؟ » (يوحنا ٦/٥١) .

اريد المسامحة وسأسامح ؛ سوف اغفر لكي يغفر لي ؛ أريد ان آخذ فأعطي لكي أعطى .

الفصل الثاني : في الاصلاح الاخوي

يحذرك الربّ من ان تتهاون في خطايا اخيك ؛ لا ، لكي تبحث عمّا توبخه عليه ؛ بل ، لكي ترى الشرّ الذي فيه ، فتصلحه منه .

الاصلاح كالحب ؛ انه يبتغي ايصال الانسان الى الحياة السعيدة ؛ ويزداد حباً كلما ازداد رغبةً في اصلاحه .

لا يكن اصلاحك للقريب ناتجاً عن كدر يزعجه او عن خطأ اقترفه بحقك ؛ لانك ، لا تعمل شيئاً ان حاولتَ اصلاحه بدافع من ذلك . اما ان عملتَ ذلك ، حباً به ، فقد اتيت شيئاً عظيماً .

حين يخطأ احد ضدك ، أعرهُ كل اهتمامك ، لا من اجلك انت ؛ لانه عظيم هو الانسان الذي يتناسى الاهانات ؛ بل إنسَ اهانتك ولا تنسَ جرح اخيك .

أصلحْه فيما بينك وبينه ، ان سمع لك ربحته ؛ ولولاك لبقي على ضلال . وبّخْه فيما بينك وبينه بدافع من الاصلاح ، واياك ان تخجله لانك ان كنت وحدك عالماً بخطئه واردتَ ان تردعه عنه علناً تخونه ولا تصلحه .

تأمل كيف أنّ يوسف البار استعمل المحبة لئلا يشهر زوجته التي راوده

عنها فكّرْ بأنها قد اتت قبيحاً ، قبل ان يعرف كيف حبلَت ؛ وقد رآها حبلى دون ان يكون له معها ادنى علاقة زوجية .

عَلقَ في ذهنه بعض الشك بأنها زانية ؛ ومع ذلك ولانه وحده كان يرتاب في الامر ، فلم يشأ ان يشهرها ؛ ولم يطلب ألَمُ الزوج الانتقام بل شاء ان يعيد تلك التي ظنها مجرمة دون ان يعاقبها .

وبما انه لم يشأ ان يشهرها قرر ان يرسلها سرًّا ؛ اذ ذاك ظهر له ملاك في الحلم وطمأنه بان المضجع الزوجي لم يُغْتَصَبْ وان العذراء قد حبلَت من الروح القدس ربها ، وسيدهما .

هل اخطأ اليك اخوك ؟ اذا كنت وحدك عارفاً به ، فانه لم يخطأ إلاّ اليك .

على الشر ان يموت حيث يصل .

اعمل اذن في بدء الامر ، اذا امكن ذلك ، على ان تعلّمه بلطفك وسخائك ؛ وان احتقر هذه الوسائل فاستعمل الشدة معه .

كثيرون أصلْحوا بالمحبة وآخرون بالخوف ؛ بيد انهم وصلوا الى الحب عن طريق الرعب والخوف . لا يجوز لك ان تسعى في استرجاع البرارة على حساب النظام ؛ ان نبذت النظام كنت شقياً وان رفضته كنت قاسياً .

اني أضع امامك مثلاً : تصوّر ولدًا غوغائياً وفوضوياً يحيا حياة تؤدي به الى الهلاك ؛ ومع ذلك فأبوه يتساهل معه مخافة ان يصدمه بقساوة النظام ؛ الا يقسو عليه في ذاك التساهل ؟ ان من يغري يمالق لكي يبيع ؛ والاب يعاقب بلطف لكي يصلح .

وعليه فحين ترفع العصا عن ابنك لا تظهر امامه بمظهر من يحب بل بمظهر ضعيف . ألا يحبنا الله ؟ ومع ذلك الا يجلدنا ؟ الا يوبّخُنا ؟

اذا لم يوبخنا فمن اين يأتينا الجوع والاحزان والاوبئة وسائر الشرور ؟ هذه كلها توبيخ من الله تعالى .

وكما ان الله يحب ويوبّخ هكذا انت ان كان احد تحت امرتك ؛ ومع انك تظهر له عواطف المحبة فلا تمنع عنه عصا التأديب .

ان منعتَ عنه الاصلاح تركته يهلك في خطاياه التي قد يتوقف عنها لو كان له من يصلحه ؛ ولذلك سوف يضمر لك حقدًا حقيقياً .

ليس كسلوك الانسان تجاه خطيئة انسان آخر ، سبيلٌ الى ادراك ما هو عليه من الروحانية ؛ فهو لا يعدُّ له اهانة بل خلاصاً ؛ ويقدم له مساعدة لا لوماً ؛ ويرحب به ما استطاع .

اصلحْ بروح من الصبر ، متأملاً في نفسك ، لئلا تجرّب . لا شيء يحمل الانسان على الرحمة كالتفكير بهلاكه الشخصي .

ولذلك فاسهر بمحبة وفطنة حين تضطرك الضرورة الى ان توبخ واحدًا آخر ؛ وفكّر اولاً ان كانت فيك رذيلة ؛ ثم ان كنت بعد وقوعك فيها مستعدًا لأن تتحاشاها ؛ وان كنت حتى الآن قد عشت في مأمن منها ، ففكّر بأنك انسان وقد كان ممكناً لك السقوط فيها .

وبالعكس فان كنت قد خلصت منها بعد ان عشتَ فيها فاذكر ضعفك لكيلا يسبق البغض اللوم والتأنيب بل الرحمة .

امّا اذا فكّرت فوجدت فيك هذه الرذيلة التي تستعد لمحاربتها في الآخرين فلا توبخهم بل انتحبْ معهم وأدعُهُم الى اصلاح نفوسهم بذات الوقت معك ولا الى الطاعة لك .

احفظ في قلبك السلام والحب مفكرًا في الخطر المشترك واستعمل كلمة اكثر حيوية وتشجيعاً ، وفقاً لما يقتضيه خلاص الشخص الذي تصلحه .

امّا اذا لم يسمعْ لك ، فخذ معك اخاً او اثنين لان كل كلمة تثبت من فم شاهدين او ثلاثة .

وان لم يسمع لهم فقل للكنيسة ؛ وان لم يسمع للكنيسة فليكن عندك بمثابة وثني وعشّار (متى ١٦/١٨ ، ١٧) انما لا يجوز لك ان تهمل امر

خلاصه ؛ لانك ان لم تعتبر الوثنيين اخوة لك فعليك ان تسعى الى خلاصهم.

لقد سمعتَ المسيح ينبّهك عنهم ويطلب منك ان تُعنى بهم عناية كبرى حتى اضاف قائلاً : الحق اقول لكم ما ربطتموه على الارض يكون مربوطاً في السماء وما حللتموه على الارض يكون محلولاً في السماء . لقد اتخذتَ في بداية الامر اخاك كوثني فربطته على الارض ، وليكن رباطه عدلاً لان البرّ يحطّم الربط غير العادلة .

ولكن بعد ان تصلحه وتصالحه تحلّه على الارض ؛ وبعد ان تحلّه على الارض يصير محلولاً في السماء ، وهذا شيء هام جداً ، ليس بالنسبة اليك ، بل بالنسبة اليه ؛ لانه ألْحقَ ضرراً كبيراً بنفسه وليس بك .

عواطف وصلوات

ربّ ، سألتك ان لا تكل اليّ تأنيب الآخرين على خطاياهم ، الاّ متى فحصتُ ضميري بأفكاري الباطنية ، واجابني ، بوضوح كلي امامك اني اقوم بهذه المهمة عن محبة .

ان كانت اهانات من أونبه وتهديداته واضطهاداته تمزّق نفسي ، وبدا لي ايضاً شفاؤه ممكناً فلن انطق بشيء ، قبل ان اشفيه ؛ لئلا اسيء اليه بتأثير من عاطفتي الجسدية فاستعمل لساني سلاح اثم للخطيئة مقابلاً الشر بالشر واللعنة باللعنة .

لان ما اقوله بقلب مقروح سيكون بمثابة هجوم من قبل من يتوخّى المعاقبة ؛ وليس عن محبة من قِبَل من يريد الاصلاح .

هبني المحبة فأحب قريبي واقول ما اريد . ان السامع كلام اللعنة لن يكون من جراء ذلك ملعوناً ؛ بيد اني سوف اذكر رغبتي في ان احرر الانسان من نقائصه بسيف كلمتك .

واذا ما اخذتُ على عاتقي القيام بهذه المهمّة واتممتها بطيبة خاطر ؛ ثم لقيت مقاومة من قبل الخاطئ الذي اقنعني بطريقه الخفية بان اكف عن ملاحقة عيوبه حتى يقع فريسة لها ؛ فاني بعد ن اغسل اهمالي هذا بدموعي ، اذكر ، لخيري ، بأنه لا يجوز لي ان استكبر على خطايا الآخرين حين اخطأ في توبيخهم ، مستسلماً بسهولة الى الغضب من جراء مقاومة الخاطئ لي بدل ان اتسلح الشفقة على بؤسه .

الفصل الثالث : في حسن استعمال الثروات

ومع ان الرب قاضٍ عادل يشجب البخل في كل آن ومكان ، فانه بيّن لنا ، نظير معلّم حقيقي ، كيف ينبغي لنا ان نستعمل ثروات الارض .

كن يقظاً في استعمال ثرواتك لئلا تبقى عطية الله لك بلا فائدة بين يديك .

هل عندك ذهب وفضة ؟ ان احسنتَ التصرف بهما كانا لك خيراً . وان كنت شريراً فستسيء التصرف بهما .

الذهب والفضة هما شرّ للاشرار وخير للابرار ؛ لا لان الذهب والفضة يجعلان الناس ابراراً ؛ بل ، لان الناس الابرار يستعملونها للخير .

هل تشتهي المجد؟ خير هو شرط ان تحسَن التصرف به .

كم من الناس كان المجد سبباً لخرابهم ؟

وكم من الناس افادوا من المجد قياماً بصالح الاعمال ؟ كن شجرة صالحة . لا تفكّر بأن تحمل ثماراً صالحة ، ان بقيتَ شجرةً عاطلة ؛ لن تأتي الثمرة الصالحة الاّ من الشجرة الصالحة .

غيّرْ قلبك يتغيّرْ عملك ، استأصل الشهوة واغرس المحبة .

وكما ان الشهوة هي اصل الشرور كلها ، هكذا فالمحبة هي اصل الخيرات كلها .

آه ! لو تعرف ما هو الخير ! بسيط هو ما تريد الحصول عليه ؛ أمّا ما لا تريد ان تكون فذاك هو الخير الحقيقي .

وجّه عينيك الى نفسك وتعلّم ان تعرف ذاتك بالتمام .

ناقشْ نفسك وامتَحنْها ، وابحثْ عنها وجِدْها واهدُمْ فيها ما لا يليق ؛ وازرع محله ما يليق .

ان وُجِدْتَ خالياً من الاعمال الصالحة فكيف تتوالى الخيرات الخارجية ؟ واي نفعٍ لضميرٍ فارغ من صندوق مليء بالثروات ؟

واي نفعٍ لك مما في حوزتك ، حين لا تملك ذاك الذي اعطاك كل شيء ؟

لا تضع رجاءك في الثروات الزائلة بل في الله الذي يوفر لك كل شيء بكثرة لتتمتع به . الزمنية منها للاستعمال والابدية للتمتع .

لو تأملتَ بحكمة قلق الثروات ، لما استكبرت ؛ بل لاستولى عليك خوف مستمر ، وكلما زدتَ غنًى كلما زدتَ قلقاً ؛ لا على هذه الحياة وحسب ؛ بل على الحياة الاخرى ايضاً .

وفي الواقع ، فقراء كثيرون كانوا اكثر طمأنينة وسط مشاكل العالم .

وكثيرون اشتهروا ولوحقوا بسبب ما جمعوا من ثروات ؛ وآخرون تدمروا لانهم لم يستطيعوا الإبقاء على ما وصل اليهم .

وكثيرون اسفوا لرفضهم مشورة سيدهم القائل : « لا تكنزوا لكم على الارض كنوزاً حيث يرعى السوس والعثّ ويثقب اللصوص فيسرقون . بل اكنزوا لانفسكم كنوزاً في السماء » (متى ٦ ــ١٩/٢٠) .

كثيرون رفضوا مشورته فحزنوا لانهم لم يطيعوا ؛ ولم يخسروا خيراتهم وحسب ؛ بل خسروا نفوسهم بسببها .

اليك رأيي في الثروات التي تبغي الحصول عليها ؛ ان كنت تحبها فلا تخسرها ؛ وان كنت تحبها ها هنا فسوف تهلك معك .

ارسلها قبلك حيث يجب عليك ان تذهب ، مخافة ان تخسرها ، حياً او ميتاً ، حباً بها فوق الارض .

لقد اعطيتك ، منذ الآن ، رأيي ؛ وانا لم اقل ؛ اخسر بل احفظ .

اتريد ان تجمع ؟ حسن ؛ انا لا اقول لا تجمع بل اين تجمع ؟

خذني مستشاراً ولا تعتبرني خائناً .

أعطِ الله باطمئنان ؛ وألق بنفسك بين يدي من يحتفظ لك بخيرك في السماء ؛ لانه هو ذاته يرعاك فوق هذه الارض طال ما انت حيّ .

اتريد ان تحتفظ بثروتك ؟ دبّرها كما تريد ، ان وجدت لها حارساً افضل من المسيح فسلّمه اياها .

انفض عنك كسلك واقبل مشورتي ؛ اعطِ المسيح الجائع واكنزْ للسماء .

اصنع ميثاقاً ! قد تخشى ان تُخدَع وتُسلَب وتبحث عمّن يحمل رسالتك .

المسيح هو معك لكي يأخذ مالك ويحفظه لك ؛ لن يخونك بل سيحمل كنزك بأمانة .

لستُ اقول لك ، اعطِ كل ما لك ؛ احتفظ لنفسك بكفافها ؛ واحتفظ لها بأكثر من كفافها .

اعطِ جزءاً مما لك . وأي جزء ؟ العشر ؟

يعطي الكتبة والفريسيون عشر اموالهم ؛ إخجلْ ؛ لان الذين لم يسفك المسيح دمه في سبيلهم قد اعطوا العشر .

الكتبة والفريسيون يعطون عشر اموالهم وانت تدّعي الكرَم حين تعطي الفقير كسرة خبز قد لا توازي جزءاً من الف مما لك ؟

ومع ذلك فلست اوبّخك ؛ اعمل هذا على الاقل ؛ بيد اني لست اسكت عمّا قاله الربّ . ان لم يَزِدْ برّكم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السماوات (متى ٥ ــ٢٠) .

هو لا يمالق « انه الطبيب الذي يدخل الى الصميم » .

سلْ ذاتك وانظرْ الى اعمالك والى امكاناتك ؛ انظرْ الى ما تعطي والى ما تُعْطى والى ما تُبْقي لنفسك ، انظرْ الى ما تنفقه على عمل الرحمة والى ما تحتفظ به لذاتك ؟

أشْرِكْ قريبك بمالك ؛ واعطه بسهولة واكنز لنفسك كنزاً للمستقبل ، بلوغاً الى الحياة الابدية .

صوت المسيح

بشأن اموالك ، اقول لك ، انا ربك ؛ أشير عليك بما تصنع ؛ اتحب المال ؟ فتجيب نعم احب . اذن تخلّ عنه . وحين تتخلى عنه تتبعه بقلبك طال ما انت حيّ ؛ حيثما يكن كنزك يكن هناك قلبك .

اذا اخفيتَ في الارض قلبك فاخجل يا من تكذب حين تجيب : « قلوبنا الى الرب » لدى سماعك : « قلوبنا الى العلا » .

لا تقول الحقيقة ساعة واحدة في الكنيسة ؛ تكذب عليّ وهذا ما تعمله دوماً بالناس.

انك تقول : قلوبنا الى الرب ، بيد ان قلبك في الارض مخفي . حيثما يكن كنزك يكن هناك قلبك .

صوت النفس

اعطني يا ربّ ان استعمل اموالي وفقاً لما سمعتُ منك . انا لا اريد ان اسلك طريق المتكبرين وأضع رجائي في الثروات القلقة ؛ بل اريد ان اكنز لنفسي كنزًا للمستقبل ، بلوغاً الى الحياة الحقة .

ها اني هاجرتُ يا رب الى السماء التي كانت لي ، وما هو لي هكذا املكه وكأنه ليس لي . ايقدّر ملكوت السماوات بميراثي ؟ انه لاغلى .

أنا احيا الى زمن ثم اموت ؛ امّا في ملكوتك فلن اموت ؛ انما الى الابد احيا . سأكون هناك غنياً حقاً ولن احتاج الى شيء .

اجعلني اهيّئ لك مكاناً مع اولادي فتأتي انت ايها الرب الهي الى عائلتي . هلمّ الى عائلتي ، يا خالقي ، قد تُقبِل الى مصاف ابنائي يا خالقي واخي .

واذ هو هناك فقد تنازلت وصرت لنا اخاً .

واذ انت وحيد للآب فقد شئتَ ان يكون لك شركاء في الميراث .

ما اشدّ مسكنتي وما اعظمك !

ان ما اعطيتنيه ، يا ربي مفيد لي ، ولابنائي ؛ وامّا ما اقدّمه من شرّ لابنائي فانه مضرّ لي ولأبنائي .

الفصل الرابع : في المستمعين الى كلمة الله

اني اقرع بابك يا ربّ فافتحْ لي واكشف لي عمّا شئتَ من لجة اسرارك .

اعطني ان اقبل الحقيقة الجليّة وارعاها بتقوى لتتضح امام ناظري الحقيقة الغامضة.

وكيف ادرك حقائقك الخفية ان رذلت ما هو مكشوف لي منها ؟ اني اؤمن بما تنازلت وقلته لي ؛ وقد شئتَ ان ادركه ، امّا اذا لم اتمكّن من ذلك فأرجوك ان تعطيني الفهم الذي اسألك ، يا من اعطيتني الكلمة التي لم اسألك اياها .

لقد نزلتَ الينا يا من كنتَ تحدّثنا في الماضي كأله ، انتَ يا من بدأتَ تتحدث الينا ، نظير انسان .

ومع ذلك فأنتَ انسان وإله ، إله صرت انساناً ، وصرت ما لم تكن دون ان تخسر شيئاً مما كنت .

انضمتَ اليك الطبيعة البشرية لكي تصير ، انت الإله ، انساناً ، لا لكي تصبح انساناً وتبطُلَ ان تكون إلهاً .

انا الذي كنت اسمع لك ، كما لخالقي ، سوف اسمع لك ايضاً ، كما لأخي ؛ انت خالق لانك الكلمة الأزلي ؛ وانت اخ لانك مولود من العذراء مريم.

خالقٌ انت قبل ان يكون ابراهيم وآدم وقبل ان تكون الارض والسماء ؛ سابق انت لكلّ الكائنات الجسدية والروحية وأبٌ لذرّية ابراهيم ولسبط يهوذا ولعذراء اسرائيل . ان اعترفت بأنك يا محدثي إله وانسان . سوف افهم كلام الله والانسان لانك تقول لي احياناً ما يليق بالعظمة واحياناً اخرى ما يناسب التواضع . فيا لعمق كلماتك الغريب ! إلهي ، انه لعمق غريب وعجيب .

اني اتأمل به مضطرباً اضطراب من يحترم ويحب . اني أبغض بشدة من يقاومونه ؛ يا ليتك تبيدهم بسيف لك ذي حدين فلا يبقى له اعداء . اودّ لو تميتهم عن انفسهم وتحييهم لك .

صوت المسيح

ان سرتَ في النهار فلست تعثر ، انا نور العالم ، اتبعني ان لم تشأ ان تسقط . لا تحاول ان تكون لي مشيراً يا من وجب عليك ان تأخذ مني مشورتـك . ان سرتَ نحوي فلست تضيع لاني الحقيقة التي اليها تسرع والطريق الذي فيه تعدو .

ان فكرت بالقدسيات فانا هو قدس الاقداس وان فكرت بالقطيع المطيع فأنا هو راعي الرعاة وان فكرت بالبناء فأنا هو اس الاساسات كلها .

ان درستَ بتقوى وحكمة ، العظة التي القيتها على الجبل وجدتَ المثـال الكامل للحياة المسيحية في أحسن الاخلاق .

واني كنت اقول الاشياء التالية تعريفاً بالوصايا اللازمة لتكوين الحياة المسيحية ؛ سوف اشبّه من يسمع كلامي ويعمل بموجبه ، بالرجل الحكيم الذي بنى بيته على الصخرة . فلما سقط المطر وفاضت الانهار وعصفت الرياح وضربت ذلك البيت لم يسقط لانه مبني على الصخرة . ومن يسمع كلامي ولا يعمل به اشبهه برجل احمق بنى بيتـه على الرمل ، فلما سقط المطر وفاضت الأنهار وعصفت الرياح وضربت ذلك البيت سقط وكان سقوطه عظيماً.

انا لم اقل فقط : من يسمع كلامي بل من يسمع كلامي الآن ؛ وهذا الكلام يشير الى ان ما قلته على الجبل يجب ان يكون موضوع تعليم كامل للذين يريدون ان يحيوا بالطاعة له حتى اني شبهتهم ، بحق ، بالذين يبنون على الصخور .

ان شئت ان تبني على الصخر فليكن الكلام فيك حقيقة واقعية ؛ ولا تكتفِ بالاصغاء اليه لئلاّ تخدع نفسك .

اذا كان سماع كلامي شيئاً جميلاً ، اليس العمل بموجبه افضل ؟

ان لم تسمَعْ تهمل الكلمة ولا تبني شيئاً .

وان سمعت ولم تعملْ تبني للخراب .

السماع والعمل به بناءٌ على الصخرة ! لان السماع هو البناء بالذات ؛ ومن يسمع كلمتي ولا يعمل بها يبني سامعاً ولكنه يبني على اساس من الرمل .

ويسقط المطر وتفيض الانهـار وتعصف الرياح وتضرب ذلك البيت فيسقط ويكون سقوطه عظيماً . يا له من منظر مؤسف .

صوت النفس

رب ، هل انا بحاجة الى ان اسمع ما لا اعمل به ؟ لاني حـين اسمع ولا اعمل ابني للخراب . اليس من الاضمن لي ألاّ اسمع ؟

صوت المسيح

يا بني ان المطر والرياح والانهار لا تهدأ في هذا العالم . ألا تبني على الصخر ، حتى اذا ما اقبلت هذه لا تقلبك راساً على عقب؟ طال ما انك لا تسمع فلن تثبت تحت سقف. وهل تكون اكثر اطمئناناً متى هطل المطر وفاض النهر وجرفك عرياناً ؟ تأمَّلْ في الحظ الذي تختاره . لن تكون مطمئناً ، كما تظن ،لانك لا تسمع . ولا مفرّ لك اذا كنت عرياناً ، وبلا مأوى، من الانقلاب والانجراف والغرق . ان كان البنيـان على الرمل سيئاً ، فأسوأ منه هو عدم البناء ؛ وبقي عليك ان تسمع وتعمل . لا تقل: اود ان اعرف اذا كان من يتكلم يعمل كل ما يقوله للآخرين .

إنْ عمل بما يقول فاقتدِ به كما هو يقتدي بي.

ان احترمتَه فامْدحه ، وان احتقرتَه ولو شكوتَه فلا تعذُرْ نفسك .

ان سمعتَ نصائح حسنة وعملتَ شرّاً ارتويتَ بمطرٍ خفيف وانبتَّ شوكاً .

لا تكن بلا ثمار صالحة مخافة ان تتذوّق القساوة بسبب عقمك . الواعظون موجودون ؛ يعظونك بكلمة الحق ويفسرون لك ما هو غامض لكي يرتفع قلبك اليّ . تأمّل في ايمانك وسلوكك . القاضي يأتي بعد الواعظ وصانع السوء بعد صانع الخير .

عواطف وصلوات

رب ، ان استمسكتُ باثمي كانت كلمتك لي خصماً ؛ وان ثرت على اثمي صارت كلمتك لي صديقاً ، ولاثمي عدواً . ان كرهت اثمي ضمّني الى كلمتك ، فنتعاون كلانا انا وكلمتك على اهلاك اثمي .

وحدي لا استطيع ان اعمل شيئاً ، أغثني يا من ارسلتَ اليّ كلمتك فأنتصر على الاثم .

كلماتك سهام حادّة ، اذا أُرسلتْ اخترقت القلوب ، ومتى اخترقت سهام كلمتك القلوب حرّكت الحبّ لانها ليست قتّالة .

الفصل الخامس : طوبى للمساكين بالروح

من المستحيل ان نجد انساناً يأبى ان يكون سعيداً ؛ ولكن ، ليتَ البشر يرتضون العمل المثاب بنفس الحماس الذي به يتوقون الى الثواب .

ومَنْ ذا الذي لا يركض متى قيل له : ستكون سعيداً ؟ فليصغِ ايضاً بطيبة خاطر الى القول التالي : ان عملت هذا فلا ترفض الجهاد ان طلبت الجزاء واشعل نفسك صانعاً عملك بسرعة تقديراً للمكافأة .

ان ما تريده وتشتهيه وتطلبه يأتي بعدئذ ؛ ولكنهم امروك بما يجب ان تعمله الآن في سبيل ما سيكون .

باشرْ بتذكّر كلام المسيح او على الاقل أحْصِ تعاليمه .

طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السماوات (متى ٣/٥) سيأتي ملكوت السماوات . أمّا الآن فكنْ مسكيناً بروحك .

أتريد ان تحوز ملكوت الله في المستقبل ؟ انظر الآن الى من انتَ وكن مسكيناً بالروح .

المسكين بالروح وديع يخاف كلمة الله ويعترف بخطاياه ؛ ولا يغترّ باستحقاقاته وببرّه .

المسكين بالروح هو من يسبّح الله حين يأتي عملاً صالحاً ، ويشكو نفسه حين يأتي سوءاً .

المسكين بالروح هو من لا يرجو سوى الله ؛ لان الرجاء فيه وحده لا يخيب .

المسكين بالروح يتخلّى عن كل ماله ويتبع المسيح ، يوزّع على الفقراء كل ما يملك لكي يطيع المسيح ولا يعوقُه شيء عالمي ؛ واذ يتحرّر من كلّ حِمْلٍ أرضي يطير اليه كما على اجنحة .

ومع ذلك فكثيرون يظهرون بمظهر الاغنياء ، بحسب العالم ، بينا هم يُعتَبَرون مساكين بالروح .

لانهم يرون انفسهم في خطر ، في هذه الحياة ، فيعملون فيها كمسافرين ، يميلون عن ثرواتهم الطائلة نظير المسافر الذي يمرّ على فندق ولا يمكث فيه .

اولئك هم اصغر الناس واحقرُهم لانهم متواضعون وليسوا متكبّرين ومتشامخين . ان زنتهم وجدتهم من ذوي الوزن الثقيل .

وان اردتَ بالمساكين الودعاء ظهر الاغنياء امامك متكبّرين . وان كنتَ تشتهي كل شيء وتستكبر وانت لا تملك شيئاً أحصيتَ مع الاغنياء والمنبوذين .

انتبهْ الى هذا الامر كيلا تلوم الاغنياء هنا وهناك ثم تغترّ بفقرك ومسكنتك . وماذا ينفعك فقرك الى الخيرات اذا كنت تتحرّق شهوةً ؟ ان الله يسأل القلب ولا يسأل الصندوق والبيت ، حين يريد ان يميّز بين الغني والفقير .

امّا المتكبّر الذي ليس فقيراً بالروح فهو الذي لا يتوب ، معترفاً بخطاياه ، لكي يشفى بواسطة التواضع .

المتكبّر هو من يعزو لنفسه المال الضئيل الذي قد يكون له ويُخرجُهُ عن رحمة الله . المتكبّر هو من يشتم مَنْ لا يعملون الخير ويستكبر عليهم ، وان رُدَّ الى الله الخير الضئيل الذي يعمله .

ولِمَ تتباهى امامي بفقرك وقد اقنعتك بوجود شتّى الأطماع فيك ؟

اتقول انك فقير ؟ احذر لئلا تكون ما تقول بسبب كبريائك .

هوذا احدهم يتوب ويتخلّى عن غرفة ابيه الوضيعة (وليس فيها اكثر من سرير وخزانة) انه يتوب ويبحث عن الخيور الروحية . ذاك امر حسن بل ممتاز ، لا تشتمه ولا تقل ، لم يترك شيئاً .

لا تستكبر ان كنت قد تركت الكثير .

انت تعلَم ان بطرس كان صياداً ؛ وماذا ترك من اجل المسيح ؟ اخوه اندراوس ويعقوب ويوحنا ابنا زَبَدى كانوا صيادين . ومع ذلك ، ماذا

قالوا ؟ ها قد تركنا كل شيء وتبعناك ؟ (متى ١٩/٢٧) .

لم يقلْ المسيح لبطرس : نسيت فقرك . وماذا تركت من اجل العالم كله ؟

لقد ترك كثيراً ذاك الذي لم يترك فقط ماله بل كل ما كان يتوق اليه .

وبكلمة واحدة ان بطرس قد ترك بالوقت ذاته العالم ؛ واخذه كمن ليس له شيء وهو يملك كل شيء .

هذا هو شأن الرهبان ؛ ان من يملكون القليل ويدخلون الدير ليصبحوا عصافير نافعة يتركون كل شيء ليربحوا كل شيء .

وقد يظهرون بمظهر الناقصين لان ليس لهم سموّ المجد العالمي ويبنون اعشاشهم في الاديرة كعصافير الدوري في ارز لبنان .

ان اشراف هذا العالم واغنياءه وعظماءه ، اذا كانوا مساكين بالروح ، يُقيّمون ثرواتهم وممتلكاتهم وخيورهم الزائدة وكل ما يجعلُهم قبلة الانظار ويقدمونها الى خدّام الله ؛ انهم يَهبون حقولهم وبساتينهم ويشيّدون كنائس واديرة ويستقبلون عصافير الدوري لكي يبنوا اعشاشهم في الاديار كما في ارز لبنان . ان مسكنة الروح مفيدة للجميع ، للغني وللفقير ، للغني بارادته واعماله وللفقير بارادته وحدها .

وبالتالي ، سواء املكتَ شيئاً من حطام هذا العالم ام لا ، كن فقيراً وان لم يكن لك شيء فلا تحتقر الغني المتواضع .

ايها الفقير ، كن فقيراً حقاً اي متواضعاً .

ان كان الغني قد تواضع فأحر بالفقير ان يكون اكثر تواضعاً .

عواطف وصلوات

رب ، انا لم احمل معي شيئاً الى هذا العالم ولن احمل منه شيئاً ؛ حسبي القوت والكسوة .

لو شئت ان اصبح غنياً لسقطت في التجربة وفي شهوات مختلفة ، حمقاء وخطرة ، ترسل الناس الى الهلاك والموت .

أصل الشرور كلها البخل ، كم من أُناسٍ اضطرمت شهواتهم فمالوا عن الايمان وغاصوا في عذابات كثيرة ؟

سوف القاك ايها الفقير الحقيقي ، يا من جعلت نفسك فقيراً من اجلي ، مع انك غنيّ . من ذا الذي يتأمل في خيراتك على حقيقتها ؟ ومن ذا الذي يتصوّر ما انت عليه من الفقر ؟

يا فقر سيدي ! يا فقراً حُبِلَ به في حشا امرأة عذراء واحتواه حشا ام ، يا له من فقر !

لقد وُلد في ملجأ ضيّق ووضع في مذود ولفّ باقمطة الطفولة ؛ ثم راح معلم السماوات والارض ، خالق الملائكة وصانع الاشياء المرئية وغير المرئية وواضع اسسها يرضع ثدي أمه ويصرخ في المهد ويغتذي وينمو ويتحمّل تقلبات الطقس ويخفي جلاله ؛ واخيراً قبضوا عليه واحتقروه وجلدوه وشتموه وبصقوا عليه وصفعوه وكللوه بالشوك وعلّقوه على الخشبة وطعنوه بالحربة . يا له من فقر . رب ان تأملت في فقرك وجدت كل شيء حقيراً امامي .

اني احب ما ليس لي حتى الآن ؛ فان حصلت عليه احتقرته ؛ أي خير يشبعني ؟ ومتى ارتوي من الخيرات ؟

لن اشبع من الاشياء المائتة والزمنية ، هبني واعطني ما هو ازلي . هبني حكمتك ؛ هبني كلمتك ، إلهاً من إله ؛ هبني ذاتك يا الله الاب ؛ وهبني الابن والروح القدس .

اني ابسط يديّ اليك لان نفسي بالنسبة اليك هي كأرض لا ماء فيها . اني ارفع نفسي اليك وليس ضدك ، اني ارفعها اليك كالإناء الى الينبوع ، فاملأني . ها قد شعرت بعذوبة الوطن ومرارة السفر .

خارجاً عنك ، ومن كل ما هو حاضر لي ، لا شيء يحلو لي .

لا اريد شيئاً من كل ما اعطيتني ان لم تعط نفسك يا من اعطيت كل شيء .

لترنّ صلاتي دوماً في اذنيك واستمع دائماً اليها ؛ ها قد صرت مذ الآن مسكيناً بالروح فاجعلني سعيداً في ملكوت السماوات .

الفصل السادس : طوبى للودعاء

طوبى للودعاء فانهم يرثون الارض (متى ٥–٤) .

امر عظيم يتحقق حين تصبح وديعاً ؛ لان الوداعة ضرورية في الضيق .

ان استطعنا فلنحدد الوداعة على هذا النحو : وديع هو الانسان الذي ، من كل خيرٍ يعمله ، لا يرضى الاّ بالله ؛ ولا يبعده عنه ايّ اذى يتعرّض له .

انتبه يا اخي لهذه القاعدة وهذا التوجيه ، وأتبعه ، وأنمُ فيه حتى تعمل بموجبه .

أصغِ يا من تريد ان تكون وديعاً وان تحفظ الوداعة لأيام السوء .

يا مَنْ تحب شريعة الله كيلا يكون فيك عار بل سلام وفير فتملك الارض وتتمتّع بطمأنينة ثابتة .

اصغِ يا من تريد ان تكون وديعاً ولا ترتضي بالصلاح الذي تقوم به لان الله يقاوم المتكبرين ويهبُ المتواضعين نعمته .

وبالنتيجة ، عليك في كل ما تعمله من خير ، ان لا تؤخذ الاّ بمحاسن الله . ولا يبعدنّك عنه الشرّ الذي تتحمله . اصنعْ هذا تحيَ .

تريد الآن ان ترث الارض ، حذار من ان ترثك الارض .

ان كنت وديعاً ورثتها او قاسياً ورَثَتْك . ولكن حين تعرف المكافأة المعدة لك لكي ترث الارض فلا تفتح لجنّة بخلك لكي تخفيها فيها مذ الآن .

لا تنخدع بهذا الرأي . سوفَ ترثُ الارض حقاً متى استمسكتَ بصانع السماء والارض .

اتريد ان يقودك في سبله ؟ كن وديعاً هادئاً ؛ ولا تكن شرساً متكبراً ؛ ولا تجمح برأسك كالحصان والبغل اللذين لا فهم لهما .

ومتى صرت وديعاً وهادئاً اقام الربّ فيك ؛ وقادك في سبله .

الربّ يريد خيولاً هادئة : كن فَرَسَ الربّ وكن هادئاً .

وسيجلس عليك ويقودك فلا تخف من ان تصطدم وتسقط في الهوّة .

انك في الحقيقة لضعيف ؛ ولكن انظر الى من يقودك .

الحصان والبغل يجمحان حيناً برأسيهما ؛ وفي زهوهما يوقعان فارسهما .

اللجام يكبح جماحهما وكذلك الضرب الى ان يتعلّما الطاعة وحَمْل فارسهما .

امّا انت وقبل ان يجرح اللجام فمك فكن وديعاً واحمل ربك .

لا تبحثْ عن المجد لنفسك بل لمن يقودك .

ان معلّم الملائكة كلمة الله ، رفعَ صوته وقال : « تعلّموا مني » (متى ١١–٢٧) .

فمن ذا القائل : تعلّموا مني ؟ ان الذي خلَقَ الارض وفصل ما بين المياه واليبس وخلَق الطيور والحيوانات التي تملأ الارض والسابحات في المياه ، الذي وضع الكواكب في السماء وميّز النهار والليل ، وبسط الفلك وفصل ما بين النور والظلمة ، ذاك هو عينه القائل : « تعلّموا مني » .

هل اراد ان يقول من خلال ذلك بأن نعمل تلك الاشياء معه ؟ مَنْ يقدر على ذلك ؟ الله وحده .

وقال : لا تخفْ ، لن اثقل عليك ، تعلّمْ مني ما قد صرت اليه من اجلك . تعلّم مني ، لا ان تكون الحقيقة التي صنعتها ؛ ولستُ اقول لك بان تتعلّم ما اردتُ ان اعطيه لبعض الناس دون البعض الآخر كاقامة الموتى وردّ البصر للعميان وفتح اذان الصم ؛ ولا تعتبر مجداً لنفسك ان تتعلّم هذه الأمور مني ...

وامتلأ الرسل حبوراً في غمرة من الفرح وعادوا قائلين : ها ان الشياطين تخضع لنا باسمك .

وقال لهم الربّ ، لا تفرحوا بأن الشياطين تخضع لكم بل افرحوا بأن اسماءكم مكتوبة في السماء .

لقد اعطى ، من ارادهم ، القدرة على طرد الشياطين ؛ واعطى البعض الآخر القدرة على قيامة الموتى .

ان تلك العجائب كانت تتم قبل تجسد الربّ ؛ الموتى اقيموا والبرص تطهّروا ونحن قرأنا هذه الاشياء . فمن ذا الذي كان يعملها آنذاك ؟ ذاك الذي صار المسيح الانسان بعد داود ، والمسيح الله قبل ابراهيم .

لقد منح هذه العطايا كلها ذاك الذي قد صنعها بواسطة البشر ؛ ومع ذلك فانه لم يعطها الجميع .

وهل ييأس اولئك الذين لم يأخذوها قائلين انهم لا يصلحون لكونهم لم يستحقوا ان يأخذوا عطاياه ؟

الاعضاء للجسم ؛ لهذا وظيفة ولذاك اخرى .

ان الله قد صنع الجسد وحيداً ولكنه لم يعطِ الأذن ان ترى والعين ان تسمع والجبين ان يشعر واليد ان تذوق ، انما اعطى سائر الاعضاء الصحة والارتباط والوحدة وأحيا الكلّ وحدهم كذلك بالروح .

وعلى هذا النحو فانه لم يعطِ البعض ان يقيموا الموتى والبعض الآخر ان يدافعوا عن الايمان . فماذا اعطى الجميع ؟ تعلّموا مني أني وديع ومتواضع القلب . يا من سمعته يقول لك ، اني وديع ومتواضع القلب ؛ فكل دوائك في هذا وهو ان تتعلّم منه انه وديع ومتواضع القلب .

وماذا ينفعك اجتراح العجائب بكبرياء ، اذا لم تكن وديعاً ومتواضع القلب ؟

ألن توضَع في مصاف القائلين اخيراً ، ألسنا باسمك تنبأنا وباسمك صنعنا آيات كثيرة ؟

وماذا يسمعون ؟ لا اعرفكم ابتعدوا عني يا فعلة الاثم .

كن متواضعاً واذهب الى المسيح ، اصغِ اليه باسطاً ذراعيه ، تعالوا اليّ ايها المعذبون .

انت تصرخ وتناقض نفسك بنفسك وتشتم ؛ امّا هو فانه يقول لك ، تعالَ يا مَنْ تتألم في كبريائك واسترحْ في تواضعي ، تعلّمْ مني اني وديع ومتواضع القلب تجدْ راحة لنفسك .

ولماذا تتألم اذن ؟ لانك لست وديعاً ومتواضع القلب .

صار الله متواضعاً فاخجل انت من كبريائك .

عواطف وصلوات

يا يسوع الصالح يا من استلمت من الآب كل شيء ، ويا من لا يعرفك سوى الآب انت وحدك تعرف الآب ولا تقول : تعلّموا مني ان تكوّنوا العالم وان تقيموا الموتى بل ، اني وديع ومتواضع القلب .

يا للتعليم الخلاصي ويا رب الاموات ومعلمهم لقد قرّب الموت في كأس الكبرياء .

انت لم تشأ ان تعلّم سوى ما انت ولم تأمر بما لم تفعل .

اني اراك يا يسوع الصالح بناظريّ الايمان اللذين فتحتهما لي وكأنك كنت تهتف وتقول في مجموعة الجنس البشري ، تعالوا اليّ وتعلّموا مني .

ولِمَ اصغي اليك انت يا ابن الله ، يا من صنعتَ كل شيء وصرْتَ انت ذاتك ابن الانسان ؟ في وسط هذه الاشياء كلها ماذا يجب عليّ ان اتعلم منك ؟ عليّ ان اكون وديعاً ومتواضع القلب .

الا يُشرّف الانسان ان يكون حقيراً بهذا المقدار حتى يتعلم منك انت العظيم ؟ اجل .

ومن دون هذا السبيل ، لا راحة للنفس التي تظنّ ذاتها عظيمة حين تثقلها الكبرياء وتنفخها فتصبح امامك مريضة . اجعلهم يصغون اليك ويقبلون اليك ويتعلمون منك كيف يصبحون ودعاء ومتواضعين هؤلاء الذين يبحثون عن رحمتك وحقيقتك فيحيون لك وليس لنفوسهم . اجعل المتألم والمعذب الرازح تحت حمله ، الذي لا يتجاسر ان يرفع عينيه الى السماء ، يفهم كلامك ؛ اجعل الخاطئ القارع صدره الذي لا يدنو الا من بعيد ، يفهم كلامك .

فليفهمه قائد المئة الذي قال انه غير مستحق لقبولك تحت سقفه .

فليفهمه زكّا رئيس العشّارين الذي يعوّض على القريب اضعاف ما الحق به من ضرر .

فلتسمعه المرأة الخاطئة في المدينة وقد بكت بكاءً مرًا على قدميك لانها لم تتبع خطاك .

فليفهمه العشارون والزانيات اللواتي يسبقن الكتبة والفريسين الى ملكوت السماوات .

وليفهمه جميع المرضى الذين جابهوك في وليمة سمعان ، وكأنها جريمة ، يقيناً بان من كانوا يدعون السلامة لم يبحثوا عن الطبيب وان لم تكن قد جئت لتدعو الصديقين بل الخطأة الى التوبة .

هؤلاء جميعهم سوف يتواضعون بسهولة ؛ وينسحقون في حضرتك ، حين يرتدون اليك ؛ وسيذكرون حياتهم الشريرة ورحمتك السمحاء ؛ لانه حيثما كثرت الخطيئة وَفُرَتْ النعمة (رومية ٥–٢٠) .

الفصل السابع : طوبى للباكين

« ... طوبى للباكين فانهم يعزون » (متى ٥/٥) منذ الهنيهة التي فيها نولد نسير نحو نهايتنا لانه من ذا الذي يثبت ؟

ومن ذا الذي لا يُضطر الى ان يمشي منذ الهنيهة التي فيها دخل في هذا الطريق ؛ لقد ولد طفلاً وهوذا يسير وينمو ثم ينتهي في الموت . ومن ذا الذي لا يبكي ها هنا في هذا الطريق الشاق بينا الولد ذاته يعرف البكاء ؟

اكيد ان الطفل حين يولد ويخرج الى الكون من الحشا الضيق الذي حمله ، يسير من الظلمة الى النور ، وبرغم انه آتٍ من الظلمة الى النور يبكي ولا يضحك .

سلِ الطفل المولود عن سبب بكائه . حين يبكي ، ولدًا ، يتنبأ عن شقائه ؛ ودموعه تشهد على تعاسته .

انه لا يزال يجهل النطق ومع ذلك فقد تنبأ .

يتنبأ عن العذاب الآتي او اقله عن الخوف من ذلك العذاب .

ان عاش عيشة صلاح وبر وقام في وسط التجارب فسيظل دوماً خائفاً . الناس يضحكون ويبكون ومن اللازم ان يبكي ممّا يضحكهم .

بيد ان هذا الانسان يبكي خسارته ، والآخر يبكي حزنه الذي تسبب له من وجوده في السجن ؛ والثالث يبكي لانه رأى اعزّ الناس لديه يموت ، هذا يبكي لهذا السبب وذاك لذاك .

واول هؤلاء الباكين جميعاً هو الرجل البار الذي يبكي حقاً اولئك الذين يذرفون دموعاً عقيمة .

انه يبكي على من يبكون وعلى من يضحكون لان الباكي على امور باطلة يبكي سدًى والضاحك لما لا قيمة له يتأذّى من ضحكه .

البار يبكي دوماً ولهذا يبكي اكثر من سواه . انه يبكي في صلاته حين يوصي خيرًا باعماله الصالحة . سفر طويل بدون دموع لا يكشف عن الرغبة في رؤية الوطن . ان كنت ترغب في ما لست فيه فاسكب دموعك .

وانّى لك ان تقول لله : لقد وضعت دموعي امام وجهك ؟ (مزمور ٥٥/٩) .

وانّى لك ان تقول لله : اصبح دمعي خبزي ليلاً نهارًا ؟

اصبح دمعي خبزًا لي : تعزّيت به حين انتحبْت واغتذيت منه حين جعت . وأيّ بار خلا من هذه الدموع ؟ إنّ مَنْ لم تكن له هذه الدموع لم يكتئب على غربته .

بأي وجه يأتي الى الوطن من لم يبك ، غائباً عنه ، في طلبه ؟ دموع الابرار مستمرة . ولكن هل الوطن على هذا الطريق ؟ ان الذين يَلهون في ميولهم فيبكون سدى ينتحبون حين يُخدعون ، ولكن حين يَخدعون يتهللون طرباً . انهم يبكون ذواتهم في هذا الطريق ولكنهم لا يبكون طلباً لتعزية . وماذا يحصد هؤلاء الذين لم يزرعوا شيئاً ؟ او بالاحرى انهم ليحصدون

ما زرعوا . سوف يحصدون النار لانهم زرعوا الاشواك .

كم يلزمني من الوقت ان اردت ان احصي ما في هذه الحياة من شقاء؟ لخيور هذا العالم خشونة حقة ، وجمال خداع . ألم اكيد ولذّة غير مضمونة ، تعب شديد وراحة قلقة ، واقع مليء بالشقاء ورجاء فارغ من السعادة .

شقيّ هو القلب المقيّد بحب الاشياء الفانية ، يخسرها فيتمزّق ؛ ويشعر آنذاك بالبؤس الذي كان يغمره قبل خسارتها .

تأمّل العالم كانه بحر في مهب ريح شديدة وعاصفة قوية . لكل منا شهوة عاصفة .

اتحب الله ؟ انك تمشي على البحر وتحت اقدامك ثورة العالم .

اتحب العالم ؟ سوف يبتلعك . انه يفترس من يحبونه ولا يحملهم .

اتظن ان الريح مضادّة لك حين تصل اليك مقاومة هذا العالم ؟ في الحروب والاضطراب والجوع والطاعون وحين يصاب كل انسان بضربة خاصة حينذاك يظن المرء ان الريح مضادة وان عليه ان يدعو الله . لا تسأل في هذه الناحية هدوء الجو بل اسأل شهوتك .

انظر اذا كان الهدوء فيك واذا لم يكن الهواء الباطني يقلبك رأساً على عقب . حذارِ من ذلك .

انها لفضيلة كبيرة ان يجاهد الانسان مع السعادة لئلا تغويه وتفسده وتهلكه .

انها لقوة كبيرة ان يجاهد الانسان مع السعادة وانه لدليل سعادة حقة ان لا يقع المرء فريسة الازدهار .

في وسط هذه الاشياء كلها قد تحترق بادراكك لخطاياك ؛ ومن يدري ؟ اطفئ لهيب الخطيئة بدموعك وابكِ امام الرب . ابك مطمئناً امام الله الذي صنعك والذي لا يحتقر فيك ما صنعته يداه .

ابكِ امامه وانتحب بحضرته واعترف له وتجنّب وجهه في الاعتراف .

ومن انت ايها الباكي امامه ، المعترف لله ، سوى ذاك الذي صنعه ؛ لا يحق للمصنوع ان يكون قليل الثقة بين يدي خالقه لأنه لم يصنعه عادياً بل صنعه على صورته ومثاله .

عواطف وصلوات

لن ابكي ايها الرب بحسب الجسد ؛ اية تعزية يجني اولئك الذين يبكون على هذا النحو ؟ تعزيتهم شريرة ؛ فعلينا ان نخشاها .

ان من يبكي ها هنا يلقى تعزيته حيث يخشى ان يبكي من جديد .

التعزية الحقة هي التي بها ننال ما لن نخسره الى الابد . ان كنت ابكي في منفاي فرغبةً في الحصول فيما بعد على فرح التعزية .

لتكن الدموع نصيبي الآن حتى تتعرّى نفسي من اوهامها ويلبس جسمي الصحة الحقة التي هي الخلود . ولا يقل لي احد : انت سعيد ؛ لان من يقول لي انت سعيد يريد ان يغويني .

وعلى كل حال فقطرنا هذا هو قطر الشكوك والتجارب والشرور .

انها بلاد الاموات ، بيد ان بلاد الاموات زائلة لتحل محلها بلاد الاحياء .

في بلد الاموات عمل وألم وخوف وبلايا وتجارب ؛ وبكاء ونحيب .

ها هنا السعداء الكذبة والتعساء الحقيقيون لان السعادة هنا كاذبة والبؤس حقيقي . وان اعترفت ببؤسي الحقيقي وصلتُ الى السعادة الحقيقية ، والآن ، اذ أتألم اسمعك تقول : طوبى للباكين !

يا لسعادة تلك الدموع . لا اقرب الى البؤس من الحزن ؛ ولا ابعد عن البؤس من السعادة ؛ ومع ذلك ، ها انك تدعو الباكين وتقول انهم سعداء اجعلني افهم يا رب قولك : انت تقول : طوبى للباكين ، ولكنهم سعداء في الرجاء هؤلاء الباكون الآن .

الفصل الثامن : طوبى للجياع

« طوبى للجياع والعطاش الى البر فانهم يشبعون » (متى ٥/٦) .

أتريد ان تشبع ؟ وكيف ؟ ان كان الجسم يشتهي الشبع ، فبعد ان تهضم غذاءك سوف تشكو من الجوع من جديد . من يشرب من هذا الماء قال يسوعُ المسيح للمرأة السامرية يعطش (يوحنا ١٣/٤) .

ان كان الدواء الذي يوضع على الجرح يشفيه فلا يعود يؤلم ؛ فالقوت الذي يقضي على الجوع لا ينعش إلاّ لزمن يسير .

انك تشبع لزمن يسير ، ثم يعود اليك الجوع ، كل يوم يحضر العلاج انما جرح المرض لا يشفى . انت بحاجة الى الشبع لانك جائع وعطشان . فليكن فيك جوع وعطش الى البر ، لكي تشبع من هذا البر عينه الذي تعطش الآن وتجوع اليه .

الانسان الباطني جائع وعطشان ؛ له في الواقع غذاؤه وشرابه .

الاعتراف بخطاياك بدايةُ برّك . منذ ان امتنعت عن الدفاع عن خطيئتك بدأت تحزن ويكتمل برّك فيك ساعة لا يعود يفرحك سواه .

ويكتمل برك حين لا تعود الشهوة تستهويك ؛ ويبطل كل صراع بين اللحم والدم ، وحين تنال اكليل البر وتتغلب على العدو ويُبتلع الموت بالغلبة اذ ذاك يصبح برك كاملاً . احبَّ البر وليكن فيك عطش الى البر . للإثم لذّاتُه ، او ليس للبرّ لذاتُه ايضاً ؟

الاثم يمنح غبطة اثيمة ؛ أولا يَمنحُ البرّ غبطةً ؟

ان الخير يمنح فرحاً كاملاً ؛ بيد ان الله يمنحه العذوبة ؛ وقلبك يعطي ثمرته .

اما اذا لم يمنح الله اولاً عذوبته فقلبك لن يحوي سوى العقم . أطلب البرَّ يبدُ لك كلّ شيء تافهاً ؛ انّ ما كنت تعدّه عظيماً

يصبح امام ناظريك مليئاً بالاقذار ، جديراً بكل احتقار . أحبَّ البر لكي تجد درجات من يحرزون تقدماً . عليك في بدء الامر ان لا تؤثر شيئاً مما تحب على محبة البر : تلك هي الدرجة الاولى . ليزد فرحك بالبر ؛ لا لان الباقي لا يهمك امره بل لانك تؤثر البر عليه . في الواقع ، نرى بعض الاشياء تلبي طبيعياً رغبات ضعفك كالتوت والشراب اللذين يلتذ بهما الجائع والعطشان وكنور السماء الذي يبهجك لدى طلوع الشمس . وتفرح بالصوت الشجي والاغاني العذبة والروائح العطرية ويرتاح فيك حس اللمس الى كل ما له علاقة بلذة اللحم .

بين هذه الاشياء كلها التي تلذ لحواسك الجسدية منها ما هو مقبول ؛ الاعين تشعر بارتياح شرعي امام مشاهد الطبيعة الكبرى ولكنها تسرّ ايضاً بالمشاهد المسرحية : هذه محظورة عليك وتلك مقبولة . تسر الآن بسماع مزمورٍ ديني عذب الانشاد ولكنها تسرّ ايضاً باغاني المهرّجين : سرورها بالاولِ مقبول وبالثاني محظور . الشم يلتذ بشذا الزهور والطيوب ولكن رائحة البخور فوق هيكل الابالسة لذيذة ايضاً .

اللذة الاولى مقبولة والثانية ممنوعة . ان الاطعمة التي يسمح بها يستسيغها الذوق ولكنه يستسيغ ايضاً موائد الذبائح المحرمة : يسمح بذاك دون الثاني ؛ اعترف بوجود ملذات مقبولة واخرى ممنوعة على حواس الجسد . اجعل البر يلذ لك حتى تتغلب على الملذات المسموح بها ، عليك ان تؤثر البر على اللذة الشرعية .

فضّل اللذة العقلية على اللذة الجسدية : الملذات المحرمة يفرح بها جسدك ، اما البر العذب فيغتبط به عقلك بما فيه من خيرات لا منظورة جميلة نقية مقدسة ومتناسقة لكي لا تضطر الى الذهاب اليها بدافع من الخوف .

ان اندفعت اليها ، عن خوف ، فلست تجد فيها غبطتك . عليك ان

تمتنع عن الاثم ؛ لا خوفاً من العقاب بل حباً بالبر . اجبني : حين كنت تخطأ وتستلذ اخطاءك بدافع من الخوف ام من اللذة كنت تخطأ ؟

ستجيب : بدافع من اللذة . وهل تدفع اللذة الى الخطيئة والخوف يقود حتماً الى البر ؟؟ .

قارن بين البر والاثم ؛ وهل من شبه بينهما ؟ ايُحبُ هذا كما يُحب ذاك ؟ حاشا ان يكون المال هكذا ؛ ومع ذلك فليكن القياس ذاته .

اتبعتَ في الاثم اللذة ، فاحتمل الالم في سبيل البر ؛ وهذا اهم . قليل عليك ان تنبذ ما كنت تجد فيه غبطتك : احتقر ما كان يخيفك كالسجون والوثاقات والعذابات والموت .

متى تغلبت على هذه كلها وجدت البر .

اظهر ذاتك في الحالتين صديقاً للبر .

ان شئت الحصول على شيء ما ، عشت في حرارة هذا الشوق ؛ وهذا الشوقُ هو عطش النفس بالذات .

يتحرّقُ الناسُ شوقاً ونكاد لا نجد بينهم من يقول : نفسي عطشى الى البر . الناس هم عطاش الى العلم ولا يدرون بأنهم في صحراء تعطش نفسهم فيها الى الله .

اما انت فليكن فيك عطش الى الحكمة والبر ؛ لن تشبع من الحكمة وتمتلئ من البر قبل ان تنتهي حياتك هذه وتبلغ حيث وعدك الله .

لقد وعدك بالمساواة مع الملائكة : الملائكة في الوقت الحاضر لا يعطشون ولا يجوعون نظيرك بل يملكون وفرة الحق والنور والحكمة الخالدة . هم سعداء لانهم في تلك المدينة اورشليم السماوية ؛ وسعادتهم هي عظيمة جداً في المدينة التي تسير اليها الآن ، واذ يعتبرونك في منفى ، يشفقون عليك ويمدون لك يد المساعدة بامرٍ من الله لكي تعود يوماً الى ذلك الوطن المشترك حيث ترتوي واياهم من ينبوع الحق وازلية الله .

رب اني اركض الى الينبوع واطلب ينبوع المياه : فيك ماء الحياة والينبوع الذي لا ينضب ، وفي نورك النور الذي لا يخبو .

اني اتوق الى ذاك النور ، الى الينبوع الذي عرفته عيناي ؛ تستعد عيني الباطنية لان ترى ذاك النور ، وعطشي الباطني يتحرق للاستقاء من ذاك الينبوع .

الى الماء اركض ؛ واليه اتوق ؛ بيد اني لا اركض ركضاً عادياً كحيوان عادي انما اركض كالأيل ولا اتباطأ في ركضي . اني اركض بسرعة واتوق الى الماء بحرارة ؛ نفسي عطشى اليك ايها الإله الحيّ ؛ وكما يشتاق الأيل الى ينابيع المياه كذلك تشتاق نفسي اليك يا الله (مزمور ٩١-٢) .

متى آتي واظهر امام وجهك ؟ لاني الى هذا عطشان .

في منفاي انا عطشان وفي سفري عطشان ؛ لدى وصولي سوف اشبع ؛ ومتى آتي ؟ ما هو سريع بالنسبة اليك بطيء بالنسبة الى شوقي .

واحدة سألتك ان اسكن في بيتك طوال ايام حياتي .

اجعلني اسكن في بيتك لاتأمل في خيراتك .

ولكن ، طوال ذلك الوقت ، وبينا اتأمل واركض واسير في الطريق وقبل ان آتي واظهر فدموعي لي خبز ، نهاراً وليلاً .

دموعي هذه عذبة عليّ ، انا المحترق شوقاً الى ينبوعك ؛ وبما اني لا استطيع ان اشرب منه ألتهم بشراهة دموعي .

وبدون ريب حين التهم دموعي فهل ارتوي منها اكثر من مائك ؟

أفيض دموعي شوقاً في عسري ويسري ؛ وحماسي لا يزال مضطرباً ؛ ومع اني ناجح في هذا العالم فسوف اجد نفسي فيه ، دوماً ، شقياً ؛ طال ما اني لم اظهر امام وجهك .

الفصل التاسع : طوبى للرحماء

« طوبى للرحماء فان الله يرحمهم » (متى ٥/١٧) .

إعمل فيكون ؛ اعملْ لآخَر ليكونَ لك كما عملت له . انت في بحبوحة

وفي فاقة معاً ؛ انت مكتظ بالخيرات الزمنية ومحتاج الى الخيرات الابدية ؛ تسمع الفقير يستعطيك وانت ذاتك تستعطي الله .

تُسأل وتَسأل : ان الله يعاملك كما تعامل من يستغيث بك . انك مليء وفارغ معاً : املأ مما يفيض عنك من ليس له شيء لكي يمتلئ فراغك من ملء الله .

ان ما تقوم به هنا هو نافع لك بنوع خاص : «تعطي الفقير الذي يمرّ ويسأل ، ثم تبحث عن البار فتعطيه ؛ وبواسطته تلج المخادع الابدية لان من يقبل صديقاً باسم صديق يأخذ اجر صديق » . (متى ١٠/٤١) .

اعمال الرحمة بذار الحصاد الآتي :

ان من يزرع بالشح فبالشح يحصد ايضاً ؛ ومن يزرع بكثرةٍ فبكثرةٍ يحصد ايضاً ؛ ومن لا يزرع شيئاً لا يستغلّ شيئاً .

ازرع الآن تحصد في المستقبل ؛ ازرع ها هنا تحصد فوق ؛ الحصاد لا يقطع في الصيف ويزول ؛ انما يؤكل بفرحٍ يبقى . ولِمَ تطلب ما تتوانى عن اعطائه ؟ انت تريد شيئاً وتملك آخر : اعطِ ما لك لتستحق ان تأخذ ما ليس لك .

تأمل في عمل المرابي : اكيد انه يريد ان يعطي اقل مما يأخذ . إعملْ مثله ، أعط قليلاً وخذ كثيراً .

انظر كيف يزداد ربحُك : اعط ما هو زمني ؛ وخُذ ما هو ابدي ؛ أعط الأرض وخذ السماء .

الله نفسُه يذهب لملاقاة من يتوسل اليه ؛ انه يأمرك بان تقتدي به مخافة الاحجام عنه .

ليس الله بحاجةٍ اليك : انما لك اخ يحتاج اليك فأعطه ما يسألك يأخذ الله منك .

ليس للفقير شيء يعطيكه مقابل ما تعطيه ؛ واذ يريد ان يكافئك

فلا يجد لديه سوى الارادة الصالحة للصلاة من اجلك .

وكأني بالفقير يقول لله في صلاته من اجلك : رب لقد استدنتُ فكن لي كفيلاً . انت لا تلزم المدين باعادة دينك انما لك عليه ضمانة .

أعطِ ولا تخَفْ ، ان الله يفيك .

إقبل الغرباء ، اولست تعلم انك متى قبلت واحداً منهم ، قبلت المسيح .

أليس هو القائل : كنت غريباً وقبلتموني ؟ واذ يجيبونه : رب متى رأيناك هكذا ؟ يقول : «كل ما فعلتموه باحد اخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه » . (متى ٢٥/٣٥) .

حين تستقبل ضيفاً فانت عضو يخدم عضواً آخر ؛ والله الذي هو الرأس يبتهج ويعتبر صنيعك هذا مع احد اعضائه موجّهاً اليه .

وعليه ، أطعمْ ها هنا المسيحَ الجائع : إن عَطِشَ فأسقه من شرابك وان كان عرياناً فاكسه ، او مسافراً فاقبلْه ، او مريضاً فعُده .

عشْ ، على هذا النحو ، طوال سفرك ، حيث المسيح في فاقة ؛ انظر ايها المُقرِضُ البخيل لأنك إن لم تعطِ هذه الخيرات فسدت على الارض .

وماذا تصبح لو لم تعط تلك الخيرات ؟ ما كان مُعدّاً للهلاك فوق الارض يُحفظُ للسماء .

ستنال ما حُفظ لك: الاستحقاق محفوظ ؛ واستحقاقك كنزُك هنالك عملُ رحمة آخر : اتريد ان يعطيك الله ؟ أعط ايضاً .

نطالع في الانجيل : « اغفروا يغفر لكم ، اعطوا تُعطَوا » (لوقا ٦/٣٧) .

لله شيء عليك ولك شيء على الغير : اغفر يغفر لك الله .

انك تسأل الله شيئاً ؛ وآخر يسألك ايضاً : أعط يعطك الله .

ألا تعتبر اعمال الرحمة ذات قيمة ؟ انتبه لهذا القول « من لا يرحم يُدان بلا رحمة » (يعقوب ٢/١٣) .

ان من لم يرحم قبل دينونته يُدان بلا رحمة ؛ ان الرحمةَ تسمو على الدينونة وتُفضَّلُ عليها ؛ وكل من قام بعمل رحمة ، وان كانت عليه خطيئة تستوجب العقاب ، في يوم الدين ، فسوف يرى نار خطيئته تنطفئ تحت ماء الرحمة .

وماذا ؟ هل يُعتبر الله ظالماً حين يدافع عن اولئك ويغفر لهم ؟ الله عادل في موقفه هذا ؟ الرحمة لا تسلب منه العدل ؛ والعدل لا يسلب منه الرحمة .

انظر اذا كان الله ظالماً : اغفر يغفر لك ، واعطه يعطك .

انظر اذا كان ظالماً : بالكيل الذي به تكيل ، يكال لك .

انظر رحمته : اغفر يغفر لك .

فيك قياس للغفران ؛ وفي الله قياس لقبوله .

فيك قياس لاعطاء مالك ؛ وفي الله قياس لقبول ما ليس لك .

وهل انصف من ان يحبس الله عنك رحمته ، اذا انت لم تشأ ان ترحم قبل مجيء ديانك ؟ اما اذا صنعت رحمةً فسوف تدان برحمة . ذلك هو العدل ، وبالنتيجة ، اغفر إذا أسيء اليك ، وأعطِ ممّا يكثر بين يديك .

ومن اين لك ان تعطي اذا لم يكن لك من الله ما تعطي ؟ ان اعطيت ممّا هو منك فذلك لعمري سخاء ؛ ولكن ، بما انك تعطي ممّا يأتيك من الله ، فذاك وفاء ؛ واي شيء لك ولم تأخذه ؟ (١ كور ٤/١٧) .

ان الرحمة والتواضع والاعتراف والمحبة والسلام هي القرابين الاكثر قبولاً عند الله .

ومع ذلك ، لا تفكّر فقط بمن كان فقيرًا الى المال .

لاحظْ نوعيةَ فقر كل واحد : قد تكون غنياً بما ينقصه وبوسعك ان تغنيه .

ان اقرضت اعضاءك فانك تقرضهم مالاً وحسب ؛ وان كان محتاجاً الى مشورة فانت ذو حكمة ، ام فقيرًا الى نصيحة ، فانت غني بها .

اذ ذاك انت لا تشتغل ولا تخسر شيئاً : تعطي مشورة فتوفر له صدقة .

أحبب ، على هذا النحو ، قريبك ؛ ولا تهتم بنفسك وحسب ؛ بل انظر حواليك الى المحتاجين تزرع بالدموع وتحصد بالفرح .

ولكن الزم الفطنة ؛ لان الصدقة الحقيقية تأتي من القلب : ان بسطت يدك ، وكان قلبك خالياً من الشفقة ، فلست تعمل شيئاً ؟ اما ان عمّرَ قلبك بالشفقة ، وان لم يكن لك ما تعطيه بيد مبسوطة ، فالله يقبل صدقتك .

تصدّق بفرح لان الله يحب المعطي الفرحان (١ كور ٩/٧) .

حينذاك تعمل خيرًا ؛ وحسناً تعمله .

اما ان تصدقت وانت كئيب ، فالصدقة هي منك ، ولست تعملها جيدًا ؛ فلتكن فيك المحبة على رحبها : وسّع قلبك لئلا تكون تحت النير مع الكفرة .

رحابة المحبة وحدها تعمل باتقان ؛ إجعلْها فيك لئلا يضيع شيء من الخير الذي تعمله .

عواطف وصلوات

رب ، انك تبحث عني ؛ لا عن اموالي ؛ بيد ان ذبيحتي هي الرحمة تجاه المسكين.

وبها تُغفَرَ الخطايا ؛ امّا اذا لم تُغفر الخطايا فماذا يبقى منا سوى المتهم ؟ تقول لي : اغفر يغفر لك ، أعطِ تُعْطَ . حين تقول أعطِ تُعْطَ فاني انتبه الى من توجه كلامك .

انت يا الله تتحدث الى الانسان ؛ الذي لا يموت يتحدث الى من يموت ؛ وانت رب العائلة يتحدث الى المستعطي .

لا يجوز لك ان تأخذ ما اعطيت ؛ لقد وجدت الربح الذي اجنيه وهو ان اعطي لكي استرجع مع ربىً ؛ ولكن ، لا اعطي الانسان : بل اعطيك انت ايها العائش في بحبوحة ؛ اعطيك يا من اعطيتني ما انا اعطيه .

وعوضاً عمّا لا قيمة له وعمّا هو تافه وزهيد وزائل وأرضي وآيل الى فساد آخذ ما هو ابدي لا يفسد ولا يزول .

وهل ازيد على هذا القول ؟ يا من تعد ، انك تعد بذاتك ايهـا المَسْكن السعيد

والوطن الآمن ، فيه أعيش آمناً ، ولن اتخلى عنه ؛ لاني لن اجد ملجأ آمن منه .

ان كل ما ابحث عنه فوق الارض لا يمنحني سوى الخوف ولا ألقى فيه ادنى طمأنينة .

وطال ما انا مقيم في هذا المكان الشرير ، اي على هذه الارض ، فسأختار لنفسي مكاناً انتقل اليه من مكاني هذا الشرير .

ولكني لن استطيع الانتقال من هذا المكان الشرير الى المكان الصالح ان لم اعمل خيراً في هذا المكان الشرير .

ان شئت ان اسكن في هذا المكان المختار حيث لا احد يجوع وجب عليّ في هذا المكان الموحش ان اكسر خبزي بيني وبين الجائع . في ذلك المكان السعيد ليس من غريب الكل يعيشون في وطنهم ، ان شئت أن أصير الى حيث لا اجد غريباً ، وجب عليّ ان استقبل الغريب في بيتي .

سوف اضيف الغرباء في دنيا الآلام هذه ، وصولاً الى مكان السعادة حيث لا يمكنني ان اكون غريباً .

هناك لا يحتاج احد الى كساء حيث لا برد ولا حر ؛ وما حاجتي الى السقف والكساء ؟ سأقدم في مكاني هذا الموحش سقفاً لمن ليس له سقف ، بغية الوصول يوماً الى مقرّ الافراح حيث يكون لي سقف امين فلا اهتم بترميمه اذ لا يسقط عليه مطر .

ساعدني على ان اعمل صلاحاً في مكان التجارب هذا ؛ فآتي اليك في مقام الثواب . صعدتَ لتعدّه فأصل اليه مطمئناً واجده مُعدّاً ؛ لقد اعددته واريد ان امكث فيك .

الفصل العاشر : طوبى لانقياء القلوب

« طوبى للانقياء القلوب فانهم يعاينون الله » (متى ٥ : ٨) .

عليك في الحياة ان تشفي عين قلبك لكي ترى الله : تلك هي الغاية من الاسرار المقدسة والتبشير بكلمة الله ؛ ولذلك تتخذ الكنيسة التعاليم الاخلاقية الملائمة لتقويم الآداب والقضاء على الشهوات اللحمية والكفر بهذا العالم عن طريق الكلام وتغيير اساليب الحياة .

ان كل ما تقدّمه الكتبُ المقدسة الالهية لا يهدف إلاّ الى تنقية النظر الباطني مما يمنعه عن رؤية الله . وكما ان العينَ خُلقتْ لترى هذا النورَ الزمني حتى اذا دخلها جسم غريب عكّر صفوها وفصلها عن رؤية ذلك النور كذلك هي عين قلبك فانها ان تعكّرت وجُرحَتْ ، مالتْ عن نور البر وما تجاسرتْ او تمكنتْ من النظر اليه .

متى توصلت الى مشاهدة الله لن تعود تبحث عمّا تصنعه الآن اوعمّا تُجهدُ نفسك ، سعياً اليه ، وعمّا يضرم فيك الحماس المبرور او عمّا تتوق اليه ببراءة ؛ وماذا تطلب ان كان الله حاضراً .

واي شيء يكفيك ان لم يكفك الله ؟

انت تريد ان ترى الله وتتوق الى رؤيته وتتحرق شوقاً اليه ، ومن الذي لا يتوق اليه ؟

ولكن انتبه الى ما قد قيل : « طوبى للانقياء القلوب فانهم يعاينون الله » هيّئ اذن ما يسمح لك بان تراه .

ان تكلمتَ بحسب الجسد فكيف تريدُ انت ان ترى طلوعَ الشمس بعينين مريضتين ؟ اعمل على ان تكون عيناك سليمتين فتفرح بالنور . اما اذا كانتا مريضتين فالنور عذاب لهما .

لن يُسمحَ لك بان ترى بقلب دنس ما لا يُرى الاّ بقلب نقي ؛ سوف تُصدّ وتُبعَد ولن ترى شيئاً . كم أحصى المسيحُ من سعداء ؛ وما اكثر ما تكلم عن اسباب السعادة ؛ كما تكلم عن ذوي الاعمال والخدمات والاستحقاقات والمكافآت بيد انه لم يقل عنهم « انهم يعاينون الله » .

طوبى للمساكين فانهم يعزون .

طوبى للجياع والعطاش الى البر فانهم يُشبعون .

طوبى للرحماء فانهم يرحمون .

ولم يقل ابداً .. سوف يعاينون الله .

واذ تكلم عن ذوي القلوب النقية وعدهم بمشاهدة الله ، والسبب هو ان لهم عيوناً يشاهدون الله بها .

وما الذي يعكّر صفاء عين قلبك ؟ الشهوة والبخل والاثم واللذة العالمية . هذا كله يعكر ويغلق ويعمي عينَ القلب .

وكيف لا يبحثُ الانسانُ عن الطبيب متى كانت عينُ جسده عكرة ؟ وبأية سرعة ينتظر فتحها وتطهيرها لتشفى وتتمكن من رؤية النور الخارجي من جديد ؟

انت تركض ولا تتوقف ولا تتمهل ولو وقعت في عينك قشة صغيرة ؛ اكيد بان الله صنع الشمس التي تريد ان تراها بعينين سليمتين ، فالخالق اكثر ضياء ؛ وذاك النوع من النور ليس هو الذي يصل الى عين النفس . ان النور الذي يلائمها هو الحكمةُ الازلية .

ايها الانسانُ ان اللهَ صنعك على صورته : ألم يُعطك ما يلزم لترى الشمس التي صنعها حين صنعك على صورته ؟

اليك ما اعطاك : لقد اعطاك عينين جسديتين وعينين نفسيتين ولكنك تغالي في حب عينيك الجسديتين وتُهملُ هذا النظر الباطني الذي تتركه بالياً وجريحاً ؛ لو شاء الله أن يظهرَ لك ، لكان لك سبب عذاب ، قبل ان تُعنى بعينيك وتبرأ .

حين خطئ آدم في الفردوس اختبأ عن وجه الله ؛ ويوم كان قلبه سليماً ، بنقاوة ضميره ، سُرَّ بوجود الله . ولكن بعد ان جرحت الخطيئة عينيه الباطنيتين بدأ يخاف النور الالهي ولجأ الى كثافة الاوراق هرباً من الحقيقة الى الظل .

عواطف وصلوات

رب ، هبني ان اعرفك في صلاحك فأبحث عنك في بساطة قلبي .

يقول لك قلبي : سأطلب وجهك .

اطلب وجهك ، ربِّ ، حين اطلبك بقلبي ؛ لك بيت تسكن فيه ، ولكن ، اين تسكن ان لم يكن في هيكلك ؟

قلبنا هيكل لك ؛ علّمني ان استقبلك فيه . انت روح ؛ وعليَّ ان اسجد لك بالروح والحق . فليدخل الى قلبي تابوت العهد ولتهدم فيه كل الاصنام .

إجعلني اسمع صوتك واتعلّم ان اتوق اليك ؛ اجعلني اتعلّم ان اهيّئ ما يؤهلني ان اراك .

طوبى لجميع من يرونك ؛ انهم يرونك ؛ لا لانهم كانوا في هذا الحياة مساكين بالروح ، ودعاء وحزانى ، جياعاً ورحماء ، محتاجين الى البر ؛ بل لان قلوبهم نقية .

التواضع افضل للملكوت ، والوداعة للارض ، والحزن لان يُعزّى ، والجوع والعطش الى البر لان يشبع ، والرحمة لان تنال رحمة ، والقلب النقي لان يراك .

اني اريد ان اراك ، اريد شيئاً عظيماً ؛ وانت تحثّني على ان اريده . اعطني ان اطهّر قلبي لان ما اريد ان اراه ، نقيّ ؛ انما العين التي بها انظر هي فاسدة .

انت تريد ان تأتي اليّ لكي اتمكن من رؤيتك ، يا من قلت : أنا وابي نأتي اليه ونصنع عنده منزلاً . تعالَ اليَّ يا رب ونقّني بنعمتك ؛ نقِّ قلبي بمساعداتك وتعزياتك .

ساعدني حتى تكثر فيَّ ، بواسطتك ومن اجلك ، الاعمال الصالحة والرحمة والمحبة والصلاح ؛ نقِّ قلبي وأنره ؛ وكن بيتاً وملجأ ، انت بيتي ، اسكن فيَّ لاتمكن من السكنى معك ؛ لاني ان قبلتُك في قلبي في هذا الزمن ، فستقبلني امام وجهك في الزمن الآتي .

الفصل الحادي عشر : طوبى لفاعلي السلامة

« طوبى لفاعلي السلامة فانهم ابناء الله يُدعَون » (متى ٥/٩).

الكمالُ في السلام حيثُ كلّ شيء مقبول ؛ ولذا فان فاعلي السلامة هم ابناء الله ؛ اذ لا شيء يخالف الله ؛ وعلى الاولاد ان يتشبهوا بابيهم .

فاعلو السلامة في نفوسهم هم الذين يسيطرون على جميع ميولهم النفسية ويخضعونها للعقل اي للفكر والروح ؛ وقد كبحوا جماح شهواتهم اللحمية وصاروا ملكوت الله ، حيث انتظم كل شيء وراح ما هو سامٍ في الانسان

ورفيع بأمر ما دونه المشترك بين الانسان والحيوان ؛ ثم ان ما سما في الانسان، اي الفكر والروح ، هو عينه خاضع للاسمى منه اي لله .

وفي الواقع يستحيل عليك ان تَحكُمَ من هم دونك ، ان لم تخضعَ لمن هو أعلى منك ؛ وذاك هو السلام الذي يهبُه اللهُ في الارض لذوي الارادة الصالحة ؛ وهذه هي حياة الانسان الحكيم الاصيل الكامل .

اتريد السلام ؛ إعمل براً يكن لك السلام : « السلام والبر تعانقا » (مزمور ١١/١٣٤) .

ان لم تحبَّ البر فلن يكون لك سلام ؛ لان البرَّ والسلامَ يتحابّان ويتعانقان ؛ حتى انك اذا اتممت البر ، وجدتَ السلام يعانقه .

سلِ الناس اجمعين : أتريدون السلام ؟ يجيبُك الجنس البشري بأسره، وبفم واحد : اتوق اليه واريده واحبه .

وأحبَّ العدل ايضاً لان العدلَ والسلامَ صديقان يتعانقان ؛ ان لم تحب صديق السلام فلا يحبك السلامُ عينُه ، ولا يأتي اليك .

واين العظمة في ان يشتهي الانسان السلام ؟ كل شرير يشتهيه ، لان السلام شيء حسن .

ولكن إعمل البر ، لان البر والسلام يتعانقان ولا يتخاصمان .

ولمَ تخاصم البر ؟ هوذا البر يقول لك : لا تعمل سوءًا ؛ وانت لا تسمع له . هوذا البر يقول لك : لا تعمل للغير ما لا تريد لنفسك ولا تقل ما لا تريد ان يقال لك ولا أن تسمعه .

عدو انت لصديقي يقول لك السلام فلم تبحث عني ؟ انا صديقُ البر وكلُ من كان عدوًا لصديقي فلن آتي اليه .

وعليه ، ان شئت ان تأتي الى السلام ، فاعمل البر : ابتعد عن الشر واعمل الخير ؛ هذا هو حب البر ؛ وحين تبتعد عن الشر وتعمل الخير فاطلب السلام واتبعه .

أحبَّ أخاك ان احببت السلام ؛ لان من يحب اخاه يتحمل اخاه ؛ ويتحمل كل شيء في سبيل الوحدة ؛ ليكن حبّك لاخيك بان تبذل نفسك عنه .

ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً إنما هو برّ وسلام وفرح بالروح القدس؛ ان اكرمتَ الله بهذا ارضيته ورضي الناس عنك . اتبع ما هو للسلام ترضى قريبك في الخير من اجل البناء؛ وان كنت قوياً ، عليك ان تتحمل ضعف الضعفاء لا ان ترضي نفسك ؛ احذر الغش في اعمالك واجتنب الكذب والخبث والثرثرة ولا تنقل الى الغير كلام السوء ان سمعت أحداً يغتابه .

وان سمعت كلاماً ممّن هو غضبان او مضطرب او حزين فخلّه في سرك ؛ وما الفائدة من نشره واعلانه ؟ لن يُؤذيك ان بقي في باطنك .

احبَّ السلامَ واحب السلام ، عانقْه وتشوّق اليه في بيتك وفي عملك ومع زوجتك وبنيك وخدّامك واصدقائك واحبه ايضاً في اعدائك .

السلام لا يحكم على ما ليس اكيداً ؛ ولا يثبت ما ليس معروفاً ؛ انما هو ميّال جداً الى ان يَظنّ بالانسان خيراً لا سوءًا .

انه لا يكتئب كثيرًا حين يغلط ويظن خيرًا بمن هو شرير ؛ بل يحزن حين يظن سوءًا عن جهل بمن هو بار .

ليكن السلام حبيباً لك وصديقاً ؛ واجعل قلبك مضجعاً له نقياً . ولتكن لك معه راحة مطمئنة بدون مرارة ، وعناق عذب ، وصداقة لا تنفصم عراها .

امتداحُ السلام اصعبُ من الحصول عليه .

ان شئتَ امتداحَه طلبت القوة والمعاني والالفاظ ؛ امّا ان شئتَ الحصول عليه كان لك بلا تعب .

علينا ان نمتدح محبي السلام اما مبغضوه فمن الافضل تهدئتهم بالصمت والتثقيف دون ان تثيرهم بتوجيه اللوم اليهم .

صديق السلام الحقيقي هو من كان صديقاً لاعدائه .

ان احببت السلام حقاً ، فارحم من لا يُحب ما تحب ؛ أي هذا الذي ليس له ما لك . يقضي عليك الحبُ بان لا تحسد شريكك في الحب ، له السلام معك ؛ ولا تقتصر ملكيته عليك دون سواك .

ان احببت ما هو ارضي يصعبُ عليك الاّ تحسد مالكه .

أحبَّ السلام واستول عليه ، واجعله مُلكاً لك ؛ اجذب اليك كل من استطعت اليهم سبيلاً لكي يحوزوا السلام : يتسع مدى السلام باتساع عدد مالكيه .

لا يستوعب المسكن الأرضي عدداً كبيراً من السكان ؛ اما امتلاك السلام فانه ينمو بنمو الساكنين تحت رايته .

عواطف وصلوات

رب ، ما احسن حب السلام ، فمن يحبه يعوزه . ومن ذا الذي يأبى ان ينمو ما يحب؟ ان شئت السلام لعدد ضئيل معي ، فسلامي حقاً ضئيل .

وان شئتُ اتساع مُلك السلام وجب عليَّ ان اضيف عليه مالكين آخرين .

انا لا اطلب بالمال ما احب ؛ ولا اسعى في اثر محام يوصلني اليه : ها انذا واقف هنا احب السلام ، والسلام الذي احبه معي .

المسألة باطنية : اني لا اعطي السلام كما اعطي الخبز : لو شئت اقتسام الخبز بيني وبينهم لتضاءل نصيب كل منهم بتكاثر عددهم . السلام شبيه ، بذلك الخبز الذي كان يتكاثر في ايدي تلاميذك ساعة كانوا يوزعونه . أعطي السلام لكي اجذب اليه الآخرين ؛ فأكون اول الحاصلين والمحافظين عليه ؛ اضرم فيَّ ما هو لي لكي يُشعل الآخرين .

الفصل الثاني عشر : طوبى للمضطهدين على البر

« طوبى للمضطهدين على البر فان لهم ملكوت السماوات » (متى ٥/١٠) .

كثيرون يمتحنون وينالون العقاب ذاته ؛ انما السبب يختلف : المجرمون يتحمَّلون عذابات كثيرة وكذلك اللصوص والقتلة والسفاكون والشهداء ؛ ولكن العقاب لا يعمل شهيداً بل السبب .

ايها العائش في هذا الجيل ، أياً كنت ، اعمل لتنال سبباً صالحاً ؛ حتى اذا ما حدثَ لك شيء في هذا العالم تغادره لسببٍ صالح .

إختر السببَ ولا تهتم بالعقاب .

اما اذا لم تختر السببَ فسوف تتعذبُ الآن وفي المستقبل .

لا تخف امام عذابات الاشرار والأئمة واخصام السلام واعداء الحقيقة وعقاباتهم ؛ وفي الواقع ، انهم لا يموتون في سبيل الحقيقة بل يموتون لئلا يبشرَ بالحقيقة ويكرز بها ويعمل بموجبها ، انهم يموتون لئلا يحب الناس الوحدة والمحبة ويستمسكوا بالابدية .

يا له من سبب شرير . وبالنتيجة فالعذاب عقيم لا ثمر له .

الا تذكرُ ايها المتباهي بعذابك ، الصلبان الثلاثة يوم تألم الرب ؟ بين لصين ، تألم الرب ؛ ولم يفصل بينهم العذاب بل السبب .

البار لا يخشى القضاء ؛ وليس فيه ما تلتهمه النار : حيثُ كل شيء ذهب فهل يُخشى اللهيب ؟

قال صاحب المزامير « ميز قضيتي » ، لو انه قال : ميِّز عذابي لقيل له : اللص تحمَّل العذاب .

ايقول : ميِّز صليبي ؟ الزاني مسمَّر عليه .

ايقول : ميِّز وثاقاتي ؟ اللصوص ايضاً موثقون .

ايقول : ميِّز جراحي ؟ المجرمون ايضاً ماتوا بالسيف .

واذ رأى ان الآلام مشتركة بين الاخيار والأشرار هتف قائلاً :

ميّز قضيتي عن الأمة الشريرة .

ان ميّزت قضيتي كلّلتَ صبري .

شهداء حقاً هم الذين قال عنهم الرب . طوبى للمضطهدين على البر .

شهداء حقاً هم الذين اضطُهدوا لا على الاثم بل على البر .

ان لم يكن السببُ يصنع الشهداء بل العذاب فباطلاً تضيف على «طوبى للمضطهدين» لفظة «على البر» .

لا تبحث عن المجد في الألم ؛ بل ، أظهر اولاً سبب الألم .

انت تظهر العذاب وانا اسأل عن السبب .

انت تقول : لقد تألمت . وانا اقول : لِمَ تألمت ؟

لانك لو نظرت الى الآلام وحدها كما قلت لوجبتْ مكافأة اللصوص أيضاً .

واذا حقّ الفخرُ بالالم فللشيطان ايضاً ان يفخر .

اخترْ لنفسك السببَ وهلمّ الى العذاب مطمئناً . ان كنت مدفوعاً اليه بسببٍ صالح نلت الاكليل بعد العذاب .

عواطف وصلوات

لقد صرتَ لي ، يا رب ، ملجأ وعوناً لرجائي .

انك تجازي الاثمة بحسب اعمالهم ، وبحسب شرهم تبدد شملهم .

انك تدرّبني ولا شك ، وتجلدني بواسطة الاشرار ؛ وبذلك تعلّمني سبيل الارث الابدي وتفضلني على الناس الاشرار الذين تتخذهم لتدرّبني وتكمّل محبتي التي تريد مني ان اشعل بها اعدائي انفسهم .

لن تكون محبتي كاملة الاّ اذا عملتُ خيرًا ، مع من ابغضونني ، وصلّيت لمن يضطهدونني . هناك يهزم الشيطان وأحوز اكليل النصر .

وانك تجعلني افيد من الناس الاشرار فتؤجرهم بحسب شرهم ؛ وليس وفقاً لما جعلتني افيد انا منهم .

واي خير جعلتنا ؟ نجّني من جريمة الخائن يوضاس .

لقد سلّمك الى العذاب ؛ وبعذابك هذا افتديت الأمم كلها للخلاص ؛ ولم تعطِ يوضاس حقه حباً بخلاص البشر بل جازيته بالعقاب المفروض بسبب خبثه وشره .

انه لم يسلّمْك عنا بل عن الفضة التي باعك بها ؛ مع ان تسليمَك كان استقبالاً لنا وبيعتك خلاصاً .

وعلى هذا النحو فان الذين اضطهدوا قديسيك كانوا يلاحقونهم على الارض فيرسلونهم الى السماء . واذ كانوا عارفين بأنهم يؤذونهم في حياتهم الحاضرة كانوا يجهلون انهم يكسبونهم من جراء ذلك ، الحياة الاخرى .

وكما ان صلاح الابرار يؤذي الاشرار كذلك فان إثم الكفرة يمكن ان يكون نافعاً لي.

سلاحي ، الذي الى الشمال ، هو حيث الاشرار ؛ وسلاحي ، الذي الى اليمين ، هو مجدك والصيت الحسن والحق وسائر الفضائل .

وبالتالي فانك لا تجازي الاشرار بحسب الفائدة التي جنيتها منهم ؛ بل تجازيهم بحسب آثامهم التي احبوها فأبغضوا نفوسهم .

ولست تكرمهم عن الخير الذي حققته لي بواسطتهم ، يا من يستعمل الشر للخير ؛ بل تهلكهم بحسب شرهم .

الفصل الثالث عشر : في انه يجب ان نحتمل الاشرار بصبر

نعلم بان الكثيرين ، ممّن ندعوهم مؤمنين ، يعيشون حياة شريرة ، ولا يتجاوبون خلقياً مع النعمة التي نالوها فيسبحون الله بلسانهم ويجدفون عليه بحياتهم.

ونعرف آخرين كثيرين منهم ، كما في وسط كومة كبيرة من التبن يئنون كما الحبة في الدياس ، ولكنهم يتعزّون على رجاء الوصول الى الاهراء .

ونعلم بان هذين النوعين من البشر هما في الكنيسة .

وعرفنا الكنيسة بيدرًا للرب : انا لنرجو التذرية في يوم الدين ، ونتوق الى كومة الحنطة يوم القيامة ؛ ونشتهي الاهراء في الحياة الابدية .

لن يكون هناك ايةُ قشة كما لن يكون في جهنم ايةُ حبة حنطة.

ويميّز بين الابرار والاشرار ، يوم الدين ، وليس كما هي الحال الآن.

لانّا لسنا الآن مميّزين بحسب الامكنة ، بل بحسب الاخلاق والعواطف والرغبات والايمان والرجاء والمحبة .

وفي الواقع إنّا لنعيشُ جنباً الى جنب مع الاشرار ؛ دون ان تكون حياتُنا واحدة ؛ في الخفاء نميّز وفي الخفاء نفصل ؛ كما يفصل الحب على البيدر لا كما يفصل في الاهراء .

والحبُ يفصل على البيدر ثم يخلط : يفصل حين يعرّى من التبن ؛ ثم يختلطُ به قبل ان يذرّى .

سيكون الانفصال في الدينونة واضحاً كما هي حال الاخلاق والحياة وحال الانفس والاجسام .

في يوم الدين ، تقف النار امام الديان وحوله عاصفة قوية .

وترفع العاصفة التبن عن البيدر ثم تحرقُ النارُ ما حملته العاصفة .

اياك ان تنفصل او تتفكك . ان كنت مسحوقاً تحمّل التبن حتى التذرية . وهل تريد ان تذهب عن البيدر؟ ان كنت حنطة خارجاً عن البيدر فسوف تجدك الطيور وتجمعك .

وفضلاً عن ذلك وبحيث أنك تبتعد وتطير تدل على انك تبن ؛ واذ كنت خفيفاً جاء الهواء وحملك من بين اقدام الثيران .

اما من كانوا حنطة ، فيحتملون الدياس ويفرحون ، لكونهم حنطة ؛ ثم يئنون وسط التبن ، منتظرين من يذرّيهم ، ذاك الذي يعرفون فيه مخلصاً لهم .

اثبت على البيدر تحت ثقل المحبة لتصل الى الملكوت الخالد .

اسمع صوت الرب « ها أنذا اقضي بين نعجة ونعجة وبين كباش وتيوس » (حزقيال ١٧/٣٤) .

وماذا تصنع هنا التيوس مع قطيع الله؟ انها ترعى في المراعي وتشرب من الينابيع ذاتها ؛ والتيوسُ المعدة للشمال تختلطُ بالتي هي عن اليمين ، تُقبلُ اولاً ثم تميّز بعدئذ ويتدرّبُ صبرُ النعاج ، نظير صبر الله .

فصْلُهم ، الى اليمين ، هو لله وحده هو لله .

انه الآن صامت ، وانت هل تريد ان تتكلم؟

ان ما يدفعني الى القول : أتريد أن تتكلم؟ هو عينُه يدفعهُ الى الصمت انه انتقام الحكم وليس كلام الاصلاح .

هو عينه لم يميّز وانت هل تريد ان تميز؟

هو عينه الذي زرع يقبل بالاختلاط .

ان اردت تنقية الحنطة قبل التذرية فسوف يذرّيك هواؤك تذريةً سيئة .

ذُهِلَ الخدمُ وحزنوا حين رأوا الزؤان مع البذار الجيّد فقالوا « ألم تزرع بذاراً جيداً ، فمن اين اتى الزؤان؟ » .

وبيّن المعلم كيف ظهر الزؤانُ ؛ ولكنه لم يسمح باقتلاعه قبل الاوان ؛ ومع ان الخدام قد دهشوا امام الزؤان فقد انتظروا رأي المعلم ومشورته .

ولم يكن الزؤانُ مقبولاً بين الزرع ، ولكنّ الخدم كانوا يرون انهم اذا اقتلعوه تلقائياً ، كانوا اشبه بالزؤان عينه .

وانتظروا رأي المعلّم وسألوا مليكهم ماذا يريد ان يعمل « أتريد ان نذهبَ ونجمعَه؟» اما هو فقال : كلا ، مبيناً لهم السبب قائلاً « لئلا تقتلعوا معه القمح ايضاً » .

هدّأ روعهم ولم يتركهم مكتئبين ؛ لقد بدا خطراً للخدم وجودُ الزؤان بين القمح ؛ ولقد كان ، حقاً ، خطراً ؛ ولكن حالة الحقل شيء وراحة الاهراء شيء آخر .

إصبرْ لانك لهذا ولدت ؛ وتحمّل لانك قد تكون محتملاً .

ان كنت دائماً على صلاح ، فكن رحيماً ؛ اما ان كنت على شر احياناً ، فاياك ان تنسى .

ومن ذا الذي هو دوماً على صلاح ؟ انه لأسهلُ على الله ، ان راقبك دوماً بانتباه ، ان يجدك على شرّ حتى اليوم ، من ان تجد انت ذاتك دوماً على صلاح .

وبالنتيجة يجب احتمال الزؤان في الحنطة والجداء بين الخراف والتيوس بين النعاج . سوف ينتهي خليطُ الحقل ويأتي تمييز الحصاد .

يطلبُ منك الرب ، الآن ، ان تكون صبورًا كما قدّم لك ذاته مثالاً في الصبر حين قال لك : لوشئت ان أدين الناسَ الآن ، فهل يمكنني ان اخطأ ؟

ان كنتُ انا القاضي دوماً بالعدل ، ولا يمكنني ان اخطأ ، أرجئ قضائي ، فكيف ، وانت الذي لا تعرف كيف تدان ، تسرعُ في اصدار حكمك ؟

تأمّل موقفه مع خدامه الذين ارادوا ان يقتلعوا الزؤان قبل الوقت ، وكيف لم يسمح لهم بذلك حتى في الحصاد اذ قال : في زمن الحصاد سأقول للحصادين ولم يقل : سأقول لكم .

واذ بدأ يشرحُ كلَّ شيء بالتفصيل قال « الحصادون هم الملائكة » .

اما انت المتمنطق بالجسد ، الحاملُ الجسد ، ولربما انت اللحم بكاملك ، اللحم بالجسد واللحمي بالفكر ، فانك تتجاسر على ان تغتصب وظيفة ليست لك ؛ ولن تصيرَ لك حتى الحصاد .

وانتم يا من تحيون حياة صالحة ، قلةٌ بين كثرة تتنهدون ؛ وقلةٌ بين كثرة تنوحون . سينقضي الشتاء ويأتي الصيف ، ثم يُقبل الحصاد « وسيأتي الملائكة لكي يميزوا ولا يغلطون » .

انّا لخدام ولسنا بحصادين « إنّا بشر والملائكةُ هم الحصادون » .

وسنكون متساوين وملائكةَ الله ان اكملنا شوطنا «امّا الآن وبينا لا نزال تحت رحمة الاشرار فنحن بشر . »

ولذلك فكل من ظن نفسه واقفاً فليحذر من السقوط .

اتظنون ان هذا الزؤان يصل الى القمم ؟ اتظنون انهم تحتُ وليسوا فوق ؟ حاشا لنا ان نكون زؤاناً .

اني اقول واثقاً : على القمة حنطة وزؤان ؛ وكذلك في الأعماق حنطة وزؤان .

على الصالحين ان يحتملوا الطالحين ؛ وعلى هؤلاء ان يغيّروا ما بنفوسهم ويقتدوا باولئك .

فلنأخذ الله كلّنا مرجعاً لنا ، ان امكن ، ولنلقِ ما في العالم من شرّ على رحمته .

فلنطلب ايام السعد ، لانّا في ايام النحس ؛ ولكن ، علينا ، في ايام البؤس ، ان نحيا حياة صالحة ، لنتمكّن من الوصول الى ايام السعد .

عواطف وصلوات

ربّ ، الى اي منفى اروح كيلا انوح بين اخوة غرباء عني ؟ اين اذهب ؟ ماذا اعمل ؟ أأطلب الوحدة ؟ الشكوك تتبعني .

وهل أنفي ذاتي عن الناس ، انا السائر سيرًا حسناً حتى لا احمل البتة اي انسان ؟

وماذا يحلّ بي ان رفض انسان ان يحتملني قبل ان اتقدم ؟

وعليه ، فان كنت في سيري ارفض ان احتمل اي انسان ، اقتنعتُ بانه لا يسعني ان اتقدم .

اوليسَ فيّ ما يجب ان يحتمله انسان آخر ؟

اني اعجب من عكسه ؛ عليّ ان اكون قوياً في تحمّل الآخرين بقدر ما ليس فيّ ما يجب على الآخرين ان يتحملوه ؛ ان لم اكن عبئاً على الآخرين ، فعليّ ان احتملهم

لقد تحمَّل موسى ألوف التذمّرات ضدك وألوف الاهانات لاسمك القدوس .

وتحمَّل داود شاول مضطهده ، الذي كفر بسنَّة الله وتسلَّح بالاخلاق الاثيمة وسعى لدى السحرة وفنونهم لمعرفة جهنم ؛ ثم انتقم للقتيل ودعاه مسيح الرب بسبب سر المسحة المقدسة .

وصبر صموئيل على اولاد عالي الاشرار وعلى بنيه الائمة الذين لم يصبر عليهم الشعب ، ولما اتهم الشعب ، من قبل ، حقيقة الهية أصلحَ بقساوة الهية ؛ ومن بعد ذلك صبر على ذاك الشعب المتكبر الذي كان يحتقرك .

وانت ايضاً يا رب رأيت خائنك فاخترته ، لانه ضروري لعملك . وجعلت من شره خيراً كبيراً وهو الذي اختير من بين الاثني عشر لئلا يكون الرقم ١٢ هذا، على صغره، بلا شر .

واعطيتنيه مثلاً في الصبر ، لانـــه يفرض عليّ ان اعيش بين اشرار ؛ عليّ ان اصبر على الاشرار ، سواء أعرفتهم ام لم اعرفهم ، وقدمته لي مثلاً في الصبر ، لكيلا اغترّ متى بدأت اعيش فيما بينهم .

وطال ما ان هذا الدرس لم يكن سبب عثرة للاثني عشر فأحرِ بي الآن ان اكون اكثر ثباتاً ؛ وقد تمت ، في الكنيسة ، بمزج الاشرار والابرار ، الاعمال الكبرى التي قد تنبأت عنها ؟

أيعرف الرسام اين يضع اللون الاسود لكي تأتي اللوحة جميلة ، وانت لا تعرف اين تضع الخاطئ لكي تكون الخليقة منتظمة ؟

يظلّ بعض الناس اشرارًا لكي يولَد منهم الابرار .

وهل شرّ إلاّ من الشيطان ؟ وكم خيرٍ صنعت بسبب شره ؟ لم يهرق دم الفادي لخلاصنا الا بسبب شرّ الخائن .

ربّ ، ان انت ساعدتني فسوف اصبر على العالم وبلاياه وتجاربه .

عليّ ان لا ابتعد عن الطريق وان امسك بوحدة الكنيسة وامسك بك وبالمحبة .

لا تسلخني عن اعضاء عروسك ولا عن الايمان ؛ لكي اتمجد بك ، حاضرًا ، واثبت فيك مطمئناً الآن بالايمان ثم بعدئذ بالمشاهدة التي ارجوها بنعمة الروح القدس.

الفصل الرابع عشر : في محبة الاعداء

اعلّمك ان تقتدي بالمسيح .

ان احببت المسيح فأحبب جميعَ الناس ، أحبَّ اصدقاءك واحبَّ اعداءك .

ان المسيح المعلّق على الصليب قال : « اغفر لهم يا ابت لانهم لا يدرون ما يصنعون » (لوقا ٢٣/٣٤) .

لك ارسل هذه الكلمة لكي يسمعها الكل .

كان بوسعه ان يصلّي عن صالبيه بصمت ؛ انما كنت حرمت من المثال . بكلام قليل علّمك ما يستطيع اي انسان احمق ان يقوله؛ وعلى ذلك الكلام أسّس قضيتك .

وعلّمك المعلمُ السماوي ان تصلي ؛ علّمك ان تصلّي وفرض عليك الصلاة لانك كنت مجرماً . افرحْ لان محاميك في الوقت الحاضر سيكون لك ديّاناً في المستقبل .

انت مدين لمن لا يغش ولك انت ايضاً مدين .

انت مدين لله ومدينك هو قريبك ؛ ويصنع الله بمدينه ما انت صانعه بمدينك . وانّ ما تسامح به مدينك تقدّمه هديةً لله .

انت تطلبُ من الله رحمةً فلا تتهاون في رحمة القريب .

ان اللهَ يريد رحمةً لا ذبيحة .

لا تقرّب قرباناً بلا رحمة ؛ اذ لا تغفر لك خطاياك الا اذا قرّبت قربانك برحمة .

ولا يكفيك ان تسامح ؛ عليك ان تحب ، تمنَّ على عدوك ان يكون شريكاً لك في الحياة الابدية ، وان يكون لك اخاً .

ان كنت تتمنّى في محبتك لعدوك ان يكون لك اخاً ، فمتى احببته احببت اخاً .

اياك ان تحب فيه ما هو عليه ؛ بل ما تريده ان يكون .

ان اللهَ يحبّ الخطأة ؛ ولكنه لا يحبهم خطأةً لكي يظلوا خطأة .

عندما صلّى المسيحُ على الصليب عن الخطأة اراد ان يغيّروا ما بنفوسهم، ورفعهم من مصاف الاعداء الى مصاف الاخوة ، ولقد حقّق ذلك فعلياً .

اقتدِ بالمسيح ، ايغضب عليك الانسان؟ إن غضب فصلّ ؛ وان ابغض فارحم .

انه يبغضك بنفس محمومة ولكنه سوف يُشفى ويشكر لك .

ان أبغضك عدوّك ظلماً سوف يعلم ان جشع العالم الذي هو فيه يبغضك ، وذاك هو سبب بغضه لك .

ان ابغضته انت ايضاً ، رددتَ له الشر شرًا .

كنتُ ابكي مريضاً ابغضك. اما وقد ابغضتَه انتَ ايضاً فصرتُ ابكي مريضين.

ان اضطهد قضيتك ، حرمك ممّا كنت تتمتع به على الارض ، فابغضته لانه ضيّق عليك فوق الارض .

لا تتوقف عند هذه الاحزان بل ارتفع الى فوق ، الى السماء ؛ وقلبك يكون حيث المدى الرحب ولست تشكو ضيقاً عندما ترجو الحياة الابدية .

تأمّلْ بما يأخذ منك ؛ اذ ، لو لم يسمح له بذلك الله الذي يجلد الابن الذي يرضى عنه ، لما انتزع منك ما انتزع .

عدوك هو بمثابة مبضع الله الذي يشفيك ؛ ان رأى مفيداً انتزاع شيء منك سمح له بان يهاجمك ويضربك ؛ انه وسيلة للاعتناء بك ، فاطلب له ايضاً الشفاء .

ان احببتَ عدوك اقام الله فيك وكَمُلتْ محبتُه لك .

باشر بالمحبة تصبح كاملاً .

ان باشرت بالمحبة بدأ الله يسكُن فيك ؛ احبّ ذاك الذي بدأ يسكن فيك لكي يصيّرك كاملاً ، بسكناه فيك ، على وجه اكمل .

قال المسيحُ وهو على الصليب «اغفر لهم يا ابت لانهم لا يدرون ما يفعلون» .

اقتدِ بمعلّمك ، بربك والهك ؛ وهل كثير عليك ان تقتدي به ؟ لقد قدّم لك مثالاً لكي تعمل انت مثله . ولكن ان ظننتَ انه كثير عليك ان تقتدي بسيدك فتأمل اسطفانوس .

كثير عليك ان تتطلع الى الشمس ، لان عينيك مريضتان ؛ فانظر الى القنديل .

قال المسيح من على صليبه ، « ابتاه ، بين يديك استودع روحي » (لوقا ٢٣/٤٦)

قال هذا كانسان ، مصلوب ، مولود من امرأة ولابس هذا الجسد وكمن سوف يموت عنك ويصير الى القبر ويقوم ثالث يوم ثم يصعد الى السماء .

والآن اصغ الى اسطفانوس يقول : يا سيدي يسوع اقبل روحي ، (اعمال ٥٨/٧) .

وكانت صلاته هذه عنك . انما خطر بباله شيء آخر وهو ان يكون مثالاً يُحتذى .

واقفاً ، صلّى لنفسه ؛ وراكعاً صلّى من اجل راجميه .

كان عالماً بانه يصلي من اجل مجرمين ؛ وبقدر ما كانوا اشراراً بقدر ذلك كان من الصعب عليه ان يستجاب .

قال المسيح المعلق على الصليب « اغفر لهم يا ابت » .

وقال اسطفان وهو راكع تحت وابل من الحجارة « ربّ لا تحسب لهم اثمهم هذا » .

كان اسطفانوس اول من سفك دمه في سبيل المسيح ، وكأن اكليلاً انحدر من السماء مكافأة لمن ينهجون نهجه ويقتدون بفضيلة رائدهم في الجهاد .

واذا بعدد كبير من الشهداء يملأون الارض .

وكل الذينّ سفكوا دمهم اعترافاً بالمسيح وصنعوا ذاك الاكليل على

اياك ان تحب فيه ما هو عليه ؛ بل ما تريده ان يكون .

ان اللهَ يحبّ الخطأة ؛ ولكنه لا يحبهم خطأةً لكي يظلوا خطأة .

عندما صلّى المسيحُ على الصليب عن الخطأة اراد ان يغيّروا ما بنفوسهم ورفعهم من مصاف الاعداء الى مصاف الاخوة ، ولقد حقّق ذلك فعلياً .

اقتدِ بالمسيح ، ايغضب عليك الانسان ؟ إن غضب فصلّ ؛ وان ابغض فارحم .

انه يبغضك بنفس محمومة ولكنه سوف يُشفى ويشكر لك .

ان أبغضك عدوك ظلماً سوف يعلم ان جشع العالم الذي هو فيه يبغضك ، وذاك هو سبب بغضه لك .

ان ابغضته انت ايضاً ، رددتَ له الشر شراً .

كنتُ ابكي مريضاً ابغضك. اما وقد ابغضتهَ انتَ ايضاً فصرتُ ابكي مريضين.

ان اضطهد قضيتك ، حرمك مما كنت تتمتع به على الارض ، فابغضته لانه ضيّق عليك فوق الارض .

لا تتوقف عند هذه الاحزان بل ارتفع الى فوق ، الى السماء ؛ وقلبك يكون حيث المدى الرحب ولست تشكو ضيقاً عندما ترجو الحياة الابدية .

تأمّلْ بما يأخذ منك ؛ اذ ، لو لم يسمح له بذلك الله الذي يجلد الابن الذي يرضى عنه ، لما انتزع منك ما انتزع .

عدوك هو بمثابة مبضع الله الذي يشفيك ؛ ان رأى مفيداً انتزاع شيء منك سمح له بان يهاجمك ويضربك ؛ انه وسيلة للاعتناء بك ، فاطلب له ايضاً الشفاء .

ان احببتَ عدوك اقام الله فيك وكمُلتْ محبتُه لك .

باشر بالمحبة تصبح كاملاً .

ان باشرت بالمحبة بدأ الله يسكُن فيك ؛ احبّ ذاك الذي بدأ يسكن فيك لكي يصيّرك كاملاً ، بسكناه فيك ، على وجه اكمل .

قال المسيحُ وهو على الصليب «اغفر لهم يا ابت لانهم لا يدرون ما يفعلون» .

اقتدِ بمعلّمك ، بربك والهك ؛ وهل كثير عليك ان تقتدي به ؟ لقد قدّمَ لك مثالاً لكي تعمل انت مثله . ولكن ان ظننتَ انه كثير عليك ان تقتدي بسيدك فتأمل اسطفانوس .

كثير عليك ان تتطلع الى الشمس ، لان عينيك مريضتان ؛ فانظر الى القنديل .

قال المسيح من على صليبه ، « ابتاه ، بين يديك استودع روحي » (لوقا ٢٣/٤٦) .

قال هذا كانسان ، مصلوب ، مولود من امرأة ولابس هذا الجسد وكمن سوف يموت عنك ويصير الى القبر ويقوم ثالث يوم ثم يصعد الى السماء .

والآن اصغ الى اسطفانوس يقول : يا سيدي يسوع اقبل روحي ، (اعمال ٧/٥٨) .

وكانت صلاته هذه عنك . انما خطر بباله شيء آخر وهو ان يكون مثالاً يُحتذى .

واقفاً ، صلّى لنفسه ؛ وراكعاً صلّى من اجل راجميه .

كان عالماً بانه يصلي من اجل مجرمين ؛ وبقدر ما كانوا اشراراً بقدر ذلك كان من الصعب عليه ان يستجاب .

قال المسيح المعلق على الصليب « اغفر لهم يا ابت » .

وقال اسطفان وهو راكع تحت وابل من الحجارة « ربّ لا تحسب لهم اثمهم هذا » .

كان اسطفانوس اول من سفك دمه في سبيل المسيح ، وكأن اكليلاً انحدر من السماء مكافأة لمن ينهجون نهجه ويقتدون بفضيلة رائدهم في الجهاد .

واذا بعدد كبير من الشهداء يملأون الارض .

وكل الذينَ سفكوا دمهم اعترافاً بالمسيح وصنعوا ذاك الاكليل على

رؤوسهم وحفظوه بلا عيب لمن سيقتفون اثرهم .
وها هو الآن يُنزلُ الاكليل ، فان رغبت فيه فَطِرْ اليه عاجلاً .
ان اشتهيته فاقتدِ باسطفانوس .

عواطف وصلوات

ذاك يا سيدي ما صنعه اسطفانوس ؛ ولكنه لم يعمله من تلقاء نفسه ولا بقوته الشخصية بل بنعمة منك .

ان كان بنعمة قد صنع ما صنع ، فهل دخل وأغلق الباب بوجهي ؟ وهل هدم الجسر بعد ان مرّ عليه ؟

هل هو كثير بالنسبة اليّ ؟ اني انا ايضاً اسأل ؛ الينبوع جارٍ ولمّا يجفّ .

اني ارى كيف اتصرف ، سأتجه الى الصلاة .

ولن اردّ بالشتائم على من يشتمني بل سأصلي من اجله .

وان شئت ان اقول له ما هو ضده لكلّمتُكَ انت بشأنه .

عندك اتكلم ، واتكلم صامتاً ، بشفاه مطبقة وقلب صارخ ، حيث لا يراني احد سأكون طيّباً معه .

وسيكون جوابي هادئاً لمن يرغب في الخصام ولا يحب السلام .

قل ما تشاء . مهما ابغضتني وكرهتني فأنت لي اخ .

فيك اعرف علاقة ابي .

شرير انت ولكنك انت لي اخ .

انت مثلي تقول : أبانا الذي في السماوات !

ونقول شيئاً واحدًا ، فلمَ لسنا واحدًا ؟

اسألك ان تدرك ما تقول معي وان تنبذ ما تفعل ضدي .

انتبه للكلمات الخارجة من فمك ، لا تصغ اليّ بل اصغ الى نفسك .

انظر الى من تقول له ابانا الذي في السماوات .

ليس صديقاً ولا جارًا ؛ انما الذي نتحدث اليه ، يأمرنا بان نكون متحابين .

صوت واحد يرتفع منا الى الآب فلمَ لا يرتفع منّا حبّ واحد .

الكتاب السادس

الفصل الاول : في خطر الثناء البشري

من الصعب الا تدخل بعض الادران الى نفسك وقد بلغتَ من النقاوة حدًا كبيرًا ؛ وذلك بسبب ما يعقب اعمالك الصالحة عينها من امور كالثناء البشري مثلاً .

من الشر في الانسان ان يحيا حياة غير مستقيمة . ولكن ، ان يحيا الانسان حياة مستقيمة ويرفض كل ثناء من الناس ، فذلك يعني انه عدوّ للامور البشرية التي تتدنّى قيمتُها بتدنّي احترام الناس للاستقامة في الحياة .

ان لم يمتدحْكَ من تحيا بينهم بالاستقامة ، كانوا على ضلال ؛ امّا ان امتدحوك فانت في خطر ؛ الآّ اذا كان قلبُكَ سليماً ونقياً ، ولم تصنع الخير حباً بتمجيد الناس لك ؛ وعلى كل حال يُطلبُ منك ان تُقرّ بفضلهم لانهم يحبون الخير ، الذي فيك ؛ لا نفسك بالذات . لهذا ، عشْ مستقيماً ، ولو لم يمتدحك احد ، تدرك بان الثناء الذي يكيلونه لك نافع لمادحيك ؛ ولا سيما ان لم يكرموك ، في حياتك الصالحة ، بل الله الذي يجعل من كل ذي حياة مستقيمة هيكلاً له كلي القداسة .

وبالنتيجة ، عليك ألاّ تتوخّى من استقامة قصدك مديحَ الناس لك ؛ والاّ تعزو ، للمديح ، صلاح اعمالك ، اي ان تعمل ، صلاحاً ، ارضاءً للناس .

ايها العائش باستقامة ، ان لم تسْمُ فوق تقريظ الناس لك ، ولم

تسعَ في ارضاء من ، وحده يفحص الضمائر ، وان لم تتطلع اليه ، وحده ، فليس لك قلب سليم .

بقدر ما يخفّ شوقك الى ثناء الناس بقدر ذلك يصبح اكثر استحقاقاً للثناء ما يصدر عن ضميرك النقي .

لا تعش مستقيماً ولا تعمل خيراً لكي يراك الناس وحسب ؛ والا لما كان لك اجرٌ عند ابيك الذي في السماوات ؛ لا ، لان الناس يرونك ، بل لانك تحيا مستقيماً ، لكي يراك الناس .

لا يريد الرب ان تُخفيَ عن عيون الناس الخيرَ الذي تعمله وتخشى ان يراك الناس .

ان خفتَ النظارة فلن يكون لك من يقتدي بك ؛ وبالتالي يجب ان تكون منظوراً ، انما ، ليس هذا ما ، يجب عليك ان تعمل . لا تفكّر بان ثمن عملك الصالح في ان يراك الناس ويقرّظوك ، ولا يجوز ان تقصر على ذلك فرحك وغبطتك .

ذاك باطل ، احتقرْ نفسَك متى قرّظوك ؛ وليُمتدح فيك ذلك الذي يعمل فيك .

لا تعمل الخير إلاّ تمجيداً لمن اعطاك ان تعمل خيراً .

بنفسك ، لا تستطيع سوى الشر ؛ وبالله تستطيع الخير .

من المهم جداً ان تعرف بأية نية تعمل حين تعمل خيراً .

قدّرْ عملك ، بما هو فيه ، بحد ذاته ؛ بل بالنسبة الى الغاية التي تتوخاها منه .

كم اتى من عظائم ، حباً بالمجد العالمي ، اولئك الذين يدعون كباراً في هذا العالم ؛ وما طلبوا المجد لدى الله ، بل لدى الناس طلبوه ؛ فتظاهروا ، سعياً اليه ، بالحكمة والجرأة والاعتدال والعدل واخذوا اجرهم الباطل لانهم فارغون .

ومع ذلك فلا تتهم الثناء البشري ؛ وهل اشهى على الناس من ان يرتضوا ما يجب ان يقتدوا به ؟

أصلحْ مدائحَ الناس وردّها كلها الى مدبح الله الذي اعطاك كل ما يُمدح فيك ؛ دون ان يخطأ مادحُك .

وفضلاً عن ذلك ، لا يجوزُ لك ان تعمل صلاحاً ، حباً بالخلاص الزمني ؛ بل حباً بما ترجوه من خلاص ابدي ؛ حيث تتمتع بخيرٍ ثابت ، بعطيكه الله ، بل بالخير الذي هو الله بالذات .

لو عمل قديسو الله اعمالهم الصالحة ، حباً بهذا الخلاص الزمني ، لما انجز شهداء المسيح عمل الاعتراف الصالح ، بتخليهم عن ذاك الخير الزمني .

قوة الفاضل تكمن في احتقار المجد ؛ لان احتقار الذات امام الله يظل خفياً عن الانسان .

وكلّ ما يعمله الانسان امام الناس ، ليظهر احتقاره للمجد ، يبدو وكانه يعمل في سبيل مجد اعظم ؛ وللدلالة على انه مخالف لظن الناس به .

بيد أنّ من يحتقر آراء مادحيه يحتقر ايضاً وقاحة من يشكّون فيه .

ان لزمت العفّة فاذكر انها جاءت شكاً للاشرار والحاسدينا .

ولهذا فهي تمتحن نهشاً وعضاً .

ان كنت تجاهرُ بالعفة بحثاً عن تقريظ الناس فسوف تسقط امام انتقاداتهم .

وان كنتَ خادماً لله نقياً فهوذا العالم يتهمك بالفساد ؛ فينهش وينتقد وينصبّ عليك بثقله وكأني به يتذوق بروح شريرة ما يتصوّره فيك من شرّ .

اما انت فان شئت التزام العفة ، رغبةً في تقريظ الناس لك ، فقد انهزمتَ امام انتقادات الناس ، وخسرت ما اردتَه لنفسك .

ان عرفت ان تقول مع الرسول ، « مجدنا هو شهادة ضميرنا » (٢ كور ١٢،١) يزداد اجرك اتساعاً ولا يخفّ ابداً امام انتقادات الناس لك .

وانت صلّ من اجل عدوّك لئلا يموت لأجر تناله .

سوف تنال امام منبر المسيح ما قد صنعت بالجسد، خيراً كان ام شراً.

وان اعتمدتَ في اعمالك ، على ثناء الناس ، خسرت اعمالك وثناء الناس ؛ ثم تبحث كعادتك عمّا تعودتْ نفسُك ان تتمتع به .

لا تطلب شهادة الناس الذين لا يرون القلوب ؛ بل شهادةَ من يفحص القلوب .

كل انسان يؤدي حساباً عن اعماله، امام منبر المسيح؛ ولا نفع له من شهادة الغير لان خفايا القلب ظاهرة امام الله؛ وحسب الانسان شهادة ضميره.

احذر الخدّاعين الذين يمدحونك ليضلّوك ؛ انتقاد البار لك افضل من امتداح الخاطئ.

لا تخدع نفسك ولا تَدعِ الآخرين يخدعونك .

ان ظننت نفسك شيئاً ولست بشيء فقد خدعت نفسك ؛ لانك ، وان تكن اكثر حضوراً لنفسك منهم ، فانك تفضّل ان تطلب نفسك فيهم لا في نفسك .

امتحن عملك لتجد المجد في نفسك؛ وليس في الآخرين ؛ اي في الداخل ، في ضميرك ، ولا تجده في الغير حين يمدحك .

ستحمل همك ، وحدك ؛ لان مادحيك لا يخففون اعباء ضميرك .

سألت الله ان لا يزيدوا من اعبائك كما هي الحال في أغلب الاحيان حين يغتاظون ويخف مديحهم لك ؛ لانك تعرض امامهم بكبرياء ما هو لك بدل ان تظهره باستمرار .

اني لا اتوقف على كل ما يسعك ان تلفقه عن نفسك سعياً وراء مديح الناس .

وهل نجد ما هو اشد ظلاماً من هذا العمى الذي يهيب بك الى ذلك المجد الباطل واستثمار الضلال البشري واحتقار الله الشاهد في قلبك .

هاءنذا امامك ، يا إلهي ، لا اكذب ؛ كلامي صادق هو كقلبي ؛ وا أسفي انا الذي لا اعرف ما لا اعرف ؛ أضئْ سراجي ايها الرب إلهي وأنر ظلماتي .

متى انرتني ، قلت لك : الصدّيق يصلحني برحمته ويوبخني ، ولا يمسح الخاطئ بزيته رأسي .

اني افضّل ان اتحطّم تحت قسوة حقيقية من انسان يرحمني ولا ان ارتفع بمديح غاشٍ يخدعني .

اني افضّل حقاً ان يوبخني صديقي ويقرّعني ولا ان يثني عليّ خاطئ فارفع رأسي كبْراً .

ان من يرتضون كثيرًا انفسهم لا يرضونك ابدًا؛ لان ليس لهم فيه مصلحة وحسب؛ بل لانهم يعزون الى نفوسهم الفضل في ذلك . وان حسبوها نعمة من لدنك فلا يفيدون منها في مجال رحب من الاخوّة بل في حسد ضيّق ومقيت .

وسط تلك الاخطار والضيقات ترى قلبي خائفاً ؛ فأحسّ بأنك تعمل اكثر على شفاء جراحي دون ان تمنعها عني .

وها اني ارى فيك ايتها الحقيقة انه لا يجوز لي ان اتأثر بما يوجّه اليّ من ثناء بل حباً بخير القريب .

ولا ادري ان كان الامر هكذا لاني لا اعرف ذاتي كما اعرفك بل اقلّ .

اسألك يا إلهي ان تكشف عن نفسي لنفسي حتى اعترف لاخوتي الذين سوف يصلون عني بما اجد فيَّ من ضعف .

هبني ان اسأل نفسي من جديد باجتهاد .

ان كان خير القريب وحده يؤثّر بي في التقريط ؛ فلمَ يخفّ تأثري حين يوجّه الانتقاد ظلماً الى سواي ؟

ولمَ تجرحني اهانة توجّه اليَّ اكثر من اهانة توجّه، ظلماً، وبحضوري ، الى شخص آخر ؟ وهل اجهل ذلك ايضاً ؟

وهل اخلص الى القول مما تقدم اني اخدع ذاتي ولا اعمل الحق امامك بقلبي ولساني ؟

ابعد عني يا رب تلك الحماقة لئلا يكون في زيتَ خاطئ ادهن به رأسي .

الفصل الثاني : في النية المستقيمة

في براءة اعمالك استعدّ لأن تسبحَ الله طوال النهار .

من ذا الذي يواظبُ على تسبيح الله ، النهارَ كله ؟ اليك الدواء الذي يجعلك تسبّح الله نهارك كله ، ان شئت ؛ وذلك بأن تصنع جيداً كل ما تصنعه ، فتسبح الله .

انك لتسبح الله حين ترنم : وماذا يعمل لسانُك ان لم يسبح ضميرك؟ لا يطلب الله منك كلاماً بل قلباً .

لو انّ لله آذاناً لحمية لاحتاج الى صوت جسدك ؛ ولو بقيتَ صامت اللسان لمكثت كذلك دون تسبيح ؛ اما وهو يطلب القلب فانه يفحص القلب ؛ باطني هو الشاهد والقاضي والمؤيّد والمساعد والمكافئ . حسبك ان تقدّم ارادتك .

صلّ بلسانك متى استطعت ؛ وإلا فسبّح بقلبك وبارك بقلبك وضعْ من قلبك ، على مذبح ضميرك ، القرابين المقدسة .

لا يتوقّف الله عند العمل انما يكافئ الارادة .

هو يعلم بانك شئت وما استطعت ؛ فيعتبرُك قد عملتَ ما اردت .

ان لم تستطع ان تقتفي آثار الشهداء فعلاً فقم به شعورياً ؛ وان لم يكن بالمجد فليكن بالابتهاج . ان لم يكن بالاستحقاقات فليكن بالتمنيات؛ وان لم يكن بالألم فليكن بالترثي لحالهم ؛ ان لم يكن بامتيازهم فليكن بالارتباط بهم .

لا تظنَنّ انتسابَك الى هذا الجسم امرًا قليل الاهمية ، كعضو بين اعضاء ، لا يسعك ان تكون مساوياً لهم . ولا تظنَنّ الابتهاج بفضائل من فاقوا سواهم نزرًا بسيطاً في الاقتداء .

هم كبار وانت صغير ؛ بيد ان الرب يبارك المسكين والعظماء .

وطال ما ان الابرار والاشرار يعملون الاشياء عينها ويحتملون الشيء نفسه ؛ لا بالاعمال والعقابات ؛ بل بالاسباب ؛ فهكذا يتميَّزون عن سواهم .

كان فرعون يقسو على شعب الله بالاشغال ؛ وكان موسى يفرض عقوبات صارمة على الشعب ذاته ؛ لانه اتى اعمالاً منكرة . لقد قاما بالشيء عينه؛ انما بنية مختلفة . فرعون بدافع من السيطرة وموسى بدافع من المحبة .

وكان في المحل ذاته صلبان ثلاثة . على الأول لص للخلاص ؛ وعلى الثاني لص للهلاك ؛ وعلى صليب الوسط المسيح الذي سوف يخلص الواحدَ ويشجبُ الآخر ؛ ما اشد الشبه بين تلك الصلبان والتباينَ بين المعلَّقين عليها؟

الاشرار يضطهدون الصالحين والصالحون يضطهدون الاشرار ؛ الاولون يؤذونهم ظلماً ؛ والآخرون ينصحونهم عن طريق التعليم : اولئك بقساوة وهؤلاء باعتدال ؛ اولئك يعبدون شهوتهم وهؤلاء محبتهم .

ان الجزار لا يهتم كيف يقطع ؛ اما من يداوي فانه يرى كيف يقطع لان هذا يبغي السلامة وذاك الفساد .

فتَكَ الكفرة بالانبياء وقَتَلَ الانبياء الكفرة .

جلد اليهود المسيح وجلد المسيح اليهود .

اسلم الناسُ الرسلَ الى سلطة الناس واسلم الرسلُ الناسَ الى سلطة ابليس .

وماذا نرى في هؤلاء كلهم ، سوى ان البعض عملوا من اجل الحق والآخرين من اجل الاثم ؟

اناس عملوا للأذى وآخرون للاصلاح .

يكون العمل صالحاً متى كانت نية القائم به صادرة عن المحبة كالسهم . حتى اذا عادت من جديد الى مركزها تستريح في المحبة .

ما اكثر من يدّعون الاستشهاد في البدع والهرطقات ؛ فيظهرون وكأنهم يبذلون نفوسهم عن اخوتهم . لو انهم بذلوا نفوسهم عن اخوتهم لما انفصلوا عن الاخوّة الشاملة .

وما اكثر من يعطون الكثير ويبذلون ، حباً بالظهور ؛ فلا يرجون من كل ذلك سوى المجد العالمي والثناء البشري المليء بالهواء غير المستقر على حال .

عُدْ الى ضميرك ؛ واختبر عملَك لترى ان كانت فروعُ اعمالك خارجةً عن جذور المحبة ام لا .

امتحن عملك يكُن لك في نفسك المجد ؛ وليس في الآخرين ؛ ولا في شهادةٍ من آخر بل في شهادة ضميرك .

انت تحجب قلبك عن الانسان ، فاحجبه عن الله ان استطعت .

إفزعْ اليه معترفاً ولا تفزع منه مختبئاً ؛ اذ لا يسعك ان تختبئ عنه بل ان تعترف به .

أنمِ فيك المحبة التي ، وحدها ، تقودك الى الحياة ؛ وخذ ضميرك ، الذي هو من الله ، شاهداً لك .

لا تتباهَ بأفضالك امام الناس ؛ لأن تقريظهم لك لا يرفعك الى السماء؛ ولا يسقطونك منها بانتقاداتهم .

فلينظر الى اعمالك ذاك الذي يكافئُك ؛ واجعل من الديان الذي يقاضيك شاهداً لك .

ان كان قلبُك على الارض ، اي ان كنتَ تعمل لكي يراك الناس فكيف يستطيع ان يحافظ على نقاوته من كان يتمرّغ على الارض ؟؟

امّا ان كان في السماء ، فيكون نقياً ؛ لان كلَّ ما في السماء نقيٌ هو ؛ ومن اختلط بمادة أحطَّ منه تلطّخ ؛ وان لم تكن فيك تلك الطبيعةُ وسخةً طال ما ان الذهب الذي يمتزج بالفضة يتلطخ بها .

وهكذا فان نفسك تتدنّس بالشهوة الارضية مع ان الارض بطبعها وجنسها نقية . اطرح عنك ما في الارض ، ان شئت كنزاً لك في السماء .

واعلم ان اعمالك سوف تكون نقية ، وان الله يرضى عنها متى قمتَ بها ببساطة قلب ؛ انظر الى ما تعمل واذكر النية التي بها تعمل .

هَبْني يا رب قلباً بسيطاً من اجل ملكك، حتى اعمل خيرًا ؛ واذا عملت صلاحاً فلا افكّر بالزمنيات بل بالابديات .

ان عملتُ فلتسبحك نفسي . إن أكلت او عملت شيئاً يقول الرسول : « ان اكلتم او شربتم فاصنعوا كل شيء تمجيداً لله » .

فلتباركك نفسي ايضاً في رقادي فلا توقظني افكار مخجلة ؛ ولا تثيرني غريزة السرقة ولا الفساد .

ولتكن بساطة قلبي في رقادي صوت نفسي : فلتباركك نفسي وكل ما في باطني اسمك القدوس .

فلتباركك نفسي الى الابد ولا تنسَ جميع مكافآتك .

أنرني لأرى نفسي من الداخل ؛ ساعدني حتى ازن نفسي وامتحنها في اعمالي وافعالي كلها التي اعملها بمحبة ، غير منتظر جزاءً زمنياً بل وعدك ووجهك .

لان لا شيء مما تعدني به يساوي شيئاً خارجاً عنك .

ما هي الارض بأسرها ؟ ما البحر ؟ وما السماء ؟ وما هي الكواكب كلها ؟ ما الشمس ؟ وما القمر ؟ وما جيش الملائكة ؟ اني عطشان اليك وجائع يا خالق كل شيء . لك اقول : « لديك ينبوع الحياة » .

وانت تقول لي : « انا الخبز النازل من السماء » .

جائع انا وعطشان في سفري فليكن حضورك لي شبعاً .

يضحك العالم لكثير من الاشياء الجميلة القوية والمتنوعة . يا صانعها ، انت اجمل واقوى واودع واطيب منها كلها . سأشبع لدى ظهور مجدك .

الفصل الثالث : في ان الكبرياء هي اصل كل خطيئة

الكبرياء هي ان يحب الانسان في ذاته ما يمتاز به عن سواه .

ان الكبرياء ، بنظري ، لخطيئة كبيرة ؛ كبيرة هي لانها اسقطت

الملاك ؛ وكبيرة هي لانها صيّرت الملاك شيطاناً وأوصدتْ بوجهه الى الابد ملكوتَ السماوات . انها لاثم فظيع ، وأصل الاثام كلها ؛ لانه مكتوب « الكبرياء اصل كل خطيئة » (بن سيراخ ١٥/١٠) ولئلا تتهاون فيها قال ايضاً في موضع آخر : « اول كبرياء الانسان ارتدادُه عن الله » (بن سيراخ ١٤/١٠) .

الارتداد عن الله من صنع هذه الرذيلة : تسيرُ النفسُ في الظلام وتسيء استخدام حريتها فترتكب خطايا اخرى وتحيا بالبذخ ؛ فتبدد مالها مع الزانيات ويصبح ، من كان للملائكة نديماً ، راعياً للخنازير بسبب ما حلّ به من بؤس .

جاء الله متواضعاً بسبب تلك الرذيلة ، خطيئة الكبرياء الفظيعة ؛ ذاك هو السبب وتلك هي الخطيئة وذاك هو مرض التقوى الخطير الذي دفع الطبيب القوي من السماء لأن يأخذ صورة العبد ويتحمّل الاهانات ويعلّق على الخشبة ويُشفي بدوائه الناجع ذاك الورم .

لا تنخدع بما تأتيه الكبرياء من اعمال عظيمة ؛ صمّم ، في قلبك ، على ان تعمل مثلها ، انما عن محبة .

المحبةُ تُطعم الجائع والكبرياء ايضاً ؛ لكن المحبة تقوم بذلك تمجيداً لله ، والكبرياء ، تمجيداً لذاتها .

المحبة تكسو العريان والكبرياء ايضاً : المحبة تصوم والكبرياء ايضاً وكلتاهما تقومان بدفن الموتى .

المحبة تعمل جميع الاعمال الصالحة التي تريدها ؛ والكبرياء تقاومها وكأنها تقود خيلها .

بيد ان المحبة باطنية : انها تحذف مكان الكبرياء التي قد تكون لها اعمال خارجية جيدة ولكن بدافع شرير .

الويل لك ان اتخذت من الكبرياء حوذياً لعربتك اذ ذاك يتحتّم عليك

ان تسقط منها رأساً على عقب .

وكيف لك ان تعرف إن كانت الكبرياء هي التي تدفعك الى الاعمال الصالحة ؟

من يرى ؟ واين ؟ تفحّص اعمالك .

الرحمةُ تطعمُ والكبرياء ايضاً ؛ الرحمة تستقبل الغرباء والكبرياء ايضاً ؛ الرحمة ترأف بالمسكين والكبرياء ايضاً .

المحبة تموت اي ان الانسان الحاصل على المحبة ، يعترف باسم المسيح ، ويروح الى الاستشهاد ؛ والكبرياء تعترف ايضاً وتقود الى الاستشهاد . هذا فيه محبة ، وذاك كلا .

ولكن فليسمع من ليست فيه محبة كلام الرسول : ان وزعتُ مالي على الفقراء وسلمت جسدي ليُحرَق ولم تكن فيَّ المحبة فلا شيء ينفعني من ذلك كله (١ كور ٣/١٣) يصدّك الكتاب الالهي عن اظهار هذا الوجه للخارج ؛ وعن هذا المجال الذي يُعرض فيه امام الناس يردُّك الى الداخل .

عُدْ الى ضميرك وسَلْه ؛ ولا تنظر الى ما يزهو في الخارج بل انظر الى الجذع الذي في الارض .

ان كانت الكبرياء متأصلة ، تستطيعُ الاعمالُ الحسنة ان تظهر بمظهر الصلاح ؛ انما لا يسعها ان تكون اعمالاً صالحة وان كانت المحبة متأصلة فيك فاطمئن اذ لا يصدر عنها اي شر .

المتكبر يلاطف والمحبة تقسو : هو يستر العيوب ارضاءً للناس وهي تؤدب لتُصلح بواسطة النظام .

جرحُ المحبة مقبول اكثر من صدقة المتكبر .

عُد الى نفسك وفي كل ما تعمل اتخذ الله لك شاهداً .

انظر ان كان هو ينظر الى النية التي بها تعمل . اذا لم يشكّك قلبك لكونك تعمل ، حباً بالتظاهر ، فكن مطمئناً ؛ لا تخف ، حين تعمل خيراً ،

من ان يراك احد ؛ خف من ان تعمل لكي يمدحك الناس .

لانه من الضروري ان يراك الناس لكي يمجدوا الله .

امّا ان احتجبت عن اعين الناس ، فلا يقتدون بك ، وحرمت الله من هذا المجد .

انك تتصدّق، على بائسَيْن جائعين ، احدهما جائع الى الخبز والآخر الى البر .

وبين هذين البائسين انت هو الصانع الصالح : ان احببت الواحد احببتهما معاً ومددت يد المساعدة الى كل منهما امّا الآخر فانه يبحث عما يقتدى به .

انك تقدم الطعام لواحد ، فقدم نفسك للآخر : تصدقت على كل منهما فاعترف الواحد بفضلك لان جوعه قد أشبع واتبع الآخر المثال الذي قدمته له .

لا تخف : ان كانت للمتكبرين مآدبهم فللمتواضعين ايضاً مادب .

ان تناول المتواضع البر طعاماً له والاثيم كبرياءه ، فلا عجب اذا لم يشبع قلب المتكبر .

يريد المتكبرون ايضاً ان يخدموا الانجيل ؛ ولكنهم يخدمون نفوسهم ؛ ولانهم لا يطلبون ما هو للمسيح بل ما هو لهم (فيلبي ٢/٢١) ، فالويل لمن يخدم ذاته .

وان صنعت عجائب فلا تفرح ، بذلك ، بل افرح لان اسمك مكتوب في السماء . وبالعكس فالويل لك ان لم يكن اسمك مكتوباً في السماء .

وهل ينادى عليك بالويل والثبور لانك لم تُقم الموتى ولم تطرد الشياطين . ولم تمش على البحر ؟

اذا كنت قد اخذت نعمة القيام بذلك ، فاستعملها بتواضع ، بعيداً عن كل كبرياء ، اذ ان الرب قد قال عن بعض الانبياء الكذبة انهم سوف يعملون آياتٍ وعجائب .

رب اذا لم اتنقَّ من ذاك الاثم الفظيع فلن يروقك كلامي الذي يستلذه الناس .

تود النفس المتكبرة لو ترضي الناس ، اما النفس المتواضعة ففي الخفاء ترضي حيث انت وحدك ترى ؛ واذا طابت لهم اعمالها الصالحة فلا يهنئونها على صلاح اتته بل على عمل صالح راقهم .

ان مجدي هو شهادة ضميري ولهذا اقول : عوني انت وفاديّ ، انت عوني على الخير ، ومخلّصي من الشر ؛ انت عوني على ان اسكن في محبتك ، وفاديّ الذي يحررني من اثمي .

الفصل الرابع :

في ان الكبرياء هي اكبر عائق في سبيل الكمال المسيحي

لا تسمحُ لك الكبرياء بان تكون كاملاً ؛ ولا شيء مثلها يعوق الكمال .

كثيراً ما سمعت الرب يقول في الانجيل : « دعوا الاطفال يأتوا اليّ ولا تمنعوهم لان لأمثالهم ملكوت السماوات» (متى ١٩/١٤) ثم يعود فيقول من لم يأخذ ، نظير طفل ، ملكوت الله ، فلا يستطيع ان يدخله (مرقس ١٠/١٤ــ١٥) .

وفي نصوص اخرى كثيرة ، يشجبُ ربُنا بما قدّم من مثلٍ رائع في التواضع ، تشبّهاً بسن الطفولة ، كبرياء الانسان العتيق الذي يعمل على ان يجدد حياته بشكل حقير .

تعتدّ بكبرياء عظمتك الفارغة التي لا تسمح لك بان تسير في سبيلٍ كثير الوعورة ولا ان تدخل في باب ضيق ؛

اما الطفل فيدخل بسهولة من الباب الضيق ؛ وعليه ، فلا احد يدخل ملكوت السماوات ان لم يكن كالطفل .

انتبه ، انتبه وقدّر : الكمال المسيحي لا يقوم بان تعمل ارادتك بل ارادة من خلقك .

وبما ان المسيح قد علمك الكمال قال : أنا لم آت لاعملَ مشيئتي بل مشيئة من ارسلني (يوحنا ٦/٣٨) .

المتكبر يعمل ارادته والمتواضع يعمل ارادة الله .

داوِ الكبرياء تشفَ من كل اثم : لقد نزل ابن الله واتضع لكي يشفي من علة العلل كلها التي هي الكبرياء .

ولماذا تستكبر ايها الانسان؟ لقد تواضع الله من اجلك ، ان كنت تخجل من الاقتداء بتواضع الانسان فاقتد ، أقلّه ، بتواضع الله .

لقد جاء ابن الله انساناً وصار متواضعاً : يطلب اليك ان تكون متواضعاً ، لا ان تنتقل من حالة انسان الى حيوان : الله صار انساناً ، ويقوم تواضعك على ان تعرف ذاتك .

ان كنت ، حتى الآن ، قد وجدت السبيل السوي ، فخف من ان تخسره بكبريائك .

ان بدأت تسير في الطريق السوي فاعبد الرب بالخوف لئلا تضل الطريق ، واحذر الكبرياء . لانك حيث تتكبّر تفقد ما اخذت .

اتجاسر فاقول انه لنافع للمتكبرين ان يسقطوا في خطأ واضح وصريح لكي يشمئزوا من نفوسهم بعد ان سقطوا ، وهم راضون عن ذواتهم .

بكى بطرس فاحسّ باشمئزاز خلاصي في نفسه لم يعرف مثيلاً له ساعة كان معتدّاً بقواه .

واتجاسر فاقول : انه لنافع للمتكبرين الضابطين لنفوسهم ان يعثروا لكي ينسحقوا من جراء هذا الامر الذي به يزهون ويفاخرون .

وفي الحقيقة أيّ نفعٍ لك من ضبط النفس ، ان كنت للكبرياء عبداً ؟ نبذت اصلك الذي منه ولدت وتشتهي لك ما تسبّب بسقوط الشيطان ؟

احتقرت الاعراس فحسناً صنعت ؛ واخترت الافضل ولكن ، اياك والكبرياء .

ولد الانسان في الاعراس وسقط الملائكة من جراء كبريائهم .

قداسة المتبتلين افضل من طهارة المتزوجين .

واذا قارنا بين هذين الشيئين معا : هل هذا افضل من ذلك ؟

فمن ذا يشك ؟

أقارن بين خيرين ؛ ولست اقارن بين الخير والشر ؛ انما اميّز الصالح مما هو اصلح منه .

ولكن حين اضع للمقارنة الكبرياء والتواضع فهل يسعني ان اقول : طيّبة هي الكبرياء ؛ ولكن التواضع اطيب منها ؟

الكبرياء شر والتواضع خير ؛ اذا كان احدهما شرًّا والآخر خيرًا ، أضف الشر الى خيرك الاكبر ، يصبح كله شرًّا ؛ واضف الخير الى ما هو اقل خيرًا في المتزوجة يصبح خيرًا كبيرًا .

للمتزوجة مكان احقر ، في ملكوت السماوات ، من مكان العذراء ، للعذراء مكان اسمى وللمتزوجة مكان احقر ومع ذلك فكلتاهما فيه ، نظير نجمة نيّرة ونجمة مظلمة ، برغم انهما في السماء .

لو كانت المتزوجة متواضعة والعذراء متكبرة لنالت الاولى مكانها وبقيت الثانية بلا مكان . وهل يجد محلاً آخر ، من لن يكون له محل في السماء ، الا مع من سقط منها طردًا ؟

سقط الشيطان حيث طرد الانسان واقفاً ؛ بيد ان المسيح نزل فأنهض من كان ملقى على الارض .

ملكك متواضع وانت متكبر . ايكون الرأس متواضعاً والعضو متكبراً ؟

حاشا . من أحب الكبرياء أبى ان ينتسب الى جسم الرأس المتواضع .

وان لم يكن في الجسم فلينظر اين يكون .

اني لا اريد ان انطق بهذا الكلام مخافة ان ابدو امامك مخيفاً . ومع ذلك ليتني اخيفك وأنفعك بشيء .

ليتَ من كان هكذا او كانت هذه حاله ، لا يتجاوز الحد .

ليتني احفر هذه الكلمات على قلبي فلا تضيع .

كل رجائنا في رحمة الله ؛ لان الذي يُخيف يُحزن ؛ ومَنْ يُحزِن يُعزّي ومَنْ كان حزيناً صار صالحاً .

عواطف وصلوات

ربِّ ، لن اتباهى ببري : ولِمَ اشمخ متجاهلاً برّك ؟

وهل اعطيت شيئاً حتى اكون من الخالصين ؟ وماذا اعطيت حتى اكون انساناً ؟

كل ما فيّ من صلاح قد اخذته منك يا من انت وحدك صالح ؛ امّا اذا شئت ان ادعي الحكمة صرت احمق .

اجعلني متواضعاً لكي تأتي اليّ وتنيرني ؛ ولكن ان ظننتني حكيماً قبل ان تأتي اليّ سرت في الظلام .

ان سرت قبل النور اضطررت ان ابقى في فراغ ؛ لاني في الظلام . لقد طلعت انت يا ضيائي ؛ حسن لي ان اطلع بعدك لا قبلك .

اطلع قبلك اذا شئت ان افضل نفسي عليك ؛ واذا فضلت نفسي عليك استكبرت ها هنا حيث انت متواضع .

اودّ لو اكون متواضعاً ها هنا ؛ لاني اريد ان ارتفع حيث ارتفعت انت . عالم انا بانك تكللني برحمتك : انا ما استحققت ان تدعوني وان تمجدني مدعواً ومبرراً .

وان تفحصت استحقاقاتي كلها بعناية وجدتها هبات منك .

لن اسكن في قلبك اذا كنت متكبراً ؛ بل ، اذا كنت وديعاً ومتواضعاً سكنت فيه .

ان اتضعت رفعتني ؛ وان ارتفعت خفضتني ؛ وانت لست بحاجة الى ثقل لكي تخفضني .

مجموعة خطاياي تشكّل ذلك الثقل على رأسي الذي يخفضني فلا يسعني ان استقيم .

مدّ اليّ يد المساعدة الآن ، لكي انهض واشفى لاني احب العافية ؛ ساعدني كيلا تدفعني كبريائي من اليمين الى اليسار ومن الوداعة الى العجرفة .

ومتى تعافيت اي متى بدأت احيا حياة بارةً عَزَوْتُ اليك ما صرت اليه ، لا الى نفسي .

لن أتعافى ان امتدحت نفسي ؛ بل ان قاضيتها بصراحة ؛ ان امتدحت نفسي ، عن كبرياء ، كان مرضي اشد خطراً عليّ .

الفصل الخامس : في ان الكبرياء عظمة كاذبة

ليست الكبرياء عظمة بل ورماً .

تسعى الى الدخول من الباب الضيّق فيمنعك ما بك من ورم ؛ وبقدر ما تحاول الدخول بحيلة بقدر ذلك يجعل الورم دخولك مستحيلاً .

الضيق يشدّ على الورم ويزيدك ورماً كلّما ضغط عليه ؛ ومتى تدخل؟ ازل الورم الذي فيك ، واتخذ التواضع علاجاً ؛ اشرب من كأس التواضع .

ولِمَ تضيّق على نفسك؟ حجمك الذي ليس كبيراً بل متورماً يمنعك ؛ للكبر ضخامته ، اما اليوم فانتفاخ . لا تظنن نفسك كبيراً لانك متورم ؛ ازل الورم الذي فيك تكن كبيراً قوياً وصلباً .

ولِمَ تريد ان تنتفخ ؟ حسبك ان تمتلئ وحذارِ من الانتفاخ .المليء غنيّ والمنتفخ فارغ .

لو نظرتَ الى وطبين احدهما ملآن والآخر منفوخ لوجدت الضخامة عينها في كليهما دون ان يكون الملء ذاته . ان تأملتها خدعت ؛ وان وزنتها وجدت ان الملآن يصعب تحريكه ؛ امّا الفارغ فيسهل حمله .

اهرب من الورم والزم الكبر الحقيقي لأن ملكوت السماوات للمتواضعين اي للاطفال بالروح .

إياك ان تحتقر هذا الصِغر وترذله ؛ انه لصِغر من هم حقاً عظماء .

امّا الكبرياء فهي عظمة الضعفاء الكاذبة التي تسيطر على العقل .

المتواضع لا يستطيع ان يؤذي ؛ والمتكبر لا يستطيع ان يكون بريئاً .

بمَ تتباهى يا دودةً تموت غداً ؟ ايها المائت المتكبر ؛ اخجل من الشيطان لانه وان يكن متكبراً فمع ذلك لا يموت : هو روح وان شريراً .

ويوم العقاب محفوظ له الى الآخرة ؛ بيد انه لا يموت كما نحن نموت وننقضي .

انت سمعت، « موتاً تموت » (التكوين ١١، ١٧) ؛ استعمل جيداً عقابك ولا تذهب الى الكبرياء حيث تعاقب ؛ بل اعلم انك صائر الى الموت واخفض كبرياءك .

لقد سمعت ما قيل : وكيف تستكبر ايها التراب والرماد ؟ وبرغم ان الشيطان يستكبر فليس هو تراباً ورماداً .

انت لا تدرك انك صائر الى الموت فتستكبر نظير الشيطان .

وبالنتيجة، استعمل جيداً عقابك : استعمل جيداً اثمك لتفيد من خيرك .

لا تستكبر اذا شئت الدخول الى رواق الربّ ؛ ولكن ماذا يجب عليك ان تأخذ معك الى اروقته ؟؟

ادخل ؛ ولكن اياك ان تدخل فارغ اليدين : ادخل بقلب متواضع ، اذ ذاك تدخل ومعك قربان .

اما ان استكبرت فانك تدخل فارغ اليدين ؛ لولا فراغك لما تكبّرت .

ولو كنتَ ملآناً لما تكبرت وانتفخت .

وكيف تبحث عن مكان اسمى ، بدافع من حب الارتفاع ، اذا كنت تستطيع الوصول اليه متواضعاً ؟

ان شئتَ ان تجد ذاتك افضل فاسأل نفسك ان كانت متورّمة ؛ حيث الورم فهناك الفراغ .

وحيث يجد الشيطان فراغاً يحاول ان يبني عشه .

ومن ذا الذي يحتاج الى الرحمة اكثر من البائس ؟ ومن ذا الذي ليس جديراً بالرحمة اكثر من المتكبر البائس ؟

تكثر الاموال لديك فتستكبر ؛ وتكثر الامجاد فتستكبر .

وتظنّ انك موفور البرّ فتستكبر وهذا شرّ من ذاك .

يا مسكين ، يكثر الاثم والخبث لديك ؛ وبقدر ما يكثر الاثم لديك بقدر ذلك تبدو مليئاً بالبر ؛ انك تعاقَبُ على ما صنعت فيك من خير ؛ وتكافأ على ما صنع هو فيك من خير .

قل لي ، لولا اتكالك على نعمة الله فأين تكون ؟

ولولا امتلاؤك من نعمة الله ، اما جثوت امام باعال ؟

احذر ، احذر الكبرياء . بوسعك ان تقتدي بالقديسين ولكن رُدّ ذلك دوماً الى مفعول النعمة ؛ لان نعمة الله فيك هي التي تجعلك مستحقاً ليبقى بعض الشيء .

وبالنتيجة ، لا تعتمد على قلبك حين تتكلم ولاتتكل على قواك في تجربة ، لان الكلام الفطن العاقل ، الصادر عنك ، هو من الله ؛ وصبرك على الآلام بشجاعة هو ايضاً من الله .

عواطف وصلوات

ربّ ، اني لا استكبر لكوني اعطي الفقير . لقد كنت فقيراً .

ولا استكبر لكوني اضيف الغريب ، لقد كنت غريباً .

المضاف افضل من المضيف ، ومن يأخذ اغنى ممن يعطي .

من يأخذ يملك كل شيء ؛ لان من يعطي يأخذ ما يعطي ممن يعطيه .

لا اتباهى حين اعطي الفقير ؛ كما لن اقول في نفسي ، انا اعطي وهو يأخذ ؛ وانا اضيف وهو بحاجة الى سقف يأوي اليه .

قد اكون اكثر حاجة منه ؛ وقد يكون ضيفي صديقاً ؛ هو بحاجة الى سقف يأوي تحته ؛ وانا بحاجة الى السماء ؛ هو بحاجة الى المال وانا بحاجة الى البر .

انت يا رب جئت الى هذا العالم ليتضاءل مجد الانسان ويزداد مجدك ؛ ولهذا جئت بلا خطيئة فوجدت الكل خطأة .

ان كنت قد اتيت لتمحو الخطايا ، فامنح المغفرة ؛ وانا اعترف بخطاياي لان اعترافي في تواضعي ، وشقاوتي في ارتفاعي .

ان جئت تغفر لي خطاياي فسأقر بحقارتي لكي ترحمني .

يجب عليك ان تنمو وان اصغر : عليك ان تعطي ؛ وعليَّ ان اقبل ؛ عليك ان تتمجد وعليَّ ان اعترف .

عليَّ ان افهم مَنْ انا ، وان اعترف به اليك ؛ وعليَّ ان افهم اني اخذت انا الذي كنت اريد ان ادعي لي ما ليس لي ؛ عليَّ ان اصغر وان تعظم .

عليَّ ان اصغر في نفسي وان انمو فيك . فلينمُ فيَّ مجدك ؛ وليتضاءل مجدي حتى يعظم فيك مجدي .

الفصل السادس : في الحسد

انّى كان الانتفاخ عقبه حالاً الحسد؛ لان الكبرياء امّ الحسد . وهذه الأم لا تعرف العقمَ ، وحيث تكن تنجب باستمرار . الحسد هو ألاّ تريد السعادة للآخرين .

وهو رذيلة شيطانية ؛ وشرّه يقوم على ان تغتبط بالضرر للآخرين ؛ الحسد يتألم من خيرٍ يصيبهم .

ان هذه الخطيئة التي تقوم على الاكتئاب لخير يناله الغير ، كريهة على الله جداً .

الحاسد لا يرضى بأن يجرحه آخر ؛ لانه هو اوّل جلاد لنفسه .

القلب الحاسد دودة شريرة تنخر كل شيء فتحوّله رماداً .

ومتى استطاع الحاسد والمتكبر ان يحب باخلاص ؟ وهل يحب الحاسد فنخطأ في تقديرنا ؟

حاشا لأحدكم ان يضلّ فيقول ان الحاسد يحب . أصْغِ الى الرسول : « المحبة لا تحسد » .

ولكن ، اياك ان تعتقد بأن الغيرة على شيء هي الحسد بالذات ؛ انهما جاران وغالباً ما يؤخذ الواحد منهما محلّ الآخر لما بينهما من تجاور ويوضَع الواحد منهما محل الآخر .

الغيرة ألم في النفس يشعر به المرء حين ينال آخرُ خيراً يريده اثنان او اكثر ولا يمكن ان يحوزه سوى واحد .

السلام يشفي من هذه الغيرة ؛ ويقوم هذا السلام على ان نتوقَ الى ان يصبح جميع من يسعون في اثر شيء ما ، واحداً ، اذا حصلوا عليه .

الحسد ألم في النفس التي تعتبر الآخرين غير جديرين ايضاً بالخير الذي لم تطلبه .

طول الاناة يشفي من الحسد : وهو ان يقبل الانسان بحكم الله فلا يقاوم ارادته ؛ ويعتقد بأن اعطاء الخير للقريب ، غير المستحق له ، بنظره، افضل مما لو اعطي له شخصياً .

ولكي تجتنب الحسد وتهرب منه ، عليك ألاّ تستكبر على سواك من الناس .

جعلك الله ، بنعمة منه ، فوق الحيوانات وأسمى منها ؛ وهذا طبيعي ؛ وستكون دوماً افضل منَ الحيوان .

ان شئتَ ان تكون افضل من انسان تحسده حين تراه مساوياً لك ، عليك ان تطلب المساواة مع الناس كلهم ؛ امّا اذا فُقْتَ احدهم فطنةً فعليك ان تطلب له الفطنة ايضاً .

وطال ما انه متخلّف عنك فهو يأخذ عنك المعرفة ؛ وطال ما انه جاهل

فهو بحاجة اليك ؛ فترى نفسك عالماً وتراه تلميذاً ؛ وترى نفسك اعلى منه ، لانك عالم ؛ وتراه ادنى لانه تلميذ .

اذا لم ترد ان تساويه بك شئت ان يظل لك تلميذاً ؛ وان شئت ان يظل دوماً تلميذاً لك كنت معلماً حسوداً .

ان كنت معلّماً حسوداً فكيف تكون معلماً ؟ بحقك لا تعلّمه الحسد .

اصغ الى كلام الرسول الخارج من صميم محبته : « اتمنى ان يكون كل الناس مثلي » (١ كور ٧/٧) .

وكيف يريد ان يكون الجميع مساوين له ؟ كان فوق ، وأراد ان يتساوى والجميع بالمحبة .

وكيف تجاوزت الحد وشئت ان تطمع الى التسلط على الناس يا مَنْ خُلقتَ لتكون مسلّطاً على الحيوانات : وكبرياؤك هذه هي ام الحسد .

لا تغلط : ان كنت حسوداً فلا يسعك ان تحب الناس كاخوة لك ؛ وان حسدتَ فلا محبة فيك ؛ بل خطيئة الشيطان ؛ لانه حسد من هو واقف، وأراد ان يوقعه لا لكي يظل هو عينه واقفاً بل لئلا يسقط وحده .

احفظ في قلبك أنّ الحسد لا يعيش في المحبة .

لم تكن المحبة في قايين ، ولولا وجودها في هابيل لما قبل الله ذبيحته ؛ اتظن ان الله نبذ ثمار الارض وقبل ذبيحة الغنم يوم قدّما له القرابين : هذا من ثمر ارضه وذاك من غنم قطيعه ؟؟

لا يأبه الله لما تقدمه الايدي ؛ لكنه يرى ما في القلب ويشيح بوجهه عن ذبيحة الحسود ؟؟

اعمال هابيل الصالحة تعبّر عن محبته وشرور قايين تكشف عن بُغضه لأخيه .

ان يبغض قايين اخاه ويحسده على اعماله الصالحة ، فهذا امر بسيط ؛ ولكنه اراد ان يقتله لانه لم يشأ أنْ يقتدي به .

اذ ذاك ظهر هو ابناً للشيطان وهابيل ابناً لله .

قل لي : لمَ تحسد البار ايها الانسان الشرير ؟ الأنك تريد ان تظهر باراً ؟ اعمل حالاً ما هو افضل يسهل عليك ان تصير ما تريد .

كن باراً لتحب من كنت تحسده ، فتصبح من كنت تشكو منه ، وتحب فيه ذاتك ، كما تحبه في ذاتك .

ومع ذلك ، ان حسدت الغني فلا يسعك ان تصبح غنياً او حسدت شيخاً نبيلاً فلا يسعك ان تصبح نبيلاً وثرياً ؛ ان حسدت جميلاً فلا يسعك ان تصبح جميلاً ، وان حسدت قوياً فلا يسعك ان تصبح قوياً ذا صحة جيدة .

امّا ان حسدتَ صدّيقاً فالأمر منوط بك ؛ كن انت ذاتك ما تحزن ان تراه في الغير .

لن يمكنك ان تبتاع ما لست فيه وما هو الآخر فيه .

يعترف الجميع مجاناً ، وبسرعة ، بان السلام على الارض لذوي الارادة الصالحة .

عواطف وصلوات

ربّ ، انك تدعونا اعضاءك لكي نرفع قلوبنا الى العلى . يحاول الحسد ان يقرض قلبي : هبني ان ارفع اليك ما ليس بخيرٍ فوق هذه الارض : القلب المرتفع اليك لن يعرف هناك فساداً .

ان كانت لي حنطة في محلات واطئة ارفعها الى الاعالي لئلا تصبح عفنة . فهل اغيّر محلّ حنطة واترك قلبي يعفن في الارض ؟

ارفع القمح الى فوق ، فهبني ان ارفع قلبي الى السماء . وكيف ذلك ؟ ما احوجني الى حبال وآلات وسلّم : الدرجات عواطفي وطريقي ارادتي .

ان احببت ارتقيت وان اهملت سقطت ؛ ان احببتك ، ولو كنت واقفاً في الارض ، فانا في السماء .

بيد اني اتقهقر بسبب ضعفي ، فاشفني لأقف وثبّتني فأتقوّى .

الفصل السابع : في الرياء

لا تحاول ان تخدع كالمرائين .

المراؤون خدّاعون ؛ وهكذا ، فكل من اراد ان يظهر بخلاف ما هو فهو مراء .

المرائي يتظاهر بالاستقامة ؛ ولا يظهر أنه يضع كل ربحه في مديح الناس له ؛ وهذا ما يكسبه المراؤون حين يخدعون الناس بمظهرهم الصالح لكي يُثنُوا عليهم .

لكن المرائين لا ينالون من الله ، فاحص القلوب ، سوى العذاب عقاباً على غشهم ؛ لانه قال : « لقد اخذوا من الناس اجرهم » . ويقول لهم بحق : « ابعدوا عني يا فعلة الاثم يا من اخذتم اسمي وتركتم اعمالي » (متى ٧–٢٣) .

والذين لم يعملوا الصدقات واعمال البرّ الاّ لكي يمجدهم الناس قد اخذوا بالنتيجة اجرهم ؛ لا لان الناس قد مجدوهم ؛ بل لانهم عملوا كي يمجدهم الناس .

على مَنْ يعمل خيرًا ، ان لا يتوق الى ان يمجده الناس ؛ لكن تمجيد الناس يتبع حتماً عمل الخير لكي يتمكن من يمجّد من ان يحذو حذوه ؛ فلا يُعتقد من كان موضوع ثناء بان هذا المجد مفيد له ونافع .

لا يجوز لك ان تعمل ما هو مشجوب في المرائين .

هم يُلامون لانهم يعملون لكي يمجدهم الناس . ان شئت ان تظل في الطريق المستقيم ، فاحفظ وصايا الربّ الهك ، واصغِ الى المعلّم يعظْك على الجبل .

صوت المعلم

لا تعمل صدقتك امام الناس ليروك ؛ والا فليس لك اجرٌ عند ابيك الذي في السماوات .

متى صنعت صدقة فلا تضرب امامك بالبوق كما يصنع المراؤون في المجامع والطرقات لكي يمجدهم الناس . الحق اقول لك انهم قد قبلوا اجرهم .

اما انت فاذا صنعت صدقة فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك لتظل صدقتك خفية وابوك الذي يرى الخفيات يجازيك .

ومتى صلّيت فلا تكن كالمرائين الذين يهوون الوقوف للصلاة في المجامع وفي زوايا الساحات ليراهم الناس . الحق اقول لك انهم قبلوا اجرهم .

اما انت فاذا صلّيت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصلّ لابيك سرًّا وابوك الذي يرى السر يجازيك .

ومتى صمت فلا تكن عابساً كالمرائين الذين ينكّرون وجوههم ليرى الناس صيامهم : الحق اقول لك انهم قد اخذوا اجرهم متى ٦: ١٠–٦ .

وعليه فان صنعتَ عملاً صالحاً فاحذر من ان يداخله حب الظهور او رغبة في المجد البشري الذي يضاعف قلبك ولا يخلّيه نقياً صافياً لكي يفهمني .

وجّه نيتك الى الافراح الباطنية لئلاّ تبحث عن الاجر في الخارج فتتكيف بهذا العالم وتنسى وعدي لك .

ليس الغرور في التعلّق في مظهر الامور الجسدية وزخارفها وحده انما هو ايضاً في تلك الامور الحسيسة المؤلمة نفسها التي يزداد خطرها لكونها تخدع تحت ستار خدمتي .

ان غاليت في الاعتناء بجسدك وقلبك وما اليهما من الامور الاخرى سهل عليك الاقتناع بانك من المعجبين بتلك الابهات العالمية وزخارفها وما استطعت ان تخدع احداً بمظهر قداسة .

اياك ان تتخذ التقوى مظهراً ثم تكفر بها كفضيلة .

البراءة الكاذبة ليست براءة ؛ والعدل الكاذب ليس عدلاً ؛ بل جورٌ مزدوج ؛ انه جور وكذب .

لا تعتقد بالمرائين لانهم مؤمنون كاذبون ؛ يتظاهرون بالايمان في اعتراضهم ولكنهم كفرة في حياتهم السيئة ، ويتكلمون بخلاف ما يعتقدون ؛ ولهذا فهم منبوذون ، برغم ان ما قلت معلِماً هو مفيد لهم ونافع . « اسمعوا اقوالهم ولا تعملوا اعمالهم لانهم يقولون ولا يعملون » متى ٢٣–٣ .

كم ارسلت من تهديدات للجدران المبيَّضة بالكلس ؟ ها هي شهادات الانبياء لا تعد ولا تحصى وفيها لعنت الجدار المبيَّض بالكلس .

ما هو الجدار المبيض بالكلس ان لم يكن ذلك المرائي؟ لمعان في الخارج ووحل في الداخل.

ان فتحت باباً في جدار مكلس مستقل عن سواه من الجدران وغير مرتبط بها ودخل منه شخص يدخل الى الخارج . هكذا هي حال من يبني حائطاً ويكلسه ولا يربطه بغيره من الجدران ؛ واي نفع له من باب يفتحه فيه ؟

ان دخلت وجدت نفسك خارجاً لانك لست تدخل من الباب ولان هذا لا يؤدي بك الى الداخل .

اما انا فأقول : انا هو الباب ، وبي الدخول . وكل من يطلبون مجدي من هذا الباب يدخلون. المراؤون لا يطلبون مجدي بل مجدهم .

وحدثت بسبب المرائين انشقاقـات كثيرة : بين الاشرار اضطرب المراؤون خوفاً اذ كانوا شراً منهم ؛ وابوا ان يكون صالحون بين الاشرار .

آه لو كانوا حنطة حتى زمن التذرية لصبروا على التبن على البيدر . ولكن بما انهم تبن فقد هبّت الريح واختطفت التبن عن البيدر قبل التذرية وألقته بين الأشواك .

ايناً كان اتجاهك في الايمان فأعد نفسك لتحمّل الكذبة ، والاّ لقيت ما لم تتوقعه؛ فتسقط او تضطرب .

وديانتي نفسها تضم صالحين وتضم كذابين ؛ فيؤخذ هذا ويترك ذاك من بين عبيدي انفسهم المسيحيين .

عواطف وصلوات

فليضئ يا رب نوري امام الناس ليروا اعمالي الصالحة ويمجدوك انت الذي في السماوات.

فليطلب المراؤون مدائح الناس وليسرعوا الى الامجاد وليمسكوا بالمجد الباطل .

امّا انا فاني اريد ان اكون مرضياً لك وحدك دون الناس ؛ لاني لو شئت استرضاء الناس لما كنت خادماً لك .

سأفرح وأعظم نفسي ، لا بهذا العالم ولا بأباطيل المجد البشري ؛ بل سأبتهج فيك واتعظم ، لان نور وجهك فيَّ مطبوع .

فليختر المراؤون المجد الارضي والزمني ؛ امّا انت فكن شراب كأسي يا سيدي .

انا لا اريد ان اميل بعيني عنك ، ايها الثابت الى الابد ، العالمُ مسبقاً بأني سوف آتي اليك في نهاية الزمان .

لهذا يفرح قلبي ويهتز لساني طرباً ؛ لهذا أفرح في عقلي وابتهج في اقوالي .

ان بقي فيَّ شيء من الظلام لكي اصبح بكليتي نوراً فلا شيء فيَّ يقاوم المحبة ويخالف الحقيقة ويخضع للضعف وينقص الحالة الخلقية ، حررني من الظلام وحررني من نفسي .

الفصل الثامن : في الخداع

« اطرح عنك كل خبث ومكر ورياء ؛ وكطفل وُلد حديثاً تُقْ الى اللبن العقلي الذي لا غشّ فيه لتنمو به للخلاص ان كنت قد ذقت ان الربّ صالح » (١ بطرس ١/٢) .

واعمل نظير الطفولة المقدسة واطرح عنك الخبث والمكر والرياء .

حافظ على تلك البرارة ولا تتخلّ عنها متى كبرت .

الخبث هو حب الايذاء ؛ والخداع هو ان يعمل الانسان شيئاً ويخفي آخر . والمكر هو الإغراء بمدح كاذب .

الخبث يفرح بالأذى اللاحق بالغير ؛ والرياء يجعل القلب قلبين ؛ امّا المكر فانه يجعل اللسان لسانين .

اهرب من المكر : كن وديعاً كالحمامة وحكيماً كالحية ، لا رغبةً في الايذاء بل سعياً الى تجنب المؤذي .

اهرب من المكر حيث يفرح الانسان بان يعمل ليس فقط ما لا يخشى عليه لومة لائم ؛ بل ما يمكن الثناء به عليه .

لا تهنئ الرجل الذي ينجح في طريقه ويحتاج الى من يثأر لخطاياه ؛ ثم له من يمدحه . ذاك هو غضب الرب العظيم .

قل هكذا متى وجدتَ الماكر : « ليقرّعني الصدّيق وليوبخني انما ذلك رحمة » (مزمور ٥/١٤٠) .

يجب عليك ان تطلب التأديب برحمة ولا الثناء الكاذب .

انكان صديقك باراً ورحيماً فانه يؤدّبك برحمة متى رآك في خطأ .

تنازل الربّ وكلّمك في شخص مؤدبك لئلا تصدّ عنك شخص من يؤدّب.

مَنْ وبّخ كان محباً : وهو يوبّخ لانه لا يبغض . اسمع الكتاب : « وبّخ الحكيم فيحبّك » (الامثال ٩:٨) .

لن يطيّب زيت الخاطئ رأس الحكيم لان الثناء الكاذب خداع ؛ وثناء الخداع الكاذب زيت الخاطئ. ولذلك حين يسخر الناس من واحد ويثنون عليه ثناءً كاذباً يقولون فيه : « لقد دهنّا رأسه ».

احبَّ اذاً توبيخ البار برحمة ولا تهوَ مديح الخاطئ بسخرية.

المضطهدون نوعان : الناقدون والمادحون.

لسان الماكر اشدّ مطاردة من يد القاتل.

لسان الماكر اتون «بالنار يمتحن الذهب والفضة وكذا الانسان مع فم مادحه» (امثال ٢٧/٢١).

الاضطهاد نار والمكر نار ؛ وعليك ان تنجو منها بسلام ؛ من وبّخك حطّمك كما الإناء الخزفي في الأتون. كوّنتك الكلمة ثم جاءت تجربة الامتحان : فمن كان مكوّناً ، عليه ان يصبح قاسياً. ان كان تكوينه حسناً جاءت النار وصيّرته قوياً.

نار الامتحان وعذابه يقويان الشهداء.

إنْ مدَحَك الخادعون الماكرون وقبلت كنت كالعذارى الخمس الجاهلات ؛ اشتريت زيتاً ولم تأخذه معك. ألمْ يُكسِرك فمُ مادحيك.

وعليه فان مدحك احد الناس قل له : لمَ تمدحني ؟ امدح الله ؛ ومن انا حتى تمدحني ؟ او ماذا عملت ؟ اي شيء لي ولم آخذه ؟ وان كنتُ اخذتُه فلماذا أفاخر وكأني لم آخذه ؟

ولكنك تقول : اني احتمل الخداعين وها هم لا يكفّون عن الضجيج ؛ يمدحوني بما لا اريده وبما لا آبه له ؛ امّا ما هو عزيز عليّ فانهم يشجبونه ؛ يا لهم من ماكرين خداعين كذابين.

هم لا يكفون عن الخداع ؟ خداعهم لا يطيب لي ؛ انه زيت الخاطئ ان لم يكن طيّباً فلن يعطر رأسك.

لا تفرح بأمثال تلك المدائح ؛ ولا تقبل بها ؛ ولا ترضَ ؛ ولا تهنأ

نفسك بها ؛ حتى اذا قدم لك احدهم زيت الخداع ظلّ رأسك سالماً ، فما انتفخ ولا تورم.

لانه ان انتفخ وتورم ثَقُلَ عليك وقذفك الى الهاوية. أنّا لنجد أناساً آخرين يقبلون صامتين ، عن مكر ، اقوالاً شريرة ، مع انهم يعرفونها شريرة ؛ ولا يوبّخون قائليها لئلا يهينوا من سمعوها منهم.

انه لشيء بسيط ألاّ يقولوا : عملت سوءاً ؛ ولكنهم يقولون : حسناً صنعت ؛ لقد ادركوا انه شرّ بيد ان الخبث ملء افواههم ولسانهم يلائم الخداع.

الخداع هو بعض الغش في الكلام ؛ ويقوم بان يقول الانسان بخلاف ما يبطن.

اهرب من الخداع ان كنت خداعاً فلست تعمل الشرّ وتسرّ به وحسب لانك تمدح علناً وتسخر سرّاً.

انك تهوّر انساناً يعلن عن عيوبه لحماقة ولا يدري ان كانت ام لا ؛ اما انت فانك تعرف العيب ولا تقول له ؛ اين تلقي بنفسك ؟

لو رأيته يمشي بلا وعي في الظلام ، حيث تعلم بوجود بئر ، فهل تسكت؟ ومن تكون اذ ذاك ؟ ألست تقدم ذاتك عدوًا لنفسك ؟ ومع ذلك ان سقط في البئر فلن يخسر نفسه بل جسده.

هو يلقي بنفسه في رذائله ؛ وانت تعرفها شريرة ثم تمدحه وتسخر منه في سرّك ؟

آه لو يتّجه يوماً الى الله مَنْ تسخر منه وترفض ان تصلحه ، ليقول له : «اخزِ اللهمّ القائلين لي : نعمّا نعمّا» (مزمور ٣٩/١٦).

عواطف وصلوات

ربّ ، ان شئت ان ارضي الناس واعمل خيرًا فلست آخذ زيتي معي ؛ اجعلني آخذ زيتي معي واحمله في باطني الذي تراه ، حيث شهادة ضميري.

ان سعيت في طلب شهادة الآخرين فلست احمل زيتاً معي ؛ وان تنزهت عن محرمات وعملت صلاحاً لكي يمدحني الناس فلا زيت معي في الداخل ؛ واذ يكف الناس عن مديحي تنطفئ سرجي .

انه لأفضل لي تقريع الصدّيق وتوبيخه وضربه وتأديبه من ان يمسح رأسي بزيت الخاطئ .

اني اوثر توبيخ البار برحمة منه صارمة على تقريظ زيت الخداع الطري .

ان الذين يسمونني سعيداً يضلونني .

اذا شئت ان يمدحني الناس برغم انك توبخني ، فلن يستطيعوا ان يرفعوا عني قضاءك وان يخلّصوني من حكمك ؛ انا تابع لقطيعك ؛ هاءنذا لك فخذني .

ابسط جناحيك فأفزع اليها ؛ انت مجدي فاجعلني محبوباً من اجلك واعطني ان اخشى كلمتك .

الفصل التاسع : في ان التواضع هو اساس الكمال المسيحي

اتريد ان تتبع المسيح الى حيث السعادة الفضلى والسلام والامان الدائم ؟ حسن لك ان تتبعه هناك ؛ ولكن على اي طريق ؟ العلوّ يبهجك ؛ ولكن التواضع سلّم اليه .

هل تخطو الى ابعد مما لك ؟ انت تريد ان تقع لا ان ترتفع .

ابدأ خطوة فترتفع .

هل تريد ان تكون عظيماً ؟ ابدأ بما هو بسيط جداً .

هل تريد ان تبني مصنعاً عالياً جداً ؟ فكّر اولاً بأن تؤسسه على الأعماق .

لان كلّ من اراد ان يشيد بناءً عظيماً يعمّق الأساس بقدر ما يزيد ان يكون البناء عالياً .

عندما يُشاد البناء يشمخ في الاعالي ؛ امّا الذي يؤسس فانه ينزل الى الاعماق .

وبالنتيجة فالمصنع قبل ان يعلو ينزل الى الاعماق ، والقمّة لا تُبْنى إلاّ على الانسحاق . في الحياة خطوات ، ولكن اياك ان تمكث كسولاً وتسقطْ متكبراً .

انسحاق القلب والكفر به وعدم الاغترار بالنفس والاعتداد بقواه الشخصية عن كبْر ، امور لا تجد شيئاً منها في كتب الغرباء : لا في كتب الابيكورين ولا الرواقيين ولا المانويين والافلاطونيين .

حيث افضل النظم الاخلاقية والتربوية فلا مجال للتواضع .

طريق التواضع ينشأ من محلّ آخر ؛ انه آتٍ من المسيح .

واي شيء آخر قد علّمناه متواضعاً ومطيعاً حتّى الموت ، موت الصليب؟

واي شيء آخر علّمناه ، حين دفع ما لم يكن مترتباً عليه ليحررنا من ديوننا ؟

واي شيء آخر علّمنا ، يوم تعمّد ، وهو الذي لم يعمل الخطيئة ؛ ويوم صُلِبَ ، وهو الذي لم يكن عليه ادنى ذنب ؟

واي شيء آخر علمنا سوى التواضع .

جزيل الفائدة هو التواضع البشري حتى ان الله الكلي السموّ قد اوصانا به بمثله الحيّ : لو لم يستدرك الله ، بتواضعه ، الانسان المتكبر ، لكان هلك الى الابد .

السيد المسيح باب وضيع ؛ ان اردتَ ان تدخل منه فعليك ان تتواضع لتتمكن من الدخول دون ان يصاب رأسك بأذى .

ان لم تتضعْ بل تباهيتَ فانك تريد ان تصعد عن طريق الحائط ؛ وان صعدتَ على الحائط ثم تباهيتَ سقطت .

اتضعْ وادخل من الباب ؛ تعال بقدم ثابتة لئلا تصاب بأذى .

تأمّل ما صار اليه الله لأجلك : افهم تعليمه ؛ كم في هذا التواضع العميق من معلّم لم يتكلّم حتى الآن !

لقد كان لك من الفصاحة في الفردوس ما اهّلك لان تعطي اسماً لكل نفس حية ؛ ولكن خالقك اقام طفلاً من اجلك في مزود ولم تَدْعُهُ أُمّه باسمه .

أبَيْتَ ان تطيع فخسرتَ نفسك في مكان رحب من الاراضي المثمرة ، امّا هو فقد جاء الى الموت في أضيق مكان للغرباء ليموت بحثاً عن الميت .

انت ، اذا كنت انساناً ، واردت ان تصير إلهاً ، هلكت ؛ امّا هو الله فقد شاء ان يصير انساناً ليخلص ما قد هلك .

لقد اثقلتْ عليك كبرياء الانسان حتى لم يعد ممكناً خلاصك الأ بواسطة تواضع الله .

صار الله انساناً وهو إله ؛ اما انت الانسان فلم تعرفْ انك انسان صائر الى الموت ومريض يطلب طبيباً ؛ وأشدّ خطراً من هذا كله انك كنت تظن نفسَك سليماً من كل مرض .

صار الله انساناً بينا هو إله حتى تعرف انت انك انسان؛ يا للدواء العظيم .

ان لم يشفك هذا الدواء من مرضك فلا ادري اي دواء آخر يشفيك .

الله موجود وقد صار انساناً اي انه حجب ألوهيته واخفى ما هو خاص به ليظهر بالشكل الذي اخذه .

ادخل بالمسيح : اقتد بآلامه واعرف تواضعه حتى تعرف ذاتك انساناً لا إلهاً ؛ لان الله صار انساناً من اجلك .

ان اردتَ ان تظهر بغير مظهرك فلستَ تقتدي بذاك الذي ، اذ هو إله ، قد صار انساناً .

لستُ اقول لك : كُنْ اقل مما انت بل اعرف من انت .

حين تنظر الى نفسك فكّر بتواضعك ؛ ولا تستكبر ؛ لان كل تقدم تحرزه ، يكون بنعمة من الله ورحمة منه . احفر فيك التواضع اساساً لتصل الى قمّة المحبة .

« ازدد تواضعاً ما ازددتَ عظمة فتنال حظوة لدى الرب » (بن سيراخ ٣/٢٠) .

ولكن لا تكن ممّن يهملون انفسهم اذ يسمعون بأنه يجب عليهم ان يكونوا متواضعين ؛ فلا يتعلمون شيئاً ، ظناً منهم ، ان كل علم يجعلهم متكبرين : هؤلاء يبقون على الحليب وحده كالاطفال .

اني اريد منك ان تتغذّى بالحليب دون ان تبقى عليه؛ بل تنمو لتبلغ الى ما هو اشد منه .

لا يشمخ قلبك مستكبراً بل ارفعه بمعرفة كلمة الله .

انا لستُ اقول لك : كن متواضعاً كي لا تصبح راشداً ؛ كن متواضعاً بسبب الكبرياء وكن رفيقاً بسبب الحكمة .

لا تكن طفلاً ساذجاً ؛ بل كن طفلاً بفطنة لتكون كاملاً بعقلك .

خُذْ حليباً غذاءً لك ؛ وتغذّ بهذا الشكل لتنمو ، ثم انمُ بهذا الشكل لتصبح قادراً على ان تأكل خبزاً .

متى بدأت تأكل خبزاً تُفْطَم ؛ ولن تعود محتاجاً الى الحليب بل الى الطعام .

قَلَقُ التواضع افضل من ثقة الكبرياء .

الجهل مع التقوى افضل من العلم مع الغرور والاقرار بالجهل مع التقوى أفضل من الاعلان عن العلْم بخفة .

الاعتراف بالجهل خطوة الى المعرفة .

التواضع في السيئات لا يُغيظ الله كالكبرياء في الصالحات .

كان الفريسيّ متكبراً في الصالحات والعشّار متواضعاً في السيئات .

الشرّ الذي تعمله هو منك وحدك؛ والخير الذي تعمله هو نعمة من الله .

متى بدأتَ تعمل خيراً فلا تردّ ذلك الى نفسك ؛ اذ ذاك تؤدّي فعل شكر لله اخذته منه .

ان عملتَ خيرًا فلا تُهنْ من لم يعمله ولا تستكبر عليه .

ان نعمة الله لم تنحصر فيه دون سواه .

عليك ان تفكّر بما ينقصك اكثر مما تفكّر بما لديك .

احذرْ ان تضيّع مالك ؛ اما ما ليس لك فاطلب ان يكون لك .

ان فكّرْتَ بما فقتَ به الغير ، فاحذر الكبرياء .

ان فكّرتَ بما ينقصك بكيت ؛ وان بكيت شفيت واتضعت وسرتَ بتؤدة ، فما اسرعت ولا استكبرت .

لا تمدح نفسك متى كنت صالحاً ؛ لانك حين تمدح تتحول من صالح الى شرير .

بالتواضع صرتَ صالحاً وبالكبرياء شريرًا ؛ لا تظن نفسك نورًا : لقد كنت في ذاتك وارادتك الشريرة وعداوتك ظلاماً مع انك الآن نور .

لقد كنت حيناً ظلاماً ؛ امّا الآن فأنت نور في الربّ ، ان لم تكن نورًا بعيدًا عن الربّ ؛ وان كنت الآن نورًا لانك في الربّ فماذا لك ولم تأخذه ؟ وان كنت قد اخذته فلماذا تستكبر كأنك لم تأخذه ؟

من اعطى المتواضع سَلَبَ المتكبر ؛ لان من يعطي يستطيع ان يسلُب.

ولماذا تعزو لنفسك ما لم تعطه انت لنفسك ؟

اعرف المعطي واعترفْ بأنك قد اخذتَ لتكون اهلاً لان تعطي ؛ ان لم تكن محتاجاً فلماذا تستعطي وتستكبر ؟

حيث التواضع فهناك العظمة ؛ وحيث الضعف فهناك القوة ؛ وحيث الموت فهناك الحياة ، ان شئت ان تصل الى هذه فلا تحتقر تلك .

كن دوماً غير راضٍ عمّا انت فيه ، ان شئت ان تصل الى ما لم تبلغه حتى الآن.

انك تقيم حيث يطيب لك ، اما ان قلت : حسبي ، هلكتْ .

اضفْ دوماً وسِرْ دوماً وتقدّم باستمرار : اياك ان تمكث في الطريق او تعود القهقرى او تحيد عن الطريق .

يبقى في الطريق من لا يتقدم ؛ ويعود القهقرى كل من يرجع الى الامور التي قد ابتعد عنها ؛ وينحرف كل من يكفر .

الاعرج السائر على الطريق افضل من العدّاء خارجاً عنها .

عواطف وصلوات

لقد علّمتني يا ربّ انه يجب عليّ ان اذ كر دوماً برّك دون سواه .

ان تأملتُ حياتي السالفة رأيتُ ما كان متوجباً لي ، وما اخذت ممّا كان متوجباً لي .

استحققت العقاب فأعطيت النعمة ؛ واستحققت جهنم فأعطيت الحياة الابدية .

لقد علّمتني ببداية ايماني الذي به جددتني ، لقد علّمتني انني ما سبقت شيئاً فيّ وقلت لي اني مدين بما انت اعطيتني .

من ذا الذي يهتدي اليك إلاّ من الاثم ؟ ومن ذا الذي يُفتدى الاّ من الاسر ؟

ومن ذا الذي يستطيع ان يقول ان أسره كان ظلماً يوم هرب من قائده واصبح فارًا .

لقد آمنت بما وُعد به الفارّ فلقيت ما هددت به .

وبما اني تُبْتُ اليك ، جددتني يا صانعي ثم خلقتني وكونتني من جديد . وبما اني تبت اليك ادركتُ ان لا قيمة لاستحقاقاتي ؛ انما نعمتك جاءتني مجاناً لكي اذكر عدلك وحدك .

واذ انظر الى كل ما استطيع ان احوزه في الطبيعة والحديث والايمان والرجاء والمحبة والاخلاق الحسنة والبر وفي خوفك ، اجد ان كل شيء عطية منك .

يا للاثم الذي لا يحق لأحد ان ييأس منه : الله رحمة لي.

انت هو خلاصي يا من تعطيني الخلاص .

انت حماي لاني اليك الجأ مطمئناً .

انت قوّتي لانك تعطيني القوّة .

انت رحمتي لان كل ما انا عليه هو من رحمتك .

ماذا عملت لكي اكون ؟ وماذا صنعت لكي اكون انا الذي دعوتك ؟

ان صنعت شيئاً لكي اكون فهذا يعني اني كنت قبل ان اكون ... ومن جهة ثانية ان لم اكن شيئاً قبل ان اكون فانا ما استحققت البتة بأن اكون

لقد عملت لكي اكون . وما عملت لكي اكون صالحاً .

اعطيتني ان اكون ويستطيع آخر ان يعطيني ان اكون صالحاً .

ان اعطيتني انت ان اكون ، واعطاني آخر ان اكون صالحاً ، فالافضل هو الذي اعطاني ان اكون صالحاً لا من اعطاني ان اكون .

وبالعكس طال ما أنّ لا احد افضل منك فلا احد أقوى منك وأرحم ؛ ان الذي اعطاني ان اكون اعطاني ايضاً ان اكون صالحاً ، الهي رحمتي .

الفصل العاشر : في قيمة النعمة

النعمة هي ما يُعْطى مجاناً دون النظر الى استحقاقات من يعمل ، بل برحمة ممّن يعطي .

النعمة محبة : ومن يثبتْ في النعمة يثبتْ في المحبة .

ان حفظت وصايا المسيح تثبت في محبته .

انت لا تحفظ وصاياه اولاً لكي يحبك ؛ اذ لولا حبه لك لما استطعت ان تحفظ وصاياه .

هذه هي النعمة التي تنكشف للمتواضعين وتحتجب عن المتكبرين .

اسمع صوت الربّ إلهك : « اثبتوا فيّ وانا فيكم ؛ كما انّ الغصن لا يمكنه ان يعطي ثمرًا من تلقاء نفسه ما لم يثبت في الجفنة .كذلك انتم ان لم تثبتوا فيّ . انا هو الكرمة وانتم الاغصان ؛ من يثبتْ فيّ وانا فيه يأتي بثمر كثير ؛ بدوني لا يمكنكم ان تعملوا شيئاً ؛ من لا يثبتْ فيّ يُطرَحْ خارجاً كالغصن الذي ييبس فيجمعونه ويلقونه في النار ليحترق . امّا ان ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم فكل ما تريدون ان تسألوه يكون لكم » (يوحنا ١٥/٣–٧) .

اثبتْ في المسيح يثبتْ فيك : لست انت فيه كما هو فيك ؛ والافادة ليست له بل لك .

الاغصان في الكرمة لا تعطي الكرمة شيئاً انما تحيا بها ؛ وهكذا هي الكرمة في الاغصان فانها تقدم لها الغذاء الحيوي ولا تأخذه منها .

وعلى هذا النحو فان ثبوتك في المسيح وثبوت المسيح فيك كلاهما يُفيدانك ولا يفيدان المسيح .

ان قطعتَ غصناً يمكن لآخر ان ينمو اذا كان له جذر حيّ ، امّا ان قُطعْتَ فلا يمكنك ان تحيا بدون جذر .

ما اعظم قيمة النعمة ! انها ترفع قلوب المتواضعين وتسدّ افواه المتكبرين .

ان ظننتَ بأنك تحمل ثمرًا من نفسك فلست في الكرمة ؛ ان لم تكن في الكرمة فلستَ في المسيح ؛ وان لم تكن في المسيح فلست مسيحياً ؛ تلك هي الاغوار التي تؤدي اليها الكبرياء .

لا تظنَّنَّ نفسك اهلاً لان تحمل ثمرة واحدة صغيرة .

ان المسيح لم يقل : بدوني تستطيعون ان تعملوا القليل ؛ بل « بدوني لا يمكنكم ان تعملوا شيئاً » ، . لا يمكنك ان تعمل لا قليلاً ولا كثيرًا بدون المسيح ؛ بدونه لا يمكنك ان تعمل شيئاً .

ومع ان الغصن يحمل قليلاً فان الحارث ينقّيه لكي يحمل اكثر : وعليه فان لم يثبت في الكرمة يحيَ من الجذر فلا يستطيع ان يحمل من ذاته أدنى ثمر .

تتدنّى قيمة الاغصان جدًا بقدر ما تبتعد عن الكرمة ؛ وبالعكس ، تزداد قيمتها بقدر ما هي فيها ؛ لان الاغصان المقطوعة لا تفيد الحرّاث شيئاً ولا يمكن استخدامها للصناعة .

فأما ان تكون في الكرمة اوفي النار : واحد من اثنين . ان لم تكن في الكرمة صارت الى النار ، ولكي لا تكون في النار يجب ان تكون في الكرمة .

اعرف انك لست شيئاً بذاتك ؛ ولا تردّ الى قواك ، بل الى نعمة الله ما انت فيه .

اعرف ما قد قيل : « أفتخر بأوهاني » (٢ كور ٩/١٢) .

واعرف ما قيل : « لا تستكبر بل خف » (رومية ٢٠/١١) .

واعرف ما قيل : «ويعطي النعمة للمتواضعين » (يعقوب ٦/٤) .

واعرف ما قيل : « لان القوة تكمل في الوهن » (٢ كور ٩/١٢).

اسمع المسيح القائل : « ليس احد يأتي الي ما لم يجتذبه الآب الذي ارسلني » (يوحنا ٤٤/٦) لا يمكنك أنْ تقبل الى المسيح الاّ مجتذباً .

لا تحكم على من يجتذب ومن لا يجتذب ؛ ولا لماذا يجتذب هذا ولا يجتذب ذاك اذا لم تشأ ان تضلّ في حكمك .

ان لم تكن حتى الآن مجتذباً فصلّ لكي يجتذبك .

لا تفكّر بأنك تجتذب قسرًا ؛ القلب يجتذب وعن محبة .

ان جاز للشاعر ان يقول : ينقاد كل انسان لشهوة وليس عن ضرورة بل عن شهوة ؛ وليس قسرًا بل بلذة ؛ فكم يجب علينا ان نقول ان الانسان ينقاد للمسيح فينعم بالحقيقة والسعادة والبر والحياة الابدية .

وهذا هو المسيح بالتمام .

وهل لحواس الجسد ملذاتها من دون النفس ؟؟ كلا .

أعطِ المحبّ فيشعر بما اقول ؛ أعطِ المشتاق؛ اعطِ الجائع ؛ اعط الغريب في غربته ؛ واعطِ العطشان التائق الى معين الوطن الازلي ؛ أعطِ فلاناً ليعرف ماذا اقول .

اما ان تكلمت الى بارد فلا يعرف ماذا اقول .

تعلّم ان يجتذبك الآب الى الابن ؛ تعلّم من الآب واسمع كلمته .

لقد سبق للآب ان اجتذبك وقبلت الايمان ؛ ايها السائر في الايمان ، انت تسير في النعمة .

كيف استحققت هذا ؟ وما هي استحقاقاتك السابقة ؟

لا تخدع نفسك بل عد الى ضميرك وسَلْ خفايا افكارك وارجع الى

مجموعة اعمالك ؛ لا تنظر الى من انت ؛ ان كنت شيئاً ؛ بل انظر الى من كنت ؛ لتكون شيئاً ما فلا تجد نفسك اهلاً الاّ للعذاب .

ان كنت اهلاً للعذاب وجاء من لا يعاقب على الخطايا بل يغفرها فسيعفو عنك انما لن تُعْطى اجرًا .

ايها الخاطئ لقد اخذت هذه النعمة الاولى لكي تغفر خطاياك .

ماذا استحققت ؟ اسأل البر : لقيت العقاب ؛ سل الرحمة : لقيت النعمة .

امّا وقد اتبعت نعمة الايمان هذه فستبرّر بالايمان ؛ « لان البار بالايمان يحيا » (رومية ١٧/١) . وسوف تستحق الله بالحياة من الايمان ؛ واذ تستحق الله بالحياة من الايمان فسوف تنال الخلود مكافأة مع الحياة الابدية . وتلك هي النعمة .

ان كان الايمان نعمة فالحياة الابدية هي اشبه بمكافأة الايمان . وكأني بالله يعطي الحياة الابدية كدين واجب ، ولكن الايمان عينه نعمة والحياة الابدية بمثابة نعمة .

ولكن خَفْ من الادعاء بوجود الطريق المستقيم ، لئلا تهلك في الطريق بسبب وقاحتك ؛ واياك ان تقول : لقد جئت حرًّا وبارادتي .

ولِمَ تضطرب وتستكبر ؟ لا يسعك ان تذهب الى المسيح ما لم يجتذبك الآب اليه . إعملْ خلاصك بخوف ورعدة ؛ لان الله هو الذي يعمل فيك الارادة والعمل على حسب مشيئته .

ان عَملَ الله فيك فبنعمة الله تعمل خيرًا ؛ وليس بقواك ؛ وعليه ، ان سررتَ فخَفْ من ان يُنتزَع من المتكبر ما يُعْطى المتواضع . إياك ان تقول استحققت فأخذت .

ولا تعتقد بأنك أخذت لأنك استحققت ، انت الذي ، لو لم تأخذ اولاً لما كان بوسعك ان تستحق . سبقت النعمةُ استحقاقاتك ، وليست النعمة من الاستحقاق بل الاستحقاق هو من النعمة .

لو صدرت النعمة عن استحقاقٍ لكنت اشتريتَ ما اخذته ولما كان بلا ثمن .

اعتصم بالايمان ما أعطي لك ان تعيش ، ولا تشكّ في عدل الله . لا تعتقد بان لديه ظلماً لئلا تقع في غور سحيق من الاثم .

وستقتنع متى اكتمل ايمانُك بان ليس في الله ظلم . وان كنت لا ترى حتى اليوم ما تؤمن به فمتى اكملت شوطك تصل الى الوطن .

ان ما تعجز عن رؤيته في عهد الايمان سوف تشاهده في زمن الرؤية .

ومتى بلغتَ الى المشاهدة رأيتَ عدل الله ، وما عاد لك ان تقول : لمَ يلاطف هذا دون ذاك ؟ ولمَ تقود العناية الالهية هذا الى قبول العماد دون ذاك ؟ ولمَ يتوب هذا في مرضه مع انه عاش في الاثم فتغفر خطاياه ؟

تبحث عن الاستحقاقات فلن تجد سوى العقاب . وتبحث عن النعمة: فيا لعمق غنى الله .

بطرس أنكر واللص آمن : فيا لعمق غنى الله .

اتظن انه يسعك ان تدرك سر خوف الرسول المغبوط ؟ واذ راح يتأمل في هذا السمو وهذا العمق خاف فهتف قائلاً : يا لعمق غنى حكمة الله ومعرفته .

انت تبحث عن السبب وانا اخاف العمق ؛ انت تريد ان تدرك السبب وانا اعجب . انت تناقش واما انا فسأؤمن : ارى العلوّ ولا أصل الى العمق : يا لعمق غنى حكمة الله وعلمه ! ما ابعد احكامه وطرقه عن الاستقصاء .

لقد قال الرسول : احكام الله لا تدرك وانت تحاول ان تدركها ؟

ان طرق الله لا تدرك : وانت تأتي لكي تستقصيها ؟

ان كنت قد جئت لتدرك ما لا يدرك وتستقصي ما لا يُستقصى كنت كمن يريد ان يرى ما لا يرى ويصف ما لا يوصف .

ربّ ، ايّ خيرٍ استحققتُ انا الخاطئُ الظالم ؟ آدم الخطيئة وُلدَ من آدم البر ثم ظهرتْ بعد آدم خطايا كثيرة . وَلَدْتُ آدم ، هالكاً من هالك وزدتُ على آدم حين عشت بالشر .

اي خير استحققت انا آدم الجديد ؟ ومع ذلك فقد شملتني برحمتك ومحبتك ، لا لاني نقي بل لتصيّرني نقياً .

ان طلبتُ ما هو خاص بي وجدتُ الخطيئة .

وان طلبتُ ما هو خاص بي وجدتُ الكذب .

وان نزعتُ عني الخطيئة وجدتُ ان كل ما اتأمل به فيّ هو لك .

واريد ان اتأمل نفسي : وماذا استحققتُ انا الخاطئ ؟ وماذا استحققتُ انا الذي احتقرتك ؟

ليس لي سوى العقاب والعذاب .

اني ارى ما هو حق لي وما اعطيتنيه ايها المعطي بلا ثمن .

لقد سامحتني ، انا الخاطئ ، ووهبتني روح البر : لقد اعطيتَ المحبة لاعمل بها كل صلاح ؛ وفضلاً عن ذلك سوف تهبني الحياة الابدية والحياة مع الملائكة وذاك كله برحمة منك .

انا لا افاخر باستحقاقاتي لانها عطيّة منك .

اني اعود الى قلبي واعترف لك ؛ لا شيء فيّ يرضيك سوى ما اخذته منك ؛ اما الذي فيّ فلا يرضيك .

ان تأملت بما لي من خيرٍ قلت : اي شيء لي ولم آخذه منك ؟ وان كنت اخذته فلمَ اتباهى كأني ما اخذته ؛ انا ما استطعت ، من نفسي شيئاً ، سوى ان اهلكها . وما عرفت ان اجدك انت يا صانعي لو لم تطلبني .

الفصل الحادي عشر : في البخل

ان كانت الكبرياء أصل كلّ خطيئة فاكيد : أن اصل الشرور كلها البخل .

وفي الكبرياء تجد البخل حين يتجاوز الانسان الحد .

وما هو البخل ؟ ان يطمع الانسان باكثر من كفافه .

انا لا أدري كيف يؤثّر البخل في قلوب الناس فيؤثمونه في احاديثهم ويرضونه في اعمالهم .

شعراء كثيرون ومؤرخون وخطباء وفلاسفة قالوا في البخل اشياء هامة وصحيحة وكذلك الأدباء والمهنيون .

عظيم الانسان الذي ليس بخيلاً ؛ واعظم منه من لا يسكت عن عيوبه .

كثيرون قالوا : اصل الشرور كلها البخل انما لم يقل فيلسوف واحد: « اهرب من الشهوات الشبابية واقتف البر والايمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون اسم الرب بقلب طاهر » . (٢تيموتاوس ٢–٢٢) .

لم ينطق احد منهم بشيء من ذلك ، وما ابعد التقوى الصحيحة عن الافواه الكثيرة الجعجعة .

عليك ان تعمل عملك حباً بالله إذ لو بُشّر بعبادة الله الحق لقُضيَ على من يهوى البخل .

عارٌ على الانسان ان لا يحمرّ خجلاً اذا قبحَ الكفرةُ جماح البخل فيهم، وانقاد اليه عابد الله الحق ؛ واصبح ذاك الذي اشتراه المسيح بدمه اسيرَ البخل .

انت من اسرة الله . تبنّاك الله فصرت له ابناً بنعمة منه ، دون ان يكون لك فضل بذلك .

انه لمن المؤسف والخطير ان يسمّرك البخل على الارض ، ساعة تقول

« ابانا الذي في السماوات » ، هذا الآب الذي يجعلنا نحتقر كل شيء حتى ذاك الذي ولدنا فيه ، لانك بنعمة منه ولدت ولادة جديدة .

استخدم هذه الاشياء لقضاء حاجتكَ وليس لاشباع شهوتك .

وكن كالفندق للمسافر لا كالملك لصاحبه . جدّد قواك وكمّل طريقك.

القوت والكسوة ضروريان على طريق الموت فاجعلها كافيين لك في سفرك . ولمَ تحمّلُ نفسك كثيراً ؟ ولمَ تحملُ كثيراً في طريق قصير ؛ حيث لن يسعك ان تستعين بانسان على اجتيازه ؛ بل بالأحرى سوف يثقل عليك الحمل فلا تعود قادراً على عبوره .

ومن العجب العجاب ان تكون تلك هي رغباتك : تثقّل على نفسك وتحملُ الكثير ، فيضغط المال عليك في الطريق ؛ وفي الطريق ايضاً يضغط البخل .

بخلُ القلب قذارة .

من هذا العالم الذي احببتَه لن تحمل معك شيئاً ، سوى الرذيلة ، التي احببتها .

ان ثابرتَ على محبة العالم ، فالذي صنع العالم لن يجدك نقياً .

ان اوثقتَ قلبك بالمال انزلتَ فيك آلاماً كثيرة .

اهرب من الذهب هربَك من عدو ؛ إن كنت تحاول ان تهرب مع الذهب فاهرب منه لانه خادم لك .

كن بلا جشع ولا تكن بلا رحمة . ان كنتَ سيدَ الذهب ، لا خادماً له ، استعملته استعمالاً حسناً ؛

ان كنت سيده استخدمته للخير ؛ وان كنت عبده استخدمكَ للشر.

ان كنت سيده ، فالذي تكسوه يسبّح الرب ؛ او كنت له عبداً فالذي يبقى عرياناً بسببك يجدّف عليه .

الجشع يجعلُك عبداً والمحبة تصيّرك حراً . ان لم تهرب من الجشع ،

صرت عبداً . لهذا اهرب منه ان لم تُردْ ان تكون عبداً .

ها انك صرت تعرف ما يجب عليك ان تتجنّبه وما يجب عليك أن تُقبلَ اليه ؛ لانه لا يحق لك ان تتخلّف ، من دون سبب ، شيئاً سعياً الى الى ما لا يقوم مقامه .

إقتف البرّ والايمان والتقوى والمحبة ؛ فانها تجعلك غنياً . وإنه لغنىً باطني ، هذا الذي لا يصل السارق اليه ، ما لم تفتح له الارادة الشريرة باباً .

إحفظ ضميرك كنزاً خاصاً بك ؛ بحيث لا سارق ولا عدو ، وان قديراً ، يسعه ان ينتزعه منك ؛ حتى اذا خرجت عرياناً خرجت ملآن .

ولمَ تتعبُ ساعياً وراء الذهب في اسفار طويلة ؟

احبَّ غنى السماء تمتلئْ منه فوراً . ان فتح القلب فينبوعه لا يختفي .

الايمان مفتاح القلب ، هو يفتح وينقي .

لا تظنَّنَّ نفسك عاجزاً عن استيعاب كنز كبير بهذا المقدار ؛ غناك الهك ، متى دخلَ القلبَ وسّعه .

البخلُ سيد شرير يمنعك من عمل الخير . انه لسيد شرير يوسوس لك بالشر . فماذا قال لك ؟ حافظ على المال لنفسك ولبنيك ؛ لانك ان احتجتَ اليه فلا احدَ يعطيكه . لا تحيَ للوقت الحاضر بل فكّر بالمستقبل .

ايها الحر ، المدعوُ الى الحرية ان استعبدك سيد كهذا ، كـان استعبادُه لك ، مخالفاً للصواب ؛ إعرف من افتداك وحررك ؛ اخدْمه لان ما يأمر به سهل وليس يأمُرُ بما هو شاق وشر .

يبدأ الرب فيدعوك اليه ؛ انما لا يخدمه احد في بيته رغماً عنه .

اسلخ نفسك عن البخل وهلم الى الهك ؛ ان كنت للاثم عبداً فكن مذ الآن عبداً للبر . واضعْ نفسك كمن يريد ان يخفّف من بخله . سَلْ اين تخدم . سوف يريك البخلُ نفسَكَ في مكانٍ حصين ومخدعٍ امين وصندوقٍ من حديد .

حصّن كل شيء فيك ؛ لربما سطا اللص البيتي عليك من الداخل ، فخفتَ على نفسك منه ، وانت ساهر على مالك .

وقد يفكر بان يقتلك السارق وانت تحاولُ ان تجمع .

واخيراً يسعك ان تخفيَ مالك وثيابَكَ عن اللصوص في مكان امين . انما عليك ان تمنع عنها السوس والعث . ماذا تعمل ؟ العدو السارق لن يأتيك من الخارج بل من الداخل .

وبالنتيجة ، فالبخل لم يعطك مشورةً صالحة حين اوصاك بالمحافظة على مالك ؛ ولم يرشدك الى مكان امين تخفيه فيه .

يقول لك البخل . انتبه لغدك . اي غدٍ هو هذا ؟ انتبه لهذه الايام القليلة غير المضمونة .

ويقول : انتبه لغدك . ولمن يقول هذا ؟ يقول لانسان قد لا يرى الغد . ولكنه يعيش طويلاً وفقاً لما تنبّأ عنه البخل . انما بخلاف ما يتصور . وعلى قدر ما هو ممكن . ولكن اياً كان عمرُه فلا بدّ وان ينتهي . ومع انه يُصبح عجوزاً محدودبَ الظهر ، متكئاً على عصاه ، يظل يبحث عن الربح ويظل يسمع البخل يُسرّ اليه قائلاً « فكّر بالمستقبل » واي مستقبل ؟ انه ليتحدث الى من راح يحتضر .

عواطف وصلوات

ربّ ، ما اكثر الضيقات التي يتحمّلها البخلاء ، انهم لا ينثنون امام اضطهاد ؛ ولكنهم يخشون البخل . البخيل يسرق ، ويخشى العقاب ؛ ولكنه يتحرّق شوقاً الى النهب والسلب .

وكثيرون يتحملون الجوع سعياً الى الكسب ثم يفرض عليهم الصوم فيجدون اعذاراً لنفوسهم من الصوم بسبب معدهم . تدعوهم معدهم طوال نهارهم الى احصاء الاطعمة ولكنهم ينامون على الطوى .

وكل يوم نجد تجاراً ينجون من الغرق عراةً ثم يسافرون بحراً من جديد نحو الخطر. ولمَ يتعرض الناس بهذا المقدار الى الخطر اليومي ان لم يكن رغبةً في جمع الثروات؟ السيف ذاته لا يحد من نشاطهم.

التزوير ذنب رئيسي؛ ومع ذلك فانهم يحاولون تقسيم المواريث.

ان قال البخيل في قلبه ولم يجرؤ ان يقول بلسانه: من ذا الذي يفصلني عن حب الذهب؛ وان استطاع ان يقول للذهب: اني من اجلك اموت كل يوم فانا اقول ما يقوله الشهداء القديسون في المزمور ٤٢.

اللهمَّ احكم لي وخاصمْ لدعواي مع امة غير صفية.

انظر الى تجربتي: فالبخلاء ايضاً يجرّبون.

انظر الى عذاباتي: فالبخلاء ايضاً يعذبون.

انظر الى اضطهاداتي: فالبخلاء ايضاً يضطهدون.

انظر الى جوعي: فالبخلاء ايضاً يجوعون ويعطشون الى الذهب.

انظر الى عريي: فالبخلاء ايضاً يتعرون حباً بالذهب.

انظر الى موتي: فالبخلاء ايضاً يموتون حباً بالذهب.

يطاردني الموت بسببك، نهاري كله: البخلاء يسعون الى الذهب وانا اسعى اليك.

العقاب واحد؛ انما الدعوى مختلفة: حيث اختلاف في الدعوى فهناك النصر مضمون.

الفصل الثاني عشر : في اخطار الغنى

يأبى الهنا ان نخسر اموالنا، ولكنه يدلنا على مكان نضعها فيه، لا يستطيع انسان الا ان يفكر بكنزه ويتبع امواله بقلبه.

فان كانت مطمورة في التراب، مال القلب الى تحت؛ او في السماء، ارتفع اليها.

وعليه، ان شئت ان يكون قلبك فوق فارفع اليه ما تحب؛ اذ ذاك تبقى بجسمك على الارض وتسكن بقلبك مع المسيح؛ وكما انه يعلو برأسه

الكنيسة فليكن قلبُك هكذا بالنسبة اليك؛ وكما تسير الاعضاء حيث يسير المسيح امامهم، عليك ان تتبع قلبك الى حيث يسبقك.

اتبع هذا الطريق فانت قادر على السير فيه؛ انك بكليتك تقتفي آثار الجزء الذي يكون قد سبقك في هذا الطريق.

البيت الارضي للدمار؛ والبيت السماوي للابد.

انتقل حيث عليك ان تذهب.

لقد سمعتَ غنياً يستشير المعلّم الصالح، في ما يجب ان يعمل، بلوغاً الى حياة الابد.

فماذا كان الجواب للشاب الغني؟ «ان شئت ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا».

ومن ذا الذي لا يريد ان يحيا مع انه يحفظ الوصايا؟

ان لم تشأ ان تحفظ الوصايا، فلمَ تبحثُ عن الحياة؟ ان توانيتَ في عملك، فكيف تسرع الى المكافأة؟ قال الشابّ الغني: انه حفظ الوصايا، لقد سمع ما هو اعظم من ذلك «ان شئت ان تكون كاملاً — واحدة تعوزك — اذهب فبعْ مالك واعطه الفقراء. فلا تخسرُ شيئاً بل سيكون لك كنز في السماء؛ وهلمّ فاتبعني».

اي نفع لك من ذلك ان لم تتبع المسيح؟ وابتعد الشاب حزيناً لانه كان ذا مال كثير.

ما سمعه الشاب، سمعته انت ايضاً؛ الانجيل فم المسيح؛ انه جالس في السماء وعلى الارض يتكلم.

لا تكن اصمَّ لانه يصرخ؛ ولا ميتاً لانه يُرعد.

ابتعد الغني، حزيناً، فقال الرب: ما اصعب دخول الغني ملكوت السماوات، وبهذا المثل الذي اعطاه دلّ على ان الصعب كاد يكون مستحيلاً لان كلَّ مستحيلٍ صعب وليس كلّ صعب مستحيلاً.

افهم الصعوبة من خلال هذه الكلمات : « الحق أقول لكم ، ان دخول الجمل في خرم الابرة لأسهل من دخول الغني ملكوت السماوات ... »

دخول جمل في خرم الابرة ؟ الامر مستحيل بالنسبة الى بعوضة فكيف بالجمل ؟

واذ سمع التلاميذ هذا الكلام حزنوا وقالوا : ان كانت هذه هي الحال فمن ذا الذي يخلص ؟ اي غني ؟

تأمّل الناس ولا تتكل على اموالك لان كثيرين سقطوا بسبب اموالهم وكثيرين اهلكتهم فضتهم وكثيرين طاردهم اللصوص بسبب ثرواتهم الطائلة ، لو انهم كانوا بدون ذاك الكنز المنشود لكانوا ، حقاً ، في أمان .

عواطف وصلوات

ربّ ، اني لا اريد ان ادّخر كنوزاً فانية ، كنوزاً باطلة ؛ ولا اريد تحت ستار التقوى ان ازيد من مالي .

اذا كثرت اموالي فساعدني على ان لا يعلّق بها قلبي ؛ على قواي ، لا اتكل ؛ ولا على المال .

ارى اني ان وضعت بها قلبي تلاشيت مثلها .

سعيداً اكون ، ان رجوت بك يا ربي والهي ؛ ولن اتطلع الى الاباطيل الكاذبة والترهات .

ولو ملكت الذهب فماذا يكون لي ؟ واذا لم احصل عليك فأي خير لي ؟

لقد دعوتني بذاتك ؛ وتعدني بهذا الكنز الى الابد .

لي الشيء الكثير دائماً ؛ يا لسعادتي ، انت نصيبي .

اريد ان احبّك محبة بلا ثمن ولا اطلب منك مكافأة سواها .

من سألك مكافأة سواها وأبى ان يعبدك ، من اجلها ، يعتبر عمله ، اغنى مما يريد ن يأخذ. اغنى منك ، يا من تعطيه المكافأة .

انا لا اسألك مكافأة سواك ، انت وحدك مكافأتي .

هذا هو حبي واختياري ، ان احببت سواه كان حبي غير صاف .

الفصل الثالث عشر : في الغضب والبغض

الغضب شهوةُ الانتقام ، ويصبح بغضاً متى تقادم عهده .

الغضب قشة والبغض خشبة ، فاذا تغذّت القشة صارت خشبة .

ليست الخشبة ، حين تظهر للوجود ، سوى قشة ؛ اذا رويتها صيّرتها خشبة كالغضب الذي اذا غذيته بالشكوك الشريرة ، صيرته بغضاً .

حين يوبخ المبغض يبغي في حدة غضبه ان ينتزع القشةَ من عين اخيه بيد ان الخشبة التي في عينه تمنعه عن ذلك .

الفرق شاسع بين خطيئة من يغضب وخطيئة من ينقادُ للبغض .

إنّا لنغضب أحياناً على اولادنا ؛ ولكن ليس من يُبغض اولاده .

وكثيراً ما نجد في القطيع ذاته اماً تنفر من صغيرها غضبى فتميل عنه ثم تعود اليه بحنان الام .

وان دفعتْه عنها دفعته بملل ، برغم انها تعودُ تبحث عنه ، ان لم تجده قريباً .

ونحن انفسنا لسنا نضرب اولادنا الا حين نغضب ويثور ثائرنا ، مع العلم باننا لا نضربهم ، لولا حبنا لهم .

ونقول كذلك ان من يغضب لا يبغض لأنه غضب ، كما ان من لا يغضب مقتنع بانه قد يكون احياناً مبغضاً .

هَبْ ان ولداً اراد ان يلعبَ في مياه النهر الجاري : ان رأيته وتركته ابغضته ؛ لانك بعملك هذا تسبب له الموت .

كم هو افضل له ان تغضب عليه وتؤدّبه ولا تغضب عليه وتدعه يموت .

في بدء الامر يجب على كل انسان ان يتحاشى البغض اي الخشبة التي في عينه .

الفرق شاسع ايضاً بين ان تغضب فتتعدى بكلامك الاصول ، وهذا

شيء يعوّض عنه بالاعتذار . وبين ان ترعى في قلبك ، شعوراً شريراً .

وشاسع هو الفرق بين كلام الكتاب القائل : « لقد ذبلت من الغضب عيني » (مزمور ٦–٨) . وبين ما قيل بهذا المعنى في رسالة يوحنا : «كل من يبغض اخاه فهو قاتل » (يوحنا ٣–١٥) .

الفرق كبير بين العين الذابلة والعين المنطفئة : القشة تهيجها والخشبة تطفئها .

ان لم تكن الخشبةُ في عينك رأيتَ بوضوح ما في عين اخيك وسعيت جاهداً لان تنتزعه منها .

ان النور الذي فيك لا يدعك تهمل النور الذي في اخيك .

ان ابغضتَه وشئتَ ان تصلحه، فكيف ترد له النور يا من فقدت النور ؟

هذا ما قاله الكتاب بوضوح حيث جاء « كل من يبغض اخاه فهو قاتل . « وكل من يبغض اخاه فهو في الظلمة حتى الآن » . (١يوحنا ٢ : ٩) .

« اسمع يا بني تأديب ابيك » (امثال ١ : ٨) ، من المستحيل عليك ألاّ تؤذي نفسك اولاً ان كنت تبغض اخاك .

ومتى حاولتَ ان تجرح عدوّك في الخارج سلبتَ نفسك من الداخل .

بقدر ما تسمو النفس على الجسد بقدر ذلك عليك ان تهتمّ بها لئلا تؤذيها . ان ابغضت شخصاً آخرَ جرحت نفسك .

وماذا تصنع بمن تُبغضه ؟ ماذا تصنع ؟ انك تسلبه ماله ؛ فهل تسلبه ايمانه ؟ انك تجرحه في صيته ؛ فهل تجرحه في ضميره ؟

ان الضرر الذي تلحقه فيه ، خارجيّ ؛ انتبه لضرر تلحقه بنفسك .

إنك لنفسك عدو داخلي يا من قد ابغضت قريبك .

وبما انك لا تدرك الشر الذي تنزله بنفسك تحتدم غيظاً على قريبك بشكل خطير لانك متى غضبت فقدتَ شعورك .

غضبت عليه فسلبته ؛ ولهذا فانت ظالم .

شاسعُ هو الفرق بين الظالم والمسلوب لان هذا فقد ماله وانت براءتك .

إبحثْ عمَّن تحمّل الضرر الاكبر : هو خسر مالاً زائلاً وانت اصبحتَ معدّاً للاستهلاك .

يا لك من قاتل ، كيف تحب الله ؟ ألم تسمع في رسالة يوحنا : « ان كل من يبغض اخاه فهو قاتل » ؟

« لان من لا يحب اخاه الذي يراه فكيف يستطيع ان يحب الله الذي لا يراه » .

ولنا منه هذه الوصية ايضا : « من احب الله فليحبب اخاه ايضاً » (يوحنا ٤ : ٢٠–٢١) .

وأكيد بأنك لا تحب الله ، ان ابغضت اخاك ، الرب عينه اوصانا بان نحب بعضنا بعضاً . وكيف تحب من ابغضتَ وصيته ؟؟

انت تدّعي محبة المسيح فاحفظ وصيته ؛ واحبب أخاك لانك ان لم تحبَّ اخاك فكيف تحب من تحتقر وصيته ؟

ارتعدْ خوفاً أقلّه حين تسمع : « من يبغض اخاه فهو قاتل » .

ما شهرت سيفاً ولا جرحت لحماً ولا هشّمت بالجراح جسماً : حسبك ان تضمر البغض في قلبك لكي تكون قاتلاً وتكون امام الله مجرماً .

هو حي وانت قتلته ، بقدر ما تمكنت فقد قتلت من ابغضت ، إفتدِ نفسَك وأصلحها .

لو كانت في بيتك عقاربُ وحشرات سامّة فكم تعمل لتنظفه منها وتسكن فيه آمناً .

انت تغضب ويشيخ الغضب في قلبك ، فيصبح بغضاً وعقارب وحشرات سامة وافاعي ثم تأبى أن تنظف قلبك ، هيكلَ الله ؟

ولكنك تغفر احياناً بلسانك ويبقى قلبك غاضباً . يا من لا تخشى نظر الله ، انت تصفح بلسانك من اجل الناس ، وتُمسك قلبَك عن الغفران .

إصفح لانه لا يجوز ان تغرُب الشمسُ على غضبك وها هي شموس كثيرة قد مرّت .

لا تغرب الشمس على غضبك خوفاً من ان تُغضبها فتظل في الظلام بعد ان تغرُبَ عنك شمس البر .

لا تقل : ليس الغضب شيئاً لأن العيون تذبل من الغضب ؛ وكل من ذبُلت عينُه عجز عن رؤية الشمس ، ولو حاول ان يرى فبضنكٍ وتعبٍ يرى ومن دون غبطة .

سامحْ وسامحْ ، إن شاء الله ان ينتقم منك فاين تقيم ؟

ان ذاك الذي لم يُلحق بك ادنى ضرر ، يأبى ان ينتقم منك ؛ وانت يا من تهين الله ، كل يوم ، تطلب الانتقام لنفسك ؟

عواطف وصلوات

ربِّ ، انك لتحبّ حقاً اعداءك ؛ لدى مجيئك الى هذا العالم ، وجدت الكل اعداء لك وخطأة ، وما وجدت صديقاً واحدًا .

عن اعدائك سفكت دمك فهديتهم به .

وبدمك غفرتَ خطايا اعدائك فصيّرتهم لك اصدقاء .

وعن اليهود الذين ثاروا ضدك غاضبين فسخروا منك واهانوك وصلبوك ، قلت : «ابت اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يصنعون» .

رفعك العمى على الصليب ، وبينا هو يصلبك كنت تصنع من دمك قطرةً تعالج بها عيون اعدائك .

من فوق عرش صليبك تعلّمني كيف اكون نقياً .

ايها المعلم الصالح ، حسناً نطقت بها وحسناً علمتنيها ؛ واظهرت لي ، أنا الانسان السافل ، كيف اقتدي بك ، انت المتسامي ، انا المخلوق ، وانت الخالق ؛ انا الذبيحة ، وانت الوسيط ، انا الانسان ، وانت الإله الانسان .

لقد اقتدى بك القديسون ، انما لم يكن ذلك تلقائياً . وان كان ذلك بفضل عطاياك

فهلا دخلوا واغلقوا الباب بوجهي . وهل نسفوا الجسر الذي مرّوا عليه ؟

اكثير هذا عليَّ ؟ سألتك انا ايضاً ؛ الينبوع باقٍ وما جفّ .

اني لعارف بضرر الغضب والبغض . اني لعارف بانّهما يحارباني على مسرح قلبي . المسرح ضيّق وانت وحدك تنظر اليّ .

كن حاضرًا في جهادي حتى انتصر في قلبي كما شاهدت نصر القديسين .

الفصل الرابع عشر : في الصبر

ان الصبر الحقيقي الذي يستحق اسم فضيلة هو الذي يجعلنا نتحمل الاذى بهدوء خوفاً من ان نخسر بالاثم الخيرات التي بها نبلغ الى ما هو اسمى منها .

وفاقد الصبر الذي يرفض ان يتحمل الضيق لا ينجيه عدم صبره من الضيقات التي تحلّ به بل يزيدها وطأة عليه .

اما الصبور فيقبل ما به من ضيق ليخفف بصبره من شدة الوطأة عليه ؛ واذ يتحمله باناة يتحاشى ما قد توقعه فيه قلة صبره .

وطال ما انه لا يهرب من آلام هذا الزمان القصيرة المدى ، فلا يفقد الخيور الابدية العظيمة ؛ «لان آلام هذا الدهر لا تقاس بالمجد المزمع ان يتجلى فينا» (رومية ٨–١٨) .

تأمل كم يتحمل الناس من اتعاب وآلام ، سعياً وراء خيور يحبونها محبة غير نقية ؛ ومتى ظنّوا نفوسهم اكثرَ سعادة بها ، طلبوها بشكل لا يجلُبُ لهم الراحة .

وكم يتحملون من آلام ، صابرين ، سعياً وراء ثروات كاذبة وامجادٍ باطلة واشباعاً لشهوات قبيحة .

وفي هذه الامور ، غريب هو الصبر ، اكثر مما هو ممدوح .

وبالأحرى فان ما ليس شيئاً لا يستحق مديحاً ولا اعجاباً ؛ لانه لم يعد صبراً بل شعوراً يبعث على الذهول.

الصبر هو جليس الحكمة وليس خادم الشهوة .

الصبر صديق الضمير الصالح وليس عدو البراءة .

ومتى رأيت انساناً يتحمل ، بصبر ، ألماً ما ، فلا تمتدح الصبر الذي ظهر نتيجة العلة التي خلقته .

ومتى كانت العلة صالحة كان الصبر حقيقياً ومتى كان خالياً من الجشع كان صادقاً .

اما اذا كان في الجريمة فما أسهل انخداع الانسان باسمه .

وكما ان جميع من يعرفون ، لا يشتركون بالمعرفة ، كذلك فليس جميع المتألمين مشتركين بالصبر . انما الذين يمارسون الصبر باستقامة ، في عذابهم، فهؤلاء يُمدحون على صبرهم الحقيقي ويكافأون من اجل استحقاقاتهم .

ان كانت النفس تتحمل الكثير ، بلوغاً الى ما يهلكها ، فاي شيء لا تتحمله هرباً من الهلاك ؟؟

لقد علّمنا السيدُ الصبرَ الحقيقي من خلال جواب رب العائلة الى خدامه الذين تأثروا من رؤية الزوان مع القمح وارادوا ان يجمعوه « اتركوهما ينموا جنباً الى جنب حتى زمن الحصاد » (متى ١٣/٣٠) .

يجب علينا ان نتحمل بصبر ما لا يجوز انتزاعه حالاً وسريعاً .

ولقد اعطى هو نفسه مثلاً في هذا الصبر حين تحمّل ، قبيل آلامه ، التلميذ الخائن يوضاس ، من قبل ان يكتشفه خائناً ؛ وقبل تجربة الوثاقات والصليب والموت لم يرفض قبلةَ السلام الغاشة من شفتيه الماكرتين .

أصغِ في الكتب المقدسة الى وصايا في الصبر :

« يا بني ان اقبلت لخدمة الرب الاله فاثبت على البر والتقوى وأعدَّ نفسك للتجربة . ارشد قلبك واحتمل لكي تنمو حياتك في النهاية . مها

نابك فاقبله وكن صابراً على صروف اتضاعك . فان الذهب يمحّص في النار والمَرْضيين من الناس يمحّصون في أتون الاتضاع . » (بن سيراخ ٢:١/٥) .

« يا بني لا ترذل تأديب الرب ولا تسأم توبيخه فان الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يرتضيه . » (امثال ٣:١١/١٢) .

وانه لعدل لنا ، نحن الذين حرمنا من سعادة الفردوس الاولى بسبب خطايانا واميالنا الشهوانية الوقحة ، ان نعود اليه بفضل صبرنا على الشدائد وتواضعنا .

نعمل الشر فنهرب ونحتمل الضيق فنعود ؛ في ذاك نقاوم البر ؛ وفي هذا نصبر في سبيل البر .

علينا ان نبحثَ عن مصدر الصبر الحقيقي الذي يُدعى بحقٍ فضيلة . بعض الناس يعزونه الى قوى الارادة البشرية ؛ لا تلك التي يحوزونها ، بفضل المساعدة الالهية ، بل التي هي من تفكيرٍ حر .

انه لضلال فظيع ان يقال عن الصبر ما قاله يعقوب الرسول في الحكمة . « ليست هذه الحكمة نازلةً من فوق بل هي ارضية ، حيوانية، شيطانية » ، (يعقوب ٣/١٥) .

ولمَ لا نجد صبراً كاذباً لدى المتكبرين كما هي حالهم في الحكمة الكاذبة ؟ الحكمة الحقة تصدر عمّن يأتينا منه الصبر الصحيح .

ان صبرَ الاتقياء نازل من فوق ، من عند ابي الانوار ؛ صبرُ الأثمة ارضيّ وصبر الاتقياء سماوي . هذا صبر روحاني وذاك حيواني ؛ هذا شيطاني وذاك الهي .

ان الشهوة التي تجعل الخطأة يتحمّلون كل شيء بقوة هي شهوة عالمية ؛ بخلاف المحبة التي هي من الله وبها يتحمل كل شيء بجرأة الذين يحيون حياةً بارة .

وبالأحرى فان ما ليس شيئاً لا يستحق مديحاً ولا اعجاباً ؛ لانه لم يعد صبراً بل شعوراً يبعث على الذهول.

الصبر هو جليس الحكمة وليس خادم الشهوة .

الصبر صديق الضمير الصالح وليس عدو البراءة .

ومتى رأيت انساناً يتحمل ، بصبر ، المأ ما ، فلا تمتدح الصبر الذي ظهر نتيجة العلة التي خلقته .

ومتى كانت العلة صالحة كان الصبر حقيقياً ومتى كان خالياً من الجشع كان صادقاً .

اما اذا كان في الجريمة فما أسهل انخداع الانسان باسمه .

وكما ان جميع من يعرفون ، لا يشتركون بالمعرفة ، كذلك فليس جميع المتألمين مشتركين بالصبر . انما الذين يمارسون الصبر باستقامة ، في عذابهم، فهؤلاء يُمدحون على صبرهم الحقيقي ويكافأون من اجل استحقاقاتهم .

ان كانت النفس تتحمل الكثير ، بلوغاً الى ما يهلكها ، فاي شيء لا تتحمله هرباً من الهلاك ؟؟

لقد علّمنا السيدُ الصبرَ الحقيقي من خلال جواب رب العائلة الى خدامه الذين تأثروا من رؤية الزوان مع القمح وارادوا ان يجمعوه « اتركوهما ينموا جنباً الى جنب حتى زمن الحصاد » (متى ١٣/٣٠) .

يجب علينا ان نتحمل بصبر ما لا يجوز انتزاعه حالاً وسريعاً .

ولقد اعطى هو نفسه مثلاً في هذا الصبر حين تحمّل ، قبيل آلامه ، التلميذ الخائن يوضاس ، من قبل ان يكتشفه خائناً ؛ وقبل تجربة الوثاقات والصليب والموت لم يرفض قبلةَ السلام الغاشة من شفتيه الماكرتين .

أصغِ في الكتب المقدسة الى وصايا في الصبر :

« يا بني ان اقبلت لخدمة الرب الاله فاثبت على البر والتقوى وأعدّ نفسك للتجربة . ارشد قلبك واحتمل لكي تنمو حياتك في النهاية . مهما

نابك فاقبله وكن صابراً على صروف اتضاعك . فان الذهب يمحّص في النار والمَرْضيين من الناس يمحّصون في أتون الاتضاع . » (بن سيراخ ٢:١/٥) .

« يا بني لا ترذل تأديب الرب ولا تسأم توبيخه فان الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يرتضيه . » (امثال ٣:١١/١٢) .

وانه لعدل لنا ، نحن الذين حرمنا من سعادة الفردوس الاولى بسبب خطايانا واميالنا الشهوانية الوقحة ، ان نعود اليه بفضل صبرنا على الشدائد وتواضعنا .

نعمل الشر فنهرب ونحتمل الضيق فنعود ؛ في ذاك نقاوم البر ؛ وفي هذا نصبر في سبيل البر .

علينا ان نبحثَ عن مصدر الصبر الحقيقي الذي يُدعى بحقٍ فضيلة .

بعض الناس يعزونه الى قوى الارادة البشرية ؛ لا تلك التي يحوزونها ، بفضل المساعدة الالهية ، بل التي هي من تفكيرٍ حر .

انه لضلال فظيع ان يقال عن الصبر ما قاله يعقوب الرسول في الحكمة .

« ليست هذه الحكمة نازلةً من فوق بل هي ارضية ، حيوانية ، شيطانية » (يعقوب ٣/١٥) .

ولمَ لا نجد صبراً كاذباً لدى المتكبرين كما هي حالهم في الحكمة الكاذبة ؟ الحكمة الحقة تصدر عمّن يأتينا منه الصبر الصحيح .

ان صبرَ الاتقياء نازل من فوق ، من عند ابي الانوار ؛ صبرُ الاثمة ارضيٌ وصبر الاتقياء سماوي . هذا صبر روحاني وذاك حيواني ؛ هذا شيطاني وذاك الهي .

ان الشهوة التي تجعل الخطأة يتحمّلون كل شيء بقوة هي شهوة عالمية؛ بخلاف المحبة التي هي من الله وبها يتحمل كل شيء بجرأة الذين يحيون حياةً بارة .

ولذا فان الارادة البشرية تكفي للصبر الكاذب بمعزل عن مساعدة الله وكلما قست كلما ازدادت جشعاً. وكلما زادت شراً كلما زادت عطاءً.

ولا تكفي الارادة البشرية لهذا الصبر الذي هو حقيقي، ما لم تمتدّ اليها مساعدة من علُ وتضرمها؛ لان الروح القدس هو نار لها؛ فان لم تشتعل به الارادة البشرية احبّت الخير الذي لا ألم فيه وعجزت عن احتمال الشدة التي تلم بها فجأة.

لا صبرَ حقيقي من دون محبة لان محبة الله في الصالحين تحتمل كل شيء؛ كالشهوة العالمية في الاشرار.

ان من يعطينا المحبة هو عينه يهبنا الصبر.

اما الشهوة العالمية فحين تحتمل اثقال كل محنة تفاخرُ بقوى الارادة الخاصة كما تفاخر بلا شعور المرضى، دون سلامة الصحة.

انه لمجد احمق، وليس مجداً للصبر بل للحماقة.

وكلما صبرت الارادةُ على الآلام القاسية كلما ظهرت اكثر توقاً الى الخيرات الزمنية لانها خالية من الازليات.

وعليه، فلا يجوز ان يخامرنا ادنى شك بان محبةَ من يحبون بقداسة، وصبر مَن يحتملون بتقوى، عطية من الله.

عواطف وصلوات

انتَ يا من تحبه نفسي بشّرني وعلّمني؛ وماذا تعلّمني ايها المعلّق على الصليب.

يا من لم تشأ ان تنزل عنه؟ لقد علّمتني كيف تصبر على المجدّفين عليك، وكيف اكون قوياً فيك.

لما اهانك اليهود وقالوا لك وانت معلّق على الصليب. «ان كنت ابن الله فانزل عن صليبك»؛ لم تنزل عنه بل شئت ان تموت عليه.

وهل نزولك عن الصليب يُعدّ عظيماً امام قيامك من القبر؟

ولكن بما انك تعلّم الصبر فقد ارجأت استخدام القوة.

مثلاً اعطيت؛ بيد اني محتاج الى مساعدتك فساعدني، مقيّد انا فحلّ قيودي ولا تتأخر يا إلهي.

لا احد سواك يحلّني من قيودي.

تحيط بي الهموم والمشاكل من كل جهة وتمزقني الاشواك من هنا وهناك طوال سفري في هذا الطريق الضيّق.

محتاج انا وفقير يا الله، فساعدني. انت عوني يا رب فلا تتباطأ عني؛ ما هو طويل بالنسبة اليّ ليس شيئاً امامك، يا من الف سنة في عينيه مثل يوم واحد او كثلاث ساعات من الليل.

أمّا ان فقدتُ الصبر فسأجد الوقت طويلاً؛ ومتى وجدته طويلاً ابتعدتُ عنك وشابهت السالكين في الصحراء، المسرعين اليك يسألونك الملذات التي تحفظها لهم في الوطن.

وبما انهم يُحرَمون في الطريق من الملذات التي قد تُفسدهم، لذلك نراهم يتذمّرون عليك ويعودون الى مصر بقلوبهم بعد ان تركوها بأجسادهم.

ساعدني ايها الرب الهي ولا تتخلَّ عني لاني في الطريق؛ اني اسألك واحدةً وهي ان اسكن حياتي كلها في بيتك واتأمل في جمالك؛ هذا ما اسألك، ولكني قبل ان اصل اليها فلا ازال على الطريق.

لا تدعني اغترّ بنفسي، ان تخلّيت عني عثرتُ في طريقي وسقطتُ وضللت وتوقفت.

هبني ان اقول لك، ارادة حرة اعطيتني؛ ولكن سعيي، بمعزل عنك، لا يفيدني شيئاً.

كن عوني ولا تتخلَّ عني ولا ترذلني يا إله خلاصي.

يا من كوّنتني، انت عوني، لانك لا تتخلّى عمّن صنعتْ يداك.

يجب ان يقوم علمي كله على ان اعرف اني لستُ شيئاً بنفسي، وانّ ما انا عليه هو منك، ولك.

كما تنتظر الارض من السماء المطر والنور هكذا فأني انتظر منك الرحمة الحقيقية.

في كل شيء، انا محتاج اليك؛ في السرّاء والضرّاء. وبدونك حزين انا فلا اجد عزاء؛ وبدونك لا اجد من يوجهني.

ولكن كل صعب وشاق يتحقق بسهولة ان انتَ مدَدْتَ يد مساعدتك.

اريد ان احبك ولست أبغي محبة نفسي ؛ فأسكن فيَّ كي احبك ؛ أحبب نفسك فيَّ واستحثني على ان احبك ، اضرمني وانرني وحرّضني .

بيد اني اجاهد ، حياتي كلها ؛ وفي جهادي هذا ، انا عرضة للخطر : انما سأتغلب على هذا كله فيك يا من تحبني .

اني اعرف هذا ، وهو انك قادر على ان تعمل كثيرًا وكلّ شيء بدوني : اما انا فلست قادرًا على شيء بدونك .

الفصل الخامس عشر : في الفضائل الرئيسية الاربع

ان أدت بنا الفضيلةُ الى الحياة السعيدة فاني اؤكد بأن لا كمال في الفضيلة الا بمحبة الله السامية .

اما ما يُسمّى بالفضيلة الرباعية فهو تنوّع في التعبير عن الحب ذاته ، بقدر ما يدركه عقلي .

وتلك الفضائل الاربع التي ارجو الله ان يضع قوتها في عقول الناس كما هي اسماؤها في افواههم اتجاسر فاحددها على الوجه التالي :

الاعتدال هو الحب الذي يقدم ذاته لمحبوبه كاملاً . القوةُ هي الحبُ الذي يحتمل كل شيء في سبيل محبوبه ؛ البرُ هو الحب الذي لا يخدم سوى محبوبه فيسيطر بصدق . الفطنة هي الحب الذي يميز بين ما يساعد على البلوغ الى الله وبين ما يمنع عنه .

ولكن هذا الحب ليس حباً عادياً بل حب الله ، الخير الاسمى والحكمة السامية والسلام السامي .

ولذلك يجوز لنا ان نحدد تلك الفضائل على النحو التالي فنقول ان الاعتدال هو حب الله الكامل من دون عيب ؛ والقوة هي الحب الذي يحتمل كل شيء ، وبسهولة في سبيل الله ؛ والبر هو الحب الذي لا يخدم

سوى الله ولذلك فهو يسيطر جيدًا على الباقي اي على ما هو خاضع للانسان . والفطنة هي الحب الذي يميز بين ما يقرّب من الله وما يبعد عنه .

الاعتدال يقوم ويهدئ ما فينا من ميول تدفعنا الى ملذات تبعدُنا عن الله ووصاياه وعن ثمار صلاحه ، التي هي ، كما اوجز ، الحياة السعيدة .

هناك كرسي الحقيقة التي تصيّرنا ، ولا شك ، سعداء ، متى تمتعنا بمشاهدتها واتحدنا بها . اما ان ابتعدنا عنها وقعنا في اضاليل كبيرة وآلامٍ فادحة . اسمع قول الرسول : « حب المال اصل كل شر وهو الذي رغب فيه قوم فضلّوا عن الايمان وطعنوا انفسهم باوجاع كثيرة » .

الانسان الاول ارضي من الارض والانسان الثاني سماوي من السماء .

كما الارضي كذلك الارضيون : وكما السماوي كذلك السماويون .

وكما لبست صورة الارضي البس صورة السماوي ان اخلع الانسان العتيق والبس الجديد .

وعليه ، يقوم الاعتدال في ان ينزع المرء الانسان العتيق ويلبس الجديد في الله ؛ اي ان يرذل مغريات الجسد والمجد البشري ويصوّب محبته كاملة الى ما هو الهي وغير منظور .

احب الله وحده وارذل كل ما هو محسوس واستخدمه فقط لقضاء حاجات الحياة والدنيا .

ضعْ فيك حدًا للجشع الفكري الباطل ان شئت ان تظلّ عفيفاً في خدمة الله . كلامي عن القوة قليل : القوة هي الحب الذي يجب ان يكون مضطرماً لله فيكبح جماح رغباتنا في الخيور الارضية حتى ، اذا خسرها ، كان قوياً .

لما خسر ايوب ماله كلّه واصبح معدَماً ، ظل متحداً بالله في قلبه اتحاداً لا يتزعزع ، واظهر عدم اكتراثه برزقه واعتبر الله اسمى كنزٍ له .

لو تحلّى ابناء عصرنا بجرأة مماثلة لما كنا بحاجة الى قدرة الكتب المقدسة كي نبعد عنا تلك الخيور، بلوغاً الى الكمال ؛ لانه أفضل لنا ألاّ نتمسك بتلك الثروات التي في حوزتنا من ان لا نملكها ابداً.

وماذا عن البر، الذي لله؟ يهب البرُ من يحب الله قاعدةً للحياة تساعده على ان يخدم الله الذي يحبه خدمةً طوعية ؛ لكونه الخير الاسمى والحكمة السامية والسلام الاسمى، وعلى ان يسيطر على ما هو دونه. ويُحسن ظناً بما يجب ان يخضع له.

وعلى الفطنة ان تتسلح بالانتباه والسهر التام لئلا تقع فريسة مشير عاطل ؛ ولذا قال الرب. اسهروا ثم يضيف قائلاً: «امشوا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام» (يو ٣٥/١٢). وهل نقول عن الخمول النفساني الذي يمنعنا من ادراك خبث الحية، كلاماً اوضحَ من كلام النبي القائل: «ان الذي يحتقر اليسير يسقط شيئاً فشيئاً» (بن سيراخ ١/١٩).

ان اعوزتك الفطنة فلا مجال لسواها من الفضائل التي سبق الكلام عنها. وماذا اضيف؟ ان كان الله خيرَ الانسان الاسمى فلا ريبَ ان كل من تاق الى الخير الاسمى عاش عيشة صالحة، ومن عاش بصلاح احب الله من كل قلبه ونفسه وضميره فيحفظ الاعتدال، هذا الحب، من كل فساد ؛ والقوة تحفظه من التحطم امام التجارب، والبر يُخضع كل شيء لله وحده ؛ اما الفطنة فتحوّل قواها لتمييز الاشياء لئلا يقع الانسان شيئاً فشيئاً فريسة الغش والخداع.

ذاك هو كمال الانسان الذي يؤهله لان يتمتع بالحقيقة عن طريق الصدق.

استجب صلاتي يا رب لئلا تقع نفسي تحت تأديبك وأتخاذل عن الاعتراف برحمتك التي نجتني من الطرق المليئة بالشرور التي سلكتها فيستطيبك قلبي اكثر من كل تلك المغريات التي تجرّني وراءها.

هبني ان احبك حبا كبيراً وان امسك يدك بحرارة قلبي فتنجّيني من التجارب حتى النهاية.

الشكر لك يا حلاوتي وشرفي ورجائي والهي.

الشكر لك على حسناتك التي سألتك ان تحتفظ لي بها كما تحافظ عليّ. تزداد فيّ هباتك ؛ وانا معك ؛ وذاك اسمى عطاء تعطينيه ؛ وتوفر لنا الدنايا بعض اللذة بيد ان السعادة التي يعطيها الهي، خالق كل شيء، لا نظير لها ؛ لان الله فرحُ البار وغبطة ذوي القلب السليم. والآن ايها الرب الهي، إني ابحث عمّا اغواني في الخطيئة فلم اجد ادنى مظهر للجمال.

وفي الواقع تقلّد الكبرياء العلوّ بينما انت وحدك، ايها الرب، اعلى من كل موجود.

وماذا يطلب الطمع سوى المجد والشرف؟ بينما يجب ان تكون وحدك موضوع اكرام الجميع وتعظيمهم.

شدة الاقوياء توحي بالخوف ؛ ولكن من ذا الذي لا يخشى سوى الله الاحد؟ ومن ذا الذي يستطيع ان يُخرِج شيئاً عن سلطانه؟ متى؟ واين؟ وكيف؟ وما هو السبيل الى ذلك؟

للغزَل مداعبات خفية تهدف الى ايقاظ الحب ؛ ولكن لا الذّ ولا اذكى من محبتك ؛ ولا ادعى الى الخلاص من حقيقتك التي تفوق كل بهاء بجمالها وحسنها.

يبدو الفضول وكأنه يتذوّق العلمْ ؛ بيد انك تعرف كل شيء معرفة سامية.

الجهل والحماقة يلجأان الى حمى السذاجة والبرارة، ولا ابسط منك يا الله.

يسعى الخوف الى الراحة ولكن هل اضمن من الراحة معك؟ الرفاهية تظهر بمظهر الاكتفاء والبحبوحة ؛ في حين انك الكمال ومعين الافراح التي لا يشوبها كدر.

يتّسم الإفراط بسمة الحرية في حين انك المعين الفيّاض بالافراح على العالم كله، بوسع البخل ان يحوز الشيء الكثير، في حين انك تملك كل شيء.

يحاول الجسد عن طريق الفتنة الوصول الى المقام الاول ؛ ومن هو اسمى منك ؟ يطلب الغضب والانتقام ، ومن ذا ينتقم بعدل مثلك ؟

الخوف يخشى الحوادث المفاجئة اللامنتظرة التي تفتك بما نحب اثناء رعايته للامن . ولكن هل من مفاجآت غير منتظرة بالنسبة اليك .

ومن ذا الذي يستطيع ان يفصلك عما تحب ؟ وهل من امان صحيح إلاّ معك ؟ يبلغ الحزن أوجه حين يفقد ما كان يتمتع به جشعه ، ويتمنى ان يبقى له كل شيء في حين ان هذا هو امتياز خاصّ بك .

وعلى هذا النحو ، فالنفس التي تبتعد عنك تزني وتبحث في الخارج عن خيور لا تجدها نقية بهية الأ متى عادت اليك . ان الذين يبتعدون عنك ويقومون ضدك يقلّدونك عن خبث ؛ انما يعترفون بذلك . انك خالق الكون بأسره ولا مجال للابتعاد عنك .

انا هو الخادم الهارب من سيده الى الظل .

يا للفساد ، يا لفظاعة الحياة ويا لعمق الموت .

الكتاب السابع

الفصل الاول : في الطريق الى معرفة الله الروحية

تمتُّعنا بالله تعالى ، هو مقياس سعادتنا : مهما تقدّمنا في هذه الحياة نرى باللغز ما نراه ، وكأنه في مرآة . النفس ترى انما تحتاج الى ثلاثةٍ لترى: تحتاجُ الى عينين صالحتين للاستعمال والنظر والرؤية .

العين السليمة هي النقية من كل عيب جسدي ، المنقّاة من كل ملذات الفانية ، البعيدة عنها . ان الايمان وحده قادر على ان يبت بهذا الامر .

وهذا شيء لا يمكن اظهاره للنفس الاثيمة والمريضة ان ابت ان تغيّر اسلوب رؤيتها ؛ لان العين السليمة ، وحدها ، تستطيع ان ترى ، في حين ان المريضة لا تُعنى بصحتها . امّا ان ظنت بان رؤيتها غيرُ صافية وادركت بانها ان شفيت فسوف ترى ، فلماذا تيأس من الشفاء ؟ أليس رفضها ارشادات الطبيب اهمالاً واحتقاراً لذاتها ؟

تلك هي حال بعض النفوس التي لا تدرك ضرورة الوصايا الا متى شعرت بوطأة المرض . وعليه ، يجب ان تربط الايمان بالرجاء حتى اذا ظنت انها نالت كل شيء ، تمنت الشفاء . ولكن ، ليس لها ان تحب النور وتتوق اليه بعد ان وُعدت به . وليس لها ان تتخذ كفافها من هذه الحياة المظلمة بحيث يصبح ظلامُها بحكم العادة شيئاً مقبولاً فلا ترفض ابداً مشورة الطبيب .

واخيراً ، المحبة ضرورية اكثر من اي شيء آخر . بدون تلك الفضائل الثلاث : الرجاء والايمان والمحبة لا تشفى نفس من مرضها لتتمكن من مشاهدة الله اي من ادراكه .

وماذا يلزمُها بعد ان تسلمَ عيناها ؟ ان تنظر . العقل هو نظرُ النفس، وطال ما أن مَن ينظرُ لا يرى حتماً فان النظر الصحيح التام الذي تعقبُه الرؤية هو الفضيلة والفضيلة هي الادراك الصحيح التام .

بيد ان هذا النظر بالذات لا يستطيع ان يوجّه العينين الى النور الا اذا حضرت تلك الثلاث : الايمان الذي به نرى الخير الذي يتوق اليه النظر وبه يصبح سعيداً ، والرجاء الذي به نتأكد من نظرنا متى كان نظرنا مطابقاً للاصول ، والمحبة التي بها نرى ونتمتع بالرؤية .

ومن الآن وصاعداً تتحقّق مشاهدة الله التي هي غاية النظر ؛ لا لكي يتوقف النظر عن كل جهدٍ ونشاط ، بل لئلا يسعى في إثر شيء آخر . إن كمال الفضيلة التام هو في ان يصل العقلُ الى غايته ويحصل على السعادة الحقة .

والرؤية هي هذا الادراك في النفس الذي يتم في الجمع بين المدرِك والمدرَك حتى يتبين من خلال ذلك انّا بعين النفس نرى ما يُقال . وان توقّفنا عن استخدام عين النفس استحالَ على الانسان ان يرى شيئاً .

وبالنتيجة ، متى ادركت النفسُ الله رأته ؛ فلنرَ الآن إن كان بقاء تلك الفضائل ضرورياً لها ام لا .

وكيف يبقى الايمان ضرورياً لمن يرى ؟ أم كيف يبقى الرجاء ضرورياً لمن حصل على ما كان يرجو ؟ امّا المحبة فلم يُسلخْ عنها شيء بل زيد عليها أشياء .

متى رأت النفسُ ذاك الجمالَ الرائع ازدادت له حباً . اذا لم يكن نظرُها موجهاً اليه دون سواه بفعل محبة فائقة ومال عنه الى آخر ، فلن يسعه ان

يتمتع بتلك المشاهدة السعيدة . والنفس التي لا تزال متحدةً بالجسد ، وان ادركت الله ، وكانت رؤيتُها له تامة ، تستخدم الجسد ، قياماً باعمالها الخاصة . وهَبْ انها لم تُخدَع فمع ذلك لا يسعُها ان تنفي عنها كل شك وريب .

وبالتالي ، فالانسانُ يؤمن بما هو ثابت وحقيقي ايماناً لا ريب فيه . ومع ان النفس التي تدرك الله في هذه الحياة تسعد ؛ فانها لا تزال في جسدها عرضةً لضيقات كثيرة . ولهذا ، عليها ان ترجو زوال تلك العذابات عنها بعد الموت . وبالنتيجة ، فان النفس في حياتها ها هنا لا تزال بحاجة الى الرجاء انما بعد ان تجتمع بكليتها ، في الله ، بعد الموت تحفظها المحبة في ذاك الاتحاد الورع وتبقى لها .

ولا يجوز ان نقول ان الاشياء تكون حقيقية اذا لم يتعرض الايمان لأي تشويش من قبل الكذبة والمضللين – كما لا يجوز ان نقول ان لا مجال للرجاء متى حازت النفس باطمئنان كل شيء .

وعليه ثلاثة للنفس ضرورية : الصفاء والنظر والادراك . والثلاث الاخرى هي الايمان والرجاء والمحبة : الاولى والثانية ضروريتان في هذه الحياة ؛ ام بالاحرى ، الثلاث ضروريات . اما بعد هذه الحياة ، فالمحبة وحدها ضرورية .

خذ الآن فكرة بواسطة المحسوسات في هذا الزمن الحاضر عن الله ؛ ودعني احدثك بهذا الخصوص : ندرك في الله كما في الشمس ثلاثة اشياء : وجودها ولمعانها ونورها . وفي هذا الاله العجيب الذي تسعى الى ان تدركه ترى ثلاثة ايضاً : من هو وكيف هو ثم الشخص الذي يسعنا ان ندركه عندما لا تعود تفرح بما في الارض ، تدرك في تلك الهنيهة بالذات ما تتوق اليه . ان الله يعرف متى يظهر ذاته لانه طبيب يعرف كيف يميّز بين الاصحاء والمرضى .

آمن به واثقاً واستسلم اليه ؛ ولا تحتفظ بنفسك لنفسك ، مستقلاً عن الكل ؛ او بالاحرى اعلم انك خادمُ سيدك الرؤوف الجوّاد . وهكذا فانه يساعدك باستمرار ؛ ويقدم لك كل ما ينفع ، وان لم تدرك الآن منفعته . انت الآن مقيَّد بنظامٍ اما بعدئذٍ فاستعمل كل ما يأمُرك به متى شاهدته .

عواطف وصلوات

ما اشقى من يعلم كل شيء ، ولا يعرفك انت ايها الرب الإله ! وما أسعد من يعرفك وان كان يجهل كل شيء !

ان الذي يعرفك ويعرف الاشياء كلها لا يزداد سعادة بمعرفتها ؛ بل أنت وحدك له مصدر سعادة اذا عرفك إلهاً فسبحك وشكرك ولم تطغِ عليه افكاره .

من كانت له شجرة ثم شكرك عليها ، افضل ، ولو جهل ارتفاعها وحجمها ، ممن قاسها واحصى اغصانها ولم تكن له ؛ فضلاً عن انه يجهل خالقها ولا يحبه .

تلك هي حال من يملك عالماً من الثروات كاملاً ؛ ومن لا يملك شيئاً منها ، انما يملك كل شيء فيك يا من تعترف بك الخليقة خالقاً ولو كان يجهل مثلاً خط الاستواء ، افضل ولا شك ، ممن يحصي النجوم ويقيس العناصر ويجهلك انت يا من رتّبت هذه كلها بوزن وقياس . فليذهب بعيداً عنك الكفّار ذوو القلاقل ؛ تراهم فتفصل بينهم وبين ظلالهم : كل ما حولهم جميل اما هم فقبحاء .

اي ضرر الحقوا بك وكيف امتهنوا حرمة ملكك العادل الممتد من اعلى السماوات حتى الاعماق السفلى ؟

الى اين فروا من امام وجهك ؟ واين تجدهم ؟ هربوا من نظرك الذي يتعقبهم ويلاحقهم باستمرار . واذ كانوا عميانا ، فقد التقوك في طريقهم يا من لا تهمل احداً من مخلوقاتك . لقد ارتكبوا ظلامة فقبضت عليهم وعاقبتهم بعدل ثم حاولوا الهرب من عدلك فوقعوا فريسة كبريائهم وتمرّدهم .

جهلوا انك في كل مكان يا من لا يحدّك مكان ، ايها الحاضر امام من يفرّون منك . عليهم ان يبحثوا عنك من جديد لكي يجدوك في قلوبهم ، في قلوب المعترفين لك ، الذين يُلقون بنفوسهم عليك ، باكين فوق صدرك بعد نجاتهم من الطرق الوعرة . واذ تكفكف

دموعهم يزدادون بكاء ويجدون في تلك الدموع سعادتهم ؛ لانك انت يا ربّ ، تخلقهم من جديد وتؤاسيهم ؛ وليس انسان من لحم ودم يؤاسيهم .

اين كنت حين بحثت عنك ؟ انت كنت امامي ؛ وانا كنت بعيداً عنك ، وبعيداً عن نفسي . وبما اني لم اجد نفسي فكم اعمل حتى اجدك ؟

الفصل الثاني : في ضرورة البحث عن السعادة

لا يسعك ان تعرف كيف تنتهي حياتك ؛ انما يسعُك ان تحيا بطريقة تنهي بها حياتك مطمئناً .

انتق رسالتك لئلا يؤذيك العقاب ؛ اذ لا مكافأة على الرسالة السيئة ؛ بل عقاب عادل .

كل انسان ، اياً كان ، يهوى ان يكون سعيداً . وما من انسان الا ويهوى ذلك . وان احب شيئاً دون سعادته فانه يحبه في سبيل سعادته . ينقاد البشر الى شهوات مختلفة : هذا يشتهي هذا وذاك يشتهي آخر ، ولهم اساليب متنوعة في الحياة فيختار احدهم هذا الاسلوب والآخر اسلوباً آخر ؛ وبرغم تنوع اساليب الحياة فلسنا نجد انساناً واحداً لا يتوق الى الحياة السعيدة .

الحياة السعيدة امتلاك مشترك لكل شيء : انما الخلاف ينشأ من السبيل اليها ؛ ومن الاسلوب المعتمد حصولاً عليها .

ان طلبت الحياة السعيدة في امور الارض فلا أدري ان كنت تجدها لا ، لانك تطلب شراً ، بل لانك لا تطلبها حيث هي .

واحد يقول : هنيئاً للمحاربين . وآخر يناقضه قائلاً : هنيئاً للفلاحين ؛ واذا بثالث يتنكر لمقالهما فيقول : هنيئاً للعاملين بحكمة في خدمة الشعب ،

المدافعين عن قضاياهم المنظمين لحياتهم وموتهم . ثم ينبري آخر معلناً : هنيئاً للذين يقضون بين الناس فيستمعون الى شكاويهم ، ويفصلون فيها .

ويعلن آخر مؤكداً بان الطوبى هي للمسافرين بحراً السائحين في شتى المناطق ، الجامعين لارباح طائلة .

انك ترى في هذه المجموعة من اساليب الحياة أن لا شيء يرضي الناس كلهم ؛ مع ان الحياة السعيدة ترضيهم .

وما معنى رضى الناس بالحياة السعيدة وعدم رضاهم بأية حياة اخرى .

ما هي الحياة السعيدة التي ينشدها الكل دون ان يحصلوا عليها ؟ لقد حفرت الطبيعة في قلب كل انسان رغبةً في تلك الحياة ، وخوفاً من الموت ، حتى اني إن سألت انساناً قائلاً له أتريد ان تكون صحتك جيدة فلا يجيبني كلا ؛ اذ لا أحد يريد ان يكون مريضاً ؟ ان كانت العافية عزيزةً على قلب الغني فانها كنزُ الفقير الوحيد . ولكن ما نفع الغني من ماله ان فقد صحته التي هي ثروة الفقير ؟

رب غنيّ يتمنّى ان يستبدل سريره الفضي بعباءة الفقير المنسوجة من شعر الماعز لو أتيح له ان يهجر المرض مع السرير .

جميع الناس متفقون على امرين : الحياة والصحة .

وهل يتفق الناس على الخدمة العسكرية مثلاً والزراعة والملاحة في حين انهم جميعاً متفقون على الصحة والحياة ؟

وانت يا ذا الصحة الجيدة الا تطلب شيئاً آخر ؟ من لم يقنع بالصحة التامة والحياة الكاملة جشع ومصاب بانحراف خلقي . ولكن متى خشي على الصحة ان تنتهي ، كالحياة ، فليست الحياة حياة دائمة بل خوف دائم ؛ والخوف الدائم عذاب دائم ؛ اذ ذاك أين الحياة الابدية ؟ وتعتقد بكل تأكيد ان لا سعادة في الحياة ان لم تكن ابدية . وان لم تكن الحياة ابديةٌ دائمة التجدد ، فليست حياة سعيدة .

ها انك تجد الآن ما يرضي الكل : لقد وجدته حقاً في فكرك قبل ان تحصل عليه .

الجميع يتوقون الى ذاك الخير ؛ وليس انسان الا ويتوق اليه ، سواء أكان شريراً ام صالحاً فانه يتوق اليه : الصالح يطلبه بثقة والشرير يطلبه بوقاحة .

يا شرير ، لماذا تطلب الخير ؟ الا تجد جواباً على طلبك بانك تسعى الى الخير ؟ الست تبحث عن شيء غريب ؟ ان طلبت الخير الاسمى ، اي الحياة ، فكن صالحاً حتى تصل اليه « ان شئت ان تحيا فاحفظ الوصايا » (متى ١٩/١٧)

ومتى وصلت الى الحياة الابدية ؟ ولم اقول الابدية ؟ ولم اقول السعيدة ؟ حسبي ان اقول الحياة التي هي في آنٍ واحد ابدية وسعيدة . متى وصلت الى الحياة ضَمنت لنفسك فيها البقاء الى الابد ؛ لانك ان بلغتها وما عرفت انك فيها الى الابد ظل الخوف مسيطراً عليها . ومتى كان الخوف كان العذابُ عذاب الروح ، لا عذاب الجسم وهناك الطامة الكبرى . وهل من سعادة مع العذاب ؟ سعادتنا في الملكوت العظيم . وانه لعظيم وابدي ، لانه بر .

في ذلك الملكوت ليس من يَغشّ ولا من يغش ، وفيه لا يشك بك قريب لك . ان معظم مشاكل الناس ناتجة عن افتراآت كاذبة .

تظن انساناً يضمر لك الحقد فاذا به يحبك ؛ وتعادي من جراء ذلك انساناً يريدك ويعطف عليك . وما حيلة من لا تثق به وهو عاجز عن ان يريك قلبه ؟ يقول لك : « احبك » وطال ما انه قادر على ان يكذب تكرهه وتأبى ان تصدّقه .

احبِّ اعداءك لئلا تبغض عن جهلٍ ، اصدقاءك . في هذه الحياة لا يسعُك ان تدخل باطن قريبك قبل ان يأتي الرب الذي ينير خفيات

الظلام ويكشف افكار القلوب ، وحينئذ يكون مدحُ كل انسان من الله (١ كور ٤/٥) .

وبالتالي إنّا نريد ان نضيفَ الحقيقة الى الحياة ليدرك بعضُنا قلوبَ بعض فلا ننخدع بافكارنا السيئة ونتحقق من تلك الحياة الابدية نفسها الباقية لنا .

اضف الحقيقة الى الحياة تجد السعادة في الحياة .

وكما انه لا احد يريد ان يموت كذلك لا احد يريد ان يغش . ارني انساناً يرضى بان يُغَش ، كثيرون يريدون ان يغشوا غيرهم انما لا يرضى احد الغش لنفسه .

أقمْ عهداً مع نفسك : ان لم ترضَ الغش لنفسك فلا ترضَه لسواك ، ولا تعمل لغيرك ما لا تريده لنفسك .

اتريد حياةً لا غش فيها ؟ لا تغش في هذه الحياة الدنيا . ان الجزاء يفرّحك ، فلا تحتقر العمل الذي يكسبك اياه .

عشْ حياتك هذه ، بلا غش ، تصل الى الحياة التي لا غش فيها . الحقيقة جزاء الصدق ، والخلودُ جزاء الصلاح في هذا الزمان .

عواطف وصلوات

ربّ ، سألتك شيئين : الحياة والحقيقة . فما هي الطريق اليها ؟ من اين ؟ ان الطريق اليها ، وان لم تكن في متناولي ، هي في ايماني وفكري وعقلي . الى الحياة والحقيقة أتوق .

انت المسيح وانا عن الطريق ابحث . انت قلت : انا هو الطريق ، وانا ابحث عن الطريق وانت هو الحق والحياة .

ذاك ما احبّه القديسون فرذلوا أمور الارض الفانية . اريد ان اقتفي آثار القديسين واتأمل بك يا زعيم الشهداء ويا زعيمي ؛ وان شئت خيراً عظيماً الى هذا الحد فلست اخشى الطريق الصعب .

لقد وعدتَ وانك لصادق في مواعيدك ، وفيٌّ لها . لقد وعدتَ ولا يسعك ان تحنث بوعدك .

في براءة ضميري اقول لك : « على حسب كلام شفتيك لزمت طرقاً وعرة » (مزمور ١٦ : ٤) .

ولماذا اخاف من طرق الآلام والتجارب الصعبة ؟ يا زعيمي ، انت مررت عليها ؛ والرسل مروا عليها واقتفى اثرهم جمٌّ غفير من الناس .

يا للعار ! نساء كثيرات مَرَرْنَ عليها كما مرَّ عليها شبّان كثيرون طلباً للحياة الطويلة .

وكيف تظلّ صعبة طريق مهّدها ذاك الجمهور الغفير من الناس وساروا عليها ؟

الفصل الثالث : في ان الله هو روح الحياة الروحية

موت الجسد فقدان حياته وموت النفس فقدان حياتها .

حياة جسدك نفسك وحياة نفسك الهك .

وكما ان الجسد يموت ، اذا انفصلت عنه النفس التي تحييه ؛ كذلك تموت النفس اذا انفصل عنها الله الذي يحييها . اكيد بأن النفس خالدة لا تموت ؛ لانها حيّة وان ميتة . ان قول الرسول عن المرأة الشريرة ينطبق على النفس التي ضيّعت الهها : «لانها ، وان حية فهي ميتة» (١ تيموتاوس ٥/٦) .

الله يحيا ؛ ونفسك تحيا ؛ انما حياة الله ثابتة وحياة نفسك متغيرة . الله لا يربح ولا يخسر بل هو دائم في ذاته وهو كما هو : لم يكن بخلاف ما هو الآن ولا بخلاف ما سوف يكون . اما حياة نفسك فانها بالعكس تتطوّر بالف شكل وشكل : كانت حمقاء ؛ وها هي الآن عاقلة .

كانت خاطئة وها هي الآن بارة ؛ تارة تنسى وطوراً تذكر ؛ تارة تتعلم وطوراً تقصّر ؛ تارة تنسى ما تعلمت وطوراً تتذكر ما نسيت : حياة النفس قابلة للتطور .

ان ادبرت عن الله كفرت به وان اقبلت اليه تبررت .

الا تظن ان المظلم الذي يقترب من النور يستنير ، ومتى ابتعد عنه ازداد ظلاماً ؟

الا تظن ان البارد يسخن قرب النار ويبرد متى ابتعد عنها ؟

تلك هي حال النفس : انها النفس ولو لم تكن حكيمة او بارة . انها النفس ولو لم تكن تقية . كون النفس نفساً شيء وكونها حكيمة ، بارة وتقية ، شيء آخر . من خلال اعمالها تظهر حية وان لم تظهر حكيمة بارة وتقية .

انها من خلال اعمالها تظهر حية كما تظهر افضل من الجسد . ولكن هل تظهر حكيمة ، تقية وبارة من خلال اعمالها ؟

الا يسير الجهال والكفرة والاشرار ؟ الا يعملون وينظرون ويتكلمون ويسمعون ؟

ولكنها متى اتجهت الى ما ليست هي ، والى ما هو اسمى منها ، والى ما قد خرجت منه ، فانها تأخذ الحكمة والبر والتقوى التي بدونها وان وُجدت، تعتبر ميتةً ، ولم تحي من الحياة التي تحيا منها ، هي عينها ، بل التي يحيا منها الجسد .

حياة النفس ليست من مبدأ حياة الجسم ذاته . في الواقع ، ان النفس افضل من الجسد ؛ لكن الله خالقها افضل منها .

ولو كانت النفس حمقاء ، خاطئة ، شريرة ، فانها تبقى للجسد حياته . لكن بما ان الله حياة لها كما هي للجسد حياة تقوّيه وتجمّله وتخدم اعضاءه؛ عليه هو ان يكون في النفس ، لكي يقدم اليها الحكمة والبر والتقوى والمحبة .

عواطف وصلوات

ايها الربّ الهي ، اريد ان اتخلّى عن كل ما هو ارضي وأتوق الى الاتحاد بك لكي تصبح نفسي جديرةً بقبلاتك ، فاهتف قائلاً : ما احسن اتحادي بك .

اتحادي بك خير لي وهو خير لي بالمجان ولا اطلب سواك . انك تحضّ الانسان على ان يفرح بتسبيحك . لاجلك خلقتنا يا رب ولا يستريح قلب لنا ان لم يسترح فيك .

ها اني اسمع صوتك الرحيم يسرّ في قلبي : « نعجة انت لي ونعجة من قطيعي ، انسان انت وانا إلهك » (حز ٣٤:٣١) . كم اكون سعيداً ان نلت ذلك الخير وكنت له . انا لك وانت لي : لك انا لكي تحسّن حالي ؛ وانت لي لكي اسبحك . انما انا اسبحك إلهاً لي ، وانت ترعاني حقلاً مثمراً يعطيك من ثماره : هذا كله لي خير ؛ اما انت فلست بحاجة اليّ .

آنس بعطيّتك واتمتع بك ؛ راحتي مكان لي يحملني الحب اليه ؛ وروحك القدوس يرفع حقارتي عن ابواب الموت .

ان سلامي هو في صلاح ارادتي : الجسم يعتمد وزنه وصولاً الى مكانه . الاشياء غير المنتظمة لا يقرّ لها قرار ؛ امّا المنظمة منها فلها قرار .

وزني حُبٌ يحملني حيث اشاء : انا مضطرم حباً لك ، توّاق الى العلى .

اني اشتعل وأسير : اشيد في قلبي مراقي وانشد نشيد المراقي .

بنارك ، اجل ، بنارك الطيّبة احترق واسير صعداً الى سلام اورشليم ؛ فرحت بما قيل لي الى بيت الرب نذهب . فيه وضعتني ارادتك الصالحة ، لكي لا اطلب سوى البقاء فيه الى الابد .

الفصل الرابع : في ان الله هو راحة الانسان

في وسط هذا العالم ومشاغله الكثيرة التي تستأثر بك ينبهُك المسيحُ الى أنّ ما يجبُ ان تنشده ، واحد . انك تطلبه ، مسافراً لا مقيماً : وتسعى اليه ، في طريقك ، قبل ان تصل الى الوطن؛ فتتوق اليه ولا تتمتع به ، وبرغم ذلك ، تابع سيرك ، لا تتكاسل؛ ولا تتوقف لتتمكن منه في يوم من الايام .

وجّه نيتك نحو غايتك التي هي المسيح ثمّ ردّ اليه ما تعملُ ولا تبحث عمّا بعده لتتمكن منه .

وجّه نيتك نحو المسيح ، لئلا تتوقف في طريقك ، فلا تصل اليه .

هلمّ الى المسيح : فيه غايتك وما دونه طريق . ودعْ كل من تلتقيه على طريقك ، اياً كان ، بغية الوصول الى غايتك . ان اتحدتَ بالله اكملتَ طريقك وبقيت في الوطن . وان طلبتَ المال ، فلا تتخذه غايةً ، بل تجاوزه وكمّل سيرك .

اطلب مكاناً تعبُر منه الى آخر ولا تطلب مكاناً يستوقفك .

ان احببت المال تقيّدت بالبخل الذي يوثق قدميك ويمنعُك عن متابعة سيرك . دع المالَ وابحث عن غايتك .

ان طلبت صحة الجسد فلا تكتف بها . وما قيمتُها ، والموت يقضي عليها ؟ وما قيمتها والمرض يضنيها ، وهي زائلة فانية وهاربة ؟ اطلبها لكي لا يحول سوء صحتك دون قيامك بصالح الأعمال ؛ فلن تكون الصحةُ غاية لك اخيرة ، بل سبيلاً الى شيء آخر .

ان ما يسعى المرء اليه بغية الوصول الى شيء آخر ليس غايةً منشودة لان الغاية هي مطلوبة لذاتها وبالمجان .

ان طلبتَ المجد ، سعيت اليه ؛ إمّا قياماً بعملٍ ما او حصولاً على رضى الله ، فلا تطلبه لذاته ولا تكتف به .

ان طلبتَ مجد الله ، حسنا صنعت . امّا ان طلبتَ مجدك الشخصي فشرًا تصنع ؛ لأنك تبقى في الطريق .

ها هو الانسان يحبّك ويمدحك ، فلا تفرح بما يُكالُ لك من مدائح ؛ بل افرح لان الربّ يسبّح فيك فتنشد آنذاك : « تعظّم نفسي الرب » .

ان قلت كلمة واثنى الناس عليك بسببها فلا تنسبها لنفسك لان ليست فيها غايتك .

ان اتخذتها غاية لك قضي عليك بها ؛ وما كانت لكمالك بل لفنائك .

لا تطلب الفناء بل الكمال . انت تقول لقد انتهيت من اكل رغيفي ومن خياطة ثوبي ؛ اجل ، انتهيت من اكل رغيفك وخياطة ثوبك وفي هذين العملين نهاية لها معنًى خاص بها . متى اصبح الثوبُ جاهزًا انتهى ؛ ومتى فقد الخبز انتهى . وبالتالي فلا تمتدح قولاً لك كانه صادر عنك وملك لك ، بل قل : انني افتخر بخطابي بالله ؛ وبالله افتخر بكلامي : الله رجائي فلست اخشى احدًا .

ان افتخرتَ بصلاح اعمالك في الله فلست تخاف على مديحك من الضياع لان الله باقٍ ؛ واياك ان تقنع بهذا المديح .

ليكن مخلصُك غايةً تتوق اليها يا من لم تُدعَ للارض بل للسماء ؛ انت لم تُدعَ لسعادة ارضية بل لسعادة سماوية ولا لنجاح في الارض وازدهار زائل ، واه ، بل لحياة الى الابد مع الملائكة .

ليكن فاديك آخر ما تصبو اليه وتتوق ؛ لانه رجاء لك وقوة ، حتى ان تألمت ، كان بعونك . يحسُن بك ان تجعل الله غايةً لك ، اما ان ابتعدت عن الهك وملت عن خالقك وقعتَ في شر هذا العالم الخبيث كالنهر في البحر .

ان كان الله حقاً غاية لك في سعيك حزن قلبك في هذا المنفى لأن حياتك لم تبدأ مع المسيح ولكونك لا تزال تتنهد طلباً للوطن . وان سيطر الحزنُ عليك من جراء هذه الافكار تنهدت ولو كنت سعيدًا بحسب العالم . لو غمرتك خيورُ العالم وابتسم لك الكونُ فلا تزال تتنهد في سفرك؛ لانك تشعرُ بان ما يسميه جهالُ العالم سعادةً ليس السعادة التي وعدك بها المسيح . ان لم يكن الله غايتك كنتَ اشبه برجلٍ ، لا اقدام له ؛ او بمن يعجز عن المشي لان قدميه موثقتان . ان طلبتَ خيور العالم عدوت حقاً ، انما كان عدوُك خارجاً عن الطريق ، فتضيع اذ ذاك بدلاً من ان تبلغ الهدف .

اركض اذن ، اركض على الطريق اذ لا فائدة من ركضك خارجاً عنها ؛ فضلاً عن ان ركضك هذا يؤدي بك الى العذاب ، وكلما ازددت ركضاً خارجاً عن الطريق كلما ازددت ضياعاً .

اركض واركض على خطى المسيح القائل : انا هو الحق . اركض صوبَ الوطن لان المسيح قال : انا هو الحق . اركض وراءه فتستريح . لقد جاء المسيح اليك لكي تتبعه . كنتَ عنه بعيداً ثم زدتَ عنه بعداً . ولما مرضت وعجزت عن كل حركة اقبل الطبيب اليك ايها المريض فانفتحَ السبيلُ امام المسافر : انجُ بفضله وسرْ على خطاه ، اركض الآن لتفرح فيما بعد في الوطن .

عواطف وصلوات

ربِّ ، انا لم اصلْ الى الوطن ؛ انما على الطريق اسير . ليس لي فرح الاقامة بقربك انما اتوق اليه منذ الآن . الجسد يشدني الى الارض والروح يرفعني الى فوق . الحب يدفعني والجسد يخفف من سرعتي ؛ الجسد يبحث عن الراحة هنا ؛ ولن يجد لها اثراً في الشهوات العاطلة .

الجسد يطلب الراحة في ما يزول ؛ وبما ان الزمن يسلخه عن هذه كلها فاني اضطرب خائفاً متألماً ولا استريح .

ان طلب الراحة في الثروات رجحت كفّة الكبرياء فيه على السلام . الم يفقد الكثيرون فجأةً ثرواتهم ؟ الم يهلكوا بسببها ؟ اما لانهم اشتهوها ، واما لانهم اصطدموا بمن هم اكثرُ جشعاً فسلبوهم اياها .

طوبى لمن يحبّك ؛ ما خسرك الاّ من تخلّى عنك . والذي تخلى ، اين يهرب ويذهب ؟ يهرب من نعمتك الى غضبك . يا إله الفضائل ، اهدني وأرني وجهك فأخلص . ان ذهبت حيث لا تقيم ، تعلّقت بأوجاعٍ وآلام مع اني اجد خارجاً عني وعنك بعض الجمال .

اللهمّ ، ان نفسي تسبّحك يا من خلقتَ ، ما خلقتَ حباً بهذه الكائنات الفانية ؛ ارجوك الاّ تدعها تعلق على شَرَكِ محبتها بحواس الجسد .

ان تلك الكائنات تذهب في الواقع الى حيث ذهب سواها ، الى الهلاك ؛ وتمزّق النفس بشديد الحزن لانها تريد الحياة والبقاء وتحب ان تستريح في حبك . تعجز الكائنات عن ان تقدم لها مكاناً للراحة فتهرب ولا تتوقف .

من الذي يتبعها بحسّ الجسد او من الذي يستطيع ان يُمسك بها او يعانقها متى كانت الى جانبنا ؟

الشعور الجسدي من طبيعته بطيء . انه كافٍ للعمل الذي وُضع له وعاجز عن الاحتفاظ بما يزول ثم يذهب الى غاية محتومة .

من كلمتك الذي خلقهم تسمع الكائنات الكلمة التالية : « من هنا الى هناك ، سأتوب اليك يا خالقي : بعيداً عنك ، ابرد ، وقريباً منك ادفأ ؛ أظلُمُ بعيداً عنك واستنير متى وجدت النور .

بك وجودي فاجعلني فيك لكي تكون حياتي صالحة .

الفصل الخامس : في التوق الى السعادة الابدية

لقد علمت بوجود مدينتين متداخلتين ومتميزتين الواحدة عن الاخرى، ها هنا ، جسماً وقلباً ، وباقيتين على هذا الحال على مر الاجيال : احداهما تبغي السلام الابدي وتدعى اورشليم ؛ والاخرى تفرح بالسلام الزمني وتدعى بابل. بابل تعني البلبلة ، واورشليم تعني رؤية العالم .

هاتان المدينتان هما وليدتا حبين اثنين : اورشليم وليدة حب الله وبابلُ وليدة حب العالم .

انظر الى الحب الذي فيك تعرف الى اية مدينة تنتسب : ان كنت مواطناً بابلياً فانتزع منك الشهوة واغرس محلها المحبة ، اما ان كنت مواطناً اورشليمياً فاحتمل الاسر وارجُ المحبة .

بقي الشعب الاسرائيلي في الصحراء اربعين سنة قبل ان يدخل ارضَ الميعاد ويملك عليها ؛

وانت في هذه الحياة عينها حيث الهموم والاخطار تحيق بك من كل جانب ، تسيرُ كما في صحراء .

وعدك الله بخير لا توصف عذوبته ، وفقاً لما جاء في الكتاب : « ما لم تره عين ولم يخطر على قلب بشر » (١ كور ٢ : ٩) .

ضيق الزمان يعلّمك وتجارب الحياة الحاضرة تصقل ما فيك من شوق .

وان ابيت ان تموت عطشاً في تلك الصحراء فاروِ عطشك من المحبة. المحبةُ ينبوعُ فجّره الله ها هنا كيلا تخور قواك على الطريق فاشربْ منه واستزد لدى وصولك الى الوطن .

ان لم يشق عليك السفر فلست تحب الوطن . اما ان كان الوطنُ عزيزاً على قلبك فستشعر بمرارة السفر . ان شقّ السفرُ عليك كانت التجربة ملازمةً لك كل يوم .

هنا الضيق ، وفوق ، نهاية الاحزان والاتعاب . هنا الصلاةُ ، وفوق ، التسبيح . هنا الاحزان وفوق ، اناشيد الفرح حيث تختلط اصواتنا باصوات الملائكة . هنا الرجاء ؛ وفوق ، المشاهدة الدائمة والحب الى الابد .

طال ما انك لست فوق ، فلست على خير . وإن وفرتْ لديك الخيرات، فهل تطمئنّ الى بقائها لك ؟

مهما بلغت ثرواتُ هذا العالم فهل انت واثق من بقائها ؟

وهَبْ ان الله قال لك من عليائه : انت لها الى الابد وهي لك الى الابد ؛ انما لن ترى وجهي .

اياك ان تستشير الجسدَ بل الروح ، وخُذ الجوابَ من قلبك ومما فيك من ايمانٍ ورجاء ومحبة .

ان ثبُت لك أنك سوف تملك خيور العالم ، باسرها ، حتى الابد ، وقال الله لك : لن ترى وجهي فهل تفرح بما لديك من خيرات ؟ وان

كان لك الكثيرُ وعشتَ في بحبوحةٍ واكتفيتَ بما لديك فلستَ تحبّ الله ولا تتنهد كالأسير .

حاشا ، حاشا ؛ اطرح عنك المغريات والطيبات الكاذبة وارفع نفسك الى الاعالي واعترف باكياً على ما فيك من شقاء وليكن ما لك مُرًّا ، ما عدا الله .

قل لإلهك : رب ، اني ارفض كل ما اعطيتني ، ان لم تُعطني ذاتك ، يا من وهبتني كل شيء . ليت الانسان يتوق بقلبه الى مجد الله غير الموصوف . ليتك تشعر ، اثناء سفرك ، بأنك لا تحب العالم ، بل تتوق باستمرار الى من يدعوك اليه . الشوق هو ان يفتح الانسان قلبه وينبسط ما استطاع نحو غايته . ان كتاب الله وجمهور الناس والاحتفال بالاسرار المقدسة وسر العماد والترانيم الروحية هذه كلها أمور تولّد فيك هذا الشوق ؛ لا لكي يظهر وحسب بل لكي ينمو وينمو ويصيرك أهلاً لأن تدرك « ما لم تره عين ولم تسمع به اذن وما لم يخطر على قلب بشر » .

عواطف وصلوات

اللهمَّ ، لا تَدَعْ حُبَّ بابل يغويني ، فأنسى اورشليم . ان كان جسدي لا يزال في بابل فدع قلبي يسبقه الى اورشليم .

ان لم ابكِ اسيرًا فلن افرح متى صرتُ مواطناً ؛ لاني لم اشعر بالشوق الى رؤية المدينة المقدسة .

فيا صهيون المقدسة ، حيث كل شيء فيك باقٍ لا يزول ؛ من الذي وضعني في بابل ؟ ولِمَ تخلّيت عنك وكفرت بخالقي ؟

يصعب على من ألقوا في النهر ان ينجوا بأسرهم الآ اذا استطاعوا ان يستمسكوا بالخشبة .

ذليل انا في اسري ؛ لهذا اجلس على ضفة النهر فلا ألقي بنفسي في مياهه ولا اشمخ متكبرًا في منفاي القاسي المرير ، انما اجلس وابكي . سوف ابكي ذاكرًا صهيون ، اجل متى كانت بابل راضية عني بكيت ذاكرًا صهيون . ومن الأحسن لي ان ابكي . يا للسلام

الذي اتذوّقه في الله ويا للاتحاد المقدس مع الملائكة ويا لجمال الرؤية والمنظر !

في بابل تستهويك الجمالات . فلا تدعها تستهويني وتخدعني .

عزاء الاسرى شيء وفرح الاحرار شيء آخر .

ما اعذب ميراث الرب الخالد الذي لا يوصف ولا يموت ولا يتغير ! متى اراك يا خيرات الرب ؟ اؤمن بان اراك ، لكن ، ليس في ارض الاموات .

انقلني يا رب من ارض الاموات يامن تنازلت حباً بي وقبلت ارض الاموات وبين ايدي الاموات مت ؛ انقلني من ارض الاموات .

اني اقول لك زافراً ومتألماً وعرضة للاخطار وأمام هذا العدو الكبير من التجارب اقول لك ؛ لكنني ارجو كل شيء منك قائلاً يا رحيم : « ارني شريعتك ، ربّ ، لكي ارى خيراتك في ارض الاحياء » .

الفصل السادس : في التسليم المتواضع لمشيئة الله

ما أحسن إله إسرائيل لذوي القلوب المستقيمة ! ما احسن اله اسرائيل للذين لا يقاومونه بل يخضعون ارادتهم لارادته ولا يخضعون ارادته لارادتهم .

اليك وصية وجيزة توجيهاً لقلبك : إعمل ارادة الله ولا تردْ ان يعمل الله ارادتك .

اذا لم تكن قادراً على فهم حكم ما والسبب الذي من اجله صنع هذا دون ذاك ، فمن الافضل لك ان تقبل بحكمته وتؤمن بحسن صنيعه ولو لم تفهم السبب .

رسّخ هذه الفكرة في قلبك ؛ ولا تدع العدو ينتزعها منك ؛ وهي أن الله قادر على ان يعمل دون ان تفهم السبب وان من لا اثم عليه لا يرتكب اثماً .

ان خفي السبب عليك فانظر الى ذاتك والى ما انت عليه من الجهل .

لا تطلب ما هو اقوى منك ؛ ولا تستقص ما هو اعمق ؛ بل تأمّل دائماً بما امرك الرب به ؛ ان الله يعرف ما يعمل . امّا انت فخَفْ وكن صالحاً .

اعلم ان ما يحدثُ ها هنا ، ضد ارادتك ، لا يحدث الا باذن الله وارادته وسابق علمه وامره وبمعرفة منه ، فان لم تدرك السبب فدع هذا الهمّ للعناية الالهية التي لا تعمل شيئاً بلا سبب .

وان بدأت تناقش اعمال الله قائلاً : لمَ هذا ؟ ولمَ ذاك ؟ وهذا ما كان لازماً لانه شر ؛ فكيف تسبح الله بلسانك ؟

انظر الى كل شيء نظرةً ترضي الله ؛ وسبح الخالق لانك ان دخلت حانوت حداد لما تجاسرت ان توجه اللوم الى الكور والمطارق والمنافخ التي فيه .

ومع ان صاحبه رجل جاهل لا يدرك علل الاشياء فلا يجرؤ ان يوجه اليها لومه .

اذا لم يكن عاملاً حاذقاً ، بل كان راجح العقل ، فماذا يقول ؟ المنفخ لم يوضع هنا بلا سبب : المعلم يدرك السبب وان لم اعرفه انا .

انت لا تجرؤ على ان تنتقد الحداد في حانوته ؛ ثم أتلوم الله في هذا العالم ؟

يحسن بك ان تنصاع طوعاً لارادة الله التي تريدك حيناً ذا صحة جيدة ومريضاً حيناً آخر ؛ إن قبلت ارادة الله متى كنتَ في صحة جيدة ورفضتها مريضاً فلستَ مستقيم النية .

ارادته قويمة اما انت فاعوج ؛ قوّم ارادتك بحسب ارادته ؛ ولا تُخضع ارادته لارادتك .

ان اصبت نجاحاً في هذه الدنيا فسبّح الله عزاءك؛ وان تألمتَ فسبح الله الذي يؤدبك ويمتحنك .

ان طلبتَ صحةَ الجسد فلا تهتمّ بطلبك هذا كثيراً ؛ إلاّ اذا طلبت الصحة لكي تخدم الله الذي يعطيكها ، ان رأى فيها ، خيراً لك وإلاّ منعها عنك .

كم مريض سمّر على سريره ولا خطيئة عليه . لو ان صحته جيدة لكان استعملها لارتكاب الجرائم .

كم من اناس يؤذيهم حسن الصحة ؛ ومن الافضل للسارق الذي يسطو على الناس بقوّته ، ان يكون مريضاً ، ومن الافضل لمن يسطو على املاك الناس ان يكون مريضاً بالحمى في فراشه : كم هو بريء مريضاً واثيم معافى !

الله عالم بما ينفعك : نقّ ضميرك من الخطأ واذا ما حلت بك مصيبة جسدية فتضرع اليه .

كيف تعرف ان الله لا يريد لك الشفاء ؟ التأديب لا يزال مفيداً لك .

وكيف تعرف مقدار الفساد في اللحم الذي يقتطعه الطبيب حين يضع مبضعه على الفساد ؟ لا يدري ما يعمل وانّى يجب عليه ان يصل ؟ وما نفعك من الاعتراض على مبضع الطبيب الذي يجري عمليته ؟ انت تصرخ وهو يبتر : انه لقاس لكونه لا يسمع لصراخك ؛ او بالاحرى انه لرحيم لكونه يتابع الشق ليشفيك من مرضك . قال ابن الله : انا لا أطلب مشيئتي بل مشيئة من ارسلني ، وانت تطلب مشيئتك ؟

قوّم قلبك ووجّهه صوب ارادة الله ، واذا افسد الضعف البشريّ عليك صفوك ، فالعدلُ الالهي هو عزاؤك .

ومع انك تريد لنفسك بقلب فان ، شيئاً ، قد تظنه ضرورياً ، في الوقت الحاضر ، لقضيتك ، او لعملكَ ؛ عليك ، حيثما تفهم وتدرك ان ارادة الله مخالفة لارادتك ، ان تؤثر ارادة من هو افضل على ارادتك ، وارادة القدير على ارادة الضعيف ، وارادة الله على ارادة الانسان .

اذا كنت غير مستقيم ، فباركت الله في السراء ، ولعنته في الضراء ، كنت في تجديفك عليه ، ساعة المحنة ، كالخادم الخسيس الذي يحب معلمه ، ملاطفاً ، ويكرهه ، مؤدباً ؛ وكأنه لا يُعدّ لك الميراث سواء الاطفك ام ضربك .

« اباركُ الرب في كل حين وكلّ آن تسبحته في فمي » (مزمور ٣٣ : ٢) .

مع ان كلّ عبودية مريرة وكلّ عبد يتذمر في الخدمة فانا لست اخاف ان اكون لك عبداً .

لستُ ابكي متى كنت لك عبداً ؛ ولا اتذمر ولا اغضب ولا اجد نفسي خسيساً لاني اجد فدائي عذباً ويسعدني ان اخدم في بيتك برغم الصعوبات : هذه الصعوبات ، انا سببتها لنفسي ؛ لكني اعترف في اسري واريد ان تتحوّل قيودي الى حلى من الزينة .

اود ان اخدمك بقلب فرح : ان العبودية بقربك حرية ؛ والحرية حيث لا ضرورة هي محبة تخدم . اني اسير وحرّ في آن واحد : اسير لاني مخلوق وحرّ لانك احببتني فأحببتك يا خالقي .

لا اريد ان اطيع متذمراً ؛ ان تشكّياتي لا تحلّني من واجب الخدمة بل تصيّرني خادماً فاسداً . انا اسير لديك معتوق فارض ان اتحرر وان ابتعد عن بيت من حررني .

هلمّ ايها الرب يسوع واسكن في نفسي بالايمان : الهمني واعطني الصبر وعلّمني ألاّ افرح بالنجاح ، واقنط في الفشل ؛ أعطني ان استعمل هذا العالم والاّ ابالي به ؛ فلا اشمخ متى آتتني الظروف ؛ ولا اقنط متى عاكستني ؛ بل اباركك في كل مكان وزمان .

لست اباركك متى كنت في بحبوحة وحسب ، بل ، ان خسرت خيراتي باركتك ايضاً .

لستُ اباركك متى كنت ذا صحة جيدة بل ومتى فقدتها .

انت اعطيتني كل شيء وانت سلبتني كل شيء : فلتكن مشيئتك وليكن اسمك مباركاً .

سواء أأعطيت ام اخذت فأنا عالم بأنك تفعل ذلك ، عن محبة ؛ ولا اظنّك تتخلّى عني برحمتك ، سواء اعطيتني واحسنت اليّ كيلا اسقط ام ادّبتني في فرحتي كيلا اهلك .

سواء اعطيت ام ادبت فاجعل تسبحتك دوماً في فمي .

تسبيح المؤدب علاج الجرح .

اعطني ان اسبّحك كل يوم واباركك في كل ما يحدث لي .

الفصل السابع : في الاقتداء بالمسيح

المسيح يقول لك : « انا الطريق والحق والحياة » يوحنا ١٤ : ٨ .

اذا اردت ان تمشي فانا الطريق . واذا اردت الاّ تغلط فانا الحقّ ؛ واذا اردت الاّ تموت فانا الحياة .

لا تستطيع ان تأتي ، الاّ اليّ ، ولا تستطيع ان تأتي الاّ بي .

اعرف اين تذهب واعرف ايّ طريق تسلك . وماذا تخشى ؟ من الذي يضل في الحق ؟ انت تضل ان ابتعدت عني .

هل تخشى الموت قبل الوصول ؟ اطمئنّ بالاً : بي تسير واليّ تسير وفيّ تستريح .

لدى الآب انا الحق والحياة ؛ ولما اخذتُ جسماً صرت الطريق . اني لا اقول لك : اعمل باحثاً عن الطريق لتصل الى الحقيقة والحياة . كلا لست اقول ذلك .

انما أقول لك : انهض ، انا الطريق أتيتُ اليك وانهضتُك من نومك : انهض وامش .

كان الطريق كثيرَ الوعورة فمهّدته ، ماراً عليه امام الجميع ، ولم يخش الكثيرون المرور عليه ، لاني كنت اول من مر عليه .

ان شئت ان تتبع طريقي فلا تمش في طريقٍ آخر سوى الطريق الذي انا سرت عليه . ان بدا لك وعراً فثق بانه مأمونٌ . وقد يكون غيرُه اكثر منه سهولة ولكنه مليء باللصوص .

سر مطمئناً في الطريق واحذر الفخاخ المنصوبة على جانبيه . لا يجرؤ العدو ان ينصب لك شباكه على الطريق ، ولكنه يشرع في نصبها على حدودها .

لا تخف ولا تضطرب ان سرت في الطريق انما خَفْ ان تركت الطريق .

آذن للعدو بان ينصب شباكه على جانبي الطريق لئلا تستسلم الى طمأنينة الغبطة فتبتعد عن الطريق وتقع في شباكه .

سرْ بامانٍ على الطريق بواسطة الفضيلة ؛ لا على الاقدام ، لان الكثيرين يتحركونَ بخطاهم ويتعثرون باخلاقهم : اولئك يسرعون خارج الطريق .

في الواقع انت تجد اناساً حسني السيرة ، وليسوا مسيحيين . انهم يُسرعون معتمدين ما لديهم من وسائل ، خارج الطريق ، وكلما ازدادوا سرعة كلما ازدادوا ضلالاً ، خارجاً عن الطريق .

لو ان امثالهم وصلوا الى الطريق واستمسكوا به لاطمأنوا كثيراً لانهم يسيرون سيراً حسناً ولا يتيهون .

اما اذا لم يمسكوا بالطريق ، وان ساروا سيراً حسناً ، فكم يكون حزنُنا عظيماً عليهم .

افضل للانسان ان يتعثّر في سيره على الطريق من ان يسرع خارجاً عنه .

ان شئت ان تتبعني فاكفر بنفسك واحمل صليبك واتبعني . احمل صليبك وتحمَّل تجربتك واقبل صابراً جميع ما ينتابك ، حباً بي . هذه هي طريقك : سرْ متواضعاً تصل الى الابدية .

اعطيتك مثلاً : جعت وعطشت وتعبت ونمت ثم القي القبض عليّ فضربت وصلبت وقتلت .

نبذت خيور الارض كلها لابيّن لك كيف تحتقرها ؛ وتحملت كل ما في الارض من ضيقات ، واوصيتك بان تحتملها فلا تبحث ، في الاولى ، عن سعادتك ، وتخشى نكد الثانية عليك .

وولدت من أمٍ حبلت بي دون ان يمسّها رجل ؛ وظلت عذراء : حبلت بي عذراء وولّدتني عذراء وماتت عذراء ؛ ومع انها كانت مخطوبة الى نجار فقد قضت على ما في الجسد من عنفوان .

واذ ولدتُ في بيت لحم ، صغرى مدن اليهودية ، فلم اطلب المجد من شهرة مدينة كبيرة .

وصرت فقيراً ، انا الذي خلقت كل شيء ، لئلا يفاخرَ بامواله من قد يؤمن بي .

وما اردت من الناس ملكاً ؛ بل اظهرت بتواضعي السبيل للبؤساء الذين يبتعدون عني إن رأوني متكبراً ؛ مع ان كل مخلوق يشهد بخلود مملكتي .

وجعت انا ، الذي يطعُم كلّ حي ؛ وعطشت ، انا الذي يخلق كل شراب : انا هو خبز الجياع الروحي ومعين العطاش الروحي .

وتعبت على طرق الارض ، انا الذي جعل نفسه طريقاً الى السماء .

وسكتت أنا الذي أسمع الصمّ وانطق الخرس ؛ وصرت أخرس أصم ، امام من يهينوني .

وربطت انا الذي حلّ من قيود الامراض .

وجلدت انا الذي أبعد عن أجسام الناس قضبان الاوجاع على اختلاف انواعها .

وصلبت انا الذي قضى على عذاباتك كلها .

ومت انا الذي اقام الاموات .

وقمت ، على ان لا أموت ، لكي اعلمك ان تحتقر الموت ، يا من فرض عليك ان تحيا الى الابد .

احتقرني الناس ، انا الرب الهك ، وانت تطلب منهم ان يكرّموك ؟

لا تطالب لنفسك بما لم يتحقق فيّ .

ليس تلميذ افضل من معلّمه ولا عبد أعظم من سيده .

لا تسبقني بل اتبعني ؛ ولا تعطني نصائح بل اقبل نصائحي .

اراد بطرس ان ينصحني حين تنبأت عن آلامي واحبَّ المريضُ ان يعطي مشورة في الخلاص ، لكنني انا الذي ، اردت ان يتبعني ، لا ان

يسبقني ، قلتُ له : « اليك عني يا شيطان » « شيطان » اذ كان عليه ان يتبعني فاراد ان يسبقني . ولما تبعني قلت له : « على هذه الصخرة سابني كنيستي » واراد ابنا زبدى ان يسبقاني اذ اختارا ، قبل ان أتألم ، محلين لهما : الواحد عن يميني والآخر عن يساري .

وعبثاً سارا لانهما ارادا ان يسبقاني فارجعتهما الى التواضع قائلاً : هل تستطيعان ان تشربا الكأس التي اشربها ؟ انا جئت متواضعاً وانتما تريدان ان ترتفعا امامي ؟

عُد الى الوراء وسرْ خلفي : انا اسير امامك وانت اتبعني . الطريقُ الذي انا اسير فيه ، سرْ انت فيه ، ولا تسرْ حيث انت تريد ، وحيث تريد ان تأخذني .

ان شئت ان تسبقني فلست تريد الاصلاح لنفسك ، يحسُن بك ان تسير خلف مَن اردتَ ان تسبقه .

لا تيأس ، لقد جعلتُ نفسي طريقاً لا ينتهي ؛ فلا تعطّله امطار وفيضانات ولا يقطعه لصوص .

سرْ في الطريق بامان : امش فيّ بامان : سرْ لئلا تتعثّر وتسقطَ وتتراجع وتتوقف ثم تبتعد عن الطريق .

احذر هذه كلها تصل بسلام .

عواطف وصلوات

ربّ ، لقد ضللت وملت عنك ، فناديتني وألهمتني ان اعترف بخطاياي ، فاعترفتُ وغفرت لي . ها منذ الآن اريد ان اتبعك ايها الباحث عني ، يا من ارجعتني على كتفيك .

انت قلت لي : انا الطريق والحقّ والحياة حقاً ؛ ربّ ، انت الطريق الحقيقي ؛ انما تذهب ، الى ذاتك بذاتك . اما انا فأنّى لي ان اذهب اليك ؟ وعلى طريق سواك ؟ انت تذهب الى ذاتك وانا اذهب اليك بك ؛ وكل منّا ذاهب الى الآب .

لقد قلت عن نفسك انك ذاهب الى الآب ثم قلت في موضع آخر : لا يأتي احد الى الآب الاّ بي ؛ ولذلك فانك آت الى الآب بنفسك وانا اليك وبك آت الى الآب .

اليك آتي ووراءك اسير : لقد اجتزتُ طرقاً وعرة ولكنك تعدني بأشياء عظيمة .

انا لا اقصُرُ تأملي على الطريق الذي عليه اسير بل ابسطه على المكان الذي يجب عليّ ان اصل اليه .

سأتحمّل ضيقات هذا الزمن ولكني سوف ابلغ الى الفرح الازلي . وكأنّ ما اتحمّله عدم هو بالنسبة الى ما سوف اصل اليه ولا شبه بينه وبين الخيرات التي سيمكّنني منها تحمّل العذابات ها هنا .

وأعْجَبُ من عظمة ما أُجازى به عن هذا العذاب البسيط . بنعمة منك اتخذك وقديسيك اخواني ، قدوةً لي ومثالاً . لقد كانوا مثلي بشرًا ؛ مثلي وُلدوا وانت رفعتهم ؛ سارَ وراءك الشهداء القديسون حتى سفك الدم ؛ واحتملوا الآلام على مثالك ؛ وساروا خلفك ولم يكونوا وحدهم .

ما انقطع الجسر الذي مرّوا عليه وجفّ الينبوع الذي شربوا منه . انّا لنجد في الحديقة الى جانب ورود الشهداء زنابق العذارى والى جانب بنفسج الارامل اكاليل المتزوجين فأدرك اذ ذاك كيف اسير خلفك في الطريق العام بعيدًا عن الاستشهاد وعن اخطار الآلام .

انت تواضعت وتفانيت متخذًا صورة العبد ؛ وانا اعرف ما يجب ان اعمل . ان الذين يلازمون الملذات ويدورون في فلكها يطلبون الغنى بشكل اثيم . اما انت فقد شئت ان تكون فقيرًا . هم ينشدون المجد والسلطان وانت تأبى ان تكون عليهم ملكاً . هم يرفضون كل اهانة وانت تحملتَ شتى انواع الاهانات . هم يعتبرون الظلم امرًا لا قدرة لهم على احتماله ، وهل من ظلم افظع من الحكم على بار بريء بالموت ؟

هم يلعنون آلام الجسد وانت تحملت آلام الجلد والصلب .

اعتبروا الصليب اشنع ميتة فصلبوك .

عشت حياتك كلها ، على الارض ، في الانسان الذي تناولت وصرته ناموساً وخطة خلقية .

فها انا اسير وراءك يا نور العالم كيلا اسير في الظلام .

الفصل الثامن : في الحياة الرهبانية

« ما أطيب وما الذ ان يسكن الاخوة معاً » (مزمور ١٣٢ : ١) .

ما اطيب المحبة التي تجعل الاخوة يسكنون معاً .

بعض الكاملين يسكنون معاً لان هذه البركة ليست خاصة بجميع المسيحيين ولكن ، ببعضٍ منهم ؛ ثم تنحدر الى سواهم .

من عبارة المزمور العذْبة والشجية وُلدت الاديار . وهي التي جعلت الاخوة يسكنون معاً فكانت بمثابة صوت نفير يجمعهم . الارض باسرها رددت صداه ، فاجتمع شمل المشتتين .

هتاف الله وهتاف الروح القدس وهتاف النبي لم تسمعْه اليهودية ، انما سمعه العالم باسره : صرخَ به في آذان اناس صم ؛ والذين قبلوا تعاليم المسيح فتحوا له آذانهم .

ان تأملنا حقاً ، وجدنا ان تلك البركة هي بنت اليهود : من أين جاء الرسل ، ابناء الانبياء؟ ومن اين جاء اولئك الخمسمائة الذين شاهدوا الرب بعد قيامته فتكلم عنهم بولس الرسول ؟

ومن اين جاء المائة والعشرون ، الذين كانوا مجتمعين معاً في مكان واحد ، بعد قيامة الرب وصعوده الى السماء ، حيث حل الروح القدس عليهم في اليوم الخمسين نازلاً من السماء بحسب الوعد ؟

هناك كان اولئك الذين سبقوا فسكنوا معاً بعد ان باعوا كل ما لهم ووضعوا ثمنه على اقدام الرسل ، ليوزعَ على كل واحد بحسب حاجته ؛ ولم يدّع احد شيئاً لنفسه ؛ بل كان كل شيء مشتركاً فيما بينهم ؛ وكانوا متحدين في الله بنفس واحدة وقلب واحد . سمع الاولون ولكنهم لم يكونوا وحدهم لان هذه المحبة والوحدة الاخوية لم تصلا اليهم ؛ بل وصلت الى ذريتهم تلك الغبطة في المحبة وتكريس النفس لله .

ولبى الرهبان صوت المزمور وتجاوبوا مع تلك الموسيقى الشجية .

وما معنى لفظة راهب ؟ الراهب هو من كان واحداً وليس وحيداً اياً كان لانه واحد في جماعة . وبما ان هذه الجماعة تستلزم ، لكي تتألف ، عدة اشخاص ؛ فان الراهب لا يمكن ان يكون واحداً اي وحيداً : انه واحد وحيد .

ان الذين يحيون حياة مشتركة ويؤلفون شخصاً واحداً يحققون في ذواتهم قول الكتاب وهو ان يحيوا بنفس واحدة وقلب واحد كثرةً في اجسادهم ووحدةً في قلوبهم . وبهذا المعنى يقال حقاً راهب اي واحد ووحيد .

ان الراهب صورة لوحدة الكنيسة والذين انفصلوا عن الوحدة يجدفون حقاً على الرهبان ؛ فلا يروقهم اسم « رهبان » وقد أبوا السكنى معاً ولهذا اتبعوا الضلال وتخلوا عن المسيح .

عليهم قبل سواهم من الناس ، قبل الرسل ، فاضت تلك النعمة فاحتملوا هجمات العالم لان الروح كان قد حل عليهم .

والذين سبقوا غيرهم في السكنى معاً تحملوا الاضطهاد فكان منهم القديس اسطفانوس الذي تألم دون ان يقهر ؛ لان الروح القدس كان قد حل عليه .

اقوياء كثيرون تحملوا شتى انواع الاضطهادات ، ولولا حبهم لله وسكناهم معاً لما خلّوا لنا اليوم اديارا .

ولكن بما ان المحبة ، محبة الله ، فاضت شذاً طيباً على ثوب المسيح ، فقد سارت الكنيسة في اثرها وولدت الاديار من ثوب الرب .

حسن لنا ان نسكن مع المتوحدين حياة هدوء ، بعيداً عن ضوضاء العالم وصخب الناس وقلق الجماهير وامواج الكون العاتية ؛ لان الذين اختاروا تلك الحياة قد بلغوا الى الميناء دون ان يبلغوا الفرح النهائي لان الزفرات والتجارب لا تزال قائمة . وللميناء باب لا يستطيع مركب ان يدخل اليه الا به .

تدخل الرياح احياناً من ذلك الباب ، ولعدم وجود الصخور تتصادم السفن وتتحطم : على السفن ان تحافظ على الهدوء والنظام ، لئلا تتصادم؛ وعليها ان ترعى المساواة والعدل والمحبة الدائمة حتى اذا هبت عليها الرياح جابهتها الادارة بحكمة وروية .

تيقظ ولا تقبل اي شرير . كن حذراً لان الانسان لا يُعرَف الاّ اذا امتحنتَه من الداخل .

ان كان الداخلون لا يعرفون نفوسهم فكيف بك انت ؟ كثيرون تواعدوا على ان يحيوا تلك الحياة المقدسة وان يكون كل شيء مشتركاً بينهم بحيث لا يملك احد شيئاً خاصاً به لانهم بالله نفس واحدة وقلب واحد : لقد القوهم في الاتون فتحمَّصوا .

يجاهد الراهب ايضاً ، كل يوم ، في باطنه ؛ ومع انه وحده ، فانه يجاهد في قلبه مع الجمهور :

البخل يستهويه والشهوة تستهويه ، النهم يستهويه وكل شيء يستهويه فيميل عن كل شيء انما يصعب عليه ان يظل في حمىً من كل شيء .

اين هي الطمأنينة ؟ لا وجود لها البتة ، في حياتنا هذه ؛ الا اذا رجَونا فقط ، مواعيد الله .

وينخدع الناس في حالتين : حين لا يحيون حياةً افضل ، او حين يستسلمون اليها بوقاحة . ومتى ارادوا ان يثنوا على هذه الحياة تجاهلوا ما فيها من شرور . ومتى ارادوا ان ينتقدوها انتقدوها بنية شريرة حسود متعامين عن خيرها ، مغالين في اظهار ما فيها من شر او ما يظنونه شراً .

غالباً ما تكال المدائح جزافاً على جمعية رهبانية فيقبل الناس اليهـا ويصطدمون فجأة باناس اشرار فيتراجع من بينهم بعض الصالحين .

اما انت يا من تلوم ، بدافع من الحسد ، او تمتدح بلا حساب ، فعليك ان تقر بوجود اناس صالحين الى جانب الطالحين .

في الاديار قديسون مشهورون يعيشون كل يوم في الترانيم والصلوات ، يسبحون الله ويقرأون الكتب المقدسة وفي ذلك خير لهم : يشتغلون بايديهم حتى نهاية حياتهم ولا يصرون على شيء لانفسهم ؛ بل يستعملون بقناعة ومحبة ما يقدمه اخوة لهم ورعون .

بيد ان من يجهل ما يحدث في الداخل ، ولا يدري كيف تتصادم السفن متى هبت عليها الرياح في الميناء ، يدخل طالباً السلام جاهلاً ما يجب ان يتحمله فيجد اخوة اشراراً ويضيق ذرعاً بشكل لا يطاق .

ما الذي يجذبني الى تلك الحياة ؟ ظننتني اجد فيها المحبة .

واذا به يأنف ، غاضباً على تصرف قلة من الاخوة ؛ فيأبى تحقيق عهد قطعه على نفسه ، متخلياً عن قصده المقدس ؛ ويأثم بحق النذر ، رافضاً القيام به . ومتى ترك الدير أصبح هو ذاته نقّاداً لما يجري فيه ولاعناً ، مكتفياً بالتحدث عمّا لم يتمكن من احتماله ، وغالباً ما يكون ادعاؤه صحيحاً .

بيد ان معاشرة الصالحين تقضي علينا بان نتحمل بعض حقائق الاشرار .

ولكن الافظع من هذا كله هو ان الشرّ يبث رائحة كريهة تجعل من كان مستعداً للدخول ان يهرب لانه هو عينه لم يتمكن من الصبر لدى دخوله .

ومن هم هؤلاء ؟ انهم المشاغبون ، البخلاء ، الذين لا يتحملون احداً لان فلاناً فعل هذا وفلاناً فعل ذاك .

يا شرير ، لم لا تتكلم عن الصالحين ؟ انت تستعرض اعمال من لم تستطع ان تتحملهم وتسكت عمّن تحملوك مع ما فيك من شر . اني اقر بصراحة امام الرب الهي الذي يشهد على نفسي باني منذ الدقيقة التي فيها شرعت اخدم الرب قد عرفت بصعوبة انهم افضل ممن يدخلون الدير ؛ ولم اعرف عن خبرة ان كان الذين عثروا فيه هم شر من غيرهم . ان ذلك العدد الضخم من الأعلام يعزينا عن شرور كثيرة ترتكب .

لا تكره المعصرة وما فيها من زيت عكر تأنف منه عيناك ؛ طال ما ان

الفضل في تعبئة اقبية الرب بالزيت الصافي يعود الى المعصرة .

ان دخلت ديراً فلا تنظر الى الوراء . تذكر ارملة لوط : لما نجت من صادوم ودخلت في طريق السلام تطلعت الى الوراء فبقيت في مكانها تمثالاً من ملح . تأمل : حافظ على قلبك ولا تكن احمق ؛ لا تنظر الى الوراء كيلا تعطي المثل العاطل فتبقى وتملّح غيرك .

لا تتخلّ عن وعدك ونظرك المقدس : وارع حكم الله من دون حكم الناس . ما افظع ان يعد الانسان بشيء ثم يخلف بوعده .

لا يجوز للعذراء التي تنذر عفتها ، وان لم تدخل الدير ، ان تتزوج مع انها لا ترغم على حياة الدير . اما ان بدأت تعيش في دير ثم تركته وظلت عذراء تسقط جزئياً .

وهكذا تنذر شيئين : القداسة والحياة الاكليريكية ؛ القداسة في باطنك . ان الله وسم جبينك بالدرجات المقدسة خدمة لشعبه ، وانها لمسؤولية تناط بك اكثر مما هي شرف تُعطاه .

وبالتالي فقد تعهدت بان تكون قديساً وان تحيا حياة مشتركة واعلنت بان سكنى الاخوة معاً شيء مستحب : ان اخلفت بوعدك سقطت وان حفظت قداستك في الخارج فقط سقطت ايضاً جزئياً ؛ اما اذا انطوى باطنك بكليته على الخبث والغش سقطت كلياً .

عواطف وصلوات

ربّ ، ما اطيب المحبة التي تجعل الاخوة يسكنون معاً . فلتكن فيّ محبتك كاملة ؛ لأني بدونها ، وان سكنت مع اخوتي ، مكروه ، مضطرب وقلق ، اعكر بحياتي القلقة صفو حياة الآخرين .

فلتكن كاملة محبتك فيّ ؛ فاستريح واطمئن واتضع واصبر وأذيع الصلاة بدل التذمر ؛ وتبارك الاخوة الساكنين معاً . والساكنون معاً باتفاق على حمدك يلتقون .

لست اعتمد على قواي لكي افي بنذوري . يا من شجعتني على القيام بنذري اعطني ان اكون له وفياً .

بأي شيء وعدتك ؟ ان اكون لك هيكلاً . ان الهدية التي لا اعذب منها على قلبك ، هي ان اقول لك : كن ملكاً عليّ . كثيرون ممن لا يريدون ان يفسحوا لك مكاناً يطلبون ما لهم ؛ ويحبون ما لهم ؛ ويفرحون بقدرتهم ويشتهون ما هو خاص بهم .

ان شئت ان اجعل لك مكاناً فلا افرح بخيرٍ اناله دون سواي ، بل افرح بخير عام يشترك فيه الجميع .

اجعلني اكفّ عن تكديس الثروات الخاصة بي والتعلق بها حتى أقيم لك مكاناً في قلبي .

ربّ ، انا مشتاق الى مصادقتك وانت تريد ان تحلّ عندي ضيفاً : فساعدني على ان اهيئ لك مكاناً .

لست احب نفسي بل احبك انت لاني ان احببت ذاتي اوصدتُ الباب بوجهك وان احببتك فتحته . وان فتحت الباب ودخلت فلا اضلّ ان احببتك انما اجد نفسي مع حبيبي .

الفصل التاسع : في الطاعة

الطاعة ، التي اعنيها هنا ، هي الخضوع للوصايا .

الطاعة في الخليقة العاقلة هي ام الفضائل وحارس لها . وكل من قارن بين الطاعة والعفة وجد الطاعة خيراً من العفة .

ما حرّمت الكتب المقدسة الزواج قط ؛ ولكنها شجبت العصيان ؛ لذلك تقوم الطاعة بلا تبتل ؛ لان التبتل مشورة وليس وصية . اما ان وجدت الطاعة للوصية بلا تبتل فلا وجود لها بلا عفة : العفة تحرم الدعارة والزني ، فكل من خالفها خالف وصايا الله وخرج عن فضيلة الطاعة .

وبخلاف ذلك فان التبتل يقوم بلا طاعة : تتمكن امرأة رضيت بالتبتل

مشورة ، وحافظت على بكارتها ، من ان تهمل الوصايا كما فعلت عذارى كثيرات عرفن بثرثرتهن وفضولهن وادمانهن على الخمر وبخلهن وكبريائهن .

وهذه كلها نقائص تضاد الوصايا وتقتلها كما جرى لحواء بالذات يوم عصت امر الرب . ولذلك علينا ان نؤثر مَن اطاعَ على من عصا ؛ بل الزوج المطواع على العذراء غير المطواع .

لا شيء كالطاعة يليق بالنفس البشرية : ان اطاع الخادم معلمه والابن اباه والمرأة زوجها فأحرِ بالانسان ان يطيع الله .

لقد كان من الواجب على الانسان الخاضع لله ان يكون ادنى منه لتكون الطاعة فضيلةً تقرّبه من معلمه؛ يسعني ان اقول في تلك الفضيلة: انها الفضيلة الوحيدة الصالحة لخليقة عاقلة تعمل تحت امرة الله ؛ كما وان اولى الرذائل وشرها هي ان لا تطيع ولا يسعها الا ان تستخدم تلك الرذيلة لهلاكها .

قد لا يكون للانسان سبيل الى التفكير بالرب ما لم يكن مأموراً بذلك . وقد لا يكون بوسعه ان يظهر بوضوح افضل ان المعصية شر كبير ما لم يخطأ ضد الله بفعلٍ يجره الى الاثم لولا تحريم الله له . ولماذا يحرّم عليه ان يمس ما ليس مؤذياً ثم يمنعه عن آخر لولا رغبته في اظهار الطاعة خيراً والمعصية شرّاً ؟

وبالتالي فالانسان الخاضع للناموس يسمع من الرب الاله الكلمة التالية: «لا تمسّ» ماذا ؟ هذه الشجرة . وما هي هذه الشجرة ؟ ان كانت خيراً فلم ، لا امسها ؟ وان شرّاً ، فلم هي في الفردوس ؟

وجودها في الفردوس خير لكنني لا اسمح لك بان تمسها . ولمَ لا يجوز لي ان امسها ؟ لاني اريد ان تطيع والاّ تخالف قولي .

أطعْ ايها الخادم ، ولا تكن شريراً .

أطعْ اوامر المعلم ، لكي تتعلم منه المشورة .

ان الشجرة صالحة ؛ ولكني لا اريد ان تمسها . لماذا ؟ لاني انا السيد

وانت العبد ؛ وهذا هو السبب كله . ان كان السبب تافهاً جداً فهل تأنف من ان تكون عبداً ؟ وهل يليق بك إلاّ ان تكون تحت امرة الرب ؟ وكيف تكون خاضعاً له ان لم تكن عاملاً بوصيته ؟ ان الله يظهر ما للطاعة من قيمة حين يبعد الانسان عمّا ليس شراً : هنا الطاعة وحدها تحمل غار النصر والمعصية وحدها تلقى العقاب .

هذا خير انما لا اريد ان تمسه : ماذا ينقصك ؟ لا اريد ان تمسه ولا ان تأكل منه . انه خير لكن الطاعة خير منه . وهل الشجرة شريرة الى حد انها تميتك اذا مسستها ؟ صيرتك المعصية خاضعاً للموت لانك مسست ما هو حرام : وماذا كان ينقصك حتى مسستها ؟ شئت ان تستعمل قدرتك فاغتبطت بتجاوزك الوصية ؛ وشئت ان تكون كالله خارجاً عن كل سلطة لان لا سلطان على الله .

ايها الدوار المغرور الشرير ستموت موتاً ان ابتعدت عن طريق البر. خرقت الوصية وكسرت النظام بحماستك . اين هي الروادع التي كانت تقودك ؟

ان اردت ان تكون حكيماً فاحفظ الوصايا وتأمّل بما امرك الله به : الزم الطاعة بلوغاً الى الحكمة واذا نلتها فابق مطيعاً .

إحفظ وصية ابيك حفظك لوصية الرب الهك ؛ ان لم يأمرك الرب بما يأمرك به ابوك فانه يوصي البنين بالطاعة لوالديهم ؛ ان امرك ابوك بما يضادّ شريعة الله فلا تطعه . ولكن متى امرك بما لا يضاد الله فاطعه كما تُطيع الله الذي امرنا بالطاعة لوالدينا .

ان التعليم الرسولي يحض العبد على الطاعة لسيده مختاراً ، لا قسراً ، ليجعل باطنه حراً . اذا حضّك النظام عينه بهذا الشكل فلمَ يجب عليك ان تخضع بارادة تامة وحرة لله الذي يرى ارادتك بالذات .

وهل من ظلمٍ أشد من ان يفرض انسان الطاعة على مرؤوسيه ثم يأبى

الخضوع لرؤسائه ؟ لا تبحث عن براعة مَن يتكلمون بل اخضع لسلطان من يأمر .

يحسن بالمرؤوس ان يطيع رئيسه لكي يخضع هذا الاخير بدوره لمن هو اعلى منه .

تعلمّ نظام الاشياء : عليك ان تخضع لالهك . وعلى نزواتك الجسدية ان تخضع لعقلك : انت تخضع لمن هو اعلى منك وعلى من هو دونك ان يخضع لك . كن خادماً لخالقك فيكون خادماً لك من قد خلَقَ لأجلك .

اما ان ابيت ان تطيع الله فلا يسعك ان تأمر جسدك بالطاعة لك . يا من لا يطيع ربّه سوف يقهرُك خادمك .

صلاة واحدة يرفعها انسان مطيع تحظى قبولاً لدى الله ، اكثر من عشرة آلاف صلاة ، يتلوها انسان متمرد .

عواطف وصلوات

ايها الاخوة الاحباء أطيعوا رعاتكم واعلموا باتضاع انكم خراف المسيح لانهم يدركون خائفين انهم رعاة لكم .

ان رعى الرعاة خرافهم بخوف ورعدة فما احرى من الخراف بالخوف .

انيطت الرعاية بالرعاة والطاعة بالنعاج : على الرعاة ان يسهروا وعلى الخراف ان يطيعوا . واذا رأيتم الرعاة يكلمونكم من علُ فانهم يرتعدون على اقدامكم اذ يدركون الحساب الصارم الذي سوف يؤدونه عن مقامهم الرفيع .

وبالتالي ، فيا ابناء الكنيسة الكاثوليكية ، ويا اعضاء المسيح تأملوا في من هو رأسكم . ويا ابناء الله تأملوا في من هو ابوكم وتأملوا بالميراث الذي به وعدتم : ليس كالميراث الذي يرثه الابناء عن ابيهم اذ لا يرث انسان على الارض اباه الآ بعد موته ، اما نحن فسوف نرثه حياً ، لان ابانا لا يموت . ثم اضيف قائلاً وقولي حق : ابونا ذاته ميراث لنا .

الفصل العاشر : في التبتل المقدس

ان تبتل الجسد هو من نصيب القليلين ، اما تبتل القلب فهو من واجب الجميع .

تبتل الجسد هو حفظه منزهاً عن كل عيب ؛ وتبتل القلب هو خلو الايمان من كل عيب .

التبتل نعمة عظمى ؛ وبقدر ما هي عظيمة اخشى عليها من الكبرياء.

المحبة حارسُ التبتل وعرينُها التواضع .

امش وهلمّ الى يسوع تعلّم منه الوداعة وتواضع القلب. لن تسير نحو من لا يتجاسر ان يرفع عينيه الى السماء ؛ لانه مثقل بالآلام ؛ لكن صوب من نزل من السماء بدافع قوي من محبته .

ولن تذهب الى من بللتْ اقدام المعلم بدموعها طالبة منه ان يغفر لها خطاياها ؛ لكنك تذهب الى من غسل ارجل عبيده غافراً لهم خطاياهم .

لقد ادركت قيمة التبتل : لا اوصيك بان تحذو حذو العشارالذي شكا خطاياه بانسحاق انما اخشى ان تحذو حذو الفريسي الذي تباهى باستحقاقاته متكبراً .

لست اقول لك : كن كالمرأة التي قيل عنها : « خطاياها الكثيرة غفرت لها لانها احبت كثيراً» انما اخشى ان تحب قليلاً اذا كانت خطاياك قليلة ، كما واني اخشى عليك ان تعجز عن العبور معه من الباب الضيق بسبب انتفاخ كبريائك اذا رحت تتباهى بانك ذاهب مع الحمل الى حيث يمضي .

واقول بثقة ان الازواج المتواضعين يسهل عليهم السير وراء الحمل اكثر من البتولات المتكبرات ، ان لم يكن حيث يذهب ، فعلى الاقل حيثما استطاعوا .

وكيف يسير الانسان خلف من لا يريد ان يدنو منه ؟ ام كيف يدنو المرء ممّن لا يريد ان يتعلم منه شيئاً .

« اني وديع ومتواضع القلب » . الحمَلُ يأخذ معه الذين يسيرون وراءه انّى ذهب . ولهذا اعملي هذا يا عذراء واعملي ما يلي: سيري وراء الحمل انّى ذهب ، ولكن هلمّي قبل كل شيء وتعلمي ممّن تتبعينه انه وديع ومتواضع القلب. هلم بتواضع الى من هو متواضع ، ان احببته ، ولا تبتعد عنه لئلا تسقط .

سر على الطريق السامي بواسطة التواضع .

ان الذي لم يخجل من ان ينزل الى من كانوا في التراب راقدين يرفع الذين ساروا خلفه بتواضع .

تابع طريقك السامي بخطى متواضعة .

ان الذي لم يندم على نزوله صوب الراقدين في التراب هو عينه يعظّم من يسيرون خلفه بتواضع .

اعهد اليه بكل ما اعطاك لكي يحفظه لك وأمّنه على قدرتك .

اعهد اليه بكل اثم لم تعمله ؛ لئلا تظن بان دينه عليك قليل ، فتحبه قليلاً وتغتر ، ويا للأسف ، بالذي لك ؛ فتحتقر العشارين الذين يقرعون صدورهم .

احذر قواك الممتحنة لئلا تستكبر متى استطعت ان تحتمل تجربةً ما: صل لئلا تفوقَ التجربةُ قدرتك . فكّر بمن هم افضلُ منك باطنياً ، وان ظهروا احط منك ، حين تعترف بما للآخرين من فضل كنت له جاهلاً ؛ لان ذلك لا يحط من قيمة خيرك الروحي بل يتأصل فيك بالمقارنة . واما ما تطلبه فسوف تناله بسهولة ان سألته متواضعاً .

المواظبون قدوة لك تُحتذى والساقطون يزيدونك خوفاً .

احب المواظبين واقتد بهم واحزن على الساقطين لئلا تستكبر .

لا تقم برك واخضع لله الذي يبررك .

اغفر للآخرين خطاياهم وصلّ من اجل خطاياك : اجتنب بسهرك خطايا المستقبل وامحُ ما مضى منها بالاعتراف . كمّلوا على هذا النحو طريقكم ، يا قديسي الله ، ايها الابناء والبنات والنساء والرجال والبتولون والبتولات ، كمّلوا وثابروا حتى النهاية .

زيدوا طيبةً مسبحين الرب الذي به تفكّرون ؛ وارجوا منه سعادةً اعظم ، ايها المثابرون على عبادته .

وزيدوا حرارة في حبكم لمن زدتم اهتماماً في استرضائه . باوساط مشدودة وسرج موقدة ترقبوا رجوع الرب من العرس ، سوف تحملون الى عرس الحمل نشيداً جديداً ترنمونه على قيثاراتكم . ولكنه ليس ذلك النشيد الذي تنشده الارض باسرها بل ذاك الذي لا يستطيع ان ينشده احد سواكم .

تلميذ فضّله المعلم على سواه وتعوّد ان يستريح على صدر المعلّم ؛ فتعلّم العجائب السماوية من كلمة الله الذي علّمها الناس ورآكم في رؤيا يوحنا . اجل هو ذاته رآكم ايها القديسون المرنمون بالقيثارة ، مائة واربعين الفاً ، وكان جسدكم منزهاً عن كل عيب وقلبكم للحقيقة واعياً ؛ اذ ذاك قال عنكم في كتابه انكم تسيرون خلف الحمل أنّى ذهب. والى اين يذهب الحمل؟ يذهب حيث لا يجرؤ احد سواكم ان يسير خلفه . الى اين ؟ ما هي غايته؟ ما هي اوطانه ؟ يذهب الى حيث تخصب الافراح وتنمو ولا يذهب حيث افراح العالم الباطلة وجهالاته الخداعة ولا حيث هي افراح غير العذارى في ملكوته انما يذهب حيث تختلف افراحه عمّا سواها من الافراح .

لعذارى المسيح غبطة من المسيح في المسيح ومع المسيح ، على خطى المسيح ، في طريق المسيح ، ومن اجل المسيح .

وللعذارى افراح مختلفة عن افراح من لسن عذارى ؛ وان كن للمسيح . لسواهن افراح خاصة بهن ولكن ليس لغيرهن افراح كافراحهن .

سيروا في هذا الطريق وراء الحمل لان جسد الحمل بتول : لقد حفظ وأنمى ما حبل به ثم ولد ولم ينزع عن امه شيئاً .

سيروا وراءه بقلب وجسم طاهرين انى ذهب . واي معنى للسير وراءه اذا لم نقتد به : تحمّل المسيح عنا الكثير واضعاً لنا مثالاً يحتذى .

ان كل من سار خلف المسيح اقتدى به ، لا من حيث هو ابن الله الوحيد ، الذي به كوّن كل شيء بل من حيث هو ابن الانسان الذي اظهر في ذاته ما يجب ان نقتدي به ، الى ما هنالك من امور ، وضعت قدوةً ومثالاً للجميع ؛ مع العلم ان عفة الجسد ليست من نصيب الكل لان من ليسوا اعفاء لا يملكون ما يجعلهم اعفاء . على المؤمنين الذين فقدوا طهارة الجسد ان يتبعوا الحمل حيث يمكنهم ان يذهبوا لا الى حيث يذهب . بوسعهم ان يتبعوه الى كل مكان الاّ متى سار نحو سَنَى العفة الكاملة .

طوبى لفقراء الروح الذين اقتدوا به غنياً وهو الذي صار فقيراً لأجلكم.

طوبى للودعاء الذين اقتدوا بالقائل : تعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب .

طوبى للباكين الذين اقتدوا بالقائل: طعامي هو ان اعمل مشيئة من ارسلني .

طوبى للرحماء الذين اقتدوا بمن جاء يداوي الانسان الذي جرحه اللصوص وطرحوه ارضاً ، يائساً بين حي وميت .

طوبى للاطهار القلوب الذين اقتدوا به وهو الذي لم يصنع قط خطيئة ولا عرف الغش الى فيه سبيلاً .

طوبى لصانعي السلامة الذين اقتدوا بمن قال لصالبيه : يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يصنعون .

طوبى للمضطهدين على البر الذين اقتدوا بمن تألّم لاجلكم تاركاً لكم مثالاً تنسجون على منواله .

ان الذين ينهجون ذلك النهج يتبعون الحمل مقتفين آثاره . ومن الاكيد بان الزوجين لا يستطيعان ان ينسجا على منواله ، وبرغم ذلك يستطيعان ان يتقدما في الطريق عينه .

ان الحمل يسير في طريق طاهر ؛ فكيف يستطيع ان يمشي وراءه من فقدوا ذلك الخير الذي لا يُستردّ ؟

فيا عذاراه سرن خلفه ؛ اذهبن طال ما انكن تقدرن على السير وراءه حيثما يذهب بفضل تلك النعمة الفريدة . يسعنا ان نحث الازواج على السير وراءه في كل طريق قداسة ما عدا الطريق الذي ضيّعوه وما استردوه . اتبعنه حتى تفين بوعود قطعتننها ، بحماسٍ ، على نفوسكن .

إسعَيْن جهدكن لئلا تخسرن العفة ، هذه النعمة ، التي لن يستطيع احد ان يردها اليكن متى فقدتنها . ثم ان المؤمنين الكثيرين الذين يقصرون ، للسبب عينه ، عن اللحاق بالحمل ، انى يذهب ، يرونكن ؛ ولا يحسدونكن ؛ بل يفرحون معكن اذ يكون لهم فيكنّ ما ليس لهم في نفوسهم . ولن يسعهم ان ينشدوا النشيد الجديد ، تلك النعمة الخاصة بكنّ ؛ انما سيسمعونه ويسيرون بقوة تلك النعمة التي لكن .

وانتم يا من تنشدون وتسمعون ، في آن واحد ، سوف تفرحون فرحاً كبيراً ، وتملكون مطمئنين دون ان يُحزن فرحُكم من سوف يفوتهم ؛ لان الحمل الذي تتبعونه ، في كل مكان ، لن يتخلى عمّن لا يستطيعون ان يتبعوه مثلكم.

كلامنا هو عن الحمل القدير : امامكم يسير وقريباً منهم يسير ؛ لان الله هو كل في الكل . والذين يملكون اقل من غيرهم لن يضمروا بغضاً لكم، لانه حيث يُنتفى الحسدُ فالتباينُ لا يمنع الوحدة .

اعتمدوا على هذه الحقائق : ثقوا وتقوّوا وحافظوا على عهد العفة الى الابد الذي قطعتموه تجاه الهكم ، لا للحياة الحاضرة ، بل حباً بملكوت السماوات .

انظر ، يا ربّ ، الى تلك الجماهير المقدسة من العذارى والاطفال والصبايا : انها لذرية تعلّمت في كنيستك وتوالدت لاجلك في حشاها الوالدي فانحلّ لسانها لتلفظ اسمك المفاض عليها لترضعه كما ترضع الحليب طفلة .

هذا ما لم تأمر به ؛ بل اقترحته على من يرغبون في ادراك الخير بقولك لهم : « من استطاع ان يفهم فليفهم » (متى ١٩ : ١٢) .

لكنهم فهموه ونذروا له نفوسهم وشدّوا احقاءهم في سبيل ملكوت السماوات ، لا لانك هددتهم بل لانك حرّضتهم على ذلك . على هؤلاء ان يتّضعوا مهما ارتفعوا لانهم وجدوا لديك نعمة .

انهم ابرار ؛ ولكن ، ألستَ تبرر الاثيم ؟ هم اعفاء ولكن امهاتهم غذينهم وسط خطاياهم . انهم قديسون ولكنك انت هو قدس الاقداس ؛ هُنّ عذارى ولكنهن لم يُولَدن من عذارى . هم انقياء ، روحاً وجسماً ، ولكنهم ليسوا الكلمة الذي صار بشراً . عليهم ان يتعلموا منك ، ايها الحمل ، وليس ممن تغفر خطاياهم ، ايها الغافر للخطايا ، ايها الوديع والمتواضع القلب .

الفصل الحادي عشر : في الرعاة

تضرب الانواء الكنيسة فيخاف الربان . يفرح الربان بكل تكريم ؛ ولكن كلما ازداد تكريمه كلّما تفاقم الخطر عليه . وهل اعمق من قلوب الناس ؟ غالباً ما تهبّ عليها الرياح ، وتتلاعب الاهواء بالسفينة فتتقاذفها من كل جهة . الجالسون الى الدفة ، المخلصون في حبهم للسفينة ؛ يشعرون بما اقول . وفي الواقع ، تظهر حكمتهم متى تكلّموا وقرأوا وعملوا . ولكن ، يا ويلهم من العاصفة .

واحياناً كثيرة يسقط كل مشروع بشري : انّى اتجهوا تزمجر الامواج ،

وتصفر العاصفة ، وتتعب الايدي ، ولا يعود الرؤساء يرون السفينة تتقدم؛ بل يشعرون بان جانبها ينكشف ولا يدرون كيف يخلصونها من التحطم على الصخور . فعليكم اذن ان تصلوا باستمرار من اجل القيّمين على حراستها : اولست جالساً الى دفتها ؟ اولست مسافراً في تلك السفينة ذاتها ؟

أتعتقد بان الواقفين في المقدمة لا يفاجأون بحركة تعكر النظام ؟

بلى ، فكّر بما يلقون من محن وتجارب في حياتهم لانهم بشر ايضاً ، وهل رئيسك يختلف جبلة عنك؟ له جسم والى الموت يصير : انه يأكل وينام ويقوم ويولد ثم يموت ، ان فكرت في جوهره وجدته انساناً ؛ وان اكرمته كملاك اخفيت ما فيه من ضعف . ومع انه انسان ، عليك انت ان تصغي الى المسيح القائل : « من احتقركم فقد احتقرني » . ان قال للرسل وحدهم « من احتقركم فقد احتقرني » فيمكنكم ان تحتقروا مدبريكم ، اما ان كانت كلمة المسيح قد بلغت اليكم فدعاكم واقامهم مقام الرسل فاياكم ان تحتقروهم لئلا يصل احتقاركم الى المسيح .

ان كنتم لا تخافون ممّن يتدبرون شؤونكم فخافوا اقله من القائل : « من احتقركم فقد احتقرني » .

وماذا اقول لكم انا الذي لا اريد ان تحتقروني لكي اسر باخلاقكم الحسنة ؟

فلتكن اعمالكم الصالحة عزاءً لي في المخاطر . انا لست سوى خادم لكم بيسوع المسيح . خادم انا ، ولهذا فاني اخدمكم ولست اكبر منكم : انا اكبر ان كنت اكثر اتضاعاً وذاك هو كلام الرب بالذات : « الكبير فيكم فليكن لكم خادماً » .

الى الرؤساء اوجه كلامي : لا تكتفوا بضميركم دون سواه لانكم تتبوأون مراكز لا تكتفون فيها به وحده .

ان لم يشجبوكم ، خداماً لله ، وبقي فيكم بصيص من تلك الشرارة التي بواسطتها لا تطلب المحبةُ ما لها ؛ وجب عليكم آنذاك ان تستدركوا

الخير ، ليس امام الله وحسب ؛ بل امام الناس ايضاً لئلا تقتنعوا بانكم عاملون بحق حين تشربون مياهاً صافية وتشرب نعاج الرب مياهاً عكرة .

ان الناس امثالكم عاجزون عن الدخول الى ضمائركم التي يعرفها الله : ضميركم امام الله وكلامكم امام اخوتكم ؛ ان ظن فيكم هؤلاء سوءاً استولى القلق عليهم وتأثروا بكم ثم يعملون ما يظنونكم تعملون . وما الفائدة ان شرب حشاكم الضميري الماء الصافي وشربوا هم ، بسبب استهتاركم في الحديث ، الماء العكر ؟

في العالم حكام مستبدون سيئو النية نمامون ، نقادون ، يتخيلون عكس ما يرون ويتبجحون بانهم يعرفون ما يجهلون . وما نفع شهادة الضمير ضدهم ؟ اسعوا لخلاصهم . ان سرتم في طريق الخير فلا يضلون متى اتبعوكم. حينذاك لستم تطلبون منفعتكم متى طلبتم ارضاء الناس بل تفرحون بالخير الذي يرضيهم حباً بمنفعتهم ، وليس حباً بكرامتكم .

ارضوا الجميع في كل شيء كما ارضى الرسول الجميع في كل شيء : كلوا واشربوا ولا تدوسوا المرعى باقدامكم ولا تعكروا الماء .

اسمعوا الرب يسوع الذي علم الرسل قائلاً لهم : « فلتضئ اعمالكم الصالحة امام الناس ليروها ويمجدوا اباكم الذي في السماوات » .

ان كنتم صالحين تمجّد بكم من جعلكم صالحين وما تمجدتم بانفسكم ايها الاشرار .

لا تصنعوا الخير امام الناس ليروكم وحسب بل كونوا لدى الله وتمجدوا به : ان كانت شهادة ضميركم مجداً لكم ، فذلك ، لانكم تجدون الله في ضميركم . وان كان مجدكم يقوم بان ترضوا نفوسكم كنتم كالاحمق الذي يرضي نفسه .

خذوا على عاتقكم ان تحيوا حياة صالحة وبخاصة ان تبنوا الناس بمثلكم الصالح .

لا يكتفي الانسان بالضمير الصالح ؛ واحذروا من ان تعملوا شيئاً ما يشكك اخاً لكم ضعيفاً .

ان قام مجدكم على ارضاء نفوسكم فأرضوها ؛ واعلموا ان من ارضى نفسه كان كالانسان الاحمق .

لا تعنوا بان تحيوا حياة صالحة وحسب ؛ بل ابنوا الناس بمثلكم الصالح ؛ ولا تعنوا بان يكون ضميركم صالحاً وحسب ؛ بل ابتعدوا عن كل ما يحمل اخاً لكم مريضاً على الشك وذلك بقدر ما يسمح لكم الضعف البشري وسرعة الزلل .

لا تأكلوا العشب النظيف ولا تشربوا الماء الصافي ؛ ولا تدوسوا بارجلكم مراعي الله لتأكل النعاج المريضة عشباً دستموه وتشرب ماءً عكرتموه .

عواطف وصلوات

ربّ ، انت تطالبني بما اعطيتني ؛ لانك اعطيتني ما اعطيتني لكي اوزّعه ؛ لا لكي احتفظ به لنفسي .

اما ان احتفظت به واخفيته قلت لي : ايها العبد الشرير الكسلان لِمَ لَمْ تسلّم مالي الى الصيارفة حتى اجيءُ واطلبه مع ربحه ؟ واي نفع لي لكوني لم اخسر شيئاً مما اخذت ؟ انت بخيل لكن بخلك خلاص لي .

بخيل انت لانك تطالب بما لك ؛ وتجمع النقود التي نقشت عليها صورتك .

ما اسعد من يسمعونك . السامعون لك اسعد ممن يتكلمون .

طالب العلْم متواضع ؛ اما المعلّم فانه يجاهد ضد الكبرياء ، مخافة ان لا يرضيك من يسعى وراء رضى الناس .

خوف عظيم يستولي عليّ ؛ وانت عالم بأي خوف اتحدث الى شعبك : الوعظ والتوبيخ والارشاد والتعليم حمْل على منكبيّ ثقيل لان كل واحد من هذه الاشياء يتطالب مني جهداً كبيراً .

تأمرني بان اوبّخ المفسدين واواسي الضعفاء واستقبل المرضى واراقب المرائين واعلّم

الجاهلين واحثّ الكسلانين وأخفف من غلواء الحقودين واصلح ما بين المتقاتلين واحطّم كبرياء المتكبرين واساعد المحتاجين وافرج عن المتضايقين واشجّع الصالحين واتحمّل العاطلين واحب الناس اجمعين .

في غمرة هذه الاعمال الخطيرة والمتنوعة ، ساعدني يا رب ، على الاّ اكون رئيساً لشعبك بل نافعاً له .

الفصل الثاني عشر : في المأجورين

انّا لنجد رعاة يريدون التمتع بلقب رعاة ويأبون القيام بما يمليه عليهم من واجبات فيجلسون على عروش الرعاة متمتعين بامجاد زمنية وانعامات عالمية .

لو كانوا على هذه الحال في ايام الرسل لقال فيهم الرسول متنهداً « في خطر انا من الاخوة الكذبة » (٢ كور ١١/٢٦) .

ولما طردهم بل تحمّلهم بصبر . لا بد من ان يكون لهم امثال في ايامنا هذه التي تقترب من نهايتها والتي قال الرب عنها بصراحة : « متى كثر الاثم جفّت محبة الكثيرين » (متى ٢٤/١٢) .

من الضروري ان تستمر هذه السلالة من الرعاة حتى نهاية العالم وحتى دينونة الرب . ولهذا اهيب بك الى ان لا تقلق لهذه الشكوك التي تنبأت لك عنها حتى اذا حدثت تذكر اني اخبرتك عنها فلا تضطرب .

واول لوم توجهه الكتبُ المقدسةُ الى اولئك الرعاة هو انهم يُغذّون نفوسهم ولا يفكرون بنعاجهم .

اسمع كلمة الله للرعاة الذين يغذون نفوسهم ولا يغذون خرافهم : « الويل لرعاة اسرائيل الذين يرعون نفوسهم فيأكلون ويلبسون الصوف ويذبحون خرافي السمينة ولا يرعون قطيعي ؛ الضعيفة لم تقوّوها والمريضة لم تداووها والمكسورة

لم تجبروها والشاردة لم تردوها والمفقودة لم تتطلبوها فاضحت خرافي مشتتة من غير راع » (حز. ٣٤ : ٢–٥).

اما الاجير فيقول في نفسه : ما لي ولها ؟ فليعمل كل منها ما طاب له. حسبي ان عيشي مضمون وكرامتي موفورة وليذهب كل واحد انى يشاء.

يا لك من راع مهمل لواجباته : ان كان هذا هو كلامك جمعت عدداً اكبر من الناس : اما ان افترضنا اناساً يدركون خطأك الكلامي فانك بذلك تسيء الى القلة وتسترضي الكثرة ؛ اذ ذاك لست تنطق بكلام الله ولا بكلام المسيح بل بالذي لك ولا تكون راعياً يرعى خرافه بل نفسه.

ان تركت النعاج المريضة والضعيفة والشاردة وشأنها فهذا شيء بسيط ولكنك ذبحت القوية منها ما استطعت الى ذلك سبيلاً. هي تعيش من رحمة الله وانت تعمل ما بوسعك لكي تهلكها.

حياتك الشريرة ومثلك العاطل موت لها ؛ لان القوية عينها تنظر اليك يا من تحيا حياة شريرة. ان مالت بنظرها عن سنن الرب واتجهت اليك بدأت تقول في قلبها : ان كانت هذه هي سيرة رئيسي فلمَ لا أحذو حذوه ؟

لقد قتلت القوية : ان قتلت القوية فماذا تفعل بغيرها يا من لم تقوّ الضعيفة بل قتلت بسيرتك الرديئة النعجة القوية التي وجدتها ؟

اني اقول لك واكرر : ان عشت حياة سوء امام الشعب عملت ما بوسعك على اهلاك من ينظر اليك.

لا تنخدع : هو لم يمت ؛ اما انت فبلى.

من اقتدى بك يموت ؛ ومن لا يقتدي بك يحيا ؛ وانت تعمل ما بوسعك على قتلها.

لست أدري ايهما يخطأ خطأ جسيماً يلام عليه : المتهم يعاديك ويكيد لك ويؤذيك متى استطاع. اما انت فخوفاً من ان تخسر صداقة انسان وتتعرض لمشاكل عداوته تلزم الصمت وتمتنع عن اصلاحه.

الذئب يقبض على النعجة بعنف وانت تلزم الصمت ولا توبّخ : يا اجير ، رأيت الذئب آتياً فهربت.

هربت لانك لزمت الصمت ؛ ولزمت الصمت لانك خفت ؛ وهربُ النفس خوف.

لقد مكثت حاضرًا بالجسم وهربت بالروح.

عواطفنا هي حركات نفوسنا : بالفرح تستريح النفس وبالحزن تتقلص. بالشهوة تميل الى ما تريد وبالخوف تتراجع عنه.

اذا فرحت استراحت نفسك ؛ واذا اكتأبت انكمشت على ذاتها ،

اذا رغبت في شيء اندفعت الى الامام ؛ واذا خفت منه هربت.

ولذلك قيل : الاجير يهرب متى رأى الذئب. يهرب الاجير فيأتي الذئب ويفتك بالنعاج ويشتتها.

ان طلبت ما لك دون ما للمسيح ؛ فليس حبك للمسيح بالمجانّ ؛ وان لم تطلب الله حباً به بل طلبت خيور هذا العالم ومكاسبه ومجده البشري فانت اجير.

ان طلبت هذه الاشياء وعبدت الله ، حباً بها ، فلا يحصيك الله بين بنيه : الحق اقول لك لقد نلت اجرك.

اما ان بشرت بالمسيح ، ولو طلبت ما للارض ، وسُمعَ صوتُ المسيح بواسطتك ؛ فان النعاج لا تتبع الاجير بل تسمع صوت الراعي بواسطة الاجير.

اسمع كيف ان الرب يصف لك الاجير : « على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فاسمعوا اقوالهم ولا تعملوا اعمالهم ».

على كرسي موسى جلست تعلم شريعة الله ؛ فالله يعلم بواسطتك. وكل ما تعمله من شر فلا تعلمه على كرسي موسى ولهذا فانت تؤذي بشر تأتيه ، لا بخير تقوله.

يا نعجة المسيح اقضمي ورقة العليق واحذري الشوك. غالباً ما يتدلّى

ورق الكرمة على السياج فتنمو الاغصان وتختلط بالاشواك التي تحمل ثمراً ليس لها. الكرمة لم تعط شوكاً انما الاشواك احتجزت غصناً منها .

ابحث عن اصل الشوك تجده خارج الكرمة وابحث عن اصل العنقود تجده في الكرمة : تعليم المسيح كرمة والشوك اخلاقك .

تعليم المسيح على اللسان ، والغصن فوق السياج والثمرة مدلاّة بين الاشواك . فيا نعجة المسيح اقطفي الثمرة بفطنة لئلا تخدّشي يدك في البحث عنها ومتى سمعت الكلام الصالح فلا تقتدي بالاعمال الشريرة .

اسمعي اقوالهم واقطفي العنب ، ولا تعملي اعمالهم واحذري الاشواك ولا يكن همك في ما يبتغيه الواعظ من وعظه ، ولكن احفظي ما يعظك به لان الذي يتوخاه ليس من شأنك . اسمعي من فمه كلمة الخلاص ولا تكوني لقلبه دياناً .

ان رأيته يبحث عن شيء آخر فما شأنك ؟ اصغ الى ما هو صالح فيه ولا تقتدي باخلاقه الشريرة . ان كان كلام الله على شفاه الكثيرين دون قلوبهم فاطمئني بالاً لانه ان قال راعيك ولم يعمل فذاك مفيد لك من دونه .

ما اعظم سعادة قطيع الله : سواء انام الراعي ام لم ينم فالله سهران . ان كان القطيع يأمن في حراسة انسان فأحرى به ان يأمن في حراسة الله الذي خلقك وهو الآن يقوتك .

عواطف وصلوات

ربّ ، ماذا تصنع الحملان ان خافت الكباش ؟ برحمتك ، ربّ ، تغذّي الحملان وتنميها وتعظّمها فلتطمئن ولتهدأ . وبرغم ان الحملان تطمئن وتهدأ فما عليّ ان اطمئن الى الذين تكلّم الرسول عنهم اولئك المبشرين الانتهازيين الباحثين لدى الناس عن مصلحتهم ، مالاً كان ام رزقاً ام مجداً بشرياً .

فضلاً عن ذلك ، يجب عليّ ان اطمئن الى الداخلين من الباب : انت الباب وانا منك ادخل الى خرافك فاناديهم بصوتي لكي يتبعوك ويجدوا المرعى .

اني ابشّر بك باحثاً عن الدخول الى الخراف ؛ لاني ان بشرتُ بآخر حاولتُ الصعود من محل آخر . انت بابي ، ادخل منه الى خرافك ؛ بك ادخل الى قلوبها وليس الى جدرانها .

بك ادخل فأجعلها تستمع اليّ بطيبة خاطر . عليّ ان اكون قدوةً للمؤمنين في حياتي بينهم كما عليّ ان احضّهم على الاقتداء بي ، وهكذا ادعوهم الى الاقتداء بي فضلاً عن دعوتهم الى الاستماع اليّ .

ولكن لا تدعني انشغل كلياً في مشاكل الناس وهمومهم . فأتعامى عمّا يحيق بي من اخطار ، انا الذي ابشر خرافك بكلمتك .

نعمتك عزاء لي وعون متى احدقت بي المخاطر .

اني اوثر السماع على التبشير لاني عالم بكلمة الرسول : « على كل انسان ان يكون سريعاً الى السماع متأنياً في الكلام » (يعقوب ١ : ١٩) .

ويتمّ فرحي متى سمعت ، لا متى بشرت ؛ اذ ذاك اطمئن وأسَرّ سروراً خالياً من الكبرياء : لان الانسان لا يخشى السقوط حين يجد صخرة الحقيقة الصلبة .

وضيع انا في اصغائي ؛ اما اذا وعظت ولم اخشّ الخطر فاني اضبط نفسي .

واذا لم ارتفع بنفسي تعرضت لخطر آخر وهو ان يرفعني الآخرون . اما ان استمعتُ فأغتبط ببراءة ، ملتذّاً ، ولا شاهد عليّ .

ومع ذلك فاني عالم بخطر السقوط لانك قلت لي : « ها اني فوق الرعاة ومن بين ايديهم اطلب خرافي » (حز ٣٤ : ١) .

اللهمّ ، ألهمني المحبة فأعلّم الوداعة واعطني الصبر فأعلّم النظام وانر عقلي فأعلّم المعرفة .

الفصل الثالث عشر : في منافع تجسد المسيح

ان كل ما فعله المسيح قد فعله لتعليمك وتثقيفك .

تأمل في ولادتين : ولادة آدم وولادة المسيح : كلاهما انسان ؛ بيد

ان احدهما انسان وحسب ؛ والآخر اله وانسان . انت في الانسان خاطئ وفي الله بار .

ولادتك من الاول الى الموت ، ومن الثاني الى الحياة : الولادة الاولى تجرّ معها الخطيئة والثانية تحرر منها ؛ لان المسيح جاء انساناً ليحل الناس من خطاياهم .

ولد المسيح في مذود ؛ بيد انه يحمي العالم . — ومن ثدي امه يرضع بيد انه يقوت الملائكة . وبالاقمطة يُلف بيد انه يكسوك عدم الموت . يتناول الحليب طعاماً في حين انه يعبد . وفي الفندق لا يجد له محلاً في حين انه يقيم في قلوب المؤمنين به .

صارت القوة ضعفاً ليصير الضعف قوة .

تأمّل ملياً في ولادته بالجسد ولا تحتقرها لتدرك قيمة تنازله العميق ، حباً بخلاصك ؛ ثم أضرم فيك محبته لتبلغَ ازليته .

لم يكن بوسعك ان تتذوّق ، في ذُلّك ، حلاوة الله التي لا اسمى ولا أنأى منها عنك . ولهذا فقد ارسل الوسيط ليقطع تلك المسافة الشاسعة .

وبما انك انسان عاجز عن الوصول الى الله ، فقد صار الله انساناً ، ليتمكن من المجيء الى الانسان ، وتتمكن انت من المجيء الى الله ، بواسطة الانسان ؛ فصار يسوعُ المسيح الانسانُ وسيطاً بين الله والبشر .

ولكن لو اكتفى بان يكون انساناً وحسب مثلك لما وصلت الى الله . ولو كان الهاً وحسب وليس على شيء مما انت فيه ، لما وصلت ايضاً اليه ؛ انما صار الله انساناً حتى اذا اقتديت بالانسان الذي يسعك ان تقتدي به تصل الى الله الذي لا تصل اليه عن غير ذاك الطريق . انه ذاته الوسيط ولذلك فقد صار عذباً ، كنت مريضاً ترفض الشفاء وتتباهى بعافيتك ، واعطيت الشريعة فقيّدتك . وجدتك مذنباً فشكوت قيودها وجاء الرب فعالجك بأدوية صعبة ومرة وقال لك في مرضك : صبراً صبراً ، لا تَهو

العالم ، صبراً ؛ نار العفة تشفيك فاحتمل في جراحك نار الاضطهاد .

ومع انك موثق فقد كنت مضطرباً ؛ اما هو . وان يكن حراً ، طليقاً ، فقد شرب ما اعطى الآخرين ان يشربوه .

لقد كان أول المتألمين لكي يعزيك ؛ وكأنه يقول لك : انا اوّلُ من تحمّل ، حباً بك ، آلاماً خفت انت من تحمّلها حباً بي . فيا لها من نعمة عظيمة .

جاء المسيح ليفديك انت ايها القائم تحت السنّة لئلا تبقى مذ الآن تحت السنة بل تحت النعمة . ان الذي وضع السنّة هو عينه وضع النعمة : وضع السنّة بواسطة عبده والنعمة وضعها بنزوله .

كنت تحت السنة لانك لم تحفظها وتكملها ؛ اذ ان حافظ السنة هو معها وليس تحتها ؛ ومن عاش تحتها سحقته وما ارتفع معها .

أقمت تحت السنة فصرت مذنباً ؛ ووضعت على عنقك نيراً ، لا لترفع عنك خطاياك بل لكي تكشفها .

السنّة تأمر ؛ وواضع السنة يشفق على ما تأمر به . ومتى حاولت بقواك ان تتم ما تأمر به السنة عثرت وتدهورت بسبب وقاحتك وما عدت ملازماً للسنة ؛ بل صرت مذنباً وتحت نيرها تعيش . وحين تطلب من مخلصك ان يساعدك تصبح انت الذي تتهم السنة علّة المستكبر .

اعترافُ من يتواضع داء من يستكبر : اعترفتَ بمرضك فوجب على الطبيب ان يجيء ليشفيك ؛ وانساناً جاء ليشفي الناس من عيوبهم ؛ وحلّ في ارضٍ ليشفي عينيك الباطنيتين اللتين اعمتها الارض حتى اذا شُفيت عيناك ، ايها الظلام ، اصبحت بالرب نوراً ؛ ولم يعد النور يشع في الظلمات امام من لا يراه وان يكن الآن حاضراً بل لكي يظهرَ واضحاً للناظر اليه .

ينهض الختن من سريره وينتفض كجبار ليقطع مسافته ، جميلاً كالعروس ،

قوياً كالجبار ، لطيفاً وحازماً ، شديداً وليّناً عذباً مع الابرار وقاسياً مع الاشرار .

جعلك الله اخاً لابنه دون ان يلدك ؛ فتبناك وجعلك له شريكاً في الميراث ثم جعل المسيح شريكاً لك في الموت ليؤهلك الى الاشتراك معه في اللاهوت .

ان قدرة المسيح جعلت ، ما لم يكن ، يكون ؛ وضعف المسيح حفظ من الهلاك ما قد كان : بقدرته خلقك وبضعفه بحث عنك . الضعيفُ يقوت الضعيفَ كما تقوت الدجاجة فراخَها وقد تشبّه بها حين قال : « كم مرةٍ اردت ان اجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدي » (متى ٢٣ : ٣٧) .

تأمّل ضعفَ الدجاجة مع فراخها دون سواها من الطيور . كل يوم نرى الطيور كالسنونو والحمام والبجع تبني لها اعشاشاً ولا نميّز امهاتها الاّ اذا رأيناها في الاعشاش بخلاف الدجاجة التي تقلق على فراخها فتدرك انها ام ولو لم تر خلفها فراخاً فتراها تصفق بجناحيها وتقف بريشها احياناً وتقوق بصوت اجش ثم تتراخى اعضاؤها ، وكما قلت لك آنفاً تدرك انها ام برغم انك لا ترى لها فراخاً .

تلك هي حال يسوع الضعيف ، وقد انهكه تعب الطريق : الجسد الذي اخذه حباً بنا هو طريقه .

انظر كم قد احبك الله من قبل ان تحبه .

ان كان الله قد احبّك بهذا المقدار فجعل ابنه المساوي له انساناً ، حباً بك ، قبل ان تحبّه انت فكيف لا يحبك الآن وقد صرت تحبه .

اشكر الرب واقبل عطاياه لتؤهّل الى ما انت مدعوّ اليه .

يا سيدي يسوع المسيح لقد جئت الى عالمنا هذا لتبحث عمّن هلك وتخلّصه .

لو لم اهلك ، انا الانسان ، لما جئت انت ابن الانسان .

هلكت انا الانسان فأتيت انت ابن الانسان ووجدت الانسان .

انا الانسان هلكت بحريتي وانت ابن الانسان جئتني بنعمتك لتحررني .

انا الانسان الاول هلكت بكبريائي ولولاك يا آدم الثاني اين كنت ؟

كنت مريضاً وظننتني معافى وقبلت سنّة عجزت عن اتمامها .

عرفت مرضي فاستنجدت بالطبيب وطلبت الشفاء من مرضي ، ولولا عجزي التام عن حفظ الشريعة لما تبيّنتُ مرضي .

ظننتني سليماً معافى فزدت حماقة وجهلاً بكبريائي الناتجة عن برارة كاذبة وانت اعطيتني الشريعة لكي تذلّني وتكشف كبريائي ؛ لا لكي تخلّصني بل لكي تقنعني انا المتكبر بضعفي ووهني .

وكيف اشكر لمحبتك ؟ وبأي لسان امتدحها ؟ احببتني فأتيتني في الزمن يا خالق الزمن ، وعشتَ في العالم اصغر سناً من عبيدك الكثيرين يا اقدم من العالم بأزليته ، وصرت انساناً يا صانع الانسان وجئت من أمّ انت خلقتها ؛ وحملتك الايدي التي كوّنتها ؛ ورضعت من الثدي الذي ملأته . ايها الكلمة لقد رضيت بأن تكون طفلاً في المذود لا يعرف النطق ، يا من تخرس من دونه فصاحة البشر اجمعين .

الفصل الرابع عشر : في ان المسيح هو طبيبنا

تعلم جيداً ان الرب المخلص ، يسوع المسيح ، هو طبيب خلاصك الابدي ولهذا اخذ ضعف طبيعتك لئلا يكون الضعف الذي فيك الى الابد .

اخذ جسماً يموت ليقضي به على الموت : وهذا امر ثابت لايمانك .

ولكن اعلم ان العجائب التي صنعها وهو بالجسد تهيب بك الى ادراك ما لا يزول ولا ينتهي .

وردّ الى العميان بصرهم الذي سوف يطفئه الموت يوماً من الايام ولا محالة ؛ واقام من الموت لعازر الذي سوف يموت من جديد .

وكل ما عمله لخلاص الجسد لم يعمله لكي يبقى الى الابد مع انه سيمنح الجسد خلاصه الابدي .

ولكنه اسس الايمان بما لا يرى ، على ما يرى من الاشياء الزمنية المنظورة ، لان الانسان لم يكن يؤمن بما لا يرى .

وهذا الايمان الحار هو ايمان الكنيسة المنتشرة في الارض كلها الذي به تصنع المعجزات والعجائب . اما الآن فانها لا ترفض ان تتحدث عن خوارق ادنى منها قيمة .

وكما ان النفس افضل من الجسد كذلك خلاصها افضل من خلاص الجسد . ان الجسد لا يبصر الآن باعجوبة من الرب ؛ انما القلب الاعمى هو الذي يفتح بصيرته على كلام الرب .

الآن ، ليس الجسد الميت يقوم ؛ انما النفس الميتة هي التي تقوم في جسد حي .

الآن لا تنفع الآذان الصماء في الجسد ؛ انما آذان القلب هي التي تنفتح على كلام الله فيدخلها ويصبح غيرُ المؤمنين مؤمنين وذوو السيرة الرديئة صالحين والمتمردون خاضعين .

وهل نعجب لانك مؤمن وبار وخاضع لله ، بعد ان اكتشفت ، مبصراً ، ما قد عرفته ، اعمى ؛ ورأيت ، حياً ، ما قد عرفته ، ميتاً ، ورأيت ، سامعاً ، ما قد عرفته ، اصمّ .

لولا خلاص الخطأة لما جاء المسيح الى الارض .

تحرّر من امراضك وجراحك فلن تحتاج من بعده الى عقاقير : لولا حشود المرضى على الارض لما جاء الطبيب الاعظم من السماء .

نزل الطبيب القديرُ من السماء ليشفي المريض الخطير ؛ وتنازل الى جسد الموت كما الى سرير المرض .

لا تقل : انقضى زمن كان العالم فيه افضل . فمذ راح الطبيب يمارس مهنته ، صرنا نرى شروراً مخيفة . لا تعجب : قبل ان يُداوَى مريض يجب على الطبيب ان ينظّف جرحه من الدم . وانت ، يا من ترى هذا كله ، اطرح عنك الملذات الباطلة وتعال الى الطبيب لان الزمن زمنُ عافية وليس زمنَ لذة .

حذار ، ان لم تكن قد عرفتَ الطبيبَ ، فلا تصبّ عليه جام غضبك كالمجنون ؛ ولا تمل عنه كفاقد الشعور ؛ لان اناساً كثيرين قد هلكوا غاضبين وآخرين سواهم هلكوا نائمين .

جُنّ اولئك لقلة نومهم ؛ وفاقدوا الحس يغطون في نوم مستمر .

ومع ذلك فانهم يريدون ان يثوروا على الطبيب ؛ وبما ان ملكه في السماء ، نراهم يطاردون على الارض اعضاء له مخلصين .

اما هو فنراه يعالجهم ويهدي الكثيرين منهم فينتقلون من صفوف الأعداء الى صفوف الاصدقاء ، ومن صفوف المضطهدين الى صفوف الرسل . وشفى ، من اليهود ، الذين قاموا ضده ، عدداً كبيراً ؛ وصلّى لاجلهم على الصليب قائلاً : « اغفر لهم يا أبت ، لانهم لا يدرون ما يعملون » .

وبعد ان هدأ غضب الكثيرين منهم وانتهى جنونهم عرفوا الله واعترفوا بمسيحه .

وبعد صعوده الى السماء وحلول الروح القدس عاد الرسل الى صالبيه فآمنوا به وشربوا دمه الذي سفكوه في ثورة غضبهم .

استعصى مرضُك فضقتَ به ذرعاً وتسبّب بمجيء طبيب عظيم اليك .

لو سمح لك المرضُ بالذهاب الى الطبيب لكان خفيف الوطأة عليك .

امّا وقد عجزتَ عن الذهاب اليه فقد جاء هو اليك .

وجاء يعلمك التواضع لتعود الى الحياة بعد ان ابتعدتَ عنها بكبريائك .

استكبرتَ في قلبك على الله واهملت وصاياه الخلاصية فمرضت . وفي مرضك تعلمت الطاعة لمن احتقرته ، معافى . اصغ الى من احتقرته فسقطت، لكي تنهض من مرضك .

تعلّم بالاختبار ان تصغي الى ما رفضت حفظه من الوصية .

تعلّمت في شقائك كيف يكون بؤسُ من يخون الرب .

ان الكفر بذاك الخير الصافي السليم ، والانصباب على الملذات الكثيرة، وحب العالم وفساد الارض ، خيانة للرب . يلومك الرب ويؤنبك ؛ ولكنه لا يحتقرك ؛ ويدفعك الى الخجل لكي تشفى .

حب العالم يجعل النفس زانية وحب خالق العالم يجعلها طاهرة ، انك لا تنشدُ الرجوع الى تلك القبلات البريئة الا اذا خجلت من الفساد .

إخجل لتتوب ، يا ايها المتباهي بعدم التوبة ، كبرياؤك تصدّك عن الرجوع .

ان من يوبّخ لا يخطأ بل يكشف الخطيئة . إنّ ما رفضتَ ان تراه ، ماثل الآن امام عينيك ؛ وما اردته ، خلفك ، قائم امام وجهك .

انظر الى نفسك ، عُدْ إلى نفسك ، ايها السائر بعيداً عن نفسك ؛ وكما كنت بعيداً ، عن نفسك ، كنت بعيداً ، عن ربك .

تطلّعت كثيراً الى نفسك فأعجبتَ بها ؛ وصرت مولَعاً بما لك من قدرة .

ابتعدت عن نفسك وما بقيت فيها ؛ فطردت منها وانتفيت عنها ؛ ثم استلقيت في الخارج .

احببتَ العالم وخيراته الزمنية والارضية : ان احببت نفسك واهملت خالقَك ، تدنّيت كثيراً ، وسقطت بحبك لما هو ادنى منك ؛ انت أقلّ من الله ، واقل منه بكثير ، كما المصنوع اقل من الصانع .

أحبّ الله حباً ينسيك ذاتك ما امكن .

حبُّك العالم انساك ذاتك ؛ فلينسك ذاتك حبُك لصانع العالم .

اندفعت فهلكت : ان لم يعد بوسعك ان ترى اعمالك واردت ان تبرر

الشرير منها ، استكبرت في السكر والدعارة والاباطيل والسلطة والغنى وقوة الباطل.

عليك ان تشكو نفسك وتصلحها وتكشفها لنفسك ؛ ثم تعترف خجلاً بالعيب الذي فيك ؛ وعليك ان تتوق الى الطهارة يا من ذهبت على هواك فعدت خجلاً .

نادِ يسوعَ ولا تدّع الصحة .

ان من يقبل الطبيب يمرض برجاء ؛ اما الذي يضربه في ثورة جنونه فهو مريض يائس . واي مريض يقتل طبيبه .

ما اعظم سخاء الطبيب وقدرته وقد ترك دمه علاجاً لقاتله المجنون !

على الصليب الذي رفع فوقه قال : « يا ابت اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يعملون » هم حمقى وانا طبيب ، هم ثائرون وانا صابر عليهم . شفاؤهم عليّ بعد ان يقتلوني . فكن بين الذين يشفيهم .

عواطف وصلوات

علاجك ، ربّ ، ناجع اكثر مما يتصوره بشر : تواضعك دواء لكل كبرياء ؟ ؟ وفقرك علاج لكل بخل ؛ وصبرك مسكّن لكل غضب ؛ ومحبتك دواء لكل كفر .

انتَ يا رب علاج ناجع لكل شيء ، مزيل لكل ورم ، محيٍ لكل موات ، مستأصل لكل تافه ، مبقٍ على كل ضروري ، مصلح لكل سوءة ، معوّض عن كل خسارة .

فمن ذا الذي يثور ضدك ؟ ومن ذا الذي ييأس منك وقد شئت ان تتواضع الى هذا الحد من اجله ؟

من ذا الذي يفكّر بأن الحياة السعيدة هي في ما علّمتنا ان نحتقره ؟

ومن ذا الذي يستسلم للضيقات وقد آمن بأن الطبيعة البشرية تأمن كل اضطهاد في حماك ؟

ومن ذا الذي يظن ان ملكوت السماوات قد سُدّ بوجهه ؛ وقد ادرك ان الزناة والعشارين خلفك سائرون ؟ الا يكون في مأمن من الخطأ كل من تأمل واحبّ واقتدى باعمال ذاك الانسان ابن الله ، الذي اعطيتناه قدوة لنا في الحياة ؟

الفصل الخامس عشر :

في ضرورة تناول الافخارستيا عن جدارة

اصغ الى صوت ربك : « انا خبز الحياة ؛ آباؤكم اكلوا المن في البرية وماتوا ؛ هذا هو الخبز النازل من السماء كيلا يموت كل من يأكل منه . انا الخبز الحي النازل من السماء . ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد ، والخبز الذي سأعطيه انا هو جسدي لحياة العالم. الحق اقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في انفسكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي له الحياة الابدية وانا اقيمه في اليوم الأخير ؛ لان جسدي مأكل حقيقي ودمي مشرب حقيقي . هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كالمن الذي اكله آباؤكم وماتوا . من يأكل من هذا الخبز فانه يعيش الى الابد . » (٦:٤٨–٥٩) .

المسيح هو الخبز الذي نزل من السماء لكنه الخبز الذي يحيي ولا ينفد، إنه الخبز الذي يُقبل دون ان يُستهلك. المن عينه كان لهذا الخبز رمزاً ولهذا قيل : « خبز السماء اعطاهم وخبز الملائكة اكل الانسان » « مزمور ٧٧ : ٢٤) .

المسيح خبز السماء : صار رب الملائكة انساناً لكي يأكل الانسان خبز الملائكة : لو لم يصر انساناً لما حصلت على جسده واكلت خبز المذبح .

اسرع الى الميراث الذي به نلت عربوناً عظيماً واطلب حياة المسيح لان موت المسيح عربون بيدك .

من يأكل ذاك الطعام ويتناول ذاك الشراب يثبت في المسيح ؛ ومن يثبت في المسيح يحصل عليه .

ان لم تثبت في المسيح ؛ ولم تأكل روحياً جسده ، وتشرب دمه تضع سر جسده ودمه بشكل منظور ومادي تحت اسنانك ؛ ولكنك تأكل

وتشرب ذلك السر العظيم لدينونتك ؛ لانك تجسر ان تتناول اسرار المسيح وانت غير نقي .

ان شئت الآ تأكل وتشرب لدينونتك فعش حياة صالحة . لا تحث الآخرين بالكلام بل بالسيرة على اقتفاء اثرك لئلا يهلكوا اذا حذوا حذوك .

ان كنت متزوجاً فكن وفياً لزوجتك وأعطها حقها . اما ان نذرتَ نفسك لله فاضبط جسدك واكبح شهوته ولا تستسلم الى كل ما يجوز ان تعمله ؛ بل عليك ان تعرض عن المنكر وترذل ما هو مقبول .

اذكر انه يجب عليك ان تحيا على الارض حياة ملائكية : فالملائكة لا يتزوجون ولا يتخذون لهم زوجات : تلك حالك في القيامة . كم يحسن بك ان تكون ، اليوم في حياتك ، ما سوف يصيرُ اليه الناس بعد القيامة . حافظ على مقامك تُحفظ لك كرامتك .

قيامة الموتى شبيهة بالكواكب في السماء : كما ان كلَّ كوكب يختلف شرفاً عن اخيه هكذا هي قيامة الاموات هنا يضيء التبتل بشكل ؛ وهناك العفة الزوجية بشكل آخر ؛ وهنالك قداسة الترمّل ، وكل يضيء بشكل يختلف عن سواه ولكنها جميعاً في السماء : السماء واحدة للكل اما النور فمختلف . وبينا انت تفكر بمرتبتك حافظاً عهدك أقبلْ الى جسد الرب وهلمّ الى دمه .

لا تقترب من جسد الرب ان عرفت نفسك غير امين .

ما اكثر الذين يقتربون من الهيكل ولكنهم يموتون وهم يتناولون . لم يكن جسد الرب سُماً ليهوذا ومع ذلك فقد تناوله ولما تناوله دخل فيه العدو. لا ، لانه تناول شراً ، بل لانه شرير وقد تناول الخير بروح شرير .

انتبه ، وكُل الخبزَ السماويَ روحياً ؛ واحمل الى الهيكل برارتك . وبرغم ان خطاياك يومية فاحذر من ان تحمل لك معها الموت .

وقبل ان تدنو من المذبح انتبه لما تقول : « اغفر لنا ذنوبنا كما نحن

نغفر لمن خطئ الينا » (متى ٦ : ١٢) .

ان غفرت غُفر لك : تقدّم باطمئنان ؛ انه خبز وليس سماً . لكن ، انتبه ان كنت قد غفرت : ان لم تغفر تكن كذاباً وتغش من لا يمكنك ان تغشه .

يمكنك ان تكذب على الله انما لا يسعك ان تغش الله .

هو عالم بما تعمل : من الداخل يراك ويستقصي بواطنك ؛ يرى قلبك ويحكم عليه بالشجب أو بالمكافأة .

اقترب من المسيح بفرح : ان ذهبت اليه متواضعاً فلن يطرحك خارجاً .

لقد نزل من السماء لا ليعمل مشيئته بل مشيئة من ارسله .

متواضعاً ، جاء ، لكي يعلم التواضع ؛ ان ذهبت اليه عملت معه جسداً واحداً وصرت متواضعاً . وان اتحدت به صرت متواضعاً اذ انك لا تعمل مشيئتك بل مشيئة الله . ولذلك لن تطرح خارجاً . لو كنت متكبراً لكانوا القوك خارجاً .

ان استكبرت ، ابتعدت عن هذا الخبز السماوي ؛ وما عاد يمكنك ان تجوع اليه . المتكبر مريض بقلبه وأصمّ باذنيه مع انهما مفتوحتان واعمى بعينيه مع انه يرى بهما .

هو لا يعرف الخبز السماوي ولا يشعر بجوع الى بر الله لانه يشبع من بر نفسه .

المتواضع لا يغتر بقواه ؛ لذلك تعضده النعمة وتفيض المحبة في قلبه بواسطة الروح القدس : مؤمن هو وجائع فيأكل .

ان المولود بشكل غير منظور ينمو بشكل غير منظور : وله ولد يتجدد باطنياً ويشبع باطنياً .

للمتواضع في باطنه ما ليس للمتكبر ؛ فلا يحزن ولا يُنهك ولا يخطأ .

ذهبُ المتكبر في صندوقه ؛ والله في قلب المتواضع : قارن بين الذهب

والله بين الصندوق والقلب : للاول ما يفنى ويفنيه ؛ وللثاني ، الله ، الذي يبقى الى الابد .

كُل ايها الآكل واشرب ايها الشارب ؛ جع واعطش : كُل الحياة واشرب الحياة .

ان اكله حياة ؛ انما اكلُه لا يفنيه ؛ بل يُحيي من يأكله . وما شربه سوى الحياة .

كل الحياة واشرب الحياة تكن لك الحياة كاملة .

عواطف وصلوات

يا سر التقوى وعلامة الوحدة ورباط المحبة .

من اراد ان يحيا يعرف ان يحيا ويعرف كيف يحيا .

عليّ ان اقترب واؤمن واصير واياه جسداً واحداً لكي احيا . لا انفصل عن شركة الاعضاء ؛ ولست عضواً فاسداً جديراً بان يُقطَع او عضواً مريضاً يستحي به الباقون .

سأكون نقياً ، مستقيماً ، سليماً ، اتحد بالجسد وأحيا لك فيك : اني اعمل الآن بالجسد لكي املك بعدئذ في السماء .

اسكرني اللهمّ من خصب بيتك واروني من نهر لذاتك طال ما ان ينبوع حياتي بقربك ؛ لا خارجاً عنك ، بل فيك .

لا اريد ان اشرب ارواءً لعطشي بل حياةً لي ؛ لاني هالك .

واريد ان امد فمي الى الينبوع الذي لا يعرف الجفاف اليه سبيلاً . سوف اتراجع عن كل اعتذار باطل وشرير قمت به ؛ وسوف اتقدم الى الوليمة التي تغذيني باطنياً . فلا تَدَعْ كبريائي تصدّني عنها ؛ وتبعدني بعنجهيتها ، ولا تدعني اعرض عنك بفضول لا يليق ؛ ولا تَدَعْ شهوة الجسد تصدّني عمّا تشتهيه النفس .

سوف اتقدم واسمن ، وان كنت فقيراً يستعطي ومريضاً اعرج واعمى .

رفض الاغنياء المعافون ، الذين ظنوا نفوسهم سائرين بخطى ثابتة في النور ، الدعوة الى وليمتك ؛ لانهم كانوا مغرورين بنفوسهم ، بعيدين عن الشفاء بُعْدَهم عن التواضع .

سوف اتقدم منك مستعطياً ، لانك ، يا من دعوتني اليك ، صرتَ فقيراً لأجلي ، لكي استغني بفقرك ايها الغني .

اتقدم منك مريضاً لان الطبيب للمرضى وليس للاصحاء .

واتقدم منك اعرج قائلاً لك : سدّد خطاي في طرقك .

واتقدم منك اعمى قائلاً لك : انرْ عينيَّ كيلا ارقد في ظلال الموت .

الفصل السادس عشر : في ان آلام المسيح مقدسة

حين اتى الرب الى العالم ، اتى متنكراً ، وظهر ضعيفاً بالجسد ، وهو القوي في ذاته .

ولزم ان يكون منظوراً كيلا يعرفوه ، ومحتقراً لكي يقتلوه .

سنى مجده كامن في لاهوته ، ولاهوته محجوب في جسده : « لانهم لو عرفوه لما صلبوا رب المجد » (١ كور٢ : ٣) .

وسار بين اليهود ، مجهولاً بين اعدائه ، يصنع العجائب ويحتمل الغرائب حتى علّق على الخشبة .

يوم تألم المسيح ، لاجلك تألم .

قال بطرس الرسول : « تألم المسيح لاجلكم وابقى لكم قدوة لتقتفوا آثاره » (٢ : ٢١) .

لقد تألم فعلّمك الالم ، وقلَّ ما يفعلُ الكلامُ بلا مثل .

شتمه اليهود وهو معلّق على الصليب : بمسامير قاسيةٍ كان معلّقاً دون ان يفقد عذوبته .

واحتدموا غيظاً ضده وداروا حوله مجدفين كالمجانين ، حول طبيب ماهر .

وكان يداوي على صليبه قائلاً : « اغفر لهم يا ابت لانهم لا يدرون ما يصنعون » (لوقا ٢٣ : ٣٤) .

وكان يسأل وهو معلّق : ولم ينزل عن صليبه لانه كان يداوي المجانين .

اسمع : انت مسيحي وعضو للمسيح — فكّر بمن انت وبالثمن الذي به اشتريت .

ابتلعت الحياة الابدية الموت وشاءت ان تموت في ما هو لك ، لا في ما لها ؛ واخذت منك امكانية الموت عنك .

ومنك اخذت الجسد ؛ ولكن بخلاف ما يأخذه الناس . لقد كنت حقاً فيها ساعة قالت : « ان نفسي حزينة حتى الموت » (متى ٢٦ : ٣٨) .

ان الذي جاء ليموت لم يخش الموت ؛ وقد كان بوسعه ان يبذل نفسه ويأخذها ايضاً . ان الاعضاء كانوا يتكلمون في الرأس والرأس يتكلم لاجل الاعضاء .

لقد جعلك المسيح جميلاً بفضل ما وصل هو اليه من القبح . لو انه رفض ان يكون قبيحاً لما كنت استعدت الجمال الذي فقدته .

على الصليب لم يكن له شكل : لكن قبحه كان لك جمالاً .

تمسّك في حياتك هذه بالمسيح ، الذي لا جمال له ؛ لانه لم يرتفع على الصليب ليفدي نفسه من ارتفع على الصليب دون ان يكون عليه ذنب .

وليكن صليبه فداءً لنفسك لتضع فوقه كل ما اتيت من شر ، وتتمكن من ان تتبرر بقيامته .

كان ثمنُ فدائك مخفياً في جسد المسيح كما في محفظة فتمزقت المحفظة بالآلام .

علّق المسيح ؛ فسرّ الكافر ؛ وطعنه احد جلاديه بحربته فافاض الفادي ثمن فدائك .

على المسيح الفادي ان ينشد نشيد الظفر ؛ وعلى يوضاس الخائن ان يكتئب ؛ وعلى اليهودي الذي اعطى ثلاثين قطعة من النقود ان يخجل .

بهوذا باع واليهودي اشترى فأتيا شراً . وبالحكم عليهما هلكا ، بائعاً وشارياً .

الواحد باع والآخر اشترى : يا للتجارة الخاسرة . لا هذا اخذ المال ولا ذاك المسيح .

اما انت ايها المسيحي فافرح : لقد ربحت من تجارة اعدائك فأخذت ما باع الاول وما اشترى الثاني .

نقرأ باحتفال قصة آلام من غفر بدمه ذنوبنا فنتذكرها كلياً في تلك العبادة السنوية فينمو ايماننا نموًا واضحاً ساعة نمارسها على صعيد شعبي

تنازل ربنا وقدم لنا ، مثالاً في الصبر ، ما احتمله من آلام لخلاصنا كي نفيد من هذه الحياة الحاضرة ؛ حتى اذا طلب منا شيئاً اكراماً لانجيله فلا يحق لنا ان نرفض آلامه .

وطال ما انه لم يقبل شيئاً مكرهاً في جسده المائت بل قبله حرًا ، وباختياره ؛ يحق لنا ان نعتقد بانه شاء ان يعطينا درساً في كل مراحل آلامه التي وصلت الينا مكتوبة .

وكاني به حين سيق للصلب حاملاً صليبه بنفسه يرمز الى العفّة التي يجب ان يتحلى بها كل من اراد ان يتبعه . واشار الى هذا ايضاً بكلامه حين قال : « من اراد ان يتبعني فليحمل صليبه ويتبعني » (متى ٢٦ : ٢٤)

كل من ضبط نفسه حمل نوعاً ما صليبه — ومن خلال صلبه وعذابه على الجلجلة اشار الى مغفرة الخطايا التي قيل عنها في المزمور : « لقد ازدادت آثامي فوق شعر رأسي » (مزمور٣٩ : ١٣) .

وباللصين اللذين صلبا عن يمينه ويساره اشار الى العذابات التي يجب ان يتحملها القائمون عن يمينه والقائمون عن يساره بحيث يقول للذين عن يمينه : « طوبى للمضطهدين على البر » وللذين عن يساره : « اذا اسلمت جسدي ليحرق ولم تكن فيّ المحبة فلست شيئاً » (١ كور ١٣ : ٣) .

ويشير بالكتابة التي تقول في اعلى الصليب : « ملك اليهود » الى ان قاتليه لن يتمكنوا من الهرب من سلطة ذاك الذي اوضح لهم جلياً باعماله

ما له من سلطان يجب الاعترافُ به . ولهذا ينشد المزمور : « اني مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي » (مزمور ٢ : ٦) .

ويستدل من اقتراح رؤساء اليهود على بيلاطوس بالاّ يكتب : « ملك اليهود » بل يزعم بانه ملك اليهود ان بيلاطوس الذي رفض اقتراحهم هذا رمز للزيتونة البرية المغروسة محل الاغصان المتكسرة لكونه وثنياً . ويعتبر كلامه هذا بمثابة اعتراف الشعوب الذين قال عنهم الرب بحق : « ملكوت الله ينزع منكم ويعطى امة تصنع ثمره » (متى ٢١ : ٤٣) .

ومع ذلك فليس ملكاً لليهود : الجذع ، هو الذي يحمل الزيتونة وليست الزيتونة هي التي تحمل الجذع . ومع ان تلك الاغصان قد تكسّرت في الكفر فلم يرذل الله شعبه الذي عرفه سابقاً .

ومع ان ابناء الملكوت الذين رفضوا ابن الله ملكاً عليهم يذهبون الى الظلمات الخارجية فكثيرون يأتون من المشرق والمغرب ويستريحون ، لا مع افلاطون وشيشرون بل مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السماوات .

كتب بيلاطوس : « ملك اليهود » لا ملك اليونان والرومان وان يكن مزمعاً ان يملك عليهم .

وما كتب قد كتب . ولم يغيّر طلبُ الكفرة ما تنبأت به المزامير منذ القديم : « لا تفسد لداود كتابة » (مزمور ٥٧ : ١) .

ان الشعوب بأسرها آمنت بملك اليهود ومع انه ملك اليهود فانه يملك على جميع الشعوب . لقد كان بامكان ذلك الجذع ساعة طعّمت فيه الزيتونة ان يحولها اليه انما لم يكن بوسعه ان ينزع عنها اسم الزيتونة .

وان الجنود الذين اقتسموا ثيابه يمثلون قارات العالم الخمس حيث يجب ان تنشر تعاليمه .

والقميص ذو النسج الواحد ، الذي اقترعوا عليه ولم يقتسموه ، يشير بوضوح الى ان الاسرار المنظورة، وان تكن على مثال ثياب المسيح جديرة

بان يقبلها الجميع ابراراً كانوا ام اشراراً . اما الايمان الصادق الذي يعمل بالمحبة ونقاوة الوحدة – طال ما ان محبة الله قد افيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي اعطيناه – فليس من نصيب الكل بل تمنحه النعمة الخفية بقرار خاص .

ولذلك قال بطرس لسيمون الذي قبل العماد دون النعمة : « فلا حصة لك ولا نصيب في هذا الامر » (اعمال ٨ : ٢١) .

وكانسان محب اوصى ، وهو على صليبه ، بامه تلميذه الحبيب .

وقبل ان تأتي ساعته حوّل الماء خمراً وقال لتلك الام بالذات : ما لي ولك يا امرأة ؟ لم تأت ساعتي بعد .

لم يأخذ من مريم ما له كإله كما اخذ منها ما علّق على الصليب .

واذ قال : انا عطشان ، كان يبحث عن الايمان لدى خاصته .

واذ جاء الى خاصته ولم تقبله خاصته قدّموا له مرارة الخل على اسفنجة بدلاً من عذوبة الايمان .

لا يجوز لنا ان نشبه الاقوياء بالاسفنجة بل المنتفخين كبراً ؛ ولا يجوز ان نشبه بها المستسلمين الى ايمان مستقيم بل المغلقين على انفسهم تحت وطأة مداخلات الشرير ومكائده .

اكيد بان ذاك الشراب كان يحتوي على الحنظل ، تلك النبته الوضيعة التي تلتصق بالصخر بواسطة جذر لها قوي . واتخذ ذاك الاثم في ذلك الشعب ترويضاً للنفس بالندامة وحفظاً لها بعيداً عنه .

ان الذي شرب المر ممزوجاً بالخل كان يميّز بينهما حين صلى من اجلهم على الصليب بشهادة الانجيلي قائلاً : « اغفر لهم يا ابت لانهم لا يدرون ما يفعلون » .

وحين قال : لقد تم كل شيء واحنى رأسه واسلم الروح واشار الى انه لا يموت بقوة حتمية بل بقدرته الذاتية تحقيقاً للنبوءات عنه . وهذا ايضاً

قد كتب فيه : « وفي عطشي سقوني خلاً » كمن له سلطان ان يبذل نفسه وفقاً لما اكده هو ذاته . لقد اسلم الروح وحنى رأسه ليشهد للتواضع لان قيامته سوف تتم مرفوع الرأس .

واعلن ذاك الانجيل ايضاً انهم لما رأوه مات لم يكسروا رجليه بل كسروا سوق المصلوبين الآخرين لتتحقق نبوءات الفصح اليهودي القائلة بالاّ يكسر عظم من حمل الفصح .

وذاك الجنب المفتوح بالحربة وقد جرى منه دم وماء كان رمزاً للاسرار التي تكونت الكنيسة منها كما استلت حواء من جنب آدم اصل الجنس البشري كله وهو نائم .

وليوسف ونيقوديموس اللذين دفناه كما لكثيرين سواهما من الناس معان ورموز : فيوسف يعني التقدم ونيقوديموس لفظة يونانية مركبة من شقين : نصر وشعب .

واي شيء اخصب من موت القائل : ان حبة الحنطة ان لم تمت تبقى مفردة وان ماتت تأتي بثمار كثيرة ؟

ومن الذي ينتصر بالموت على مضطهديه سوى ذاك الذي سوف يدينهم بقيامته ؟

عواطف وصلوات

الوقت وقت بكاء ؛ ها نحن نحتفل بآلامك : فالوقت وقت نحيب وبكاء وحزن واعتراف وتوسل .

اي انسان جدير بأن يسكب الدمع على تلك الآلام الكريمة ؟ « من لرأسي بمياه ولعينيّ بينبوع دموع » ؟ (ارميا ٩ : ١) .

تحدثني هذه الذكرى السنوية بما جرى بالامس وتحرّك فيّ الشعور ؛ فأراك معلقاً على الصليب واؤمن بك بكل جدية .

سخروا منك على الصليب وعبدوك في السماوات .

الا يزالون يسخرون حتى الآن ولا مجال لان نغضب على اليهود الذين لم يحتقروك ملكاً بل ميتاً ؟

ومن ذا الذي لا يزال حتى الآن يسخر منك ؟ اواحد ام اثنان ام اكثر ؟

تبنُ بَيْدَرك كله يسخر منك ؛ والحنطة تبكي لان الرب اصبح اضحوكة الساخرين .

وانا ، هل أفاخر بغير صليبك ؟ حاشا . بصليبك افاخر ايها الرب يسوع المسيح الذي به صُلب لي العالم وانا صُلبْتُ للعالم .

اراك ، لا بهاء لك ولا جمال . وجهك مشوّه : في قباحتك تكمن قوّتك .

على جبيني احمل علامة قبحك ومن قبحك لا اخجل .

ان كان الرأس قد تألم فعلى الاعضاء ان يتألموا : هل العبد اعظم من سيده والتلميذ من معلمه ؟ انت قلت : « ان اضطهدوني فسيضطهدونكم ، وان سموا رب البيت بعلز بوب فكم بالحري اهل بيته ؟ »

الفصل السابع عشر : في السعادة الابدية

الحياة الابدية مشاهدة ، هذا ما قاله المسيح ذاته : « ان الحياة الابدية هي ان يعرفوك انت الاله الواحد الحقيقي والذي ارسلته يسوع المسيح» . (يوحنا ١٧ : ٣) .

الحياة الابدية هي ان يعرفوا ويشاهدوا ويدركوا ما آمنوا به وينالوا ما لم يكن بوسعهم ان يدركوه . حينذاك يرى العقل ما لم تره العين ولم تسمعه الاذن وما لم يخطر على قلب بشر ثم يسمعون الكلام القائل : « تعالوا يا مباركي ابي خذوا الملك المعد لكم منذ انشاء العالم » متى (٢٥ : ٣٤) .

سوف نرى الله . وذاك شيء عظيم يصبح ، كل ما سواه ، تافهاً ولا قيمة له البتة .

انّا لنعتبر انفسنا ها هنا سعداء اذا كنا نعيش بسلام ؛ برغم ان الحصول عليه في هذه الحياة امر صعب . اما اذا قارنا بين سعادتنا هذه وتلك السعادة العتيدة كانت هذه بالنسبة الى المقبلة بؤساً وشقاء .

وبالتالي ماذا يكون عمل الانسان هناك؟ ما لا يعمل ، اسهل عليّ قوله ، ممّا يعمل .

واقول ان استطعت وبقدر ما استطيع .

الفرح في بيت الله ابدي . وفيه عيد لنا لا ينقضي ؛ بل الى الابد مع طغمة الملائكة في رؤية الله وسرور لا يزول .

وعيد الانسان هذا هو من الأعياد التي لا بداية لها ولا نهاية .

اذا ابتعد الانسان عن ضوضاء العالم تناهى اليه من ذاك العيد الابدي نغم عذب وشجي .

هناك لا لزوم للفطنة اذ لا شرَّ يتحاشاه الانسان ؛ ولا عدل حيث لا بؤس يجب تخفيفه ؛ ولا اعتدال حيث لا شهوة يُكبح لها جماح ، ولا قدرة حيث لا ألم يحتمل .

جميلة هي اعمال الرحمة وجديرة بكل تقدير ؛ ولكن ، لا فائدة منها حيث لا يفرضها شقاء ملحاح .

ومن الذي تطعمه وليس من يجوع ؟

ومن الذي تسقيه وليس من يعطش ؟

وانى لك ان تكسو العريان وكل الناس يلبسون عدم الموت ؟

وانى لك ان تأوي غريباً وكل الناس في اوطانهم ؟

وانى لك ان تعود المرضى والكل يتمتعون بقوة الطهارة عينها .

وانى لك ان تدفن الموتى وكل الناس احياء ؟

وانى لك ان تصالح المتخاصمين وكل الناس مسالمون ؟

واني لك ان تؤاسي المحزونين وكل الناس في فرح الى الابد ؟

وطال ما ان جميع انواع البؤس تنتهي ، فان اعمال الرحمة تنتهي معها . هناك تكون سعيداً لا تحتاج شيئاً ولا تطلب شيئاً . وغناك الوافر سيكون الله ذاته .

عن اي شيء كنت تبحث يا بخيل ؟ وماذا تطلب من الله ان كنت لا تكتفي بالله ؟ هناك لا انزعاج ولا شواذ ولا مقاومة ولا ما يخدش النظر بل الكل يسبحون الله في سلام تام .

ستكون سعيداً لانك لن تحتاج الى شيء .

ستكون مليئاً ؛ ولكن ، من الهك . وسيكون لك هناك كل ما تتوق اليه ها هنا :

ها هنا تطلب قوتاً وهناك يكون الله قوتاً لك .

ها هنا تتوق الى عناق الجسد وهناك : « وانا فحسن لي القرب من الله (مزمور ٧٢:٢٨) .

ها هنا تطلب الثروات اما هناك فهل ينقصك شيء وقد صار لك صانع كل شيء ؟

ولكنك تقول : ماذا اعمل ؟ يبدو ان لا عمل لك : لا النظر ولا الحب ولا التسبيح .

ان الايام المقدسة التي تتلو قيامة الرب تعني حياتنا ما بعد القيامة .

وكما ان الاربعين يوماً السابقة لعيد الفصح تعني حياة الجهاد في امتحان الموت هكذا فان الايام التالية للفصح تعني حياتنا الاخرى في الملك مع الرب .

حياتنا الحاضرة هي كالاربعين يوماً السابقة للفصح : اما الحياة الممثلة بالخمسين يوماً التي تعقب الفصح فلا وجود لها الآن . ولكننا نرجوها وبالرجاء نحبها ونسبح الله بهذا الحب عينه وقد وعدنا بها : تلك هي تسابيح الليلويا .

الليلويا لفظة عبرية معناها : سبحوا الرب . فلتتجاوب اصداء الليلويا وليحث بعضنا بعضاً على تسبيح الله بقلوب متآلفة افضل من ان نسبحه

على انغام قيثارة الليلويا . في اناشيدنا نتوقف بسبب ضعفنا لكي نريح اجسادنا . وهل نتوقف الآ لكي نريح اجسادنا ؟ ذاك ضعف في الجسد : في الحياة ضيق كثير ، وايا كانت عظمة ما فيها فلا بد من ان نأنف منه .

هب انهم طلبوا منا ان ننشد الليلويا بلا انقطاع لاعتذرنا لاننا نمل ونتعب حتى من الانشاد بالذات وان كان الانشاد شيئاً مستحباً .

قفوا وسبحوا الرب ايها الواقفون في بيت الرب وفي ديار بيت الهنا .

ولم نبحث عما سوف تعمل هناك ؟ « طوبى لسكان بيتك فانهم يسبحونك ، رب ، الى جيل الاجيال » (مزمور ٨٣:٣) .

عواطف وصلوات

ما اسعد نشيد الليلويا في السماوات حيث طغمات الملائكة تؤلف لك هيكلاً .

حيثما تآلفت اصوات المسبّحين وقلوبهم ، استمرّت غبطة المرنمين وطمأنينتهم . اذ ذاك لا تناقض بين سنة الجسد وسنة الروح . هنالك لا نزاع شهوة يعرّض نصر المحبة للهلاك .

ها هنا انشد الليلويا قلقاً مضطرباً حتى انشدها بسلام في الاعالي السماوية . ولِمَ انشدها في هذه الارض ؟ الا تريدني ان اكون حذراً اثناء قراءتي : « ان حياة الانسان على الارض تجند وكأيام اجير ايامه ؟ » (ايوب ٧:١) .

الا تريدني ان اكون حذراً حين يقولون لي : « اسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة » ؟ (متى ١٤:٣٨) .

الا تريدني حذراً في التجربة فتأمرني بان اقول في صلاتي : « اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر لمن خطئ الينا ؟ » كل يوم اطالب وكل يوم تراني مديناً .

اتريدني ان اكون مطمئناً وانا اسأل كل يوم الرحمة لخطاياي والمساعدة في المخاطر ؟ وحين اقول عن خطاياي الماضية : اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر لمن خطئ الينا ، اضيف دائماً بشأن المخاطر المقبلة قائلاً : ولا تدخلنا في التجربة .

وانّى لي ان اكون على خير حين اهتف : نجنا من الشرير ؟ ومع ذلك فاني ارغب ان انشد الليلويا في حالتي تلك السيئة لانك خيري الذي ينجيني من الشرير .

الفصل الثامن عشر : في الثبات

الثبات هو بقاء الانسان واستمراره في خطّة معيّنة متقنة الدرس . اما ثباتك في المسيح فنعمة من الله عظيمة .

وبالنهاية اعني نهاية الحياة التي تتعرّض فيها لخطر السقوط . ولذلك لا يصح دوماً القول انك تحافظ على هذه النعمة ما دمت في قيد الحياة . واجزم بحق قائلاً : ان سقطت في حياتك فلست بثابت الى النهاية .

احفظ جيداً كلام الانجيل الموجز واذكره دوماً : « من يثبت الى المنتهى يخلص » (متى ٢٤ :١٣) .

ما اكثر ما يجب عليك ان تخشى الانحراف والتطلع الى الوراء . حين تمتنع عن ترجّي المكافآت السماوية تميل الى الخيور المنظورة الفانية بدافع من الشهوة .

تذكر امرأة لوط : ها هي على الطريق وقد نجت من صادوم . ولما تطلعت الى الوراء بقيت في مكانها تمثالاً من الملح يملحك .

كانت لك مثالاً لكي تسيطر على قلبك ولا تتوقف كالاحمق في الطريق .

انظر الى من يقف وتجاوزْه ؛ وانظر الى من يتطلع الى الوراء وتابع سيرك الى الامام .

تطلّع الى قائدك ، لا الى الوراء ، الى الطريق الذي اخرجك منه .

قائدك امامك ؛ والطريق الذي خرجت منه وراءك .

احبّه لك قائداً لئلا يرذلك متى نظرتَ الى الوراء .

إنسَ ما وراءك ، إنسَ حياتك السالفة الشريرة ؛ وانبسط الى ما قدامك .

لا تتطلع الى الوراء ولا تتوقف ملتذاً بما مضى ؛ ولا تملْ عما امامك ، الى ما وراءك : أسرع لكي تصل ؛ اسرع ، وبشوقٍ ، اسرع ، لا تقل انك تصل في هذه الحياة .

ان ظننت نفسك كاملاً انخدعت وضللت وفُصلْتَ : لا يسعك ان تكون كاملاً على هذه الأرض .

ان ظننت نفسك قادراً على بلوغ الكمال هنا ، اقمت في مكان عال وسقطت .

كن متواضعاً فانك ان سرت في مكان وضيع وصلت الى الاعالي .

لقد جعل المسيح الوديعُ نفسَه طريقاً لك : تواضع ولا تيأس من الوصول .

لا تبتعد عن حرارة الروح ونور الحقيقة .

الآن تسمع صوت المسيح اما حينذاك فستراه وجهاً لوجه .

لا ترضَ نفسك ولا تجدف على الآخرين .

سرْ على هذا النحو في طريق الله : اياك ان تحسد السائرين وتشتم المتخاذلين حتى يتحقق آنذاك ما وعدك به المسيح في الانجيل : « وانا اقيمه في اليوم الاخير » (يوحنا ٦ :٥٥) .

ولم كثرة الكلام ؟ اظن بان ما قلته كاف : ثبات الانسان في الرب حتى النهاية عطية من الله . لست اتردد في ان اقول ان من لم ينل هذه العطية باطلاً يملك ولو ملك الكثير سواها من الخيرات .

فلنصلّ ايها الحبيب ، فلنصل حتى يعطي اله النعمة اعداءنا ولا سيما اخوتنا واصدقاءنا ان يدركوا ويعترفوا بان الخلاص لا يتم لاحد ، بمعزل عن نعمة الله ، بعد الخسارة الهائلة التي منينا بهـــا . وانها لخسارة لا تعوض باستحقاقٍ ممّن يأخذون بل هي هبة حقيقية تعطى بالمجان دون اعتبار اي استحقاقٍ سابق لها .

ربّ ، سوف اخلص بكل تأكيد ، ان ثبتّ حتى النهاية . بيد ان الثبات خاص بالفضيلة دون سواها استحقاقاً للخلاص : انتَ قوّة خلاصي وانتَ تجعلني اثبت حتى انال الخلاص .

ربّ ، يا قوّة خلاصي ، وكيف ارجو بأنك قوّة خلاصي ؟ ارجو لانك حميتني في يوم المعركة .

حتى الآن ، لا ازال احارب في الخارج ضد خيور كاذبة ، وفي الداخل ضد شهواتي ؛ لاني ارى في اعضائي سنة اخرى تخالف سنة ضميري وتأسرني تحت سنة الخطيئة التي في اعضائي .

انا انسان شقي فمن يخلّصني من جسد الموت هذا ؟ « انت تخلّصني ، ربّ ، بواسطة نعمتك بابنك ربنا يسوع المسيح » (رومية ٧:٢٣) .

وبالتالي ، فبينا اجاهد في هذه الحرب اتوكل على نعمتك : وبما اني بدأت اصير حارًا وجافاً فقد وجدت ظلاً اعيش فيه .

هاءنذا ايها الربّ يسوع ، يا من تقول لي : لا تتراجع في الطريق الضيّق ، لقد مررت فيه قبلك . انا هو الطريق ، انا اقود وبي اقود واليّ اقود .

مهما صنع بي العدو فلن اخاف لانّ لي عوناً قديرًا .

انت رجائي فلن اخزى الى الابد .

انت صبري : صبري انت لانك رجائي منذ صباي .

طال ما انا بالجسد فاني مسافر بعيدًا عنك وبالايمان اسير لا بالمشاهدة .

سوف يأتي زمن ارى فيه ما كنت اؤمن به ولا اراه .

آنذاك ارى ما اؤمن به وافرح بالحقيقة التي ارجوها الآن .

الآن ابكي واسرع نحو الحمى طلباً للخلاص : الآن اطلب طبيباً لمرضي .

الآن افرح بالرجاء لانك صادق في وعدك ؛ ولكن بما اني لم احصَلْ حتى الآن ، على شيء ، فاني اتوق اليه متنهدًا .

ساعدني على ان اثبت في شوقي حتى يتمّ وعدك فينقضي كل حزن ويعقبه كل تسبيح .

صلاة القديس اغوسطينوس

اللهم ، يا من خلق الكون ، هبني اولاً ان ارفع اليك صلاة ترضيك ؛ وصيرني اهلاً لان استجاب ؛ ثم خلصني .

اللهم ، يا من به يتوق الى ان يكون من لا كيان له في ذاته .

اللهم ، يا من لا يرضى الهلاك لأحد ولا للكائنات التي تتقاتل فيما بينها .

اللهم ، يا من خلق من العدم هذا العالم الذي ترنو اليه عيون الجميع كما الى ما لا اجمل منه .

اللهم ، يا من لم يصنع الشر ولا اعطى الوجود ان يصير شرًا .

اللهم ، يا من يُظهرُ للقلة ممّن يعتصمون بحقيقته ان الشر عدم .

اللهم ، يا من به يتكامل الكون مع ما فيه من عيوب عارضة .

اللهم ، يا من لا نشاز البتة في نغمه متى تآلفت العليا والسفلى من مخلوقاته .

اللهم ، يا من يحبه كل من كان قادرًا على ان يحب سواء اكان بمعرفة ام بغير معرفة .

اللهم ، يا من فيه كل شيء ، ومع ذلك فلا فساد الخليقة يضيره ولا شرها يؤذيه ولا ضلالها يضله .

اللهم ، يا ابا الحق والحكمة والحياة الحقة السامية ويا ابا السعادة والخير والجمال والنور المدرك ، يا ابا نهوضنا وضيائنا وعربوننا الذي يهيب بنا الى الرجوع اليه .

اني ادعوك اللهم ، ايها الحق ، يا من به وفيه ومنه حق هو كل حق .

اللهم ، ايها الحكمة ، يا من به ومنه وفيه حكمة هي كل حكمة .

اللهم ، ايها الحياة الحق السامية ، يا من به ومنه وفيه يحيا كل من يحيا حياة حقة وسامية .

اللهم ، ايها السعادة ، يا من به ومنه وفيه هي سعادة الكل .

اللهم ، ايها الصلاح والجمال ، يا من به ومنه وفيه صلاحُ وجمالُ كل صالح وجميل .

اللهم ، ايها النور المدرَك ، يا من به ومنه وفيه يدرَك نورُ كل نور معقول .

اللهم ، يا من تُرسم شريعة ملكه في ممالكنا الارضية .

اللهم ، يا من ، الكفرُ به سقوط ، والتوبةُ اليه قيام ، والثبات فيه حياة .

اللهم ، يا من الابتعاد عنه موت ، والرجوع اليه تجدد ؛ والسكنى فيه حياة .

اللهم ، يا من لا يفقده سوى المغرور ؛ ولا يطلبه سوى الواعي ؛ ولا يجده سوى الطاهر .

اللهم ، يا من التخلي عنه هلاك ، والتأمل فيه محبة ، والحصول عليه مشاهدة .

اللهم ، يا من يدفعنا اليه الايمان ، ويبنينا فيه الرجاء ، وتشدنا اليه المحبة .

اللهم ، يا من به ننتصر على عدونا ، اليك اضرع ؛

اللهم ، يا من اخذَنا اليه لئلا نهلك الى الابد ؛

اللهم ، يا من يستحثنا الى السهر واليقظة ،

اللهم ، يا من به نميّز الخير من الشر .

اللهم ، يا من به نفزَع من الشر الى الخير .

اللهم ، يا من به لا نستسلم للمصائب .

اللهم ، يا من به نُطيع ونُطاع .

اللهم ، يا من يعلّمنا ، ان ما نظنه لنا ، هو لغيرنا ؛ وما نظنه ، احياناً ، لغيرنا هو لنا .

اللهم ، يا من به لا نعلقُ في فخاخ الآثام ومغرياتها .

اللهم ، يا من بفضل منه تشحّ مواردُنا ولا تقل خيراتنا .

اللهم ، يا من بفضل منه لا يستأثر الادنى فينا بالاسمى .

اللهم ، يا من بقدرته ابتُلع الموت بالغلبة .

اللهم ، يا هدايتنا .

اللهم ، يا من يعرّينا ممّا لا وجود له ويكسونا ممّا هو .

اللهم ، يا من يستجيب سؤلنا ، ويقوينا ويسيّرنا الى كل حق ، ويحكي لنا كل خير ، ولا يخلّينا في جهلنا ، ولا يدع فينا للفوضى مكاناً .

اللهم ، يا من يردنا الى الطريق ، ويسير بنا الى الباب ، ويجعلنا نفتح الباب لمن يقرعه ، ويعطينا خبز الحياة .

اللهم ، يا من بفضلٍ منه نعطش الى شراب ، ان اخذنا منه ، لن يبقى بنا عطش الى الابد .

اللهم ، يا من يدين العالم على الخطيئة وعلى البر وعلى الحكم .

اللهم ، يا من به نصمد بوجه غير المؤمنين .

اللهم ، يا من ، بفضلٍ منه ، ندحض ضلال من يعتقدون بان لا استحقاق للنفوس لديه .

اللهم ، يا من به لا نعبد العناصر الضعيفة الواهية .

اللهم ، يا من ينقّينا ويُعدّنا للمكافات الالهية ، هلم اليّ وكن لي نصيباً . كلامي اليك هو انك الاله الاحد .

فهلم الى نصرتي ايها الجوهر والحق الازلي ، الذي لا تبايُن فيه ولا غموض ، ولا تغيير ، ولا فراغ ، ولا موت .

في التجانس التام يقين وكمال وحياة .

لا زيادة حيث لا نقصان ، وحيث الوالد والمولود واحد .

اللهم ، يا من يخضع له كل من يخضع ، وتخضع له كل نفس صالحة ؛ ويا من ، بموجب شرائعه ، تتحرك الكرة الارضية وتتم الكواكبُ دورانها ، وتنيرُ الشمس النهار والقمر يخفّف من حلكة الليل ؛ ويا من يحفظ الكون متعاقب الليل والنهار ؛ ثم باكتمال الاشهر القمرية ونقصانها تنقسم السنة الى ربيع وصيف وخريف وشتاء وتكمّل الشمس والكواكب دورانها في افلاكها الرحبة بحركة كونية ثابتة ومنتظمة .

اللهم ، يا من وضعتَ للزمن سنناً لا تتغيّر مع الأشياء ؛ وأقمتَ للاجيال ضوابط ؛ وللنفس الحرة نُظُماً ؛ وضمنتَ للابرار ثواباً ؛ وللاشرار عقاباً اكيداً . ثم ذكّرت بهذه الامور بشكل قاطع ثابت .

اللهم ، يا من يأتينا منه كل خير وبفضله نعيش في حمى من كل شر .

اللهم ، يا من لا اسمى منه ولا وجود لشيءٍ ، خارجاً عنه ، وبدونه ؛ ويا من كونتَ الانسان على صورتك ومثالك فبات هذا الامر واضحاً لدى كل من ادرك ذاته .

استجبني ، استجبني ، استجبني يا الهي وربي ومليكي وابي وعلة كياني ورجائي وخيري وشرفي وبيتي ووطني وخلاصي ونوري وحياتي .

استجبني ، استجبني ، استجبني وفقاً لعادتك التي يتقنُ معرفتها القليلون .

انا لا احب سواك ولا اطلب سواك . مستعد أنا لان اعبدك وحدك لانك وحدك الحاكمُ بعدل والوحيد المسلّط على حياتي .

مُرْ ، بحقّك ، ومُرْ ما شئت . إشف اذنيّ وافتحْها فاسمع كلمتك .

واشف عينيّ وافتحْها فاتبيّن أوامرَك .

اشفني من حماقتي ، لاعرفك ؛ وقل لي اين انظر حتى اشاهدك ، انا مَن يرجو بان يحفظ اوامرك .

رجوتك ، رب ، ان تقبلَ الهارب منك ايها الرؤوف . لقد تعذبتُ طويلاً واستسلمت الى اعدائك الذين وطئتَهم بقدميك ؛ واتبعتُ طويلاً خزعبلاتهم الباطلة .

اقبلني ، انا خادمك الهارب منهم اليك ، كما استقبلوني يوم هربتُ منك اليهم . لقد شعرت بواجب العودة اليك فها اني اقرع بابك : افتحه بوجهي وعلّمني كيف اصل اليك .

لم يعُدْ لي سوى ارادتي ولست اعرف شيئاً آخر ، سوى ان ارذلَ مـا هو فانٍ وبال ، واطلب ما هو ابدي . هذا اعمله ولا اعرف سواه ؛ انما اجهل كيف اصل اليك . دلّني على الطريق وأظهر ذاتك لي ، وامنحني الزاد الاخير .

ان كان المعتصمون بك يجحدونك بالايمان ، فهبني هذا الايمان ؛ وان كان بالفضيلة فأعطينيها ؛ وان كان بالعلم فاعطنيه : زدني ايماناً ورجاء ومحبة .

ما اعجب صلاحك وما اروعه . اليك اسيرُ واسألك من جديد عمّا يدفعني الى الذهاب اليك .

ان تخليتَ عن الانسان هلك ؛ مع انك لا تتخلى عنه ؛ لانك الخير الاسمى ، الذي ما طلبه قط انسان باستقامةٍ ، الاّ وجده .

ويبحث عنك باستقامة من جعلته يطلبك باستقامة. اجعلني ايها الآب ابحث عنك وانتقم لي من الضلال : وبينما ابحث عنك فلا تدع شيئاً يحول بيني وبينك .

بحقك ، ابت ، اجعلني اجدك إن لم اطلب احداً سواك . اما ان كنتُ راغباً في سواك فنقّني وصيّرني اهلاً لان اراك .

اما بشأن خلاص جسدي هذا ، المائت ، فطال ما اني لا ادري ما يُفيدني منه ويفيد الـذين احبتهم فاني أعهدُ به اليك ، ايها الآب الكثير الحكمة والصلاح ؛ واصلّي من اجله، طال ما انك تحضّني على الصلاة . انما أسأل رأفتك، غيرالموصوفة، ان تهديني ، بكليتي ، اليك ، وترفع عني ما يحول دون اندفاعي اليك . مُرْني سائرًا وحاملاً هذا الجسد ، بان اكون طاهرًا وسخياً ، بارًا وحكيماً ؛ واجعلني اللهم ان اكون لحكمتك محباً ومتذوقاً ؛ واهلني لان اسكن في ملكوتك السعيد آمين . آمين .

فهرس الكتاب

الكتاب الأول :

		صفحة
الفصل الاول	: رأس الحكمة مخافة الله	١
الفصل الثاني	: في الخوف	٣
الفصل الثالث	: في وعود الله ووعود العالم	٨
الفصل الرابع	: في ضرورة البحث عن السعادة خارجاً عن الارض .	١٢
الفصل الخامس	: في طريق السعادة الحقة	١٦
الفصل السادس	: في بطلان الخيور الزمنية	٢١
الفصل السابع	: في مكر العالم	٢٤
الفصل الثامن	: في نوعية حب العالم	٢٦
الفصل التاسع	: في ان عالمنا هو محطة مسافرين	٣٠
الفصل العاشر	: في ان حياة الانسان قصيرة ومجهولة الاجل . . .	٣٢
الفصل الحادي عشر	: في حتمية الموت	٣٥
الفصل الثاني عشر	: في ان ساعة الموت المحتوم مجهولة	٣٩
الفصل الثالث عشر	: في الفرق بين الميتة الصالحة والميتة الشريرة . . .	٤٣
الفصل الرابع عشر	: في استدراك حكم الله بحياة مسيحية.	٤٧
الفصل الخامس عشر	: ان ما فيك يظهر واضحاً امام المسيح الديان . .	٤٩
الفصل السادس عشر	: في انه لا يجوز التفريط بصبر الله	٥٢
الفصل السابع عشر	: في ان المسيح الديان يأتي بشكل منظور في نهاية العالم	٥٥
الفصل الثامن عشر	: في الدينونة الاخيرة	٥٩
الفصل التاسع عشر	: في العقاب الابدي	٦٢

الكتاب الثاني :

صفحة

الفصل الاول : في انه يجب على النفس ان تصغي الى كلام الله . ٦٥
الفصل الثاني : في واجب السماع للكنيسة ٦٧
الفصل الثالث : في تلميذ الكتاب المقدس ٧٢
الفصل الرابع : في التقوى ٧٦
الفصل الخامس : في ان الايمان هو رأس الحياة الروحية ٨١
الفصل السادس : في ان التواضع ضروري لبلوغ الايمان . . . ٨٦
الفصل السابع : في انه لا يجوز ان تخجل من الايمان بالمسيح . ٩٠
الفصل الثامن : في ان الايمان بدون اعمال ميت ٩٣
الفصل التاسع : في ان الرجاء هو رفيق الايمان ٩٧
الفصل العاشر : الرجاء في سفرك تعزية لك ١٠٠
الفصل الحادي عشر : في الغرور ١٠٣
الفصل الثاني عشر : في الحذر من الغرور واليأس ١٠٦
الفصل الثالث : في مديح المحبة ١١١
الفصل الرابع عشر : في ان المحبة تجعل نير المسيح عذباً ١١٤
الفصل الخامس عشر : في نظام المحبة. ١١٦
الفصل السادس عشر : في محبة الله ١٢١
الفصل السابع عشر : في محبة الذات الصحيحة ١٢٤
الفصل الثامن عشر : في محبة القريب ١٢٨
الفصل التاسع عشر : في العناية بالموتى ١٣٢

الكتاب الثالث :

الفصل الاول : في طبيعة الشريعة والنعمة ١٣٦
الفصل الثاني : في طبيعة الخطيئة ١٤١
الفصل الثالث : في ان الخطيئة هي عمى النفس ١٤٤
الفصل الرابع : في عبودية الخاطئ. ١٤٦
الفصل الخامس : في ان حزننا لموت النفس يجب ان يفوق حزننا لموت الجسد ١٤٩
الفصل السادس : في ثقل العادة الشريرة. ١٥٢
الفصل السابع : في ان من تعود ارتكاب الخطيئة استكف خطرها . ١٥٤

صفحة

الفصل الثامن : في انه لا يجوز اهمال الخطايا العرضية بل يجب التكفير عنها ١٥٧
الفصل التاسع : في ان عذاب ضمير الخاطئ هو شر عذاب. . . ١٦١
الفصل العاشر : في صبر الله على الخطأة ١٦٤
الفصل الحادي عشر : في خطيئة داود. ١٦٦
الفصل الثاني عشر : في اعمال التوبة. ١٧٠
الفصل الثالث عشر : في ثمار التوبة ١٧٤
الفصل الرابع عشر : في غبطة الضمير الصالح ١٧٧
الفصل الخامس عشر : في ان عبودية ابناء الله هي الحرية الصحيحة . . ١٨٠
الفصل السادس عشر : في الاقرار الوضيع بالخطايا ١٨٣
الفصل السابع عشر : في القديسة مريم المجدلية ١٨٦
الفصل الثامن عشر : في الفريسي والعشار ١٨٩

الكتاب الرابع :

الفصل الاول : في ان الصلاة واجب وضرورة ملحة. ١٩٤
الفصل الثاني : في اسلوب الصلاة. ١٩٧
الفصل الثالث : في كيفية الصلاة ٢٠٣
الفصل الرابع : ما يجب التماسه في الصلاة. ٢٠٨
الفصل الخامس : في الصلاة الربية ٢١١
الفصل السادس : مرتا ومريم ٢٢١
الفصل السابع : في جهاد المسيحي ٢٢٥
الفصل الثامن : الفضائل سلاح المسيحي في جهاده ٢٢٩
الفصل التاسع : في ضرورة طرد التجارب ٢٣٢
الفصل العاشر : في فائدة التجارب ٢٣٦
الفصل الحادي عشر : في ضبط اللسان. ٢٤١
الفصل الثاني عشر : في تحمل الضيقات ٢٤٥
الفصل الثالث عشر : في ان التجربة للابرار وللاشرار هلاك ٢٤٩
الفصل الرابع عشر : في ان الشدائد مفيدة ٢٥٤

الكتاب الخامس :

صفحة

الفصل الاول : في غفران الذنوب ٢٥٦
الفصل الثاني : في الاصلاح الاخوي ٢٥٩
الفصل الثالث : في حسن استعمال الثروات ٢٦٣
الفصل الرابع : في المستمعين الى كلمة الله ٢٦٧
الفصل الخامس : طوبى للمساكين بالروح ٢٧٠
الفصل السادس : طوبى للودعاء ٢٧٤
الفصل السابع : طوبى للباكين ٢٧٨
الفصل الثامن : طوبى للجياع ٢٨٢
الفصل التاسع : طوبى للرحماء ٢٨٥
الفصل العاشر : طوبى لانقياء القلوب ٢٩٠
الفصل الحادي عشر : طوبى لفاعلي السلامة ٢٩٣
الفصل الثاني عشر : طوبى للمضطهدين على البر ٢٩٧
الفصل الثالث عشر : في انه يجب ان نحتمل الاشرار بصبر ٢٩٩
الفصل الرابع عشر : في محبة الاعداء ٣٠٥

الكتاب السادس :

الفصل الاول : في خطر الثناء البشري. ٣٠٩
الفصل الثاني : في النية المستقيمة ٣١٤
الفصل الثالث : في ان الكبرياء هي اصل كل خطيئة ٣١٧
الفصل الرابع : في ان الكبرياء هي اكبر عائق في سبيل الكمال المسيحي ٣٢١
الفصل الخامس : في ان الكبرياء عظمة كاذبة ٣٢٥
الفصل السادس : في الجسد ٣٢٨
الفصل السابع : في الرياء ٣٣٢
الفصل الثامن : في الخداع ٣٣٥
الفصل التاسع : في التواضع هو اساس الكمال المسيحي. ٣٣٨
الفصل العاشر : في قيمة النعمة ٣٤٤
الفصل الحادي عشر : في البخل ٣٥٠
الفصل الثاني عشر : في اخطار الغنى. ٣٥٤

صفحة

الفصل الثالث عشر : في الغضب والبغض ٣٥٧
الفصل الرابع عشر : في الصبر ٣٦١
الفصل الخامس عشر : في الفضائل الرئيسية الاربع. ٣٦٦

الكتاب السابع :

الفصل الاول : في الطريق الى معرفة الله الروحية. ٣٧١
الفصل الثاني : في ضرورة البحث عن السعادة. ٣٧٥
الفصل الثالث : في ان الله هو روح الحياة الروحية ٣٧٩
الفصل الرابع : في ان الله هو راحة الانسان. ٣٨١
الفصل الخامس : في التوق الى السعادة الابدية ٣٨٥
الفصل السادس : في التسليم المتواضع الى مشيئةالله ٣٨٨
الفصل السابع : في الاقتداء بالمسيح ٣٩٢
الفصل الثامن : في الحياة الرهبانية ٣٩٧
الفصل التاسع : في الطاعة. ٤٠٢
الفصل العاشر : في التبتل المقدس ٤٠٦
الفصل الحادي عشر : في الرعاة ٤١١
الفصل الثاني عشر : في المأجورين. ٤١٥
الفصل الثالث عشر : في منافع تجسد المسيح ٤١٩
الفصل الرابع عشر : في ان المسيح هو طبيبنا ٤٢٣
الفصل الخامس عشر : في ضرورة تناول الافخارستيا عن جدارة . . . ٤٢٨
الفصل السادس عشر : في ان آلام المسيح هي مقدسة ٤٣٢
الفصل السابع عشر : في السعادة الابدية ٤٣٨
الفصل الثامن عشر : في الثبات ٤٤٢

صلاة القديس اغوسطينوس ٤٤٥

أنجزت مطبعة ليزار ش.م.م.
طباعة هذا الكتاب
في الثامن والعشرين من شباط ٢٠٠٤

١٠٧٣ - ١،٥ - ٢٠٠٤/٢/٢٨